مكتبة الروضة الحيدرية
الرسائل الجامعية

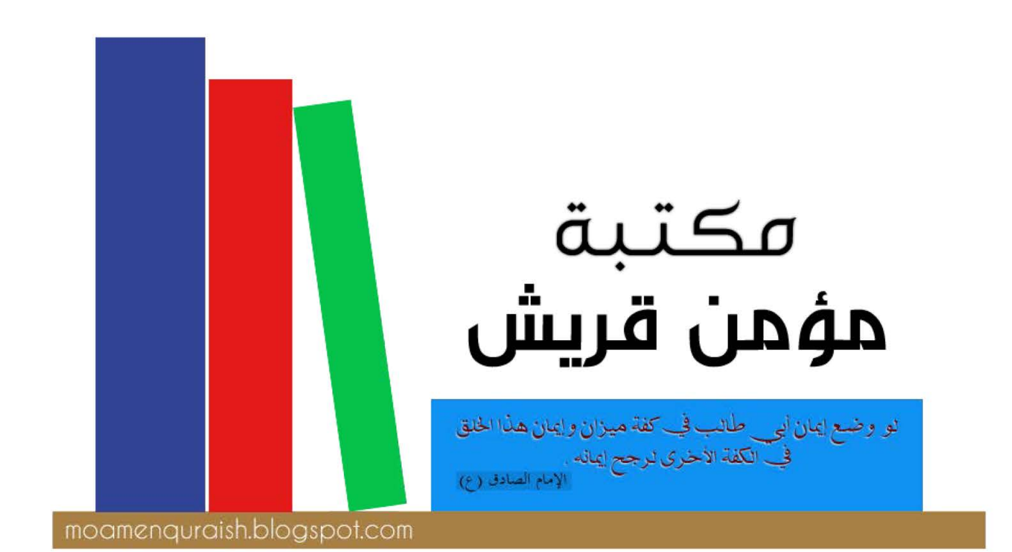


شعر أبي طالب

دراسة أدبية



د. هناء عباس عليوي كشكول


مكتبة
مؤمن قريش
لو وضع ايمان ابي طالب في كفة ميزان وايمان هذا الخلق
في الكفة الأخرى لرجح ايمانه .
الإمام الصادق (ع)
moamenquraish.blogspot.com

مكتبة الروضة الحيدرية

الرسائل الجامعية

شعرُ أبي طالب

دراسة أدبية

د. هناء عباس عليوي كشكول

▼
شعر أبي طالب ﷺ دراسة أدبية
هناء عباس عليوي كشكول
منشورات دليل ما
الطبعة الاولىٰ: ١٤٢٩ هـ.ق ـ ١٣٨٧ هـ.ش
طبع في: ١٠٠٠ نسخة
المطبعة: نگارش
السعر مُجلّداً: ٧٠٠٠ توماناً
ردمک: ٨ ـ ٣٨٥ ـ ٣٩٧ ـ ٩٦٤ ـ ٩٧٨
العنوان: ايران، قم، شارع معلم، ساحة روح‌الله، رقم ٦٥
هاتف وفكس: ٧٧٣٣٤١٣ ـ ٧٧٤٤٩٨٨ (٩٨٢٥١)
صندوق البريد: ١١٥٣ ـ ٣٧١٣٥
WWW.Dalilema.com
info@Dalilema.com



مركز التوزيع:
١) قم، شارع صفائيه، مقابل زقاق رقم ٣٨، منشورات دليل ما، الهاتف ٧٧٣٧٠١١ ـ ٧٧٣٧٠٠١
٢) طهران، شارع إنقلاب، شارع فخررازي، رقم ٣٢، منشورات دليل ما، الهاتف ٦٦٤٦٤١٤١
٣) مشهد، شارع الشهداء، شمالي حديقة النادري، زقاق خوراكيان، بناية گنجينه كتاب التجارية، الطابق الأول، منشورات دليل ما، الهاتف ٥ ـ ٢٢٣٧١١٣
٤) النجف الأشرف، سوق الحويش، مقابل جامع الهندي، مكتبة الإمام الباقر العلوم ﷺ، الهاتف ٠٧٨٠١٥٥٣٢٨٩

سرشناسه	:كشكول، هناء عباس عليوي
عنوان و پديدآور	:شعر أبي طالب ﷺ دراسة أدبية / هناء عباس عليوي كشكول.
مشخصات نشر	:قم: دليل ما، ١٣٨٧.
مشخصات ظاهری	:٥٥٢، D ص.: جدول.
شابک	:ISBN 978 - 964 - 397 - 385 - 8
وضعيت فهرست‌نويسی	:فيپا.
يادداشت	:عربی.
يادداشت	:کتابنامه : ص. ٥١١ ـ [٥٣٩]؛ همچنين به صورت زيرنويس.
موضوع	:شعر عربی ـ قرن ١ ق. ـ تاريخ و نقد.
شناسه افزوده	:أبوطالب بن عبدالمطلب ﷺ، ٩١؟ ـ ٣ قبل از هجرت. ديوان. شرح.
رده‌بندی کنگره	:١٣٨٧ ٥ ک ٩٠٨ د / ٣٠٥٥ PJA
رده‌بندی ديويی	:٨٩٢ / ٧١٢
شماره کتابشناسی ملی	:١٢٢٥٨٢٦



أصل هذا الكتاب رسالة دكتوراه

قدّمتها الدكتورة هناء عباس عليوي كشكول

إلى كلية الآداب / جامعة الكوفة

ونالت درجة جيد جداً عال

المقدمة

«سُبحانَ رَبِّكَ رَبِّ العِزَّةِ عمّا يَصفونَ وَسَلامٌ على المُرسَلينَ والحَمدُ للهِ رَبِّ العالَمينَ»، الذي نصر رسوله الامين بعمه الناصر لدين الله أبي طالب والد أمير المؤمنين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد بن عبد الله المبعوث فينا رحمة للعالمين، وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه ومن والاه الى يوم الدين، وبعد:

زخر زمن البعثة برجال عظام كانوا المثل الاعلى بالايمان العميق بالله، والتضحية في سبيل اعلاء كلمة الحق، والعمل الصالح لخير البشرية، ففي حياتهم معين لا ينضب من الخبرة والعبرة والصبر والايمان، فلم يخنق الزمن اصواتهم على مر العصور، ولم يمح الكلام اثارهم من الاذان على مر الدهور.

وتراثنا الادبي حافل باولئك المشاهير والشعراء، وفي مقدمتهم أبو طالب بن عبد المطلب (٨٥- ٣ ق.هـ)، (٥٤٠- ٦٢٠م) عم النبي ﷺ عاش في الجاهلية بروح الدين الحنيف نابذاً العادات والتقاليد الذميمة، مهتدياً بروح التوحيد، آمن بالله وبكتبه وبرسله وملائكته واليوم الاخر، وعندما بزغ فجر الاسلام كان أول من ناصر الدعوة المحمدية، وذاد عنها، وحمى صاحبها، ودافع عنه، واول من اثبت دعائم اركان الاسلام وصدع

صوته مغردا في مسامع الدهر نشيدا ايمانياً صادقا خالدا من خلال ايمانه المبكر بنبوة ابن اخيه نور الهدى، فاعزَّ الله الاسلام بعمه أبي طالب اشرف رجال قريش وحاكم مكة ورئيسها، والبطل في مواقفه للاسلام في صفاء سريرته، وطهارة وجدانه، وسحر بيانه، ونبل اخلاقه، ولطف انسانيته، وعمق ايمانه.

ومن دواعي دراستنا لشعر أبي طالب أن الادباء لم يولوا شعره كما يستحق من الدراسة الادبية، فلم نعثر على كتاب أدبي مخصص يعطي صورة صادقة لفن هذا الشاعر، ولم تعطِ المظان صورة قريبة او بعيدة عن فن الشعر الاسلامي في زمن البعثة التي واكبت الجهر بالدعوة الاسلامية في قريش وانذار عشيرة الرسول ﷺ الاقربين، التي امدها عشر سنين لازم فيها أبو طالب ابن أخيه مؤيدا وناصرا ومساندا ومؤازرا ومدافعا عنه أذى مشركي قريش، في الوقت الذي تعد هذه الحقبة الزمنية من أقدس حقب الادب الاسلامي في نفوس المسلمين؛ لأنها تمثل مرحلة الوحي، ونشر الدعوة الاسلامية، ومن المعروف أن الظواهر الادبية لا تتبلور وتكتمل في مرحلة الانتقال من حقبة الى اخرى مباشرة، ومن المسلم به ان شعراء مكة لم يتباروا في الدخول في زمام معركة شعرية حقيقية وقتذاك فقد نظروا الى الدعوة بامكانهم اخمادها ووأدها، ولذلك لم تكن في هذه الحقبة حركة ادبية واضحة، ولكن اصول الظواهر الادبية الاسلامية الجديدة وجذورها وجدت فيها، ولا سيما في شعر أبي طالب الذي يمثل تأصيل الظواهر الادبية في الادب الاسلامي، فيمثل شعره مرحلة مهمة من أدب تلك الحقبة، فحدود البحث تمتد لزمن قريب من هجرة الرسول ﷺ الى المدينة.

على أننا لا نغفل أن كثيراً من شعراء المشركين الذين ظهرت أسماؤهم بعد فتح مكة بتسعة عشر عاما من بعثة الرسول الكريم هاجوا شعراء الرسول ﷺ بيد انهم دخلوا الاسلام، فتحرج الرواة من ذكر اشعارهم التي هاجوا بها الاسلام، فلهذا السبب

والاسباب التي ذكرناها آنفا كانت من دواعي إهمال تلك الحقبة المهمة في دراسة الادب العربي الاسلامي؛ لذلك كله وجدتُ فرصة سانحة في دراسة شعر أبي طالب، فحملت نفسي جاهدة على ركاب رحلة ممتعة نقطف من ثمارها دراسة جدية تأخذ بالحسبان تأصيل الظواهر الادبية على أن أبا طالب شاعر الاسلام الأول، يحفل شعره بالقديم والمتطور والجديد، فوجدتُ أن ادرسَهُ دراسة أدبية؛ لتوافر المعايير الفنية المؤثرة في المتقبل؛ لاستجلاء قيمتها المتدرجة ضمن شكل تعبيري تقني معين، والدراسة الأدبية أوسع مجالا في البحث وأرحب شمولا لدراسة الظواهر الادبية في شعره، متوخية الدقة والاحاطة والشمول في جميع شعره المتوافر لدي في ديوانه، والمتدافع منه، ومما ظفرت به من المظان؛ لاعطي صورة تقريبية من شعره على المستويين: الموضوع والفن، بما يليق بهذه الشخصية الفذة ناصر الرسول ﷺ.

وقد وقع الاختيار على ديوان أبي طالب بن عبد المطلب صنعة أبي هفّان المهزمي البصري(ت٢٥٧هـ) وصنعة علي بن حمزة البصري التميمي(ت٣٧٥هـ)، بتحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين، وهي طبعة محققة تحقيقا علميا تفوق الطبعات الاخرى، واشمل لشعر أبي طالب، وما لم نجده في هذه الطبعة عُدتُ به الى الطبعات الاخرى، واذا لم نظفر بما نريده في هذه النسخ المطبوعة للديوان راجعتُ الى بطون الكتب في سبيل اتقان عملي.

بلغ عدد الأبيات المدروسة الفاً وتسعة وعشرون بيتا وشطراً، واعتمدت في منهج البحث على التحليل الوصفي والموضوعي اللذين يجنحان الى تحليل النص واستنطاقه وابراز الحقائق فيه وما يرقد وراءها مراعية أصولاً عقلية مقررة، وحاولت في دراسة النص تحقيق الصلة التأريخية في عدم فصله عن ظرفه الذي ولد فيه من خلال الإفادة من الاشارات التأريخية القديمة التي عالجت سيرة حياة الرسول الكريم ﷺ مع عمه أبي طالب وحرصتُ في منهجي على ابراز الشاهد أو أكثر بحسب ورود الظاهرة، لدعم

تثبيت حقيقة كنت قد أشرتُ اليها، ولمعرفة الزيادات الفنية والتطور الذي نهض به شعر أبي طالب في الدراسة، ثم دراسة التفاصيل بحسب اهميتها، وأوردت إحصاء لكل ظاهرة أدبية مدروسة، وحرصت على أن أذكر مقدمة لكل مبحث وأتبع نهايته بخلاصة موجزة.

واستعنت في دراستي بمظان الأدب والبلاغة والنقد واللغة والتأريخ والأخبار والسير، واطلعت على غير قليل من الدراسات الادبية الحديثة فوجدت أنها تحتوي على آراء متباينة ونافعة.

وفي ضوء هذه المعطيات ومراجعة المادة انتظم البحث في تمهيد، وثمانية فصول: واهم النتائج التي خلصتُ إليها في خاتمته، وملحقين تابعين لمتطلبات الاطروحة، وقد اقتضت طبيعة موضوع الاطروحة ان امهد له بالحديث عن جانب من جوانب حياة أبي طالب مع مسيرة ابن اخيه رسول الله ﷺ لأن جلَّ شعره في الرسالة وصاحبها، وقد أوجزت في الحديث عن ايمانه، وأومأتُ الى المراجع والدراسات للاطلاع عليها، لكثرة ما كُتب عن عقيدته، بيد أن البحث لم يغفل عن هذه القضية العقائدية التي ترتبط بشعره، ولا سيما في مرحلة مواجهته لطواغيت الشرك من قريش ولو بهذا الايجاز.

تكفل الفصل الاول في دراسة مصادر شعر أبي طالب وتوثيقه بسبب ما زرعه بعض الباحثين المستشرقين ومن تابعهم من الباحثين العرب من شك في شعره مما جعل الباحثين يقفون موقف الحيطة والحذر والتهيب والتردد فعزفوا عن دراسته، فكان من المفيد توثيق شعره.

وفي دراسة الموضوع كشف الفصل الثاني: الرثاء والفخر والمديح ابعاد علاقة الفنون الشعرية الثلاثة، وضمَّن الرثاء: الندب والتأبين والعزاء، واتجه الفخر الى سبيلين:

الفخر الذاتي والفخر الجماعي، وسلك المديح مسلكين: المديح النبوي والمديح العام.

ونهض الفصل الثالث: شعر العقيدة بدراسة الابعاد العقائدية: التوحيد والتصديق، ومن دواعي الايمان بالرسالة المحمدية التصديق بمعجزاته ونصرته، وعرض موضوع النصرة مباحث جانبيه في الحث على الصبر والنصيحة والوصية تتعلق جميعها بمضامين محتويات هذا الفصل .

وعقدَ الفصل الرابع: العتاب والتحذير والتهديد والهجاء في بيان العلاقة بين هذه الموضوعات، فبرز في العتاب نوعان من العتاب: الشخصي والجماعي اللذان قادا الشاعر الى التحذير والتهديد وقد يسلك سبيل الهجاء في بعض الاحايين.

وفي دراسة الفن عرض الفصل الخامس: البناء الفني في شعره، فتضمن القصائد ذوات المقدمات وتعدد الاغراض فيها، وبناء القصيدة المباشرة والمقطوعات، وشملت بناء الغرض الواحد وتعدده، وعلى هذا أسس الرجز أيضاً.

وتطرق الفصل السادس: لغة شعره الى دراسة الالفاظ المتضمنة اسماء الأعلام: الرجال والنساء والقبائل، والامكنة، ولا سيما الأماكن الدينية، واتجه مبحث الصياغة الى دراسة الأساليب اللغوية: النفي والتوكيد والاستفهام والامر والنداء، وألحق في الفصل دراسة أثر الاسلام في لغة شعر أبي طالب.

وحفل الفصل السابع بدراسة الايقاع في شعره، ومن مظاهره: الوزن والقافية، واهم الظواهر الايقاعية: التكرار والتدوير والضرائر .

وتكفل الفصل الثامن بالصورة الفنية في شعره ومصادر الصورة المستمدة من روافد ثقافية: تراثية ودينية، ومن البيئة الحضرية في مشاهدات الشاعر اليومية، وفي مصادر الصورة البيانية نطالع الصور التشبيهية والكنائية والاستعارية.

وفي النتائج نصيب وافر في انبلاج الرؤية عن شعر أبي طالب القديم والمتطور والجديد على المستويين: الموضوع والفن.

واتبعت النتائج بملحقين هما من متطلبات الرسالة وثبت بالمصادر والمراجع.

بقي ان اقول: إن عليَّ أن أقرَّ بفضل جميل أسداه إليَّ الدكتور حاكم حبيب الكريطي عندما اقترح العنوان موضوعا للاطروحة والاشراف عليها ومتابعتها، فاثني عليه بجميل الدعاء، أدامه الله وأبقاه.

وبعد: قصارى ما نتمناه وعرضناه ونقدناه من هذا السفر النفيس لشعر أبي طالب على وفق ما تخيلناه، نظرنا فيه بعين الانصاف متوخين الحقيقة بدقة وحرص شديدين، وما شاء القارئ أن يتخيل صوراً نابضة بالحيوية، نسأل الله السداد في التفكير والقول، وأن يلهمنا الصواب والرشاد، ويجنبنا الزلل والعثار، إنه نعم المجيب والحمد لله رب العالمين.

هناء عباس كشكول

النجف الاشرف الاول من غرة رمضان المبارك لسنة ١٤٢٨هـ

الثالث عشر من ايلول لسنة ٢٠٠٧م



« التمهيد »

جانب من حياة أبي طالب

من المفيد الايماء الى رئاسة أبي طالب في عمقها التاريخي، فهو ينتسب الى قصي بن كلاب من ذرية النبي ابراهيم عليه السلام الذي استطاع ان يوحّد قريش ويبعد خزاعة بعد معركة أريقت فيها دماء كثيرة، وحاز قصي شرف مكة كلها، فكانت بيده السقاية والرفادة والندوة واللواء والقيادة[1]، وهي من أهم المناصب الادارية في المجتمع المكي[2]، و«كانت قريش وعامة ولد معد بن عدنان على بعض دين إبراهيم يحجون البيت، ويقيمون المناسك ويقرون الضيف، ويعظمون الأشهر الحرم، وينكرون الفواحش، والتقاطع والتظالم، ويعاقبون على الجرائم، فلم يزالوا على ذلك ما كانوا ولاة البيت»[3].

---

(١) ظ: الكامل في التاريخ: ٢/ ١٣ ،تاريخ ابن خلدون: ٢/ ٣٣٥ .

(٢) ظ: ادارة مكة قبل الاسلام (بحث): ١٥١– ١٥٧.

(٣) تاريخ اليعقوبي: ١/ ٢١٧.

وقسم قصي المهام الادارية بين أولاده من بعده، فجعل السقاية والرئاسة لعبد مناف، والدار لعبد الدار والرفادة لعبد العزة وحافتي الوادي لعبد قصي[1]، وخلَّف عبد مناف من بعده هاشما وهو أول من سنَّ الرحلتين لقريش رحلتي الشتاء والصيف، وأول من أطعم الثريد للحجاج بمكة، وتولى الرئاسة والسقاية والرفادة[2]، ثم تولى عبد المطلب بن هاشم الرئاسة والسقاية والرفادة بعد عمه المطلب، وكان شريفا في قومه مطاعا سيدا[3]، و «أحسن قريش وجها وأمدَّه جسما واحلمه حلما واجوده كفا وابعد الناس من كل موبقة تُفسد الرجال، ولم يره ملك قط إلا اكرمه وشفَّعه»[4]، وقد اعطاه الله من الشرف ما لم يعط أحدا من آبائه، فجدد حفر بئر زمزم الذي كان على عهد نبي الله ابراهيم عليه السلام فاكرمه الله بسقاية زمزم[5] وحكَّمته قريش في اموالها، واطعم في المحل حتى اطعم الطير والوحوش في الجبال، وكان يقول لابنه أبي طالب: «أي بني: قد أطعمت الناس فانطلق بهذه الجزائر، فانحرها على أبي قبيس حتى يأكلها الطير، والسباع، ففعل أبو طالب ذلك فأصابها الطير والسباع فقال أبو طالب:

{من الطويل}

ونُطعِمُ حتّى تأكلَ الطيرُ فَضْلَنا   إذا جَعَلَتْ أيدي المُفيضِينَ ترْعَدُ»[6]

---

(١) تاريخ اليعقوبي:١/ ٢٠٦.

(٢) ظ: الكامل في التاريخ: ٢/ ١٠ .

(٣) السيرة النبوية لابن هشام: ١/ ١٤٢.

(٤) الطبقات الكبرى: ١/ ٨٥.

(٥) السيرة النبوية لابن كثير: ١/ ١٦٧– ١٧٤ ، (ذكر تجديد حفر زمزم).

(٦) تاريخ اليعقوبي: ١/ ٢١٤.

وعبد المطلب «اول من تحنث بحراء.... وكان اذا أهلَّ هلال شهر رمضان، دخل بحراء فلم يخرج حتى ينسلخ الشهر، ويطعم المساكين وكان يعظم الظلم بمكة، ويكثر الطواف بالبيت»[1].

فقد كان من الموحدين[2] سنَّ «سُنناً نزل القرآن باكثرها، وجاءت السنة من رسول الله بها وهي: الوفاء بالنّذور، ومائة من الابل في الدية، وألا تنكح ذات محرم، ولاتؤتي البيوت من ظهورها، وقطع يد السارق، والنهي عن قتل المؤودة، والمُباهلة، وتحريم الخمر وتحريم الزناء، والحدَّ عليه، والقرعة، وألاّ يطوف احدٌ في البيت عرياناً، وإضافة الضيف، وألا ينفقوا اذا حجوا إلا من طيب اموالهم، وتعظيم الأشهر الحرم، ونفي ذوات الرايات...فكانت قريش تقول: عبد المطلب ابراهيم الثاني»[3] وروي عن رسول الله ﷺ قال: «إن الله يبعث جدي عبد المطلب امة واحدة في هيأة الانبياء وزي الملوك»[4].

وأولاد عبد المطلب عشرة ومنهم: أبو طالب والزبير وعبدالله والد رسول الله ﷺ وامهم «فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم»[5]، وكان أبو طالب امتداداً للسلالة الرفيعة من اجداد النبي ﷺ، والوارث لقيمهم ومواقعهم الاجتماعية والسياسية، ولعلو مقامهم، وعراقة اصلهم، وعظم كرمهم، يفتخر أبو طالب بهم قائلاً:

---

(١) انساب الاشراف: ١/ ٨٤.

(٢) ظ: بلوغ المآرب في نجاة ابائه ﷺ وعمه أبو طالب: ١٢٩ - ١٣٢.

(٣) تاريخ اليعقوبي: ٢/ ٨.

(٤) م.ن: ٢/ ١٠، ظ: الكافي: ١/ ٤٤٦ - ٤٤٧.

(٥) السيرة النبوية لابن كثير: ١/ ١٠٣.

{من المتقارب}

فإنّا بمكّةَ قِدماً لنا ... به العزُّ والخَطَرُ الأعظمُ

ومَنْ يَكُ فيها له عزّةٌ ... حديثاً فعزَّتُنا الأقدمُ

ونحنُ ببطْحائِها الرائسونَ ... والقائدونَ ومن يَحكُمُ

نَشَأنا فَكُنّا قليلاً بها ... نُجيرُ وكُنّا بها نُطعِمُ

اذا عَضَّ أزْمُ السنينِ الأنامَ ... وحَبَّ القُتارُ بها المُعدَمُ

نَمانَي شَيْبَةُ ساقي الحَجيجِ ... ومجدٌ مُنيفُ الذُّرى مُعْلَمُ[1]

وأبو طالب عبد مناف تزوج من بنت عمه فاطمة بنت أسد بن هاشم وهي أول هاشمية ولدت لهاشمي[2]، وقد أنجبت من الذكور طالبا[3]، وبه يكنى أبوه، وعقيلاً وجعفراً وعلياً، وكان بين واحد واخر عشر سنين[4]، ومن الاناث ام هانيء، وجمانة، وريطة، وكان أبو طالب وسيماً جسيماً عليه بهاء الملوك، ووقار الحكماء، وكانت قريش تسميه الشيخ، وكانوا يهابونه ويخافون سطوته، فهو شيخ قريش،

---

(١) الديوان: ٩٤ ، القتار: دخان الطعام المطبوخ.

(٢) فاطمة بنت أسد أول امرأة بايعت الرسولﷺ من النساء، وأسلمت بعد عشرة من المسلمين، وهاجرت الى المدينة، وماتت في دار الهجرة، وألبسها رسول الله قميصه واضطجع معها في قبرها، فقالوا: مارأيناك صنعت ما صنعت بهذه المرأة فقال:«إنه لم يكن بعد أبي طالب أبرَّ منها، إني انما ألبستها قميصي لتُكسى من حلل الجنة ، واضطجعت معها في قبرها ليُهوَّن عليها»، ظ: مقاتل الطالبيين : ٢٧- ٢٩، الاستيعاب في معرفة الاصحاب: ٤/ ٣٨٢ ،الاصابة في تمييز الصحابة: ٤/ ٣٨٠

(٣) كان طالبُ عالما بانساب العرب وايام قريش أخرجه المشركون الى بدر مكرها، فلما انهزم المشركون، لم يعثر عليه لا في القتلى ولا في الأسرى، ولم يرجع الى مكة، ولم يعرف ما حاله ، وليس له عقب،ظ: الطبقات الكبرى: ١/ ١٢١، تذكرة الخواص: ١٣- ١٤ ، عمدة الطالب في انساب آل أبي طالب: ٣١

(٤) ظ: المعارف: ٢٠٣.

وسيد البطحاء، ورئيس مكة[1] ،كما كان أبوه يلقب بذلك وهو سيد قريش ورئيسها وحاكمها والمطاع فيها حتى هلك[2] .

لقد خلَف أبو طالب اباه في الزعامة للمزايا التي يتمتع بها من كريم الصفات، فألقت قريش امورها اليه، لانها رأت فيه شيخاً ذا رأي وعقل وخبرة وحكمة واخلاق وقدر، فهو الذي تلجأ اليه في مهماتها، وتعتمد عليه في ملماتها، وهو المطاع الرئيس المهيب مع فقره فلم يسُد في الجاهلية احد إلا بمال غير أبي طالب[3]، وعتبة بن ربيعة[4]، فقد كان أبو طالب «يبيع العطر، وربما باع البُر»[5] في وقت كان ينظر أهل مكة قبل الاسلام الى أن شؤون السيادة بيد الاثرياء، ولكن خُلق أبي طالب، ورجاحة عقله، وكرم نفسه، وعفة ضميره، هيَّأته لأن يسود ويعلو رأيه اراء الاغنياء، ويخلف اباه في زعامة قريش فعهد اليه عبد المطلب بسقاية حجاج بيت الله الحرام، ثم سلمها أبو طالب الى اخيه العباس بن عبد المطلب[6] و«أبو طالب أول من سنَّ القسامة في الجاهلية في دم عمرو بن علقمة، ثم اثبتتها السُّنة في الاسلام»[7] .

وجمع أبو طالب الى جانب السيادة والحكم والشرف وعراقة النسب: الحلم

---

(١) ظ: المحبر: ١٣٢ - ١٣٣، ١٦٤ - ١٦٥، شرح نهج البلاغة: ١/ ٢٩.

(٢) ظ: السيرة النبوية لابن هشام: ١/ ١٤٢، تاريخ اليعقوبي: ١/ ٢١٠- ٢١٦ ،٢٢٠.

(٣) ظ: تاريخ اليعقوبي: ٢/ ١٠ ، شرح نهج البلاغة: ١/ ٢٩.

(٤) ظ: الرّوض الأُنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام: ١/ ٣٢١.

(٥) المعارف: ٥٧٥.

(٦) ظ: أنساب الاشراف: ١/ ٥٧ ، الكامل في التاريخ: ٢/ ١٤.

(٧) شرح نهج البلاغة: ١٥/ ٢١٩ ، ظ: المحبر: ٣٣٧ (مفهوم القسامة) ،صحيح البخاري: ٢/ ٩٣٢ ، رقم الحديث:٣٨٤٥ (القسامة في الجاهلية).

والادب، فـ«لقد قيل لأكثم[1] ممن تعلمت الحكم، والرياسة، والحلم، والسياسة؟ فقال: من حليف الحلم والادب، سيد العجم والعرب أبي طالب بن عبد المطلب»[2].

❁ إيمان أبي طالب ومسيرته مع رسول الله ﷺ:

تعرضت شخصية أبي طالب الى التكفير، وكان القصد من هذا التعريض الطعن بشخصية ابنه أمير المؤمنين الامام علي عليه السلام من القادة والامراء والولاة الذين ساروا مع ركب السياسة الاموية، واتبع بعض المحدثين والمفسرين والمؤرخين ما خاضته السياسية الاموية بقصد او بغير قصد[3].

فقد بلغ اختلاف المسلمين بعد وفاة الرسول ﷺ، ولاسيما في عهد معاوية اوجه، فلم تشأ السياسية الاموية في مراحل التدوين ان تدع الثقافة تجري بعيدا عن سلطانها، فرسمت لها مسارا لا تتعداه، ومنها ان تمنع الحديث بسيرة الامام وأهل البيت وفضائلهم، والتبرؤ منهم في خطب الجمع وقنوت الصلوات، ورويت بذلك أخبار مفتعلة لاحقيقة لها، فذكر «أن معاوية وضع قوما من الصحابة وقوما من التابعين على رواية اخبار قبيحة في علي عليه السلام تقتضي الطعن فيه والبراءة منه، وجعل لهم على ذلك جُعلا يُرغَبُ في مثله، فاختلقوا ما أرضاه، منهم: ابو هريرة وعمرو ابن العاص، والمغيرة بن شعبة، ومن التابعين عروة بن الزبير»[4] وجدَّ الناس في

---

(١) أكثم بن صيفي بن رياح بن الحارث بن مخاشن بن معاوية التميمي، احد حكماء العرب في الجاهلية ومن المعمرين، ادرك الاسلام وقصد المدينة عام٩هـ فمات في الطريق،ظ: جمهرة انساب العرب: ١/ ٢١٠.

(٢) الحجة على الذاهب الى تكفير أبي طالب: ٣٣٤.

(٣) ظ: ليالي بيشاور: ٩١٤- ٩١٥ ، أبو طالب شيخ الابطح - حسين الشاكري: ٢٢- ٢٨ .

(٤) شرح نهج البلاغة: ٤/ ٦٣.

رواية ما يجري هذا المجرى وأُلقي الى معلمي الكتاتيب فعلموا صبيانهم، ونساءهم، وخدمهم، واستمر في ذلك الفقهاء والقضاة والقرّاء والمراؤون والمستضعفون طلبا لرضا الحكام، ولنيل عطاياهم[1]، حتى قال قوم من بني أُمية لمعاوية: «إنك قد بلغت ما أمّلت، فلو كففت عن لعن هذا الرجل! {يريدون الامام علي عليه السلام} فقال: لا والله حتى يربو عليه الصغير، ويهرم عليه الكبير، ولا يذكر له ذاكرٌ فضلاً»[2] واستمرت السياسية الأموية في هذا الحال امدا طويلا[3].

ثم جاء اهل الحديث والاخبار فوجدوا اخبارا واحاديث فدوَّنوها، ومنها قضية تكفير أبي طالب، وعندما جاء العباسيون وجهوا هذا الاسلوب نحو اغراضهم السياسية مثلما فعل الامويون.

فهكذا كانت مصادر الثقافة ومادة عقائدها[4]، وما جاء بخلاف ما تهوى السلطة السياسية فسوف يثير حفيظتها، فلا غروا ان نقرأ مؤرخا مثل ابن هشام يتجاوز عن حذف بعض ابيات من قصيدة لأبي طالب فيها اقذاع لمشرك، فعلى سبيل التمثيل لا الحصر انه اورد قصيدة رواها ابن اسحاق لأبي طالب في التعريض بالمطعم بن عدي ومن خذله من بني عبد مناف، ثم عقب عليها بقوله: «تركنا منها بيتين اقذع فيهما»[5]، وربما يكون المتروك قول أبي طالب:

---

(١) ظ: شرح نهج البلاغة: ١١/ ٤٥ ، ظ: تاريخ الاسلام الثقافي والسياسي: ١١١- ١١٢.

(٢) شرح نهج البلاغة: ٤/ ٥٧ .

(٣) ظ: م.ن: ١١/ ٤٤.

(٤) ظ: تاريخ الاسلام الثقافي والسياسي: ١١٢.

(٥) السيرة النبوية لابن هشام: ١/ ٢٦٨ .

{من الطويل}

رجــالٌ تمــالَوا حاســدينَ وبُغــضَةً لأهــلِ العُــلا فَبَيْــنَهم أبــداً وتْــرُ
وَليــدٌ ابــوُهُ كــانَ عبــداً لجــدِّنا إلى عِلجَــةٍ زرقــاءَ جــالَ بهــا الــسِّحرُ[1]

على الرغم مما جاء به التاريخ بشأن الوليد من الكفر، عمد ابن هشام الى حذف هذين البيتين وربما كان في ذهنه ان أهل العلا أبا طالب ورهطه يبغضهم الخصوم لعلو شأنهم، ولاسيما اذا كان المبغض جده الوليد عبدا لجدهم ، فابن هشام يرى أن الوليد يتساوى معهم وإلا فان ابن هشام لم يحذف الابيات التي فيها هجاء لعبد شمس ونوفل وتيم ومخزوم وزهرة[2]، وهم بطون قريش، وانما خص الابيات التي فيها قذع للوليد فحسب؛ ولابن هشام عذره لانه لا يستطيع ان يثبت حقيقة تصطدم وعقائد الناس وما ترسخت عليه اهواؤهم فوجد نفسه منساقا وراء اثار الثقافة السياسية العباسية[3]، وهذا الحذف يمثل نقصا في تحديد الاصول الحقيقية لشعر السيرة وهو ما يعارض ما قصده ابن هشام من توثيق وتحقيق للشعر الذي ورد في سيرة ابن اسحاق مثل ما هو معروف[4].

إنَّ انقاص ذكر الحقائق، ووضع الحديث، وما جيء به من تكفير شيخ الابطح أبي طالب الموحد على دين آباء عبد المطلب كان يراد به غاية سياسية، وذلك للنيل

---

(١) الديوان: ١٠٧، تمالوا: تمالؤوا (مخففة): أي اجتمعوا وتشاوروا، العلجة: مذكرها العلج، وهو الكافر من أهل الروم.

(٢) ظ: م.ن: ١٠٧.

(٣) ظ: تدوين السيرة النبوية ودراستها (بحث): ٣٦٠ .

(٤) ظ: الفصل الاول (توثيق شعر أبي طالب) في الاطروحة: ٤٥- ٤٨، والفصل الرابع :١٥٥، مزيد من التفاصيل.

من ابنه الامام علي عليه السلام، فقد قال أبو طالب مخاطبا بني قصي[1] في حصار الشعب مستنكرا بهذا الشأن :

{من المتقارب}

فكيـــــفَ تُعــــــادونَ ابنـــــاءَهُ وأهــل الديانــةِ بيــتَ الحســـــبْ[2]

ولا نريد ان نرد في هذا القضية، وذلك لتصدي اعلام المذاهب الاسلامية المختلفة لها، فأُلفت عشرات الكتب والبحوث في هذا الموضوع[3]؛ واكدوا أن أباطالب عم النبي صلى الله عليه وآله مطهّر من ارجاس الجاهلية، ومنزّه عن عبادة الاوثان، ومن الرعيل الاول من المؤمنين بالرسالة المحمدية وكان موحداً على دين ابراهيم الخليل عليه السلام قبل الاسلام ثم مسلماً وحامياً لابن أخيه ومدافعاً عن الاسلام بالوسائل كلها.

وما يهمنا في هذه الصفحات أن شعر أبي طالب كفيل بحل هذه الاشكالية،

---

(١) ظ: الديوان: ١١٥.

(٢) الديوان: ١١٦.

(٣) جاء في كتاب النكت الاعتقادية ووسائل اخرى (إيمان أبي طالب) : ٥ – ١٣، سردا باسماء الكتب المؤلفة في ايمان أبي طالب وفضائله والرد على ما لفق من حديث التكفير بلغ عددها سبعة وثلاثين كتابا، وفي كتاب مواهب الواهب في فضائل والد أميرالمؤمنين أبي طالب عليه السلام :١٢– ١٩، ذكر المحقق ما أُلِّف من الكتب بهذا الامر في اللغة العربية والفارسية والتركية والاردية، فضم الثبت الذي عمله واحدا وسبعين مؤلفا من كتاب وديوان وبحث.
واستدركتُ على ما لم يذكر في الكتابين المذكورين آنفا مما ظفرت من المظان القديمة والحديثة بين طياتها، او في كتاب مستقل، او ما جاء في دراسات منشورة في مجلات علمية بثلاثين مرجعا،ظ: الملحق رقم (واحد) في الاطروحة.

فهو شعر صريح يقيناً برسالة النبي ﷺ وبنبوته وامانته وصدقه، وما بعث من الحق من ربه، وأنه خاتم النبيين، وسقنا ذلك بالدليل النقلي والعقلي في آن معا من خلال الحديث عن كفالته لابن أخيه ورعايته له وهو صغير وتربيته وهو يافع، والوقوف الى جانبه ومؤازرته ومناصرته وهو كبير حتى وفاته، وهو يصرح بوصيته بنصرة النبي لاخوته وابنائه وعشيرته.

فعندما كان عمر النبي ﷺ ثماني سنين، تولَّى أبو طالب رعاية ابن أخيه الذي حرم من حدب الاب وحنان الام بعد كفالة جده عبدالمطلب له، وقد التزم أبو طالب بكفالة رسول الله ﷺ بناء على تكليف عبد المطلب له، فعندما حضرته الوفاة، اوصاه بحفظ رسول الله وحياطته[1]، وخص أبا طالب من دون سائر ابنائه بشرف هذه الكفالة لما عرف من ابنه من محبته وحنانه وعطفه على ابن أخيه، فهذا الحب العظيم دفعه الى رعاية ابن أخيه سواء اكلَّفه ابوه بهذا الامر ام لا، واشتركت معه زوجه فاطمة بنت اسد فتشاطرت الحنان والعطف والرعاية لرسول الله ﷺ[2] مع زوجها أبي طالب.

وتشرَّب النبي محمدﷺ من الاخلاق الكريمة التي نبعت من عبد المطلب وابنه أبي طالب، وكأن الله لما اختار رسوله من بني عبد المطلب اختار لتنشئته هذا العم الفاضل الذي «كان يحبه حبا شديدا لا يحبه ولده، وكان لا ينام إلا الى جنبه، ويخرج فيخرج معه وصبَّ به أبو طالب صبابة لم يَصَبّ مثلها بشيء قط»[3] فقال في

(١) ظ: الطبقات الكبرى: ١/ ١١٨.

(٢) ظ: تاريخ اليعقوبي: ٢/ ١٠.

(٣) الطبقات الكبرى: ١/ ١١٩.

حبه للنبي محمد ﷺ :

{من الكامل}

إنَّ الامـــينَ محمـــداً في قومـــهِ عنـــدي يفـــوقُ منـــازِلَ الأولادِ[1]

وكُلِّف وجدا بحب ابن أخيه الذي جُبِلَّ عليه فقال:

{من الطويل}

لَعمـري لقـد كُلِّفـتُ وَجْـداً بأحمـدٍ واخوتِـهِ دَأبَ المُحِـبِّ المواصِـلِ[2]

وعُني أبو طالب بابن أخيه فكان المربي والراعي والحارس والحافظ لوصية ابيه عبد المطلب، وكان من رقة أبي طالب عند النظر الى ابن أخيه تهمل عيناه شفقة ورحمة فقال:

{من الكامل}

فـأرفَضَّ مـن عينـيَّ دمـعٌ ذارِفٌ مثـلَ الجُـمانِ مُفَـرِّقُ الأفـرادِ
راعيـتُ فيـهِ قَرابَـةً موصـولَةً وَحفِظـتُ فيـهِ وَصـيَّةَ الأجـدادِ[3]

ان هذا الموقف يرتبط بيتم النبيﷺ فهو اولى بالعطف والرحمة من غيره، ويبدو ان علّة بكاء عمه تعود الى ان يتمه يذكره بأخيه عبد الله والد النبي.

فقال:

---

(١) الديوان: ١٣٠.

(٢) م.ن: ٨٣.

(٣) م.ن: ١٦٤- ١٦٥ .

{من الطويل}

ذَكَــرتُ اباهُ ثــم رَقرَقــتُ عَــبرَةً　　تَجُـودُ عـلى الخَـدَّيْنِ ذاتَ سِـجامِ[1]

وقد هيّأت القوة الالهية كفالة أبي طالب لابن أخيه وان يعلم من امر نبوته قبل البعثة وبعدها، فبشرت به الكتب القديمة والصحف السالفة المدونة عن الانبياء والعلماء من الامم الماضية من صفاته والبشارة به، وذكره ملوك البلدان: اليمن وفارس والروم وتوقعهم لبعثته وهجرته[2]، وحصلت ايات باهرة، ومعاجز قاهرة للعادة قبل ولادته وبعدها[3]، وبشر سيفُ بن ذي يزن عبدَ المطلب بأن له من صلبه نور النبوة[4]، وبشره اهل الكتاب بذلك ايضا، فذكر «أن اهل الكتاب يزعمون ان ابني هذا نبيُّ الامة»[5] يقصد النبي محمد ﷺ واوصى ابنه أبا طالب قبل وفاته قائلا «يا أبا طالب ان لهذا الغلام لشأنا فاحفظه واستمسك به فانه فرد وحيد وكن له كالاب لا يوصل اليه بشيء يكرهه...يا أبا طالب ان ادركت ايامه فاعلم اني كنت من ابصر الناس ومن اعلم الناس به وان استطعت وإن تتبعه فافعل وانصره بلسانك ويدك ومالك فانه قريب سيسود ويملك ما لم يملك أحد من آبائي»[6].

---

(١) م.ن: ١٦٦.

(٢) ظ: دلائل النبوة لابي نعيم: ٣٢- ٥٢، البشارات والمقارنات: ١/ ١٣٩- ١٤٦، ١٦٢- ١٦٥، اهل البيت عليهم السلام في الكتاب المقدس: ٧١- ١٠٠.

(٣) ظ: الانوار المحمدية من المواهب اللدنيّة: ١٣- ٢٣.

(٤) ظ: الرّوض الأُنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام: ١/ ٢٥٠.

(٥) الطبقات الكبرى: ١/ ١١٨.

(٦) إعلام الورى بأعلام الهدى: ١٤.

ولمعرفة أبي طالب ببركة ابن أخيه يخرج به في يوم قحط وجدب، ويطلب منه ان يلصق ظهره بالكعبة، ويفعل الصبي ما يأمره عمه ويلوذ باصبعه نحو السماء وما فيها آنذاك غيمة، فيهطل المطر، ويخصب الوادي، وتحيا الارض وتنتعش[1]، فقال أبو طالب مستذكرا هذه الصورة بعد بعثة ابن أخيه:

{من الطويل}

وأبيضَ يُستَسقى الغَمامُ بوجههِ ... ربيعُ اليتامى عِصمَةٌ للاراملِ

يَلوذُ بهِ الهُلاكُ من آلِ هاشمٍ ... فهم عندهُ في نِعمَةٍ وفَواضِلِ[2]

و«لولا خاصّة النبّوة وسرّها لما كان مثلُ أبي طالب ـ وهو شيخ قريش ورئيسها وذو شرفها ـ يمدح ابن أخيه محمدا، وهو شابٌّ قد ربِّي في حِجره وهو يتيمه ومكفوله، وجار مجرى اولادِه بمثل قوله:

{من الطويل}

وتَلقَوا ربيعَ الأبطحينِ محمداً ... على رَبوةٍ من رأسِ عنقاءَ عيطَلِ

وتأوي اليهِ هاشِمٌ، إنَّ هاشِماً ... عَرانينُ كعبٍ آخرٌ بعدَ أوّلِ

...فهذا شعر أبي طالب، ذلك الشيخ المبجل العظيم في محمد ﷺ وهو شابٌّ مستجير به، معتصم بظله من قريش، قد ربّاه في حجره غُلاما وعلى عاتقه طفلا، وبين يديه شابا، يأكل من زاده، ويأوي الى داره، علمت موضع خاصيّة النبوّة وسرّها»[3].

---

(١) ظ: الخصائص الكبرى: ١/ ٨٦.

(٢) الديوان: ٧٥.

(٣) شرح نهج البلاغة: ١٤/ ٦٣ ،ظ: الديوان: ٢١٤- ٢١٥، والعيطل: الطويلة العنق ولكن في حسن.

ويعلم أبو طالب من اخبار الرهبان والكهان[1]، انه سيكون لابن أخيه شأن كبير، وانه سيملأ الدنيا نورا، وانه النبي المبعوث من رب العالمين وخاتم المرسلين، وقد اخبره الراهب بحيرا في سفرته الى الشام وبصحبته ابن أخيه عندما كان عمره اثنتي عشرة سنة، فعرّفه بامارات النبوة فيه، وأمره بالرجوع بابن أخيه لانه لا يأمن عليه دسائس الشرك ومكائد اليهود، فانهم إن عرفوا بعلامات نبوته لحقوا به الاذى وقتلوه، فرجع أبو طالب الى مكة حفاظا على ابن أخيه[2]، وكان رجال من اهل الكتاب وهم زرير وتمام ودريس قد رأوا رسول الله ﷺ في ذلك السفر الذي كان مع عمه أبي طالب فارادوا ان يغتالوه فردهم بحيرا وذكرهم الله وما يجدونه في الكتاب من ذكره وصفته، وانهم ان اجمعوا لما أرادوا به لم يخلصوا اليه، فعرفوا ما قال لهم وصدقوه وتركوا النبي، وانصرفوا عنه[3]، فقال أبو طالب في هذه الحادثة شعرا :

{من الطويل}

فَرُحنا مع العيرِ التي راحَ اهلُها ... شآمي الهوى والأصلُ غيرُ شآمِ

فلَمّا هَبطنا ارضَ بُصرى تَشرَّفوا ... لنا فوقَ دورٍ يَنظرونَ جِسامِ

وجاءَ بَحِيرا عندَ ذلكَ حاشِداً ... لنا بِشرابٍ طيبٍ وطعامِ

فقالَ: اجمعوا أصحابِكُم لِطَعامِنا ... فقُلنا: جَميعٌ نحنُ غيرَ غُلامِ

فَلَمّا رآهُ مُقبِلاً نَحوَ دارِهِ ... يوقِّيهِ حَرَّ الشَمسِ ظِلُّ غمامِ

حَنى رأسَهُ شِبهِ السِجودِ وضَمَّهُ ... الى نَحرِهِ والصَدرُ أيَّ ضُمامِ

---

(١) ظ: السيرة النبوية والاثار المحمدية: ١/ ١٢٥.

(٢) ظ: البدء والتاريخ: ٤/ ١٣٤.

(٣) ظ: التاريخ الكبير: ١/ ٢٧٠- ٢٧١.

وأقبــلَ رَهــطٌ يَطلِبــونَ الــذي رأى ... بحـيرا مــن الأعــلامِ وَسْــطَ خِــيامِ

فَثــارَ الــيهم خِيفــةً لِعُــرامِهم ... وكــانوا ذَوِيْ دَهْــيٍ مــعاً وعُــرامِ

دَريــسٌ وتَمّــامٌ وقــد كــانَ فــيهم ... زُريــرٌ، وكُــلُّ القــومِ غــيرُ كَــهامِ

فَجــاؤوا وقــد هَمُّــوا بِقَتــلِ محمــدٍ ... فَــرَدَّهم عنــهُ بِحُــسنِ خِــصامِ

بِتأويلِــهِ التَــوراةَ حتــى تَفَرَّقــوا ... وقــالَ لهــم: مــا أنــتمُ بِطغــامِ

فَــذلكَ مــن اعلامِــهِ وبيانِــهِ ... ولــيسَ نَهــارٌ واضــحٌ كظَــلامِ[1]

فأورد في هذه الابيات بياناً لهذه الحادثة التي اوردتها كتب السير والتاريخ تؤكد معرفة أبي طالب بشأن ابن أخيه، وما قاله الراهب لم يزد أبا طالب ايمانا فحسب، وانما زاده خوفا على ابن أخيه، فآثر الرجوع به الى مكة لهذا السبب، ويبدو من هذه التفاصيل التي اخذها اهل السير والتاريخ من هذا النص الشعري انهم قد زادوا فيها ليقربوها من الجذر التاريخي وليس الشعري.

ويفصح النص ان أبا طالب يتمتع بعقلية عميقة باسرار نبوة ابن أخيه، ويكشف البيت الاخير عن اليقين الحقيقي لشخصيته المليئة بالايمان.

إنَّ ما زاد أبو طالب في الوصاية والحرص على ابن أخيه هو ما رآه ومن معه في

---

(١) الديوان: ١٦٦ – ١٦٧ ، بحيرا: واسمه جرجيس، وقيل: سرجيس من عبد القيس انتهى اليه علم النصرانية، وقيل حبر من احبار تيماء، ابتنى له صومعة على طريق القوافل، يدعو اهلها الى التوحيد، وكان من المترقبين لبعثة النبي ﷺ ، ظ: الرّوض الأُنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام:١/ ٢٠٥– ٢٠٦ ، شرح المواهب اللدنيّة: ١/ ١٩٤ ، السيرة النبوية انسان العيون في سيرة الأمين والمأمون: ١/ ١٣١.

ظل الغمام له، وميل الشجرة بظلها عليه[1]، فبلغت عناية أبي طالب بابن أخيه ورعايته له انه كان يصحبه معه في فراشه خوفا عليه، ويمضي ليله ساهرا لئلا يقتله احد[2]، وهكذا «شب رسول الله ﷺ مع أبي طالب يكلؤه الله ويحفظه ويحوطه من امور الجاهلية ومعايبها»[3].

وفي اثناء رعاية أبي طالب للنبي محمد ﷺ كان يعرف مخايل نبوته، وامارات بركته، فعلى الرغم من ان أبا طالب كان مقلا في المال غمرته بركة ابن أخيه، فمما يذكر انه اذا اكل عياله فرادى، أو جميعا لم يشبعوا واذا ضمت المائدة النبي ﷺ، فانهم يقومون منها وهم شبعى، وفي الطعام فضلة، فكان أبو طالب اذا حضر وقت الطعام يبدأ بابن أخيه ليشرب اللبن من القعب، ثم يسقي اولاده من القعب الواحد جميعهم، فيقول له: انه لمبارك[4].

إنَّ أبا طالب له علم بنبوة الانبياء ويدرك ما تمر به نبوتهم من مراحل وظهور امارات، وما يظهر من بركة ابن أخيه، هو من امارات النبوة، وقد أقرّ بهذا ايماناً قلبياً، وفعلاً عملياً، وقولاً يقينياً.

ومن الإرهاصات التي سبقت الدعوة الاسلامية للنبي ﷺ نبع الماء من

---

(١) ظ: امتاع الاسماع بما للنبي ﷺ من الاحوال والاموال والحفدة والمتاع: ١/ ١٥.

(٢) ظ: السيرة النبوية والاثار المحمدية: ١/ ٩٢.

(٣) الطبقات الكبرى: ١/ ١٢١.

(٤) ظ: الطبقات الكبرى: ١/ ١٦٨، امتاع الاسماع بما للنبي ﷺ من الاحوال والاموال والحفدة والمتاع: ٤/ ٩٩، السيرة النبوية انسان العيون في سيرة الامين والمأمون: ١/ ١٢٨، السيرة النبوية والاثار المحمدية: ١/ ٩٢.

الارض لعمه أبي طالب فقد ذكر ان النبي صلى الله عليه وآله كان مع عمه أبي طالب بذي المجاز وقد عطش أبو طالب وليس ثمة ما يطفيء لهيب عطشه، فذكر ما ألم به من عطش الى ابن أخيه، فأهوى النبي صلى الله عليه وآله بعقبه الى الارض فتدفق الماء منها، وناول عمه الماء فشرب[1].

ولولا ايمان أبي طالب بنبوة ابن أخيه لما طلب منه ما يعجز الحصول عليه، ولهذا كله كان أبو طالب يشاهد ارهاصات النبوة التي تصدر من ابن أخيه منذ صغره، وانه كان مؤمنا به نبيا مرسلا، فهو مؤمن به قبل بعثته، ولهذا يطلب منه أن يدعو الله له بالشفاء عندما كان مريضا فدعا النبي صلى الله عليه وآله له فشفي وقام نشطا معافى[2]، والمتأمل لهذا الامارات واضرابها قبل مبعث النبي يتبين له عمق عقيدة أبي طالب بابن أخيه قبل ان يبعث رسولاً.

ومما يدل على ايمان أبي طالب برسالة ابن أخيه عارفا بمقامه، الخطبة التي ألقاها عند تزويج السيدة خديجة (رضي الله عنها) عندما طلب النبي صلى الله عليه وآله منْ عمه أبي طالب أن يعقد على لسانه رباطه المقدس معها، فقال أبو طالب خاطبا: «الحمد لله الذي جعلنا من زرع إبراهيم وذريّة إسماعيل وجعل لنا بيتاً محجوجاً وحرماً آمناً وجعلنا الحكّام على الناس وبارك لنا في بلدنا الذي نحن به، ثم إن ابن أخي محمد بن عبد الله لا يُوزن برجل من قريش إلا رجح ولا يقاس بأحد إلا عظم عنه، وإن كان في المال قلّ فإن المال رزق حائل وظلّ زائل، وله في خديجة رغبة ولها فيه رغبة

---

(١) ظ: صفة الصفوة: ١/ ٣٧- ٣٨، تذكرة الخواص: ٩، الخصائص الكبرى: ١/ ١٤٢، ذو المجاز: سوق كان لهم على فرسخ من عرفة بناحية كبكب،ظ: معجم البلدان: ٥/ ٥٦ .

(٢) ظ: الخصائص الكبرى: ١/ ١٢٤.

وصداق ما سألتموه عاجله من مالي، وله والله خطب عظيم ونبأ شائع»[1].

وتكشف الخطبة عن التوجه الديني، فأبو طالب وابن أخيه من ذرية خليل الله ابراهيم عليه السلام وعلى منهج التوحيد في اتباع دين الله الحنيف، واومأ أبو طالب الى بيان قدسية بيت الله الحرام وتعظيمه فهو رمز للعبادة وكان من فضل الله على قريش انه جعل الرئاسة بايدهم، والتمس أبو طالب السمو في اخلاق ابن أخيه محمد صلى الله عليه وآله، فهو لا يساويه أحد من شباب قريش في البر والفضل والحزم والرأي والنبل والمجد فافصح أبو طالب من أعماق بصيرته عن الاشادة بالمعايير الاخلاقية لابن أخيه، وكشف عن قدرته الواعية وايمانه بهذه القيم التي ستعتمدها الرسالة المحمدية بوصفها منهجا اخلاقيا للرجل الذي اصطفاه الله قائدا للامة في المستقبل، وهو يقسم ان له «خطباً عظيماً ونبأً شائعاً»، وهذا ما اكدته بشارات اهل الكتاب: الاحبار من اليهود والرهبان من النصارى، وما تحدث به الكهان من العرب بأمر رسول الله صلى الله عليه وآله قبل مبعثه لما تقارب زمانه[2].

ومن بين الادلة التي تحكي ايمان أبي طالب وتصديقه دعوة ابن أخيه ما حكي أن رسول الله صلى الله عليه وآله «قال يوما لعمه أبي طالب اني ارى في المنام رجلا يأتيني معه رجلان فيقولان: هو هو، واذا بلغ فشأنك به والرجل لا يتكلم، فوصف أبو طالب مقالته هذه لبعض اهل العلم، فلما نظر الى رسول الله صلى الله عليه وآله قال: هذه الروح الطيبة، هذا والله النبي المنتظر؟

فقال أبو طالب: فاكتم على ابن اخي ولا تغري به قومه، فوالله ان قلت

(١) تاريخ اليعقوبي: ١/ ١٤، ظ: اعجاز القرآن: ٢٣٤، صفة الصفوة: ١/ ٣٧.

(٢) ظ: السيرة النبوية لابن كثير: ١/ ٢٨٦- ٣١٣.

ما قلت، لَعَلِّي ما قلت، ولقد انبأني عبد المطلب انه النبي المبعوث، وأمرني أن استر ذلك كيلا تُغْرَى به الاعادي»[1].

ومن هذه المداليل اتخذ أبو طالب قرارا عقلانيا يتناسب مع وعيه الديني في التفكير الموضوعي في حزم امره، وقوة ارادته ومجاهدة نفسه لمواصلة المسيرة في الوقوف بجانب ابن أخيه ومساندته ومؤازرته وحمايته ومواجهة اعداء الرسالة في مجتمع تسوده النزعات والزعامات واختلاف الاديان.

فلما بعث ابن أخيه نبيا ورسولا وداعيا الى الخير ومبشرا ونذيرا لهداية الناس الى دين الحق، ونبذ العبادات من دون الله، كانت الدعوة في بدايتها سرية لمدة ثلاث سنين من مبعثه الشريف ثم امره الله ان يصدع بما جاء به، وان ينادي الناس بأمره[2]، وكان الامر موجهاً أولاً الى عشيرته الاقربين[3].

فكان لأبي طالب الاثر البارز في ارساء دعائم قيادة الا يمان في الاجتماع الذي دعا اليه الرسول صلى الله عليه وآله الذي عين فيه علي بن أبي طالب وصيه وخليفته من بعده، فنهض القوم وهم يقولون:

«قد أمرك ان تسمع لابنك وتطيع»[4]، فقال أبو طالب مخاطبا النبي صلى الله عليه وآله يسكن جأشه ويطلب منه اظهار دعوته:

---

(١) امتاع الاسماع بما للنبي صلى الله عليه وآله من الاحوال والاموال والحفدة والمتاع: ٤/ ١٠١، ظ:تاريخ الخميس في احوال انفس نفيس: ١/ ٢٦١.

(٢) الحِجر/ ٩٤ .

(٣) الشعراء/ ٢١٤.

(٤) الكامل في التاريخ: ٢/ ٤٢ ، السيرة النبوية لابن كثير: ١/ ٤٥٩ .

{من البسيط}

لا يَمنَعَنَّـــكَ مـــن حـــقٍّ تَقـــومَ بـــه إبـــراقُ أيـــدٍ ولا إرعـــادُ أصـــواتِ
فـــدونَ نفـــسِكَ نَفـــسي مُتَّـــبِ ودونَ كفِّـــكَ كفـــي في المَلَمّـــاتِ[1]

ان ما يدل على ايمان أبي طالب وانعقاد قلبه بالاسلام تشجيعه لابن أخيه ﷺ في دعوته، وفداء نفسه دونه، ومعاضدته في معانقة كفه بكف النبي، وادل من ذلك ترغيب اولاده علي وجعفر لمؤازرة ابن عمهما محمد ﷺ، فذكر انه «قال لعلي: أي بُنَي، ما هذا الدين الذي انت عليه؟ فقال: يا ابتِ آمنت بالله وبرسول الله، وصدقته بما جاء به، وصلَّيت معه لله واتبعته....قال {أبو طالب} له: اما إنه لم يَدْعك إلّا الى خيرٍ فالزُمه»[2] وانشد:

{من الكامل}

إنَّ الوثيقـــةَ في لـــزومِ محمـــدٍ فاشـــدُدْ بـــصحبتهِ علـــيُّ يَدَيـــكا[3]

وأمر أبو طالب ابنه جعفراً أن يصلي مع النبي عندما كانا مارين في طريقهما ورأى النبيﷺ وعلياً عليه السلام يصلّيان، فقال أبو طالب لجعفر «صلْ جناح ابن عمِّك، فجاء جعفر فصلى مع النبي ﷺ فلما قضى صلاته قال النبي ﷺ: يا جعفر وصلت جناح ابن عمك إن الله يعوضك من ذلك جناحين تطير بهما في الجنة»[4]، فانشد

---

(١) الديوان: ٢٠٨ ، الآتآب: الاستحياء.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام: ١/ ٢٤٧ ، ظ: الاصابة في تمييز الصحابة: ٤/ ١١٦ .

(٣) الديوان: ١٧٠ .

(٤) الحجة على الذاهب الى تكفير أبي طالب: ٢٥٠ .

أبو طالب مسروراً:

{من المنسرح}

إنَّ عليّـــاً وجعفـــراً ثقتـــي   عنـــدَ احتـــدامِ الأُمـــورِ والكُـــرَبِ

لا تخـــذلا وانـــصرا ابـــنَ عمِّكـــما   أخـــي ابـــنَ أُمـــي مـــن بيـــنهم وأبي

....

واللهِ لا اخـــــذلُ النبـــــيَّ ولا   يَخذُلُـــهُ مـــن بَنـــيَّ ذو حَـــسَـــبِ

....

نحـــنُ وهـــذا النبـــي أُسرتُـــهُ   نـــضربُ عنـــهُ الاعـــداءَ كالـــشُّهُبِ[1]

ويحض أبو طالب أخاه حمزة بن عبد المطلب (رضي الله عنه) على اتباع دين رسول الله ﷺ والصبر على طاعته، والثبات على دينه:

{من الطويل}

اصـــبرْ ابـــا يَعـــلى عـــلى ديـــنِ احمـــدِ   وكُـــنْ مُظهِـــراً وفِّقـــتَ صابـــــــرا

وحُطْ مَن أتـى بالـدينِ مـن عنـدَ ربّـــهِ   بـــصدقٍ وحـــقٍّ لا تكـــن حَمْـــزَ كـــافِرا

فقـــد سَرَّني أنْ قلـــتَ إنـــكَ مُـــسلمٌ   فكُـــنْ لرســـولِ اللهِ في اللهِ نـــاصرا

وبـــادِ قريـــشاً بالـــذي قـــد أتيتـــهُ   جِهـــاراً وقُـــلْ: مـــا كـــان احمـــدُ ساحـــرا[2]

فليس أدل على ايمان أبي طالب من حثه ولديه: علياً وجعفراً عليهما السلام على مؤازرة ابن عمهما والصلاة معه، وحث اخيه حمزة على اتباع دين النبي، وسروره

---

(١) الديوان: ١٧١- ١٧٢ .

(٢) م.ن: ٢٥٣- ٢٥٤، عجز البيت الاول غير مستقيم.

باسلامه، ثم تصريحه بنبوة ابن أخيه «لا اخذل النبي»، «وهذا النبي»، وهو يجود بنفسه دونه تارة، وتصريحه بلفظ رسول الله «فكن لرسول الله في الله ناصراً» طالباً من اخيه حمزة نصرة ابن أخيه ودينه تارة اخرى.

سبق ان قلنا ان النبي ﷺ انذر عشيرته الاقربين بعد تعيين ابن عمه علي بن أبي طالب اميرا ووصيا[1]، وبعد صعود النبي جبل الصفا واعلانه امام الملأ للنبأ العظيم[2]،فاحيطت قريش باخبار النبي ورسالته.

ساعدت هذه الاحداث الجديدة على نشوء مرحلة جديدة في مواجهة مشركي قريش، فوقف أبو طالب في صدارة هذه المواجهة؛ لاثبات دعائم الاسلام في المرحلة العلنية للدعوة، فكان يستقبل وفود بطون قريش، ويسمع لمطالبهم، وينقل رد النبي محمدﷺ اليهم برفق وكلام جميل[3]، ثم يهون الامر على ابن أخيه قائلا: «امضِ على امرك وافعل ما احببت فوالله لا اسلمك لشيء ابدا»[4] ثم قال ابوطالب:

{من الكامل}

واللهِ لـن يـصلوا إليـكَ بجَمْعهـم	حتّـى أُوسَّـدَ في الـتُّرابِ دفينـا
امـضِ لامـرِك مـا عليـكَ غـضاضةٌ	أبـشرْ وقُـرَّ بـذاكَ منـكَ عيونـا
ودعـوتني وزعمـتَ انـكَ ناصـحٌ	فلقـدَ صـدقتَ وكُنـتَ قبـلُ أمينـا
وعرضـتَ دينـاً قـد علِمـتُ بانـهُ	مـن خـيرِ اديـانِ البريـةِ دينـا

(١) ظ: كفاية الطالب في مناقب أبي طالب: ٢٠٥-٢٠٦ .

(٢) ظ: تاريخ الرسل والملوك: ٢/ ٣١٩ .

(٣) ظ: السير والمغازي: ١٤٧-١٤٨ .

(٤) البداية والنهاية في التاريخ: ٣/ ٤٢.

لــــولا المَلامـــةُ او أُحـــاذرُ سُـــبَّةً   لوجـدتني سـمحاً بـذاكَ مبيــــــنا[1]

في هذا الشعر دليل على تصديق أبي طالب بالرسول واقـراره بـان دينـه «خـير اديان البرية» واعترافه بانه «ناصـح» وقولـه «صـدقت»، وبـما اجابـه وامـره «امـض لأمرك ما عليك غضاضة»، المستمدة من دلالة ألفـاظ التعبـير القـرآني ﴿فَاصْـدَعْ بِـمَا تُؤْمَرُ﴾[2]، وهذا اوضح شاهد على ايمانه برسول الله ﷺ التي بينتها ألفاظ شعره.

والبيت الاخير يوضح أن أبا طالب لم يـصرح بإيمانـه خـوف الملامـة والـسُبَّة، وإلا لصار إسلامه ظاهراً بيّناً.

وقد علل الشيخ المفيد ذلك بقوله: «إنَّ أبا طالب رحمه الله لم يمتنع من الايـمان برسول الله ﷺ في الباطن والإقرار بحقه من طريق الديانة، وانـما امتنـع مـن اظهـار ذلك لئلا تسفهه قريش وتذهب رئاسته ويخرج منها مـن كـان متبعـا لـه عـن طاعتـه وتنخرق هيبته عندهم فلا يسمع له قول ولا يمثل له امـر، فيحـول ذلـك بينـه وبـين مراده من نصرة رسول الله ﷺ ولايتمكن من غرضه في الذب عنـه فاسـتتر الايـمان واظهر منه ما كان يمكنه اظهاره على وجه الاستصلاح ليصل بذلك الى بناء الاسـلام وقوام الدعوة، واستقامة امر رسول الله ﷺ وكان في ذلـك كمـؤمني اهـل الكهـف الذين ابطنوا الايمان واظهروا ضده للتقية والاستصلاح فآتـاهم الله اجـرهم مـرتين، والدليل على ما ذكرناه في امر أبي طالب رحمه الله قوله في هذا الشعر بعينه:

ودعــوتني وزعمــتَ انــك نــاصــحٌ   ولـقـــد صدقــتَ وكُنــتَ ثَمَّ أميــنا

---

(١) الديوان: ١٨٩ .

(٢) الحِجر/ ٩٤ .

فشهد بصدقه واعترف بنبوته واقر بنصحه وهذا محض الايمان»[1]، فهو يعلن ايمانه عندما يخاطب الرسول الكريم، ويخفي ايمانه عندما يخاطب رؤوس الشرك، وكان هذا الامر في بداية الدعوة الاسلامية.

وهكذا منع الله من قريش رسوله بعمه أبي طالب، واخذ أبو طالب على نفسه ارساء التأييد والحماية من بني هاشم وبني عبد المطلب، واعلان هذين البطنين حمايتهما لرسول الله ﷺ، فحين «رأى قريشا تصنع ما تصنع في بني هاشم وبني عبدالمطلب، دعاهم الى ما هو عليه من منع رسول الله ﷺ والقيام دونه، فاجتمعوا إليه وقاموا معه وأجابوا الى ما دعاهم اليه من دفع رسول الله ﷺ إلا ما كان من أبي لهب وهو يحرض بني هاشم»[2] فقال أبو طالب:

{من السريع}

حتّى متى نحنُ على فترةٍ ... يا هاشماً والقومُ في جَحْفَلِ

تـدْعُونَ بالخيلِ على رَقبَةٍ ... منَّا لدى الخوفِ وفي معزَلِ

كالرِّجْلَةِ السَّوداءِ تَغلو بها ... سُرعانُها في سَبْسَبٍ مُجْهَلِ

عليهم التُّرْكُ على رَعْلَةٍ ... مثلَ القَطا القارِبِ للمَنهَلِ

يا قومُ ذُوْدُوا عن جماهِيركُم ... بِكلِّ مِقصالٍ على مُسبِلِ

حديدِ خَمسٍ لَهِزٍ خدُّهُ ... مآرِثُ الافضلِ للافضلِ

عريضُ ستٍّ لهبٍ خصرُهُ ... يُصانُ بالتَّذليقِ في مِجْدَلِ

---

(١) الفصول المختارة من العيون والمحاسن: ٢٨٥- ٢٨٦، ظ: شرح نهج البلاغة: ١٤/ ٧٠، الديوان: ١٨٩، اختلاف رواية البيت الثالث «... فلقد صدقتَ وكُنتَ قبلُ أميناً».

(٢) السير والمغازي: ١٤٨.

كــم قــد شَــهِدتُ الحــربَ في فتيــةٍ   عنــدَ الــوغى في عَثــيرِ القَــسطَلِ
لا مُتَنَحّـــــينَ اذا جئـــــتَهم   وفي هيــاجِ الحــربِ كالاشبــــــلِ[1]

«فلما اجتمعت بنو هاشم وبنو المطلب معه ورأى ان قد امتنع بهم وأن قريشا لن يعادوه معهم قال أبو طالب، وبادى قومه بالعداوة ونصب لهم الحرب»[2] فأنشد:

{من المتقارب}

مَنَعنــا الرســولَ رســولَ المليــكِ   ببــيْضٍ تــلألأُ لَمْــعُ البُــــرُوقِ
بــضَرْبٍ يــذِّببُ دون النّهــابِ   حِــذارَ الوَتَــايرِ والخَنْفَــــقيقِ
اذبُّ واحمــــي رســــولَ المليــكِ   حِمَايــةَ حــامٍ عليــه شَفــــــيقِ
ومــــــا أن أدبُّ لأعدائـــــــه   دَبيــبَ البِكــارِ حِــذارَ الفَــنْيقِ
ولكــــن أزيــــرُ لهــــم ســـامتاً   كــما زارَ ليــثٌ بِغيــل مَــضــيْقِ[3]

والمتأمل لشعر أبي طالب في حث بني هاشم وعبد المطلب على نصرة رسول الله ﷺ، واعلان حمايته له، والذود عنه، وتصريحه بلفظ «رسول المليك» يجد

---

(١) الديوان: ١٠٩- ١١٠، في الاصل (هاشما) ،الترك: مفردها التريكة، وهي بيضة الحديد التي يضعها المحارب على رأسه، الرعلة: القطعة القليلة من الخيل او طليعتها، المقصال: السيف القاطع، المسبل: صفة للفرس المسبل الذيل، حديد خمس: القوي من الخيل والخمس منها: الطرف والقلب والاذن والكعب والوظيف (ما فوق الرسغ) ، الهِز: الضامر، اللهب: الغبار المثار، التزليق: تنحيف الجواد وتضعيفه، المجدل: القصر، القسطل: غبار الحرب.

(٢) السير والمغازي: ١٤٨- ١٤٩ .

(٣) الديوان: ١١١- ١١٢ ، النِّهاب: الغنائم، والخنفقيق: الداهية، البِكار: مفردها البكرة وهي الانثى من الابل، الفنيق: الفحل المكرم عنه اهله، الغيل: عرين الاسد.

أن هذه مداليل كلها تنصُّ على ايمان أبي طالب بما جاء به ابن أخيه من الحق تبارك وتعالى، فالقطعة القافية كفيلة بصحة اسلام أبي طالب فذكر ان الخليفة المأمون العباسي حين سمعها قال: «اسلم أبو طالب والله بقوله... {الابيات} »[1].

وكان أبو طالب في غاية الحنو فيما يحامي به رسول الله ﷺ واصحابه كما يتبين ذلك في صنائعه وسجاياه، فقد تألب الملأ من قريش على رسول الله واصحابه، واجتمعوا بعمه أبي طالب وعرضوا عليه عمارة بن الوليد بن المغيرة ان يكون ابنا له ويترك ابن أخيه محمدا لهم، ليقتلوه بعد شكواهم منه بانه سفه احلامهم وسب آلهتهم[2].

فقال أبو طالب «والله بئس ما تسومونني! أتعطونني ابنكم أغذوه لكم، وأعطيكم ابني تقتلونه! هذا والله ما لا يكون ابدا... فقال المُطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف بن قُصي: والله يا أبا طالب لقد أنصفك قومك، وجهدوا على التخلص مما تكرهه، فما أراك تريد أن تقبل منهم شيئا، فقال أبو طالب للمطعم: والله ما أنصفوني ولكنّك قد أجمعت خذلاني ومظاهرة القوم عليّ، فاصنع ما بدا لك،... فحقب الأمر، وحميت الحرب، وتنابذ القومُ، وبادى بعضهم بعضا، فقال أبو طالب عند ذلك ـ يعرض بالمطعم بن عدي ـ ويعم من خذله من بني عبد مناف، ومن عاداه من قبائل قريش، ويذكر ما سألوه، وما تباعد من أمرهم»[3]:

---

(١) شرح نهج البلاغة: ١٤/ ٧٤.

(٢) ظ: السيرة النبوية لابن هشام: ١/ ٢٦٧، تاريخ الاسلام وطبقات المشاهير والاعلام: ١/ ٨٧– ٨٨ ،البداية والنهاية في التاريخ: ٣/ ٤٧.

(٣) م.ن : السابقة الذكر.

{من الطويل}

ألا ليتَ حظِّي من حِياطَتِكم بَكْـــــرُ ... يُـرشُّ عـلى الـساقَيْنِ مـن بولِـهِ قَطْـرُ

مـن الجُـوْن حَبْحَـاب كثـيرٌ رِغـاؤه ... إذا مـا عـلا القَيفـاءَ تحـسبُهُ وَبْــرُ

تـرى أخَوَينـا مـن أبينـا وأمِّنـا ... إذا سُـئلا قـالا: إلى غيرِنـا الأمـرُ

بـلى لهـما أمـرٌ ولكـن تَرَجَّمـا ... كما رُجِمَتْ من رأسِ ذي الفَلَق الصَّخرُ

همـا غَمَـزا للقـومِ في أخَـوَيْهما ... فقـد أصـبَحتْ كَفَّاهـا وهمـا صِفـرُ

أخـصُّ خـصوصاً عبـدَ شـمسٍ وَنـوْفَلاً ... هُمـا نَبـذانا مـثلما يُنْبَـذُ الـجَمْـرُ

فأقـسمتُ لا يَنفـكُّ مـنكم مُحـاذِرٌ ... يُحاذِرُنـا مـا دامَ مـن نَـسْلِنا شَّـفْرُ

همـا أشْرَكـا في المجـدِ مـن لا كُفـىَّ بـه ... مـن النـاسِ إلا أنْ يُـرَسَّ لـه ذِكْـرُ

وليـداً ابـوهُ كـان عَبْـداً لجِـدِّنا ... إلى علجـةٍ زرقـاءَ جـاشَ بهـا البحـرُ

وتَـيمٌ ومَخـزومٌ وزُهـرةُ مِـنهم ... وكـانوا لنـا مَـوْلىً إذا ابتُغِـي النَّـصرُ

فقـد سـفهتْ أحلامُهـم وعقـولُهم ... وكـانوا كجَفْـرٍ شرُّ مـا ضَـغُطَتْ جَفْـرُ[1]

وعندما رأى أبو طالب من بني هاشم وعبد المطلب من جدهم معه، وأجابوه الى ما دعاهم اليه مدحهم وذكر قديم فضائلهم، وما وقفوا من الحدب والنصرة لرسول الله ﷺ وذكر فضله فيهم، ومكانته منهم، ليشد بهم رأيهم فيه، وليحدبوا

---

(١) الديوان: ١٨٦ – ١٨٧ ، الحبحاب: الصغير ، الوبر: الدابة، شفر: أي احد، الرَّسُّ: الـذِّكرُ الخفـيُّ، عبدشمس ونوفل: اخوان لهاشم بن عبدمناف عميد النسب النبوي ولذلك قال أبو طالب (اخوينا من ابينا وامنا) ، ظ: انساب الاشراف: ١/ ٦١ ، والوليد بن المغيرة من بني مخزوم، وتيم بن مرة بن كعب ومخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب، وزهرة بن كلاب بن مرة بن كعب لؤي بن غالب بن فهر وهذه البطون الثلاثة من قريش تدخل في عمود النسب النبوي أيضاً ،ظ: جمهرة انساب العرب: ٢/ ٤٦٤ .

معه على امره[1]، فقال أبو طالب مادحا ومفاخرا:

{من الطويل}

إذا اجتمعت يوماً قريشٌ لمفخرٍ	فعبدُ مَنَافٍ سِرُّها وصَميمُها
وإن حُصِّلَتْ أشرافُ كلِّ قبيلةٍ	ففي هاشمٍ أشرافُها وقَديمُها
وإن فخرتْ يوماً فإنَّ محمدا	هو المصطفى من سرِّها وكريمُها
تداعتْ قريشٌ غَثُّها وسمينُها	علينا فلم تظفرْ وطاشَتْ حلومُها
وكُنَّا قديماً لا نُقِرُّ ظُلامةً	إذا ما ثَنَوا صُعْرَ الخدودِ نقيمُها
ونحمي حماها كلَّ يومِ كريهةٍ	ونضربُ عن أحجارِها من يرومُها
بنا انتعشَ العودُ الذَّويُّ وإنَّما	بأكنافِنا تَنْدى وتَنْمي أرومُها
هم السادةُ الاعلونَ في كلِّ حالةٍ	لهم صرمَةٌ لايُستَطاعُ قُرومُها
يدينُ لهم كلُّ البريةِ طاعةً	ويُكرِمُهم ملأرضِ عندي اديمُها[2]

وفي يوم طرقت مسامع أبي طالب خبر مقتل النبي ﷺ، فعزم على قتل سادات قريش، فلما حضر النبي محمد ﷺ، اعلن أبو طالب تفاصيل خطته، فوقف «على اندية قريش، ومعه الفتيان الهاشميون والمطلبيون،فقال: يا معشر قريش هل تدرون ما هممت به؟ قالوا: لا، فاخبرهم الخبر، وقال للفتيان: اكشفوا عمّا في أيديكم، فكشفوا، فاذا كل رجل منهم معه حديدة صارمة، فقال: والله لو قتلتموه ما بقيت منكم احد حتى نتفانى نحن وانتم، فانكسر القوم»[3]، فأنشد:

---

(١) ظ: السيرة النبوية لابن هشام: ١/ ٢٦٩، البداية والنهاية في التاريخ: ٣/ ٤٩.

(٢) ديوان أبي طالب: ١١٣ - ١١٤، ملأرض: لهجة عربية تدمج من الجارة بمجرورها.

(٣) الطبقات الكبرى: ١/ ٢٠٣.

{من المتقارب}

فـأنّي ومَـن حَـجَّ مـن راكـبٍ وكعبـةِ مكّـة ذات الحُجـُبْ
تنـالُونَ احمـدَ او تُـصْطَلَوا ظُبـاةَ الرِّمـاحِ وحَـدَّ القُـضُبْ
وتعترفـوا بـين أبيـاتكم صُـدورَ العـوالي وخَـيْلاً عُـصَبْ
إذا الخيـلُ تَمْـزَعُ في جَرْيِهـا بـسَيْرِ العَنِيـق وحَـثِّ الخَبَـبْ

....

عليهـا رجـالُ بنـي هاشـمٍ هـم الأنجبـونَ مـع المُنتَجَـبْ[1]

ولما مضى أبو طالب على أمره من خلاف قومه فيما أراد رسول الله ﷺ اجتمعت قريش على عدوانه وخلافه، فبث أبو طالب مما طوته نفسه من الاحزان في اخر الليل بما يحلم به مشركو قريش من قتل النبي سفاهة وجهالة وظلما[2]، فتوعدهم بالحرب، وبذل نفسه وقومه دون النبي على آخرهم، ونصرته ومؤازرته والدفاع عنه فقال:

{من الطويل}

يُرَجّـونَ أنْ نـسخى بقَتْلِ محمـدٍ ولم تَخْتَـضبْ سُـمرُ العـوالي مـن الـدَّمِ
يُرَجّـونَ منّـا خُطَّـةً دونَ نيلهـا ضِرابٌ وطَعـنٌ بالوَشـيجِ المُقـوَّمِ
كَـذِبتُم وبيـتَ اللهِ حتّـى تَعرَّفـوا جَمـاجَمَ تُلْقـى بـالحَطيمِ وزَمـزمِ

---

(١) الديوان: ١١٦ ،صدود العوالي: سنة الرماح، العصب: الجماعة، تمزع: تسرع وتعدو عدوا خفيفا، العنيق: اشد السير، الخبب: ضرب من العدو.

(٢) م.ن: ٢١٦ .

وتُقْطَعَ أرحامٌ وتَنْسى حليلةٌ ... حليلاً ويُغشى مُحرَمٌ بعدَ مُحرَمِ

وينهضُ قومٌ في الحديدِ اليكم ... يَذودونَ عن أحسابهم كُلَّ مُجرِمِ

فيا لبَني فَهرٍ أفيقوا ولم تَقُمْ ... نوائحُ قَتلى تَدَّعي بالتَّنَدُّمِ

على ما مضى من بُغضِكم وعُقوقِكم ... وغشيانكم في أمرِكم كُلَّ مأثَمِ

وظُلمُ نبيٍّ جاءَ يدعو الى الهُدى ... وأمرٍ أتى من عند ذي العَرشِ قيِّمِ

فلا تحسَبونا مُسْلميهِ ومثلُهُ ... إذا كانَ في قومٍ فليسَ بمُسَلَّمِ

فهذي معاذيرُ وتقدمةٌ لكم ... لكيلا يكونَ الحربُ قبلَ التَقَدُّمِ[1]

إنَّ جدَّ أبي طالب دون النبي محمدﷺ ومؤازرته ونصرته وحمايته له، والاعتراف بنبوته وبما جاء من الهدى، وشهادته على ذلك وهو يصرح:

«وظُلمُ نبيٍّ جاءَ يدعو الى الهُدى ... وأمرٍ أتى من عند ذي العَرشِ قيِّمِ»

وهذا القول دليل صريح على إيمانه.

ومن الشواهد التي يتبين منها حنو أبي طالب على ابن أخيه النبي محمدﷺ وحبه له، وشفقته عليه، وتفديته بنفسه، وتصديقه به فيما يروى أن قريشا لما رأت ان رسول اللهﷺ لايعبأ بمعارضتهم اياه، انكروا عليه عيبه لآلهتهم، فطفق المشركون يضطهدونه، ومن يؤازره من المسلمين وكانوا يوكّلون به صبيانهم وعبيدهم، فيلقونه بما لايجب، ومن ذلك ان عبد الله بن الزبعرى حمل السلى والفرث ووضعه على كتفي النبي محمدﷺ وظهره، وهو ساجد يصلي، فانصرف رسول الله الى عمه أبي طالب شاكيا له الامر، فخرج أبو طالب غاضبا لابن أخيه[2]، ومهددا سادات قريش من

---

(١) الديوان:٢١٦– ٢١٧، الوشيج: شجر الرماح، الحطيم: جدار حجر مكة، بني فهر: قريش.

(٢) ظ: تاريخ اليعقوبي: ٢/ ١٧ ، ثمرات الاوراق في المحاضرات: ٢/ ٣– ٤.

المشركين قائلا: «ورب هذه البنية لايقومن منكم احد إلا جللته بالسيف...ثم قال: يا محمد سألتني من انت، ثم انشأ يقول:يومىء بيده الى النبي ﷺ :

{من مجزوء الكامل}

انــــتَ النبـــيُّ محمّـــدُ	قَـرمٌ اعـزُّ مُـســـــوَّدُ
لُمـــــسَوَّدينَ أكـــارِمٍ	طـــابوا وطـــابَ المولـــدُ
....	....
أنّـــى تُـــضامُ ولم أمُـــتْ	وَأنَـــا الـــشّجاعُ العِربَـــدُ
وبطـــاح مكـــةَ لا يُـــرى	فيهـا نجيـعٌ اســــــودُ
وبنـــو ابيـــك كـــأنّهم	أسـدُ العـرينِ توقّـــدُ
ولقـــد عهـــدتُكَ صـــادقاً	في القـــولِ لاتتزيَّـــــدُ
مـــا زِلـــتَ تنطـــقُ بالـــصَّوا	بِ وأنـــتَ طفـــلٌ امـــردُ

ثم قال: يا محمد أيهم الفاعل بك؟ فاشار النبيﷺ الى عبـد الله بـن الزبعـرى السهمي الشاعر فدعاه أبو طالب فوجأ انفه حتى ادماه، ثم امر بالفرث، والـدم،فامرَّ على رؤوس الملأ كلهم، ثم قال: يا ابن اخ أرضيت؟. ثم قال: سألتني من انت؟ انـت محمد بن عبد الله... انت والله أشرفهم حسبا وأرفعهم منصبا يا معشر قريش من شـاء منكم يتحرك فليفعل أنا الذي تعرفونني»[1] .

إن لجوء النبـي محمـدﷺ الى عمـه أبي طالـب ؛ لانـه هـو الحـامي والمؤازر والناصر له ولدينه،وهذا ما يتبين من غضبه وصولته وحميته لنبـي الله ولدينـه، فاشـاد

---

(١) الحجة على الذاهب الى تكفير أبي طالب: ٣٤٧- ٣٤٨، الابيات في الديوان: ٣٣٣.

«انت النبي محمد» وبين عراقة ارومته، وهو يتصدى لسادات الشرك، فلا يردعه رادع عن الحق شيئا قائلا «انّى تضام ولم أمت»، فهو المتصدي لكل ما تتعرض له الرسالة، كما نلمح في النص سطوة أبي طالب وسيادته، وعظم قدره، وجلالة مكانته في قريش، لذلك لم يجرؤ أحد من قريش على مواجهته وهكذا اعز الله الاسلام ورسوله بناصر الدين أبي طالب.

ولما كان أبو طالب المجير لنبي الله، فهو مجير من اسلم من أصحاب النبي أيضا، فكان ممن دخل في جواره عثمان بن مظعون[1] وابو سلمة بن عبد الاسد[2].

فأما اجارة أبي طالب لعثمان بن مظعون فكانت بسبب إباء عثمان اجارة الوليد بن المغيرة، لما رأى ما في المسلمين من البلاء، وهو يروح ويغدو في امان الوليد، فردَّ عليه جواره، وحدثت مشاجرة بعد ذلك بينه وبين احد قريش، فلطمه في عينه، فأصابها[3]، فغضب أبو طالب لعثمان وقال:

---

(١) عثمان بن مظعون: ابو السائب عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافه بن جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي، اسلم بعد ثلاثة عشر رجلا وهاجر الى المدينة، توفى في السنة الثانية للهجرة ودفن في المدينة بالبقيع،ظ: الاستيعاب في معرفة الاصحاب : ٣/ ٨٥، وأسد الغابة في معرفة الصحابة: ٣/ ٥٨٩، والاصابة في تمييز الصحابة: ٢/ ٤٦٤ .

(٢) ابو سلمة : عبد الله بن الاسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم من السابقين الاولين الى الاسلام، واخ النبي ﷺ بالرضاعة، وابن عمته برة بنت عبد المطلب، مات في المدينة بعد معركة بدر، ظ: التبيين في انساب القريشيين: ٣٤١، ، وأسد الغابة في معرفة الصحابة: ٣/ ٢٩٥، والاصابة في تمييز الصحابة: ٢/ ٣٣٥

(٣) ظ: السيرة النبوية لابن كثير: ٢/ ٦٠- ٦١،البداية والنهاية في التاريخ: ٣/ ٩٢- ٩٣.

{من البسيط}

أمِن تَذكُّرِ دهرٍ غيرِ مأمونِ أصبحتَ مُكتئباً تبكي كَمَحزونِ؟
أم مِن تذكُّر اقوامٍ ذوي سَفهٍ يَغْشَوْنَ بالظلمِ من يدعو الى الدِّينِ؟
لا يَنتهونَ عن الفحشاءِ ما أُمِروا والغَدْرُ فيهم سبيلٌ غيرُ مأمونِ
ألا يَرونَ - أذلَّ اللهُ جمعَهُمُ - إنَّا غَضبنا لعثمانَ بن مَظْعونِ؟
اذ يَلطِمونَ - ولا يَخْشَونَ - مُقلتَهُ طَعْناً دِراكاً وضَرباً غيرَ مَرْهونِ
فسوفَ نَجْزيهُمُ - إن لم يمُتْ - عَجِلاً كيلاً بكيلٍ جزاءً غيرَ مغبونِ
او ينتهونَ عن الامرِ الذي وقفوا فيه ويرضَونَ منَّا بعدُ بالدُّونِ
ونمنعُ الضَّيمَ من يَبغي مَضامَتَنا بكلِّ مُطَّرَدٍ في الكفِّ مَسنونِ
ومرهفاتٍ كأنَّ الملحَ خالطَها يُشفَى بها الدَّاءُ من هامِ المجانينِ
حتَّى تُقرَّ رجالٌ لا حُلومَ لها بعدُ الصعوبةِ بالإسماحِ واللِّينِ
او يُؤمنوا بكتابٍ مُنزَلٍ عَجَبٍ على نبيٍّ كموسى او كذِي النُّونِ
يأتي بأمرٍ جليٍّ غيرِ ذي عِوجٍ كما تبيَّنَ في آياتِ ياسينِ[1]

إنَّ من إمارات صحة ايمان سيد البطحاء أبي طالب منعه للضيم الذي اصاب عثمان بن مظعون الصحابي فسرتها ابياته الشعرية في استذكاره ظلم مشركي قريش في الحاقهم الاذى به، والى من يدعو الى الدين الجديد وايمان أبي طالب بالانبياء والرسل وما نزل عليهم من الهدى ومنهم النبيين: موسى وذي النون عليهما السلام وبما أُنزل من القرآن المجيد من الاستقامة التي بينتها آيات ياسين وبما استمده من التعبير القرآني

(١) الديوان (التونجي) : ٩٤- ٩٥ .

من لفظ ودلالة وضمنها في شعره نحو قول الحق تبارك وتعالى ﴿... إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً﴾ [1]، وقوله ﴿قُرْآناً عَرَبِيّاً غَيْرَ ذِي عِوَجٍ ...﴾ [2] التي تقرع اسماع المسلمين لكي يزدادوا هدىً وغير المسلمين ليهتدوا الى الحق فهذه مداليل كلها على صحة عقيدة أبي طالب.

وعندما رأى ابو سلمة عبد الله المخزومي تعذيب مشركي قريش وما أرادوا ان يفتنوه عن دينه، فلم ير مفزعا له سوى خاله أبي طالب يستجير به، فمشى اليه نفر من رجال بني مخزوم، فقال احدهم: «يا أبا طالب، لقد منعت منّا ابن أخيك محمداً، فما لك ولصاحبنا تمنعُه منا؟ قال: انه استجار بي، وهو ابن أختي، وإنْ أنا لم امنع ابن أختي لم امنع ابن أخي» [3]. وهكذا كان عميد بني هاشم وعبد المطلب ولياً وناصراً لرسول الله وأصحابه.

وإزاء تعذيب المشركين للمسلمين واضطهادهم كان رسول الله صلى الله عليه وآله يحث اصحابه الصبر على تحمل الاذى ورباطة الجأش على الصمود حتى يأذن الله بنصره، وقد اذن الرسول لأتباعه بالهجرة الى الحبشة، لتوافر الامن والحماية لهم في ظل ملك الحبشة وايد أبو طالب رأي رسول الله صلى الله عليه وآله وسانده، فبعث ابياتا شعرية لنجاشي الحبشة يحثه على اكرام المهاجرين المضطهدين والدفاع عنهم [4]، فقال:

---

(١) الجن/ ١.

(٢) الزمر/ ٢٨.

(٣) السيرة النبوية لابن هشام: ٢/ ١٥ ، البداية والنهاية في التاريخ: ٣/ ٩٣.

(٤) ظ: السير والمغازي: ٢٢١.

{من الطويل}

ألا ليتَ شِعْري كيفَ في النَّاي جَعفرٌ　　　وزيدٌ واعداءُ العِدا والأقاربُ

وهل نالَ معروفُ النجاشيِّ جَعفراً　　　وأصحابَهُ أمْ غالَهُ عنهُ شاغِبُ

تَعَلَّمْ بأنَّ اللهَ زادَكَ بَسطةً　　　وأسبابَ خيرٍ كُلُّها بكَ لازِبُ

وأنَّكَ سَيْبٌ ذو سِجالٍ غزيرةٍ　　　يعشُ بجدواكَ الطَّريدُ المُصَاقِبُ

وأنَّكَ عزٌّ ـ والمِلوكُ اذلَّةٌ ـ　　　كريمٌ فلا يَشقى لديكَ المُجانِبُ(١)

وما كان أبو طالب يطلب من النجاشي هذا الامر إلا لانه ذو سمعة وشرف ومكانة يعلم بها النجاشي، وعندما وصلت هذه الابيات الى النجاشي احسن جوار المهاجرين، واجاد في ضيافتهم، مما اغرى أبا طالب ان يبعث برسالة اخرى يدعو فيها النجاشي الى الدخول في الدين الاسلامي الذي جاء به رسول الهدى فقال:

{من الطويل}

تَعَلَّمْ مَليكَ الحبشِ أنَّ محمداً　　　وزيرٌ كموسى والمسيحِ بنِ مريمِ

أتى بهُدىً مثلَ الذي أتيَا بهِ　　　فكلٌّ بأمرِ اللهِ يَهْدي ويَعصِمُ

وإنكم تتلونَهُ في كتابِكم　　　بصدقِ حديثٍ لا حديثِ التَّرَجُّمِ

وإنكَ ما يأتيكَ منَّا عصابَةٌ　　　لفضلكَ الا أُرجِعوا بالتَّكَرُّمِ

بذلتَ لهم عُرْفاً ولم تَبغِ عنهم　　　فنلتَ بها حقّاً على كلِّ مُسْلِمِ

فلا تجعلوا للهِ نداً وأسْلِموا　　　فإنَّ طريقَ الحقِّ ليسَ بمُظلِمِ(٢)

---

(١) الديوان: ٢٤٧ ، جعفر بن أبي طالب، وزيد بن الحارثة، المصاقب: المجاور.

(٢) م.ن : ٢٥٩، في البيت الثاني إقواء.

ولا يخفى أن ما يصدر من شيخ البطحاء أبي طالب من النصرة لنبي الله، واظهار دينه في دعوة النجاشي الى التوحيد، وحماية اصحاب رسول الله ﷺ، وعلمه برسالات السماء وما نزل فيها مداليل كلها على ايمان أبي طالب بالله رباً وبمحمد نبياً ورسولاً، وبالاسلام دينا، وأن شعر أبي طالب كان له اثره البالغ في نفس النجاشي، فاسلم على اثره، وحسن اسلامه[1]، وبعد فشل مشركي قريش في اطفاء نور الاسلام، ثارت حفيظتهم حقدا ونارا ضد الدعوة وصاحبها، فاجتمع رؤوساء الشرك وعزموا رأيهم إن لم يخلِ أبو طالب بين قريش وابن أخيه، فعلى بطون قريش ان تقاطع بني هاشم وبني عبد المطلب، ولما كان أبو طالب مؤمنا بدعوة ابن أخيه، فانه لم يستجب لمطالبهم، ولم يعبأ بارائهم، وانما اصرَّ على اعلان حمايته بنفسه، فلما رأت قريش رد أبي طالب، وأن اصحاب رسول الله ﷺ قد نزلوا الحبشة واصابوا بها امناً وسلاماً وقراراً في ظل ملكها النجاشي، وفشى الاسلام في القبائل، تحالفوا على مقاطعة بني هاشم في الشعب إلا اذا دفعوا اليهم نبي الله ﷺ .

فجمع أبو طالب قومه من بني هاشم وعبد المطلب، وامرهم ان يدخلوا رسول الله شعبه، وأن يمنعوه ممن ارادوا قتله، فاجتمع على ذلك مسلمهم وكافرهم، فمنهم من فعله ايمانا ويقينا ومنهم من فعله حمية[2]، واعلن أبو طالب امام بطون قريش بانها اذا قتلت محمدا فان الهاشميين والمطلبيين سيقاتلون حتى الفناء، وقال يمدح النبي وينذر قومه عاقبة عدوانهم، ويحذرهم الحرب، وقطع صلة الرحم،

---

(١) ظ: السيرة النبوية لابن هشام: ١/ ٣٤١.

(٢) ظ: السيرة النبوية لابن هشام: ١/ ٣٥٠- ٣٥١، البدء والتاريخ: ٤/ ١٥٣، وامتاع الاسماع بما للنبي ﷺ من الاحوال والاموال والحفدة والمتاع: ١/ ٤٣- ٤٤.

وينهاهم عن اتباع السفهاء، ويعلمهم استمراره في مؤازرة النبيﷺ وينبههم على فضله، ويضرب لهم المثل بناقة صالح، ويذكر امر الصحيفة، فقال:

{من الطويل}

ألا أبْلغــا عنّــي عــلى ذاتِ بيننــا	لُؤيّــاً وخُـصّا مـن لـويٍّ بنـي كَعْـبِ
ألم تعلمــوا أنّــا وجــدنا محمــدا	نبيــاً كموســى خُـطَّ في اولِ الكُتْــبِ
وأنَّ عليــــهِ في العبــــادِ محبّــــةً	ولا خَـــيْرَ ممـــن خـــصَّهُ اللهُ بالحُـــبِّ
وإنَّ الــــذي نمَّقــــتم في كتــــابِكم	لكــم كــائنٌ نَحْـساً كراغِيْـةِ السَّقبِ
أفيقــوا أفيقــوا قبــلَ ان يُحفَــرَ الثّــرى	ويُصبِحَ مـن لم يَجـنِ ذنبـاً كـذي الذَّنبِ
ولا تَتبعــوا امــرَ الغُــواةِ وتَقْطعــوا	أواصرنــا بعــدَ المــودَّةِ والقُــربِ
وتــستجلِبوا حربــاً عَوانــاً وربَّــما	أمَــرَّ عــلى مــن ذاقَــهُ حَلْـبُ الحـربِ
فلــسنا ـ وبيــتِ الله ـ نُــسْلم احمــداً	لِعَـزّاءَ مـن نَكْـبِ الزمـانِ ولا كَـرْبِ
ولمــا تَــبِنْ منّــا ومــنكم سَــوالفٌ	وأيْــدٍ أتــرَتْ بالقــساسيةِ الــشُّهْبِ
بمُعــتَرَكٍ ضَــنكٍ تــرى قــصَدَ القِنــا	بـهِ والنُّسورَ الطُّهْـمَ يعكفْـنَ كالـشَّرْبِ
كــأنَّ مُجَــالَ الخيــلِ في حَجَراتِــهِ	ومَعْمَعَــةُ الأبطــالِ معركــةُ الحــربِ
ألــيسَ ابونــا هاشــمٌ شــدَّ أزرهُ	وأوصى بنيــهِ بالطِّعــانِ وبالــضَّربِ
ولَــسْنا نَمــلُّ الحــربَ حتّــى تَمَلَّنــا	ولا نــشتكي ممــا نلاقــي مــن النكــبِ
ولكنّنــا أهــلُ الحفــائظِ والنُّــــهى	إذا طــارَ أرواحُ الكُــماةِ مــن الرُعــبِ[1]

---

(١) الديوان: ٢١١- ٢١٣، السقب: ولد الناقة، أترَّت: قطعت، القساسية: سيوف تنسب الى جبل قساس في ارمينية، الحفائظ: مفردها الحفيظة وهي الحمية والغضب لما يلزم ذلك.

والأبيات افصح من أن نعلق عليها في ايمان سيد بني هاشم وعبد المطلب، فيقين أبي طالب أن محمدا نبيٌّ كموسى خط في اول الكتب، وايمانه بكتاب الله المنزل على نبيه موسى عليه السلام، وقوله: «ولا خير ممن خصه الله بالحب» أي بما اختار محمد واصطفاه بالنبوة صلى الله عليه وآله .

وبلغت عناية أبي طالب للنبي وحبه اياه أن يبذل نفسه واولاده واخوته وبني عمه دونه لحمايته وفي سبيل تقويم دينه، فاذا اضطجع ابن أخيه على فراشه، يأمر ابنه علياً ان يأخذ مكانه، خشية على حياة النبي من اعدائه[1]، وفي ذلك قال أبو طالب:

{من الخفيف}

قد بَذلناكَ ـ والبلاءُ عَسِيرٌ ـ	لِفداءِ النَّجيبِ وابنِ النجيبِ
لفداءِ الأغرِّ ذي الحَسَبِ الثّا	قبِ والباعِ والفناءِ الرحيبِ
إنْ تُصبكَ المنونُ فالنبلُ يُبرى	فمُصيبٌ منها وغيرِ مُصيبِ
كلُّ حيٍّ وإن تَملأَ عَيشاً	آخذٌ من سِهامِها بذنوبِ[2]

وهكذا استمر الحصار في شعب أبي طالب ثلاث سنين، ودخل الاسلام مرحلة جديدة من الكفاح والامتحان، وحين اشتد العسر والاذى جاء الفرج ودخل النصر الالهي فارسل الله حشرة الارضة على الصحيفة، فاكلت منها ما كتب فيها عدا ما كان فيها اسم الله، وتلقى النبي محمد صلى الله عليه وآله هذا النصر والمعجزة الدامغة على صدق نبوته، وتأييد الله له، فاخبر عمه أبا طالب وما حدث للصحيفة الظالمة، وهو لايشك

---

(١) ظ: البداية والنهاية في التاريخ: ٣/ ٨٤.

(٢) الديوان: ٢٢٠- ٢٢١ .

في قوله، فتوجه أبو طالب والنبي وبنو هاشم الى البيت الحرام؛ ليحدثوا مشركي قريش بما أُخبر به رب العزة؛ وليؤكدوا لهم بدليل اخر نبوة محمد ﷺ واطلاعه على الغيب، فاجتمع الملأ من قريش، فقال لهم أبو طالب: «إن ابن أخي أخبرني أن الله أرسل على صحيفتكم الأرضة فأكلت ما فيها من قطيعة رحم وظلم وتركت اسم الله تعالى، فأحضروها فإن كان صادقا علمتم أنكم ظالمون لنا قاطعون لأرحامنا، وإن كان كاذبا علمنا أنكم على حق وأنا على باطل فقاموا سراعا وأحضروها فوجدوا الأمر كما قاله رسول الله، وقويت نفس أبي طالب واشتد صوته وقال قد تبين لكم أنكم أولى بالظلم والقطيعة فنكسوا رؤوسهم»[1] فقال أبو طالب في شأن الصحيفة وما فيها من ظلم وقطيعة رحم :

{من الطويل}

وما ذنبُ مَنْ يدعو الى البرِّ والتقى	وإنْ يستطعْ أن يَرْأب الشَّعْبَ يَرْأبِ
وقد جرَّبوا فيما مضى غِبَّ أمرِهم	وما عالمٌ امراً كمَنْ لم يُجرِّبِ
وقد كانَ في أمرِ الصحيفةِ عِبْرةٌ	متى ما تُخبَّرْ غائبَ القومِ يَعْجبِ
محا اللهُ منها كفرَهم وعُقوقَهم	وما نقموا من صادقِ القولِ مُنجِبِ
فاصبحَ ما قالوا من الإفكِ باطلاً	ومن يختلِق ما ليسَ بالحقِّ يُكْذَبِ
فامسى ابنُ عبدِ الله فينا مُصَدَّقاً	على سَخَطٍ من قومنا غيرِ مُعْتبِ
فلا تحسَبونا مُسْلِمينَ محمدا	لدى غُربةٍ منّا ولا مُتَقرَّبِ
ستمنعهُ منّا يدٌ هاشميَّةٌ	مُركَّبُها في الناسِ خيرُ مُرَكَّبِ
ألا والذي تَخدي لهُ كلُّ نِضوةٍ	طلائحَ جَنْبَى نَخْلَةٍ والمُحَصَّبِ

(١) الكامل في التاريخ: ٢/ ٦١ .

يميناً صدقنا اللهَ فيها ولم نكنْ لنحلِفَ بُطلاً بالعتيقِ المُحجَّبِ
نُفارقُهُ حتَى نُقتَّلُ حولهُ وما نالَ اسلامَ النبيَّ المُقرَّبِ[1]

إنَّ أبا طالب كان الدعامة الاساس، والقوى المؤثرة في توجيه مسار احداث الرسالة في نصرة صاحب الرسالة ومحاماته، بكل ما أوتي من قوة وعقيدة صحيحة افصحت عنها ابياته الشعرية، وهو يستنكر فعل طغاة الشرك في معاداة رسول الهدى ﷺ مخاطبا اياهم «وما ذنب من يدعو الى البرِّ والتُّقى»، وتصديقه الطافح بالايمان بما جاء به «فامسى ابن عبد الله فينا مصدقاً» فيما مضى والآن، وعلمه بغيب السماء، ومصدقاً بمعجزة الصحيفة:

«يمينا صدقنا الله فيها ولم نكن لنحلف بُطلا بالعتيق المُحجَّب»

ولهذا يجدد عهده له وللأسماع بأنه ماضٍ على نصرة نبي الله حتى فناء آخر واحد من قومه:

«نفارقُهُ حتى نُصرَّع حوله وما بال تكذيب النبي المقرَّب»

وهو مؤكد نبوته.

وعاد أبو طالب ومن معه الى مكة بعد انتهاء الحصار في شعب أبي طالب وفرج الله عن المسلمين والحامين لرسوله الكريم.

وبقي شيخ البطحاء و سيدها وعميد الهاشميين والمطلبيين والناصر لدين الله

---

(١) الديوان: ٢٢٩- ٢٣٠ ، رأب: اصلاح الفساد، تخذي: تسرع، الطلائح: الهزيل، جنبا نخلة: واديان قرب مكة، ظ: معجم البلدان: ٥/ ٢٧٧ ، المُحصَّب: موضع رمي الجمار بمنى، معجم البلدان: ٥/ ٦٢.

ورسوله يحضُّ على نصرة رسول الله في كلِّ وقت وعلى مساعدته في كل حين لكسب الصفوف الى جانبه، وبقي ناصرا قولا وفعلا حتى الساعات الاخيرة من عمره وهو يصرح بوصيته الى ابنائه واخوته تارة ولوجهاء قريش تارة اخرى.

فمن وصاياه الخاصة وصيته لولده طالب بمؤازرة ابن عمه النبي محمد ﷺ، فقال:

{من الكامل}

أبُنَـيَّ طالبُ إنَ شيخَكَ ناصِحٌ ... فيما يقولُ مُسددٌ لكَ راتقُ

فاضربْ بسيفِكَ من ارادَ مساءةً ... حتّى تكونَ لدى المنيةِ ذائقُ

هذا رجائي فيكَ بعدَ منيّتي ... لازلتُ فيكَ بكلِّ رشدٍ واثقُ

فاعضد قواه يابُنَيَّ وكُنْ له ... إنّي بجَدِّكَ لا محالةَ لاحِقُ[1]

وقال يوصي وَلَدَه واخوتَه بنصرة النبي ﷺ :

{من البسيط}

اوصي بنَصْرِ أمينِ الله مَشْهَدَهُ ... بَعْدي: عليّاً وصِنْوَا الخيرِ عَبّاسا

وحمزةَ الأَسَدَ المَخشَيَّ صَوْلَتُهُ ... وجعفراً أنْ يذودوا دونَهُ النّاسا

....

كونوا ـ فدىً لكم أُمّي وما وَلَدَتْ ـ ... من دون احمدَ عند الرَّوْعِ أتراسا[2]

---

(١) الديوان: ٣٤٠.

(٢) م.ن: ٢٤٦.

إنَّ وصية أبي طالب لاولاده طالب وعلي وجعفر واخويه حمزة والعباس (رضي الله عنهم) تعطي صورة واضحة عن ايمانه برسالة ابن أخيه، فلا شك في أن أبا طالب كان الركن الاساس لبنية الدعوة الاسلامية، ينظر بعين الرجل الخبير الفاحص بان النجاح والنصر حليف هذه الدعوة، وهو يصرح بوصيته العامة لاولاده واخوته وعشيرته واحلافه: فقال: «...أوصيكم بمحمّد خيراً، فإنه الأمين في قريش، والصديق في العرب، وهو الجامع لكل ما أوصيتكم به، وقد جاء بأمرٍ قبله الجَنَانُ وأنكره الِّلسان مخافة الشنآن، وأيم الله كأني أنظر إلى صعاليك العرب، وأهل البر في الأطراف والمستضعفين من الناس أجابوا دعوته، وصدقوا كلمتَه وعظموا أمره، فخاض بهم غَمَرات الموت فصارت رؤوساء قريش وصناديدهم أذناباً ودورها خراباً، وضعفاؤها أرباباً وإذا أعظُمهم عليه أحوجهم إليه، وأبعدهم منه أحظاهم عنده قد مَحَضَتْه العرب ودادَها، وأصْفَتْ له فؤادها، وأعطته قيادَها دونكم يا معشر قريش ابن أبيكم، كونوا له ولاةً ولحزبه حُماةً والله لا يسلك أحد منكم سبيله، إلا رَشَد ولايأخذ أحد بِهدْيِهِ إلا سعد، ولو كان لنفسي مدة ولأجلي تأخير، لكففت الهَزَاهز، ولدافعتُ عنه الدَّواهي»[1] .

في هذه الوصية أرجأ أبو طالب «تصديقه باللسان الى هذه الاونة التي يأس فيها عن الحياة حذار شنآن قومه المستتبع لانثيالهم عنه، المؤدِّي الى ضعف المُنَّة وتفكك القوة فلا يتسنى له حينئذ الذبُّ عن رسول الله ﷺ وان كان الايمان به مستقرا في الجنان من اوَّل يومه لكنه لما شعر بأزوف الاجل وفوت الغاية المذكورة

---

(١) الرّوض الأُنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام: ٢/ ٢٢٧، ظ: ثمرات الاوراق في المحاضرات: ٢/ ١٤ - ١٥ ، بحار الانوار: ٣٥/ ٩٠، الشنآن: البغض، الهزاهز: الفتن.

ابدى ما اجنته اضالعه فأوصي بالنبي ﷺ »[1].

وما برح ابو طالب يوصي قومه بابن أخيه رسول الله ﷺ، ففي اتباعه الخير والفلاح والرشاد[2] حتى توفي.

مات أبو طالب في السنة العاشرة للبعثة[3]، بعد ان كفل النبي وعضده ومنعه وقاوم رؤوس الشرك ضده، ووقف بجانبه زهاء اثنين واربعين عاما، وشَعَرَ رسول الله ﷺ بخسارة عمه، وفُقِد به نصيرا يفديه بنفسه واولاده، مدافعا عنه اذى قريش، وملجأ حصينا يلوذ به من المشركين المستبدين، فقال: «ما نالت مني قريش شيئاً اكرهه حتى مات أبو طالب»[4].

إنَّ شعور الحزن الذي غزا قلب رسول الله بوفاة عمه تفسره اواصر اسباب الخير بين رسول الله وعمه الناصر لدين الله وإلا فان رسول الله واثق من نصرة رسالته مهما تألب عليه اعداؤها.

وما تقدم يتبين: إن الصلة الحميمة بين أبي طالب وابن أخيه غذت قريحته بقول الشعر في الاسلام، وأملت عليه لوناً جديداً لم يكن معهوداً من قبله وهو شعر نصرة الدعوة الاسلامية وصاحبها.



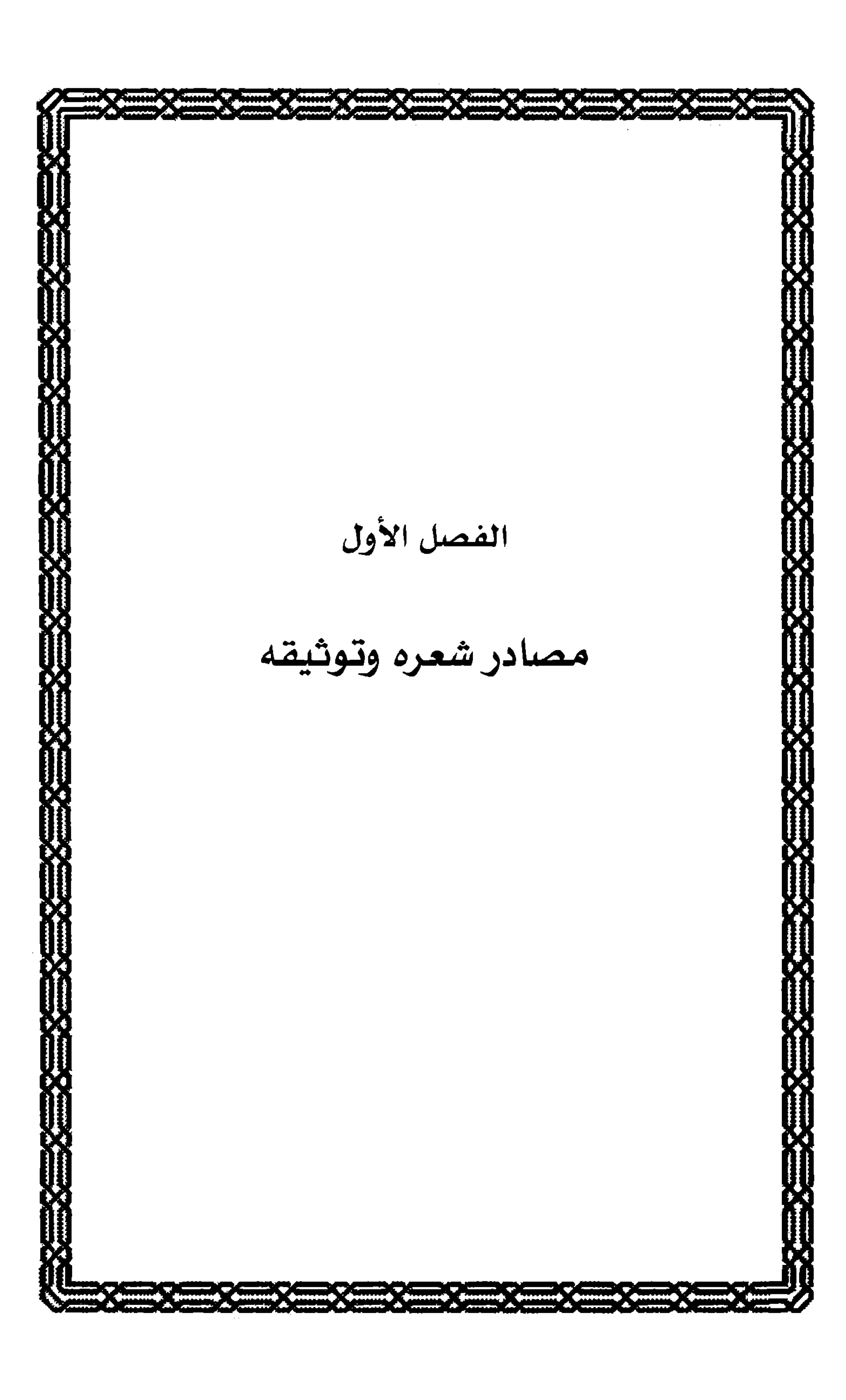
---

(١) الغدير في الكتاب والسنة والادب: ٧/ ٣٦٨.

(٢) ظ: الطبقات الكبرى: ١/ ١٢٣، الخصائص الكبرى: ١/ ٨٧.

(٣) ظ: انساب الاشراف: ١/ ٢٣٦.

(٤) السيرة النبوية لابن هشام: ٢/ ٤٦.



الفصل الأول

مصادر شعره وتوثيقه

مفتتح الفصل

النَّحْلُ والوضع في الشعر

اقترنت ظاهرة الشك بقضية الوضع والنحل، وهي من الظواهر العامة التي عرفها تراثنا الشعري في الحقب التأريخية المختلفة قبل الاسلام وبعده مع تباين في درجة وجودها تبعا لاختلاف العوامل والظروف التي أدت الى ظهورها، وهي ليست ظاهرة في الادب العربي فحسب، وانما وجدت في آداب الأمم الاخرى التي لها نتاج أدبي[1]، ان مرد شيوع هذه الظاهرة في ادبنا العربي القديم يعود الى الوضع القبلي الواضح في نحل الاشعار، والرواة الوضّاعين[2]، والرواية الشفوية، وعدم التدوين والبعد الزمني الذي قطعه هذا النتاج الضخم من التراث الادبي، واختلاف الاجيال التي تناقلته بوسائلها المتنوعة.

فظاهرة الوضع والانتحال في الشعر ظاهرة طبيعية ليس بوسع المرء ان

(١) ظ: مصادر الشعر الجاهلي: ٣٢١.

(٢) ظ: طبقات فحول الشعراء: ٤٦- ٤٩.

ينكرها، وأمرها ليس خافيا على الدارسين[1] للشعر العربي ولاسيما القديم، فقد نبّهوا عليها، ووقفوا امام الاشعار، وعقّبوا عليها بالنقد تارة، وبالتحقيق تارة اخرى، وأبدوا رأيهم في الاشعار التي ارتابوا فيها، واذا كانت هناك بعض الاشعار موضع الشك في صحتها ، ونحلها، فهي لاتقاس على الكم الكبير الاشعار السليمة، فهي لا تشكل خطرا يجعل الدارسين يعزفون عن دراستها.

وقد يتفرع من ظاهرة النحل والوضع، ظاهرة اخرى وهي الخلط والتداخل في الاشعار المتنازعة النسبة الى قائليها، لمشابهة الموضوع الذي قيلت فيه ومناسبتها، وتشابه الوزن والقافية لقصيدة، او مقطوعة لشاعرين مختلفين، ولتضمين احد الشعراء شعر غيره الى غير ذلك من هذه الامور، وهذا لايخل في صحة الاشعار واصالتها، وهي اشعار سليمة صدرت من افواه قائليها من الشعراء.

واذا كانت قضية النحل والوضع، وما يتفرع منها من خلط للاشعار وتداخلها في الشعر الجاهلي والاسلامي قد شغلت الباحثين من العرب والمستشرقين ـ الذين سنتطرق اليهم بالدراسة ـ فان شعر أبي طالب نال حظّاً من عنايتهم في إطار بحثهم هذه القضية المرتبطة بشعر سيرة رسول الله ﷺ الذي له مزية خاصة تحمل ملامح التطور والتغير والتجدد في الشعر على المستويين: الموضوع والفن، فحريٌّ بالبحث ان يناقش هذه الظاهرة من خلال دراسة مصادر شعر أبي طالب وتوثيقه.

❁ ديوان أبي طالب:

إن رواية الشعر اصل قائم بذاته، وجدت عند العرب قبل الاسلام، فكان العلماء المعنيون برواية الشعر والاخبار قبل الاسلام وممن ادرك الاسلام يأخذون

(١) ظ: مصادر الشعر الجاهلي: ٤٢٩ - ٤٧٨، عقد الدكتور ناصر الدين الأسد فصلاً بهذا الشأن.

علمهم ممن تقدمهم أو عاصرهم[1]، وتومىء الاخبار والروايات الى ان أهل بيت أبي طالب واصحاب رسول الله ﷺ كانوا يتناقلون شعر أبي طالب بعد وفاته، فكانوا يحملون شعره ويروونه استجابة للروح الجهادية لمرحلة عهد النبوة.

فقد روي في حديث الاستسقاء، بعد أن استسقى الرسول ﷺ لاهل المدينة، قال « لله درُّ أبي طالب ! ...من يُنشِد قوله؟ فقام علي: فقال: يارسول الله، لعلك أردت: «وأبيض يُستسقى الغمام بوجهه»، قال: اجل، فأنشده ابياتا من هذه القصيدة»[2]، فالامام علي بن أبي طالب عليه السلام راوٍ لشعر ابيه.

وتذاكر شعر أبي طالب أيضاً ابن أخيه عبيدة بن الحارث بن المطلب (ت٢هـ) يوم بدر، فورد في السيرة النبوية لابن هشام (ت٢١٣هـ) ما نصّه: «لما أصيب رِجلُ عبيدة قال: أما والله لو ادرك أبو طالب هذا اليوم لعلم أني احق منه بها قال حين يقول:

{من الطويل}

كذبتم وبيتِ الله يُبْزى محمدٌ ... ولمّا نُطاعن دونَهُ ونُناضِلِ

ونُسْلِمه حتّى نُصرَّع حَولَهُ ... ونَذْهَلُ عن ابنائنا والحلائلِ

وهذان البيتان في قصيدة أبي طالب»[3].

---

(١) ظ: مصادر الشعر الجاهلي: ٢٥٥.

(٢) شرح نهج البلاغة: ١٤/ ٨١، ظ: شرح شواهد المغني: ١/ ٣٩٨، بحار الانوار: ٣٥/ ١٦٨.

(٣) السيرة النبوية :٣/ ٢٤، ظ: الكامل في التاريخ: ٢/ ٨٧، شرح نهج البلاغة: ١٤/ ٨٠، الديوان: ٧٤، مع اختلاف الرواية: «... نَبْزا محمداً • ولما نُطاعِنْ دونه ونناضِلِ».

وبما ساعد على رواية شعره أنه كان يوثق السيرة النبوية اذ اورد في هذا الشعر ما واجه رسول الله ﷺ في فجر الدعوة الاسلامية حتى ساعة احتضاره، فمدحت السيدة فاطمة ابنته عليها السلام اباها بشعر أبي طالب، فقال لها رسول الله ﷺ : «يا بنية هذا قول عمك أبي طالب»[1]، وهكذا استمرت رواية شعر أبي طالب في عهد الخلافة الراشدة، فقد روي النويري (ت ٧٣٣هـ) في نهاية الارب في فنون الادب عن السيدة عائشة، قال : «لما حضرت ابا بكر الصديق رضي الله عنه الوفاةُ، قالت عائشة رضي الله عنها وهو يغمض: وأبيض يُستسقى الغمام بوجههِ.....{البيت} فنظر اليها وقال: ذاك رسول الله ﷺ»[2].

وكان «ابن عُمَر يتمثل بشعر أبي طالب»[3]، وكذلك عبد الله بن عباس بن عبد المطلب[4].

إن الشواهد التي ذكرناها تدل على ان شعر أبي طالب كان يتناقل في عهد النبي ﷺ ، وبعده شأنه شأن غيره من الشعر العربي حتى جاء عهد التدوين في نهاية القرن الاول، وبداية القرن الثاني للهجرة فجهد اصحاب السير والتاريخ في نقل شعر أبي طالب، لان حياة النبي ﷺ في سيرته كانت ملازمة لعمه أبي طالب، فجمع اصحاب السير اشعارا لا يُستهان بها، وكان ضمن هذه الرحلة العلمية رحلة علماء العربية الذين يتنقلون بين القبائل لينقلوا عنها اللغة والشعر ، ويجمعوا شعر

---

(١) الحجة على الذاهب الى تكفير أبي طالب: ٣٠٥.

(٢) نهاية الارب في فنون الادب: ٣/ ١٧٥، ١٦٧.

(٣) صحيح البخاري: ١/ ٢٣٨، فتح الآله في اختصار السنن الكبرى: م: ٢، ق:٣، ج ١/ ٥١.

(٤) ظ: الحجة على الذاهب الى تكفير أبي طالب: ٣٢١.

شعراء القبائل، ولاهمية شعر أبي طالب تصدى لجمعه وتصحيحه وشرحه اثنان من العلماء وهما : أبو هفان المهزمي البصري (ت٢٥٧هـ)، وعلي بن حمزة البصري التميمي (ت٣٥٧هـ).

وقد اورد اصحاب المظان اشارات عنهما في صحة نسبة الديوان الى صانعيّه، ومنها ما رواه ابو العباس احمد بن علي النجاشي (ت٤٥٠هـ) في رجاله عن ديوان أبي طالب صنعة أبي هفان، قال: «لعبد الله كتاب شعر أبي طالب بن عبد المطلب وأخباره»[١]، وعقب على ما ذكر من كتب أبي هفان ـ ومنها شعر أبي طالب ـ عن مؤلفها بسندين اثنين.

الأول: عن ابي احمد عبد السلام بن الحسين الاديب البصري (ت٤٠٥هـ)[٢] عن أبي عبد الله محمد بن عمران بن موسى بن سعيد المرزباني(ت٣٨٤هـ)[٣]، عن أبي احمد يحيى بن علي بن يحيى بن ابي منصور المنجِّم (ت٣٠٠هـ)[٤] عن ابيه (ت٢٧٥هـ)[٥] عن أبي هفان .

---

(١) الرجال:١٦١.

(٢) «كان عالما باللغة والأدب والقرآن، صدوقاً اديباً» بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: ٢/ ٩٥.

(٣) «كان راوية للادب، صاحب اخبار، وتواليف كثيرة، وكان ثقة في الحديث» وفيات الاعيان وأبناء أنباء الزمان: ٣/ ٤٧٦.

(٤) كان راوية للشعر والاخبار، له مصنفات عديدة ،ظ: وفيات الاعيان وأبناء أنباء الزمان: ٣/ ٢٤٤-٢٤٧.

(٥) كان شاعرا وراوية وعلّامة اخباريا ، وله مصنفات عديدة،ظ: وفيات الاعيان وابناء ابناء الزمان:٣/ ٥٦.

الثاني: عن ابي الحسن بن الجندي أحمد بن محمد بن عمران (ت٣٩٦هـ)[1] عن محمد بن القاسم بن محمد بن بشار بن الحسين الانباري النحوي اللغوي (ت٣٢٨هـ)[2] عن أبي هفان[3].

وهذان السندان الجيدان المرفوعان عن أبي هفان من علماء رواة القرنين الثالث والرابع يوثقان شعر أبي طالب تماماً.

ومما يزيد في توثيقه ما أورده البغدادي (ت١٠٩٣هـ) من أشارات ثلاث في خزانة الادب عن ديوان أبي طالب، ذكر الاولى عندما سرد الأصول والدواوين التي اعتمدها في تصنيف كتابه من دون ان يومىء الى اسم صانع الديوان، فذكر «ديوان أبي طالب عم النبي ﷺ»[4] فحسب، ويبدو ان البغدادي اعتمد في كتابه على ديوان أبي طالب ـ صنعة أبي هفان ـ نتبين هذا الامر من تعليقاته على احد قصائد أبي طالب في شرحها ، قال: «وقال أبو هفان: تُبالة عرضٌ من اعراض مكة... »[5] وقوله: «قال أبو هفان: المولى : ابن العم ... »[6].

والاشارة الثانية، خص بها صانع الديوان،فقال وهو يعلق على قصيدة

---

(١) من علماء اللغة والادب له مصنفات عديدة،ظ: الرجال: ٦٧ .

(٢) «كان من اعلم الناس بالنحو والأدب، واكثر حفظا... وكان صدوقا فاضلا دينا خيرا» بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: ١/ ٢١٤.

(٣) ظ: الرجال: ١٦١.

(٤) خزانة الادب: ١/ ٢٠.

(٥) م.ن: ١٠/ ٤٧٠.

(٦) م.ن: ١٠/ ٤٧١.

أبي طالب النونية: «واما على رواية أبي هفان عبد الله بن احمد المهزمي، فإنَّ بعده ... {البيت}»[1].

واما الاشارة الثالثة، فذكر اسم صانع الديوان حمزة نقلا عن ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، قال: «قال ابن حجر: رأيت لعلي بن حمزة البصري جزءاً جمع فيه شعر أبي طالب»[2].

وقد وصلت هاتان الروايتان الينا، وقضية نسبتها الى صانعها من الامور المسلم بها لا تحتاج الى مزيد من البحث.

❁ رواة الديوان:

سبق ان ذكرنا ان ديوان أبي طالب دوِّن بروايتين:

الاولى: حملت اسم صانعها «عبدالله بن احمد بن حرب بن مِهْزَم بن خالد»[3] المعروف بكنيته أبي هفان وهو «راوية عالم بالشعر والغريب»[4] و«من النحاة اللغويين الادباء»[5]، وهو «في جملة شعراء المحدثين وكان اخباريا راوية مصنفا»[6]، له سبعة

---

(١) م.ن: ١٠/ ٤٦٣.

(٢) خزانة الادب: ٢/ ٧٦، بلوغ الإرب في معرفة احوال العرب: ١/ ٣٢٤، ولم اعثر على هذه الاشارة في الاصابة لترجمة أبي طالب،ظ: الاصابة في تمييز الصحابة: ٤/ ١١٥- ١١٩.

(٣) الرجال: ١٦١، نزهة الالباء في طبقات الادباء: ١٤١.

(٤) سمط اللآلي: ١/ ٣٣٥.

(٥) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: ٢/ ٣١.

(٦) الفهرست: ٢٢٣، ظ: طبقات الشعراء: ٤٠٩.

مصنفات[1]، اخذ عن رواة عصره شعر أبي طالب[2]، ومنهم أبو عبيدة معمر بن المثنى(ت فيما بين سنتي ٢٠٩ـ ٢١٣هـ) وعبدالملك بن قريب الاصمعي (ت٢١٦هـ) وعمه خالد بن حرب المهزمي[3]، وأبو محلم محمد بن سعد (ت٢٤٨هـ).[4] .

اما الرواية الثانية: فحملت اسم صانعها الاديب اللغوي ابي القاسم علي بن حمزة البصري التميمي[5]، وهو من «اعيان اهل اللغة الفضلاء المتحققين العارفين بصحيحها من سقيمها»[6]، ذُكر له ثمانية مصنفات[7]، اخذ عن رواة عصره شعر أبي طالب[8]، ومنهم:

أبو رياش احمد بن ابراهيم القيسي (ت٣٤٩هـ)[9]، وأبو بشر احمد بن ابراهيم بن معلى بن اسد (ت بعد ٣٥٠هـ)[10]، وابو احمد عبد العزيز بن يحيى بن احمد بن

---

(١) ظ: الديوان: ٤٠- ٤١.

(٢) ظ: م.ن: ٣٨.

(٣) لم اعثر على سنة وفاته.

(٤) كان عالما في اللغة والادب، وكان شاعرا كثير الحفظ، له مصنفات،ظ: طبقات النحويين واللغويين: ١٩٠- ١٩١، وإنباه الرواة على أنباه النحاة: ٤/ ١٦٧ .

(٥) ظ: الفهرست: ٢٢٤.

(٦) معجم الادباء: ١٣/ ٢٠٨.

(٧) ظ: الديوان: ٤٩- ٥١ .

(٨) ظ: م.ن: ٤٧- ٤٩ .

(٩) كان اديبا لغويا راويا، واخباريا نسابة، كثير الحفظ، ظ: نشوار المحاضرة واخبار المذاكرة: ٤/ ١٢، ويتيمة الدهر في محاسن العصر: ٢/ ٣٥٢، وانباه الرواة على انباه النحاة: ١/ ٢٥.

(١٠) كان راويا اخباريا،وثقة في الحديث وحسن التصنيف ، ظ: الفهرست: ٣٣٧، الرجال: ٧٥.

عيسى الجلودي (ت ٣٣٠هـ)[1]، وابو محمد هارون بن موسى التلعكبري (ت٣٨٥هـ)[2].

❁ جمع شعره:

قام بجمع شعر أبي طالب مجموعة من المعنيين بالدراسة مما وقع بأيديهم من شعره في عدد من الكتب المخطوطة والمطبوعة ، وكان مما ظفرنا به سبع نسخ من ديوان أبي طالب، او ما شابه هذا العنوان، تحمل بين طياتها تصحيح الديوان ، او جمع وشرح الديوان، او جمع وتحقيق، لمحققين عدة، وقد وقفنا على ذكر هذه النسخ واهم من حققها وعلق عليها، وهي على النحو الاتي بحسب سنة الطبع:

١ ـ ديوان شيخ الاباطح أبي طالب ـ جمع أبي هفان عبد الله بن احمد المهزمي رواية عفيف ابن اسعد عن عثمان بن جني (ت٣٩٢ هـ)، صححه وعلق عليه العلامة السيد محمد صادق آل بحر العلوم طبع في مطبعة الحيدرية في النجف سنة ١٣٥٦هـ ـ ١٩٣٦م.

٢ ـ غاية المطالب في شرح ديوان أبي طالب عم النبي صلى الله عليه وآله لجامعه وشارحه محمد خليل الخطيب طبع في مطابع طنطا في مصر سنة ١٣٧١هـ ـ ١٩٥١م.

٣ ـ شعر أبي طالب واخباره والمستدرك عليه للاديب اللغوي أبي هفان عبدالله ابن احمد المهزمي، تحقيق قسم الدراسات الاسلامية، مؤسسة البعثة في قم ـ ايران سنة ١٤١٤هـ.

---

(١) كان اخباريا، ثقة في الحديث وحسن التصنيف، ظ: الفهرست: ٣٣٧، والرجال: ٧٥.

(٢) كان ثقة معتمدا لا يطعن في حديثه له مصنفات ، ظ: الرجال: ٣٤٣ .

٤ ـ ديوان أبي طالب عم النبي ﷺ جمعه وشرحه الدكتور محمد التونجي الصادر عن دار الكتاب العربي في بيروت عام ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م.

٥ ـ ديوان أبي طالب ـ صنعة أبي هفان، حققه الشيخ محمد حسن آل ياسين (د.ت).

٦ ـ ديوان أبي طالب بن عبد المطلب لصانعه علي بن حمزة البصري التميمي، حققه الشيخ محمد حسن آل ياسين، في بغداد لسنة ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م.

٧ ـ وقد جمع المحقق الشيخ محمد حسن آل ياسين النسختين المذكورتين في نسخة واحدة بعنوان ديوان أبي طالب بن عبد المطلب صنعة أبو هفان، وصنعة علي بن حمزة، الصادر عن دار الهلال للطباعة والنشر في بيروت لسنة ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

وهذه النسخ المذكورة جاءت بروايتين:

الأُولى: سمّى أبو هفان صدر نسخته «شعر أبي طالب عم الرسول ﷺ»، واحتوت هذه النسخة على ثلاثين نصا اقل هذه النصوص بيتان، واكثرها مائة واحد عشر بيتا، وضم الديوان اربعمائة وثلاثة وعشرين بيتا، وبيتين مكررين.

طبعت هذه الرواية بعنوان «ديوان شيخ الاباطح أبي طالب» صححه وعلق عليه السيد محمد صادق آل بحر العلوم في العراق بمطابع الحيدرية في النجف الاشرف لسنة ١٣٥٦هـ ـ ١٩٣٦م، في اربعين صفحة.

ثم أُعيد نشر رواية أبي هفان للديوان باسم «غاية المطالب في شرح ديوان أبي طالب عم النبي ﷺ» لجامعه وشارحه: محمد خليل الخطيب، في مصر لسنة ١٣٧١هـ ـ ١٩٥١م، في مائة وخمس وثمانين صفحة، احتوى الديوان على ستة

وخمسين نصا، وضم خمسمائة وثمانية وخمسين بيتا، أي بزيادة على النسخة التي نشرها السيد محمد صادق بحر العلوم بمائة وثلاثة وثلاثين بيتا، وقد اهتدى محمد خليل الخطيب، وصديقه السيد احمد صقر بدار الكتب المصرية الى قصائد لأبي طالب عم النبي لأبي هفان عن نسخة بخط ابي الفتح عثمان بن جني دوَّنها عنه محمد محمود الشنقيطي، فضلا عما عثر عليه من مظان اللغة والادب والسيّر، حتى تهيأ له الاستدراك على ما وجده في دار الكتب المصرية من شعر أبي طالب[1]، وصدَّر الديوان بالمقدمة التي ضمَّنها ترجمة عن الشاعر.

ثم صدرت هذه الرواية بعنوان «شعر أبي طالب واخباره والمستدرك عليه» لصانعه أبي هفان عن نسخة بخط ابي الفتح عثمان بن جني، حققه مجموعة من المحققين في قسم الدراسات الاسلامية في مؤسسة البعثة التابعة الى قم في ايران لسنة ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٢م، وقد اومأ المحققون[2] الى ان الطبعة نقلت عن رواية أبي هفان ونسخة ثانية بخط ابي الفتح عثمان بن جني وثالثة برواية علي بن حمزة التميمي، فضلا عن الطبعتين السابقتي الذكر، وهما: ديوان شيخ الاباطح أبي طالب، وغاية المطالب في شرح ديوان أبي طالب.

ويبدو أن المحققين قد غضوا الطرف عن مقابلة الرواية التي ذُكرت لأبي هفان مع رواية علي بن حمزة، ولم يستدرك عليها شيئا اطلاقا[3]، بخلاف ما ذكروه في

---

(١) ظ: غاية المطالب في شرح ديوان أبي طالب (المقدمة): ٣- ٤ .

(٢) ظ: شعر أبي طالب واخباره والمستدرك عليه (المقدمة): ١٨.

(٣) ظ: الديوان (آل ياسين): ٢١٠، ٢٣٩، ٢٤١، ٢٥١، في هذه الصفحات نصوص لعلي بن حمزة التميمي لم نعثر عليها في رواية ابي هفان في نسخة شعر ابي طالب وأخباره والمستدرك عليه طبعة قم.

اعتمادها في مقدمة الديوان.

فقد فحصنا الديوان صنعة علي بن حمزة، فلم نعثر على النصوص المذكورة بأرقامها (٢٧، ٤١، ٤٢، ٤٧) اما ما ورد في نصوص المستدرك فقد خُرِّجَتْ من المضان وليس من الرواية المذكورة.

وبلغ عدد ابيات الديوان خمسمائة وتسعين بيتا مع المستدرك، أي بزيادة اثنين وثلاثين بيتا عن الطبعة الثانية.

ووقف الدكتور محمد التونجي على هذه الرواية وصدَّرها بعنوان «ديوان أبي طالب عم النبي ﷺ» الصادر عن دار الكتاب العربي في بيروت لسنة ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، فكان مجموع الديوان ستمائة وبيتين اثنين مع ما استدركه من ابيات لم تذكر في رواية أبي هفان[1]، وبلغ عددها مائةوتسعة وسبعين بيتا، وبزيادة على ما استدركته مؤسسة البعثة باثني عشر بيتا.

وكان الدافع لعمل الدكتور محمد التونجي ما سوغه من قول: «رأيت ان شعره متفرق بين كتب اللغة والنحو والادب، والتاريخ، ثم عثرت على كتاب (غاية المطالب في شرح ديوان أبي طالب) للشيخ الازهري محمد خليل الخطيب، فرأيته ضمَّ جزءا كبيرا من شعره إلا أن النقص بادٍ فيه، ثم ان الروايات تختلف كما أنَّ

---

(١) ذكر التونجي في المقدمة: ٦، انه وقف على رواية علي بن حمزة، وقد فحصنا الرواية المذكورة فوجدنا نصوصا لم ترد في نسخة التونجي،ظ: الديوان (آل ياسين): ١٤٩- ١٥٠، ١٦٥، ١٨٠، ١٨١، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٥، ٢٠٥، ٢٠٩، ٢١٠، ٢٢٤، ٢٣١، ٢٤٥، قصائد ومقطوعات ويبدو انه جمع ابيات رواية ابي هفان مع مستدركه في نسخة الخطيب لأنه اعتمد عليه في تخريج جميع النصوص واستدرك على ما لم يجده في هذه النسخة من المظان.

عرض الشعر الذي اتبعه الخطيب ينقصه المنهج العلميُّ نـاهيكم عـن أنَّـه طُبـع منـذ حوالي خمسين سنة»[1].

وتكفل الدكتور محمد التونجي بذكر مقدمة بترجمة موجزة عن الشاعر، واورد الشعر المستدرك في ثنايا الديوان مع ترتيب حروف روي نسخة أبي هفان.

اما الرواية الثانية: فهي رواية عـلي بـن حمـزة التميمـي فـسمى صـدر نـسخته «ديوان جمع فيه شعر أبي طالب عـم النبـي ﷺ» احتـوت هـذه الروايـة عـلى اربعـة وخمسين نصا اقل النصوص بيت واحد واكثرها مائة وخمسة عشر بيتا، وضم الديوان خمسمائة وثلاثة وتسعين بيتا، بزيادة على ابيات رواية أبي هفان مائة وثمانية وستين بيتا.

وقد وقف الشيخ محمد حسن آل ياسين على الـروايتين المـذكورتين ونـشرهما، كل رواية مفصولة عن الاخرى بعنوان «ديوان أبي طالب بن عبد المطلب»، ثـم ضـم الروايتين الى بعضهما في كتاب واحد وبالعنوان نفسه على نحو اصل رواية أبي هفـان، واصل رواية علي بن حمزة، وصدَّر المحقق الديوان بمقدمة طويلـة تـضم ترجمـة عـن الشاعر وترجمـة عـن صـانعي الـديوان واصـفا منهجـه في «تحريـر الـنص وتـصويبه واخراجه اقرب ما يكون الى اصل مؤلفه، بعيدا عن الشروح والتعليقـات التفـصيلية التي لا تدخل في صـلب عمليـة التحقيـق، باسـتثناء شرح بعـض الكلـمات الغريبـة والمفردات الغامضة التي لم يفسرها الصانعان»[2].

وجعل المحقق لكل نص رقما خاصا به، ولكل بيت في النص مثل ذلـك ، ثـم ألحق في الديوان التخريجات لرواية علي بن حمزة مع الاشارة الى الاختلاف عن روايـة

---

(١) ديوان أبي طالب عم النبي ﷺ (المقدمة): ٥.

(٢) ديوان أبي طالب بن عبد المطلب (المقدمة): ٥٣.

أبي هفان، وبيّن الاصل والمصادر الاخرى.

وبما أن المحقق الشيخ محمد حسن آل ياسين ضم رواية أبي هفان وعدد ابياتها اربعمائة وثلاثة وعشرون بيتا الى رواية علي بن حمزة وعدد ابياتها خمسمائة وثلاثة وتسعون بيتا، فكان عدد ابيات الروايتين ألفاً وستة عشر بيتا، فاذا حذفنا الابيات المشتركة بين الروايتين وعددها مائة وستة وسبعون بيتا، فإنه يبقى من الابيات ثمانمائة واربعون بيتا، واستدرك المحقق على الروايتين مائة وواحداً وعشرين بيتا، فكان مجموع ابيات الديوان تسعمائة وواحداً وستين بيتا وهذا الجهد عمل قيم لا يستهان به موازنة مع جهود سابقيه.

ويبدو أن المحقق لم يطَّلِع على نسختي الخطيب والتونجي، فلم يشر الى هاتين النسختين[1]؛ وبذلك كله لاحظنا أن هذا الديوان تضافرت على جمعه جهود كبيرة استعان اصحابها بما توافر لديهم من مصادر.

اما ما استدركته على الديوان فواحد وستون بيتا ومشطورا[2]، يخرج منها بيتان مذكوران في القصيدة القافية في الديوان ويضاف الى العدد اربعة ابيات ما استدركت عليه مؤسسة البعثة، وخمسة ابيات في نسخة محمد التونجي لم يذكرها محمد حسن آل

---

(١) ثم شارك مجموعة من المؤلفين فأصدروا ديوان أبي طالب ضمن الموسوعة الشعرية الصادرة من بيروت لسنة ٢٠٠٤م، وضم الديوان ستمائة وثلاثة ابيات تصدر الديوان بمقدمة موجزة جدا عن الشاعر، ورتبت النصوص بحسب حروف الروي ولا تسعفنا النسخة التي بين ايدينا لمعرفة المزيد من التفاصيل حول وصف الديوان، فهي مسحوبة من القرص (الموسوعة الشعرية) تفتقد مزايا التحقيق العلمي من عدم ذكر الرواية والتخريجات والاستدراكات الى آخره.

(٢) ظ: المستدرك على الديوان «في نهاية الاطروحة».

ياسين، فيصبح شعر أبي طالب الذي ظفرنا به ألفاً وتسعة وعشرينَ بيتاً وشطراً.

ومع هذه الجهود كلها التي تضافرت في جمع شعر أبي طالب والاستدراك عليه، يبقى قسم منه ضائعا، فاذا كان العدد الاكبر يمثل شعره الديني، فلا بد من أن اشعاره في الاغراض الاخرى كثيرة، وان ما عُثر عليه من ابيات متفرقة من الكتب ما هي سوى اجزاء متفرقة من قصائد ضائعة، لا ريب في أنها كانت تامة فلم يبقَ منها إلا هذه الابيات المعدودة، وعسى ان تجود المظان التي لم تقع بين ايدينا والمظان غير المحققة بما يعثر الباحثون عليها لاعادة جمع شعر أبي طالب بصورة افضل مما سبق.

تعددت المصادر التي حملت الينا شعر أبي طالب نتيجة لتنوع موضوعاتها واتجاهاتها واهدافها، وبحسب الاتجاه العلمي الذي اختطه اصحاب هذه المصادر وهي أدبية ولغوية وتاريخية ودينية.

ذكرنا آنفا ان هناك جهودا حثيثة تضافرت لجمع شعر أبي طالب تمثلت بصنعتين : صنعة أبي هفان ، وصنعة علي بن حمزة، وقام جماعة من المعنيين بالشعر بالاستدراك على هاتين الصنعتين لديوان أبي طالب من المصادر.

ومن الطبيعي ان تحفل مصادر الادب بمادة شعر أبي طالب إلى جانب النظرة الادبية والنقدية المتفحصة التي تلقي بعض الاضواء في هذا الشعر وتساعد على توثيقه، ومنها البيان والتبيين للجاحظ (ت٢٥٥هـ) فقد اورد بيتا واحدا[1]، وفي كتابه الاخر (البرصان والعرجان والعميان والحولان) أورد ستة أبيات[2]، وجاء في

---

(١) ظ: البيان والتبيين: ٣/ ٣٠.

(٢) ظ: البرصان والعرجان والعميان والحولان: ٢٧، ٢٨.

العقد الفريد لابن عبد ربه (ت٣٢٨هـ) بيتُ واحدٌ[1]، ولا شك في أن هـذه الأبيـات القليلة هي أبيات مختارة من نصوص سواء أكانت قصيدة أو مقطوعـة وكـل مـصدر من هذه المصادر ينفرد عن الآخر بهذه الأبيات، فليس ثمـة تـشابه بينهـا ممـا يمنحهـا الجديد ضمن الشعر المجموع.

ومن كتب الادب العامة التي حفلت بكثير من اشعار أبي طالب كتاب خزانـة الادب للبغدادي فقد بلغ عدد الابيات الواردة فيه مائة وثلاثة ابيات[2]، وعلى الـرغم من أن البغدادي متأخر، أفاد ـ بها لديه من خبره وعلم ودراية واسعة ـ بـما قدمـه مـن شروح للابيات الشعرية التـي اوردهـا، ولا سـيما فـيما يتعلـق بظـاهرة توثيـق شـعر أبي طالب وانتحاله.

ومن المصادر الادبية العامة التي ترجمت عن الشعراء، كتـاب طبقـات فحـول الشعراء لابن سلام (ت٢٣١هـ) الذي قسم كتابه على شـعراء جـاهليين واسـلاميين وترجم لشعراء المدن، ومنهم أبو طالب في مكة فـاثنى عليـه ببراعـة شـعره وجودتـه ولكنه ذكر بيتا واحدا[3] من القصيدة اللامية لاستـشهاد في التنبيـه عـلى قـضية زيـادة شعره وهو يجاور الاصمعي.

ومن التراجم الادبيـة الاكثـر شـهرة كتـاب الاغـاني لابي الفـرج الاصـفهاني (ت٣٥٦هـ) فقد حوى كتابه سبعة ابيات[4] لشعر أبي طالب.

---

(١) ظ: العقد الفريد: ٣/ ٢٤٢.

(٢) ظ: خزانة الادب: ١/ ٢٢٥، ٢/ ٥٥– ٧٥، ٧٦، ٧٨، ٣/ ٢٩٦، ٤/ ٢٤٢، ٢٤٥، ٢٧٥، ٦/ ١٩٦، ٨/ ١٤٦– ١٤٧، ٩/ ١١، ٣٩٧، ١٠/ ٤٦٣، ٤٦٧.

(٣) ظ: طبقات فحول الشعراء: ١/ ٢٤٤.

(٤) ظ: الاغاني: ٨/ ١٠١ .

اما دواوين الشعر التي تضمنت شعر أبي طالب فمنها كتاب الحماسة البصرية لصدر الدين البصري (ت٦٥٩هـ) الذي أورد ستة ابيات[١].

ولا ضير من الاشارة إلى الدواوين الخاصة التي ضمت شعر أبي طالب ومنها شعر ابنه طالب فقد تمثل في شعر أبي طالب ضمن قصيدته البائية بستة ابيات[٢]، وضمن شعر حسان بن ثابت الانصاري بيتا واحدا[٣]، وسنتحدث عن هذا الامر في توثيق شعره.

وتشترك المصادر النحوية واللغوية بعنايتها بشعر أبي طالب وغالبا ما يكون الاستشهاد بنيف أو بضعة ابياتٍ ونادرا ما تزيد عليها، واقدم مصادر النحو هو الكتاب لسيبويه (ت١٨٠هـ)، وقد أورد فيه ثلاثة شواهد شعرية[٤]، وذُكِرَ في المقتضب لابي العباس المبرد (ت٢٨٥هـ) شاهدان اثنان[٥]، وفي تحصيل عين الذهب من معدن جوهر الادب في علم مجازات العرب لابي الحجاج الشنتمري (ت٤٧٦هـ) ثلاثة ابيات[٦]، وفي سمط اللآلي لابي عبيد البكري (ت٤٨٧هـ) بيت واحد[٧]،وفي الامالي الشجرية لابن الشجري (ت٥٤٢هـ) بيتان اثنان[٨]، وفي شرح

---

(١) ظ: الحماسة البصرية: ١/ ١١٨، ٢/ ٢.

(٢) ظ: مجموع شعر قريش في الجاهلية والاسلام (اطروحة): ١٥٩، ديوان أبي طالب: ١٨٣.

(٣) ظ: شرح ديوان حسان بن ثابت: ١٣٤، ديوان أبي طالب: ٣٣٢.

(٤) ظ:الكتاب: ١/ ١١١-٤٠٨، ٣/ ٢٦١.

(٥) ظ: المقتضب: ٢/ ١١٤، ١٣٢.

(٦) ظ: تحصيل عين الذهب من معدن جوهر الادب في علم مجازات العرب: ١٠٨، ٤٦٣.

(٧) ظ: سمط اللآلي: ١/ ٥٦٦.

(٨) ظ: الامالي الشجرية: ٢/ ١٠٦، ٣٧٥.

جمل الزجاجي لابن عصفور الاشبيلي (ت٦٦٩هـ) بيتان اثنان[١] ايضا، وفي شرح جمل الزجاجي لابن هشام الانصاري (ت٧٦١هـ) بيت واحد[٢]،وفي مغني اللبيب عن كتب الاعاريب للمؤلف نفسه خمسة ابيات[٣]، وفي شرح شواهد المغني للسيوطي (ت٩١١هـ) اثنا عشر بيتا[٤].

وافادت كتب اللغة والمعجمات من تفسير الالفاظ بالاستشهاد بابيات منفردة من شعر أبي طالب لأنها تابعة لمنهجها وموضوعاتها في بيان دلالة الالفاظ التي تقتضي الاستشهاد، ومنها كتاب المعاني الكبير لابن قتيبة (ت٢٧٦هـ) الذي أورد بيتا واحدا[٥]،والاشتقاق لابن دريد الأزدي (ت٣٢١هـ) أورد ثمانية ابيات[٦]، والزاهر في معاني كلمات الناس لابي بكر الانباري (ت٣٢٨هـ) أورد سبعة ابيات[٧]، والبارع في اللغة لأبي علي القالي (ت٣٥٦هـ) أورد بيتين اثنين[٨]،وديوان المعاني لابي هلال العسكري (ت٣٩٥هـ) اورد بيتا واحدا[٩] الى اخره.

ويرتبط شعر أبي طالب بسيرة ابن أخيه محمد ﷺ ارتباطا وثيقا ويعدُّ شعره

---

(١) ظ: شرح جمل الزجاجي لابن عصفور: ١/ ٥٦٠، ٢/ ١٤٩، ١٨٩، احد الابيات مكرر.

(٢) ظ:شرح جمل الزجاج لابن هشام: ١٧٦.

(٣) ظ: مغني اللبيب عن كتب الاعاريب: ١/ ١٨٠، ٢٩٧، ٣٧٥، ٢/ ٨٠٥- ٨٤٠.

(٤) ظ: شرح شواهد المغني: ١/ ٣٩٦، ٣٩٧، ٣٩٨، ٢/ ٦٨٦- ٦٨٧.

(٥) ظ: المعاني الكبير: ٢/ ٨٨٨.

(٦) ظ: الاشتقاق: ٨٨، ٩٧، ١٥٠، ١٦٦.

(٧) ظ: الزاهر في معاني كلمات الناس: ١/ ١٤٠، ٢٣٦، ٢٣٩، ٣٠٢، ٣٦٧.

(٨) ظ:م.ن:١/ ٥٤٧، ٢٥٢.

(٩) ظ: ديوان المعاني: ١/ ٣٧.

وثيقة لدعم الأحداث التاريخية، وقد احتوت هذه المصادر مادة غزيرة من شعر أبي طالب؛ لأنَّه يحمل سيرة النبي ﷺ من كفالة عمه أبي طالب له وتربيته ورعايته وحمايته وحياطته ونصرته ومؤازرته الى وفاته.

فشعر أبي طالب في سيرة النبي تمثل الحقبة التاريخية لتاريخ الاسلام منذ بزوغ فجره الى ما قبل الهجرة بقليل، واهم المصادر التاريخية التي ضمنت شعر أبي طالب السير والمغازي لابن اسحاق (ت١٥١هـ) فأورد في سيرته مائتين وثلاثة وعشرين بيتاً[١]، ونحن امام هذا الشعر في حذر، غير ان ابن هشام (ت٢١٣هـ) يبدد الحيطة والحذر، لأنه نظر الى الشعر الوارد في سيرة ابن اسحاق وفحصه وعرضه على رواة اللغة واثبته من غير أن يشكك في شعر أبي طالب الوارد في سيرة ابن اسحاق، فاورد بحسب محل الاستشهاد في السيرة النبوية بمائتين وثمانية عشر بيتاً[٢].

ومن المصادر التي عنيت بشعر السيرة النبوية، ولا سيما شعر أبي طالب، الروض الأُنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام للسُّهيلي (ت٥٨١هـ) فبذل السُّهيلي جهداً قيماً في شرح اشعار أبي طالب الواردة في السيرة من الفاظ استغلق فهمها واغمض اعرابها[٣].

وتلت سيرة ابن هشام كتب أُخرى عيال عليها ومنها السيرة النبوية لأبي الفداء

---

(١) ظ: السير والمغازي: ٣٥، ٧٦- ٧٧، ٧٨، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٠، ١٥٣، ١٥٥، ١٥٦، ١٥٧، ١٥٧- ١٥٨، ١٦٠، ١٦٣، ١٦٣- ١٦٤، ١٦٤- ١٦٥، ١٦٧، ١٦٩- ١٧٠، ٢٠٨.

(٢) ظ: السيرة النبوية لابن هشام: ١/ ٢٣٥، ٢٦٧- ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٢- ٢٨٠، ٣٣٢- ٣٣٣، ٣٥٢- ٣٥٣، ٣٧١- ٣٧٢، ٣٧٨- ٣٨٠، ٢/ ١٥، ٤، ١٩- ٢٠، ٣/ ٢٤.

(٣) الرَّوض الأُنف في تفسير سيرة ابن هشام: ٢/ ١٠- ١٦، ١٢- ٣٠، ١٣١- ١٣٢، ١٣٢- ١٣٣، ١٦٣-١٦٦.

اسماعيل بن كثير (ت٧٧٤هـ) فأورد مائة وسبعة وستين بيتا[1]، وفي البداية والنهاية في التاريخ للمؤلف نفسه ذكر مائة واربعة وخمسين بيتا[2].

ومن المصادر التاريخية كتب التراجم التي حفلت بشعر أبي طالب، فورد في أنساب الأشراف للبلاذري (ت٢٧٩هـ) اثنان وثلاثون بيتا[3]، وفي الاصابة في تمييز الصحابة للعسقلاني (ت٨٥٢هـ) أربعة ابيات[4].

وحفلت مصادر العقائد التي تبحث عن موضوعات دينية تتصل بعقيدة أبي طالب بشعر وفير، ومنها النكت الاعتقادية (في ايمان أبي طالب) للشيخ المفيد (ت٤١٣هـ) ذكر تسعة وستين بيتا[5]، وفي كتابه الفصول المختارة أورد ثلاثة وعشرين بيتا[6]، وفي كنز الفوائد للكراجكي (ت٤٤٩هـ) اورد تسعة واربعين بيتا[7]،وفي مناقب آل أبي طالب لابن شهراشوب (ت٥٨٨هـ) اورد مائة وستة عشر بيتا[8]، وفي الحجة على الذاهب الى تكفير أبي‌طالب للسيد فخارالموسوي(ت٦٣٠هـ)

---

(١) ظ: السيرة النبوية لابن كثير: ١/ ٧٠، ١٧٩، ١٩٤- ١٩٥، ٢١١، ٤٦٤- ٤٧٦، ٤٧٧، ٤٨٦- ٤٩١، ٢/ ٢٧، ٤٩- ٤٩، ٥٠، ٦٢، ٧٠- ٧١.

(٢) ظ: البداية والنهاية في التاريخ: ٣/ ٤٢، ٤٨- ٤٩، ٤٩، ٥٣- ٥٧، ٨٧، ٩٣، ٩٧- ٩٨.

(٣) ظ: انساب الاشراف: ١/ ١٠٠، ٢/ ٣١- ٣٢، ٣٢- ٣٣، ٣٣، ٣٤، ٤٠، ٤١.

(٤) ظ: الاصابة في تمييز الصحابة: ٤/ ١١٥- ١١٦.

(٥) ظ: النكت الاعتقادية (ايمان أبي طالب): ١٨- ٢٢، ٢٩- ٤١.

(٦) ظ: الفصول المختارة: ٢٨٣- ٢٨٦.

(٧) ظ: كنز الفوائد: ١/ ١٧٢، ١٧٩- ١٨٢، ٢٧١.

(٨) ظ: مناقب آل أبي طالب: ١/ ٣٤، ٣٧- ٣٨، ٥١، ٥٢، ٥٣، ٥٥، ٥٦، ٥٦- ٥٧، ٥٧-٥٨، ٥٩، ٦٠- ٦١، ٢/ ٩١- ٩٢.

أورد مائتين وثلاثة واربعين بيتا[1]، وفي شرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد (ت٦٥٦هـ) أورد مائة وثمانية وخمسين بيتا[2].

وما يبعث على الاطمئنان في هذه النصوص انها جاءت متواترة ومتشابهة، وقد اومأ ابن أبي الحديد إلى هذا الامر فقال: «فكل هذه الاشعار قد جاءت مجيء التواتر؛ لأنَّه إن لم تكن آحادها متواترة، فمجموعها يدل على امر واحد مشترك، وهو تصديق محمد ﷺ ومجموعها متواتر كما أنَّ كل واحدة من قتلات علي عليه السلام الفرسان منقولة آحادا، ومجموعها متواتر يفيدنا العلم الضَّروري بشجاعته... »[3].

ومن هذا كله فلا بد من توثيق شعر أبي طالب قبل دراسته.

❁ توثيق شعره:

في دراستنا لتوثيق شعر أبي طالب تبين لنا امران اثنان:

الأول: وجود اشارتين إلى الوضع في المظان القديمة: السيرة النبوية لابن هشام وطبقات فحول الشعراء لابن سلام وهاتان الاشارتان لا تشمل الوضع في شعر

---

(١) ظ: الحجة على الذاهب الى تكفير أبي طالب : ١٨٨ - ١٨٩، ١٩٢ - ١٩٤، ١٩٦ - ١٩٧، ١٩٨ - ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٤ - ٢٠٥، ٢١٦ - ٢١٨، ٢١٨ - ٢٢٠، ٢٢١ - ٢٢٢، ٢٢٤، ٢٢٧، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٩، ٢٥٠ - ٢٥١، ٢٥٧ - ٢٥٨، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٨١ - ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٦ - ٢٨٧، ٢٨٩ - ٢٩٣، ٢٩٨ - ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣١٥ - ٣١٩، ٣٢١، ٣٢٢ - ٣٢٣، ٣٢٦ - ٣٢٧، ٣٤٢ - ٣٤٤.

(٢) ظ: شرح نهج البلاغة : ١٤/ ٥٦، ٥٧ - ٥٨، ٦١ - ٦٢، ٦٢ - ٦٣، ٦٤، ٧١ - ٧٢، ٧٢ - ٧٥، ٧٤ - ٧٦، ٧٧ - ٧٩، ٧٨، ٧٩، ٨٠، ٧٩، ٨١.

(٣) شرح نهج البلاغة: ١٤/ ٧٨.

أبي طالب وانما خصتنا القصيدة اللامية فحسب.

ونجد في الكتب الحديثة اشارات الوضع والنحل في شعره، للمستشرقين بلاشير وكارل بروكلمان واتبعهما كاتبان من كُتَّاب العرب وهما محمد السيد كيلاني والنجار.

الامر الثاني: انتحال عدد من المقطعات والأبيات في شعر أبي طالب.

إنَّ اقدم اشارة وصلت الينا من مظان علماء القرن الثالث الهجري في الوضع الذي اصاب احدى قصائد أبي طالب ـ وليس شعره ـ أو في نسبة ابيات القصيدة، هي إشارة ابن هشام، فقد ذكر ما صح له من القصيدة اللامية، وعزف عن ذكر ما لم يصح لديه منها واردف بها يضعِّف درجة هذه الصحة في تعقيبه على القصيدة بعد ان أورد منها أربعة وتسعين بيتا، قال: «هذا ما صح لي من هذه القصيدة وبعض اهل العلم بالشعر ينكر اكثرها»[1].

فيتضح من عبارة ابن هشام انه حصر الشك والانكار في «بعض أهل العلم بالشعر» بخلاف أكثر علماء الشعر الذين لا ينكرونها، ولايشككون في صحة نسبتها إلى أبي طالب، وكلام ابن هشام هذا يقلل الشك ولايقطع به، ولم يذكر ابن هشام أسماء هؤلاء القلة من علماء الشعر الذين استرشد اراءهم في حكمه على القصيدة، واكتفى بتعميم قوله: «وبعض أهل العلم ... » وربما عزف عن ذكر أسمائهم للاختصار، أو لأنه لم يجد داعيا لهذا الامر، لأن ما يهمه ذكر ارائهم فحسب، ولو صرح بأسمائهم؛ لساعدنا على معرفة مكانتهم العلمية للوصول إلى مسوغات لارائهم التي تجد طريقها في الحكم الصائب والدقيق بهذا الشأن.

---

(١) السيرة النبوية : ١/ ٢٨٠.

ومما يضيق دائرة الشك ويحصرها، ان هؤلاء القلة من علماء الشعر لم يذكروا قائلا اخر لنص القصيدة اللامية في الوقت الذي يقتضي منهم معرفتهم بقائلها ماداموا لا يقرون صحة نسبتها، وهذا يجعل انكارهم ضيقا.

وربما ما صح عند ابن هشام صح عند غيره، وما انكره هو انكره بعض أهل العلم بالشعر، فتكون القصيدة الموجودة موثقة عنده وعند غيره وما تركه منها تركه لأنه لم يصح، ولأن بعضهم انكره لذلك كله، فمن المرجح أن تكون القصيدة طويلة جدا، ولعلها تقترب من الملحمة التي تؤرخ معارضة زعماء قريش للاسلام.

إنَّ تعليق ابن هشام بالشك في ابيات من القصيدة اللامية لا في نسبة قائلها في قوله: «وبعض أهل العلم بالشعر ينكر اكثرها» من غير ان يردف بقوله «له» مما يجعل الانكار ينسحب إلى أبيات القصيدة ولا يقتصر على نسبتها الى أبي طالب وهذا ما يومىء إلى أن هذه الابيات موضع الشك هي من صنع الواضعين، وضعت لاسباب سياسية، ولا سيما ان في القصيدة تعريضا ببعض شخصيات زعماء قريش الذين كان لابنائهم فيما بعد اثرهم السياسي في تولية دفة الحكم في العهدين: الأُموي والعباسي.

فكأن هؤلاء القلة من أهل العلم اسقطوا الأبيات الشعرية من القصيدة اللامية التي تسيء إلى مسامع السلطة الحاكمة، فحكموا عليها بالوضع فيها، وجاء من بعدهم تبعٌ قال بقولهم، لما لهذا القصيدة من وضع خاص يعرفه ابن هشام وغيره.

وقد حرص ابن هشام على ذكر رأي بعض اهل العلم للأمانة العلمية وإن كان يخالف رأيه وقد خفف من حدة الشك إلى أقل قدر ممكن، فاثبت ما اعتقد بصحته، وإن خالفهم، وهذا الامر يدل على ان الشك في أبيات من القصيدة ضعيف لا تؤيده أدلة قاطعة، على أن ابن هشام ابقى الشك بدرجة ترجيحية، ليتيح الفرصة

أمام الباحثين بأن يأتوا بأدلة غائبة عنه تمكنهم من محوه أو تثبيته. وهذا يحملنا على البحث في المصادر الاخرى التي وردت فيها القصيدة اللامية لمعرفة سندها وصحته، لنصل الى الحكم السليم.

فقد حددت القصيدة في الديوان صنعة أبي هفان المهزمي البصري بسند صحيح قال: «انشدني عمي خالد بن حرب عن عبد الله بن العباس بن الحسين بن عُبيد الله بن العباس بن علي بن أبي طالب ـ رضوان الله عليهم ـ»[1] وأورد القصيدة في مائة واحد عشر بيتا[2]، واختلفت الاراء في سبب انشائها، فمنهم من قال إنه «لما خشي أبو طالب دهماء العرب ان يركبوه مع قومه، قال قصيدته التي تعّوذ فيها بِحُرَم مكة ومكانه منها، وتودّد فيها أشراف قومه، وهو على ذلك يخبرهم وغيرهم في ذلك من شعره أنَّه غير مُسلِّم رسول الله ﷺ حتى يهلك دونه»[3] ومنهم من يقول انه قالها في الشِّعب وفي بعض أبياتها ما يؤكد ذلك[4]، وهي صحيحة والزيادة في القصيدة لاتعني الشك في بعض ابياتها، وقد عقب ابن أبي الحديد في معرض حديثه عن أشعار أبي طالب التي تدل على ايمانه فقال: «فكل هذه الاشعار قد جاءت مجيء التواتر... ما قولكم في القصيدة اللامية التي شهرتها كشهرة «قفا نبكِ» وإن جاز الشك فيها او في شيء من ابياتها جاز الشك في «قفا نبكِ» وفي بعض ابياتها»[5].

---

(١) الديوان: ٦٩.

(٢) ظ:م.ن: ٧٠- ٨٥.

(٣) السيرة النبوية لابن هشام: ١/ ٢٧٢، السيرة النبوية لابن كثير:١/ ٤٨٦،البداية والنهاية في التاريخ: ٣/ ٥٣.

(٤) ظ: خزانة الادب: ٢/ ٥٨.

(٥) شرح نهج البلاغة: ١٤/ ٧٨.

وعرف ابن كثير ما آلت اليه القصيدة من تشكيك ابن هشام فذكرها في السيرة النبوية[1]، والبداية والنهاية في التاريخ[2]، فأورد ثلاثة وثمانين بيتا، وعقب عليها بعدما ذكر نص ابن هشام قال: «قال ابن هشام: هذا ما صح لي من هذه القصيدة، وبعض اهل العلم بالشعر ينكر اكثرها قلت: هذه قصيدة عظيمة بليغة جدا لايستطيع يقولها إلا من نُسبت اليه، وهي افحلُ من المعلقات السبع! وأبلغ في تأدية المعنى منها جميعها،وقد أوردها الاموي في مغازيه مطولة بزيادات اخر والله أعلم»[3].

إنَّ في السيرة النبوية لابن هشام زيادة في أبيات القصيدة اللامية على ما أورد ابن كثير، فقد زاد ابن كثير بيتا واحدا رقم (٧٧)، وقدم واخر في ترتيب الابيات (٧٨، ٧٩، ٨٠، ٨١، ٨٢، ٨٣)[4] وهذا يعني ان ابن كثير لم يأخذ القصيدة عن ابن هشام، ولكنه نظر الى ما دوّنه ابن هشام، والى من قبله من مدوِّني السيرة ومنهم الاموي[5] مدوّن مغازي رسول الله ﷺ، فأخذ ما يتناسب من محل الاستشهاد، وهو

(١) ظ: السيرة النبوية: ١/ ٤٨٦- ٤٩١.

(٢) ظ: البداية والنهاية في التاريخ: ٣/ ٥٣- ٥٧، وقد زادت اللجنة المحققة تسعة ابيات من سيرة ابن هشام ظانة انها سقطت منه والصحيح ان ابن كثير اخذ القصيدة من مصدر اخر بدليل تعليقه الذي سنذكره في المتن.

(٣) السيرة النبوية لابن كثير: ١/ ٤٩١، البداية والنهاية في التاريخ:٣/ ٥٧.

(٤) ظ: السيرة النبوية لابن هشام:١/ ٢٧٢- ٢٨٠، السيرة النبوية لابن كثير: ١/ ٤٨٦- ٤٩١، (على ترتيب القصيدة).

(٥) الاموي: واحد من اثنين: إما ان يكون يحيى بن سعيد الاموي (ت١٩٤هـ)، وإما ان يكون ابو العباس الوليد بن مسلم(ت١٩٥هـ)، وكلاهما له كتاب في المغازي، أخذ منها البخاري(ت٢٥٦هـ) والطبري (ت٣١٠هـ) في تاريخ الامم والملوك، ظ: تدوين السيرة النبوية ودراستها (بحث): ٣٥٦.

يعقب على كلام ابن هشام على صحة القصيدة على الرغم مما ورد فيها من زيادة أنه «لايستطيع يقولها إلا من نُسبت اليه»؛ لبراعتها وبلاغتها في تأدية المعنى المقصود في الأبيات جميعها، ولهذا فضلها؛ لأنها أفحل من المعلقات السبع.

وما ذكر ابن كثير من الزيادات للقصيدة في مغازي الاموي، لا يقصد بها انه يشكك في بعض أبياتها، وانما أراد أنها وردت في روايات اخرى بعدد أكثر من الأبيات التي أوردها، وانتخب منها ما يناسب الاستشهاد.

واتفق بعض العلماء على أن عدد أبيات القصيدة اللامية بلغ مائة وعشرة ابيات، فقد أورد العيني (ت٨٥٥هـ) قوله : «قصيدة طنانة من بحر الطويل وهي مائة بيت وعشرة اولها:

{من الطويل}

خليليَّ ما أذني لأولِ عاذلٍ	بصغواء في حقٍّ ولا عندَ باطلِ

وآخرها قوله:

ولاشكَّ أن اللهَ رافعٌ امرهُ	ومعليهِ في الدنيا ويومِ التَجادلِ
كما قد أُري في اليومِ والامسِ جدُّهُ	ووالدهُ رؤياهما غير آفلِ»[1]

وذكر القسطلاني (ت٩٩٣هـ) في ارشاد الساري لشرح صحيح البخاري عن القصيدة اللامية قوله : «قصيدة جليلة بليغة من بحر الطويل وعدة ابياتها مائة بيت وعشرة أبيات قالها لما تمالأ قريش على النبي ﷺ ونفروا عنه من يريد الاسلام»[2].

---

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري: ٧/ ٣٠، الابيات في الديوان: ٧٠، ٨٥.

(٢) ارشاد الساري لشرح صحيح البخاري: ٢/ ٢٣٨، ظ: شرح المواهب اللدنية: ١/ ١٩١.

إنَّ اتفاق بعض العلماء على عدد أبيات القصيدة اللامية وخاتمتها يجعلنا مطمئنين الى ان ما ورد من عددها في الديوان صنعة أبي هفان، اما البيت الزائد فلا يشكل كبير اهمية لصحة ما مثبت من عددها فضلا عن أنَّها موثقة.

أما ماورد من ذكر أبيات القصيدة في مظان الأدب واللغة والتاريخ وغيرها بغير هذا العدد، فاصحابها غير معنيين بايرادها كاملة، فمن حقهم ان يأخذوا محل الشاهد وترك ما لا يعنيهم منها، ولذلك نجد اللغوي السُّهيلي في كتابه: الرَّوض الأُنف في تفسير السيرة النبوة لابن هشام يعلق لغويا على أبيات القصيدة اللامية التي تستدعي التعليق، ويعزف عن الأبيات التي لا تحتاج الى تعليق[1]، وعبد القادر البغدادي وهو متخصص بالأدب واللغة والنحو في كتابه خزانة الأدب ولبّ لباب لسان العرب انتخب من القصيدة اللامية أربعة وأربعين بيتا شارحا إياها وعزف عن بقية أبيات القصيدة؛ لأنَّه لا يلتمس فيها صعوبة لتوضيحها؛ والتعليق عليها[2].

اما الاشارة الثانية، فهي التي وردت لابن سلام في كتابه طبقات فحول الشعراء، وربما اطلع ابن سلام على رأي ابن هشام وهو بصري النشأة[3]، واديب اخباري نسابة[4]، وابن سلام من ائمة أهل الادب البصريين، وله علم بالشعر والاخبار[5]، فكلاهما بصري، فذكر له رأيه وعاضده ابن سلام وزاد عليه قائلا:

---

(١) ظ: الرَّوض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام: ٢/ ١٦– ٢٨.

(٢) ظ: خزانة الادب: ٢/ ٥٨– ٧٥.

(٣) ظ: السيرة النبوية لابن هشام (المقدمة): ١٧.

(٤) ظ: شذرات الذهب: ٢/ ٤٥.

(٥) ظ: إنباه الرواة على أنباه النحاة: ٣/ ١٤٣، معجم الادباء: ١٨/ ٢٠٤.

«وكان أبو طالب شاعرا جيد الكلام، ابرع ما قاله قصيدته التي مدح فيها النبيﷺ:

{من الطويل}

وابـــيضُ يُسْتَـــسْقى الغَـــمامُ بوَجهِـــهِ ربيـــعُ اليتـــامى عِـــصمةٌ للأرامـــلِ

وقد زيد فيها وطُوِّلت ورأيت في كتاب يوسف بن سعد صاحبنا منذُ اكثرَ من مئة سنة، وقد علمتُ ان قد زاد الناس فيها، ولا ادري أين منتهاها وسألني الاصمعيُّ عنها فقلت: صحيحةٌ جيِّدةٌ؛ قال: أتدري اين مُنتهاها؟ فقلت: لا! »[1].

لاحظ ابن سلام أنَّ القصيدة اللامية «قد زيد فيها وطوّلت» نظرا لما قراه من كتاب يوسف بن سعد قبل مائة سنة ثم عقب عليه انه علم «ان قد زاد الناس فيها»، فالكتاب الذي اطّلع عليه ابن سلام قبل مائة سنة، اقرب الى عهد بداية التدوين وهذا التقادم في زمن الرواية يجعلنا ـ في اقل تقدير مطمئنين إلى صحة الروايات التي دوَّنها يوسف بن سعد «وهو اقدم جدا من ابن سلام»[2] التي أخذها من أفواه الرواة،ومن اصولها الأولى، وهذه الروايات بطبيعة الحال متعددة، فيها زيادات وبعض الاحايين فيها نقصان بحسب ما تروى اليه من ابيات وبالضرورة ان ماوجده ابن سلام في الكتاب المذكور زيادة في بعض المرويّات فعلق عليها ، ولكن هذه الزيادات لم تكن دخلية على شعر أبي طالب فقال ابن سلام بزيادتها في المصدر الذي بين يديه، ولم يقل انها حملت على قصيدة أبي طالب وهي ليست له، بدليل انه لم يذكر عدد أبيات القصيدة، والسبب في هذا يسير فهو في حيرة من امره غير متيقن من

---

(١) طبقات فحول الشعراء: ١/ ٢٤٤- ٢٤٥.

(٢) م.ن: ١/ ٢٤٥ الهامش.

عددها، لذلك يصرح: «ولا أدري أين مُنتهاها».

أما قوله: «رأيت في كتاب يوسف بن سعد صاحبنا منذ اكثر من مئة سنة»، فإنا إذا استبعدنا مقصد ابن سلام ان يوسف بن سعد جمحي مثله، ففي النص شيء غامض، فليس من المعقول أن يصاحب ابن سلام رجلا ألَّف كتابا مُنذ اكثر من مائة سنة، وعمره اثنتان وتسعون سنة[1].

وابن سلام لا يشك في صحة القصيدة، وهذا ما يؤكده للأصمعي حينما سأله عن القصيدة المذكورة فاجابه: «فقلت: صحيحة جيِّدة»، وهذا يعني أن الاصمعي قد عرضها عليه، فأكد ابن سلام صحتها ثم سأله : اين منتهاها ؟ فأجابه بعدم معرفته بمنتهاها، مما يؤكد انه لم يشكك في بعض أبيات القصيدة، وانما لم يعرف اين تنتهي شأنه شأن الاصمعي.

وربما أن طول القصيدة غير المألوف في الشعر القرشي بما انماز به من قصائد قصيرة ومتوسطة الطول ومقطعات[2]، هو ما جعل العلماء يتساءلون عن منتهاها ولا سيما الاصمعي.

اما ما جاء في كتب الأدب الحديثة حول ظاهرة الوضع والنحل في شعر أبي طالب ما ردده بلاشير في كتابه تاريخ الأدب العربي، فقد ارتاب من شعر مؤسس الاسلام والناصر لدين الله والحامي لرسوله، لأن مواقفه البطولية موافقة لقطع شعرية مرتبطة بظرف الموقف نفسه فقال: «يبدو أبو طالب في كتب السيرة التي تروي حياة مؤسس الاسلام حاميا للدين الجديد، ولا يستغرب أن تكون الأخبار

---

(١) ولد ابن سلام ١٣٩هـ وتوفي سنة ٢٣١هـ.

(٢) ظ: مجموع شعر قريش، ملحق في الاطروحة (شعر قريش في الجاهلية وصدرالاسلام).

التي تصف مواقفه مفصولة من قطع شعرية مرتبطة بالظروف الموصوفة.

ان تلك القطع الشعرية ذات الاسلوب غير الموفَّق مدعاة للشك في نظر أكثر من مؤرخ شرقي، وهي في الواقع تشبه إلى حد بعيد القطع الماثلة في اقوال القصّاص، وبما أن اغلبها وارد في اخبار السيرة لابن اسحاق (المتوفى حوالي ١٥١هـ / ٧٦٨م) فهي اذن سابقة لهذا التاريخ ومندمجة بصورة طبيعية في حركة فكرية مناصرة للعلوية التي من شأنها الصعود إلى ابعد ما يمكن في الماضي بالنضالية الحتمية لعلي وأبيه في سبيل انتصار الاسلام، ولا يسعنا الاحتفاظ بهذه القطع في سبيل استحضار الشعر في مكة في اوائل القرن الاول الهجري/ السابع الميلادي»[1].

ركز بلاشير على النحل في كتب السيرة النبوية التي تروي حياة أبي طالب احد ركائز الاسلام، والحامي لدين الله، لان تاريخه مرتبط بتاريخ ابن أخيه النبي محمد ﷺ منذ كفالته ورعايته وتربيته له وهو صغير، وتنشأته وعمله بالتجارة وتزويجه، وهو مازال يافعا شابا، الى بعثته نبيا وهو كبير، فكان من البديهي ان تذكر مظان السير سيرة أبي طالب مع رسول الله ﷺ وكانت بالضرورة أن تقف على اشعاره التي ترتبط بظروفها؛ لأن الأدب ولا سيما الشعر يستعين بالتاريخ لمعرفة الظرف الذي ولد فيه النص الشعري الابداعي، وهذا الامر يضعِّف من انكار بلاشير وارتيابه حول القطع الشعرية المرهونة بظرفها الموصوف في عدم صحتها لديه، واذا لم تكن هذه القطع المشار اليها صحيحة، فبلاشير لم يذكر اسم قائليها، لأنه يعرف أنها منسوبة، فبالضرورة يعرف اصحابها، وهذا يضعِّف من انكاره وشكه فيها.

---

(١) تاريخ الادب العربي (بلاشير): ٢/ ١٣٧- ١٣٨.

ويقدم بلاشير دليلا وهِنًا اخر يضعِّف من درجة انكاره وانكار اكثر من مؤرخ شرقي كما يدعي «ان تلك القطع الشعرية ذات الاسلوب غير الموفَّق مدعاة للشك في نظر اكثر من مؤرخ شرقي».

إنَّ كلام بلاشير غير دقيق؛ لأنَّه لم يقدم أي انموذج شعري يمكن من خلاله ان نلتمس منه الاسلوب غير الموفَّق في نظر أكثر من مؤرخ شرقي، فكلامه فيه تعميم إذ لم يذكر أي اسم من أسماء أولئك المؤرخين، ليساعدنا على معرفة مكانتهم العلمية لنصدر حكما موفقا وسليما.

اما بشأن تعليقه على الأسلوب غير الموفق لهذه القطع الشعرية التي استدعت الشك، فهذه المزية تعزز من ضعف ادعائه وارتيابه حول شعر أبي طالب؛ وبما ان شعر أبي طالب يحمل خصائص شعر قريش، فقد اشار ابن سلام إلى أهم مزية لهذا الشعر الكفيلة بدحض حجة بلاشير، فقال ابن سلام:

«واشعار قريش اشعار فيها لين فتشكل بعض الاشكال»[1] على النقاد وغيرهم، وأراد ابن سلام أنَّ قريشا انمازت بسهولة الألفاظ ورقتها «وهذا آتٍ من اثر البيئة الحضرية فيها»[2].

وهذا الامر لايتعارض مع فصاحتها فمن المعلوم ان قريشا كانت تنتقي افصح الألفاظ، وأكثرها إبانة في التعبير، واوقعها معنىً في اذن السامع، واسهلها لفظا في النطق وألينها، وهذا مما انماز به شعر أبي طالب .

---

(١) طبقات فحول الشعراء: ١/ ٢٤٥.

(٢) شعر قريش في الجاهلية و صدر الاسلام (اطروحة): ١٣٣ .

وقد حاولنا أن نتفحص في مظان السير القديمة والمتأخرة[1]، فلم نعثر في حدود ماوقع بين ايدينا من مصادر على أنَّ احدا من المؤرخين قد شكك في شعر أبي طالب ما خلا بعض ابيات القصيدة اللامية التي ذكرها ابن هشام في سيرته التي تطرقنا اليها آنفا وهي قصيدة وليست قطعة شعرية، وهذا ينفي جميع ادعاءات بلاشير غير المستندة الى دليل صحيح يقوم حجته ونظريته في انكار اكثر الشعر العربي قبل الاسلام وصدره التي لا تقوم على الاستقراء الكامل لكتب السير كلها ولا سيما شعر أبي طالب الموجود فيها.

أما قول بلاشير من إن القطع الشعرية «تشبه الى حد بعيد القطع الماثلة في اقوال القصاص» فهذا لا يسوغ الشك فيها؛ لان بعض المناسبات والاحداث التاريخية قيلت فيها اشعارٌ صحيحة، ولكن بلاشير مصر على انكار القطع الشعرية

---

(١) ظ: السير والمغازي لابن اسحاق ت١٥١هـ، السيرة النبوية لابن هشام ت٢١٣هـ، تاريخ اليعقوبي لابن واضح ت٢٩٢هـ، مروج الذهب ومعادن الجواهر للمسعودي ت٣٤٦هـ، البدء والتاريخ للمطهر المقدسي ت٣٥٥هـ (منسوب)، الرُّوض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام للسُّهيلي ت٥١٨هـ، الكامل في التاريخ لعز الدين بن كثير ت٦٣٠هـ، عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير لابن سيد الناس ت٧٣٤هـ السيرة النبوية، البداية والنهاية في التاريخ لابي الفداء أبي اسماعيل بن كثير ت٧٧٤هـ امتاع الاسماع بما للنبي ﷺ من الاحوال والاموال والحفدة والمتاع للمقريزي ت٨٤٥هـ، تاريخ الخميس في احوال أنفيس نفيس للديار بكري ت٩٦٦هـ، سمط النجوم العوالي في ابناء الاوائل والتوالي لعبد الملك المكي ت١١١١هـ ،السيرة النبوية انسان العيون في سيرة الأمين المأمون للحلبي (ت١٠٤٤هـ)، والسيرة النبوية والآثار المحمدية لاحمد زيني دحلان (ت١٣٠٤هـ)، تمثيلاً لا حصراً، ولم نعثر على أي لون من الوان التشكيك في شعر أبي طالب من قبل المؤرخين في كتب السير المتقدمة والمتأخرة.

المنسوبة إلى أبي طالب في كتاب السير والمغازي لابن اسحاق فقال: «وبما ان اغلبها وارد في اخبار السيرة لابن اسحاق (المتوفى حوالي ١٥١هـ/ ٧٦٨م) فهي اذن سابقة لهذا التاريخ ومندمجة بصورة طبيعية في حركة فكرية مناصرة للعلوية التي من شأنها الصعود إلى ابعد ما يمكن في الماضي بالنضالية الحتمية لعلي وابيه في سبيل انتصار الاسلام»، إنَّ كلام بلاشير تنقصه الدقة، صحيح ان ابن اسحاق اورد في سيرته شعر أبي طالب مقترنا بمناسبته ولكنه في الوقت نفسه كان ابن اسحاق يعنى بالاسانيد ويلزم نفسه بذكرها، ومما يجعلنا مطمئنين لما ورد من شعر أبي طالب في السيرة أن ابن هشام عقب على ابن اسحاق في سيرته بالتحرير والاختصار والنقد، فحذف «من الشعر ما لم يثبت لديه، ثم استقصى وزاد بما يملك من علم، ويسترشد من فكرة فجاءت السيرة على ما ترى معروفة به، منسوبة إليه حتى ليكاد الناس ينسون معه مؤلفها الاول: ابن اسحاق»[1]، ولم يرد عن ابن هشام أنه شكك في القطع الشعرية وهو يستشهد بها لأبي طالب، فقد رواها ابن هشام بالاسانيد نفسها التي ذكرها ابن اسحاق، وهذا ما يضعِّف انكار بلاشير من ارتيابه باسانيد السير والمغازي لابن اسحاق على الرغم من ان ضعف الحديث سندا لا يخوله ضعفه متنا، فقد يرد مرويا باسانيد أُخر صحيحة.

وما يومىء اليه بلاشير بان هذه الاشعار موضوعها في غورها التاريخي من

(١) السيرة النبوية لابن هشام (المقدمة): ١/ ١٢، ويحتمل ان بلاشير نظر في قول ابن سلام: «وكان ممّن أفسد الشعر وهَجَّنهُ وحمل على غثاء منه محمد بن اسحاق...» طبقات فحول الشعراء: ١/ ٧، متوهما، فابن سلام قصد ان ابن اسحاق اورد اشعارا لرجال ونساء لم يقولوا شعرا، ونسب شعرا لاقوام من عاد وثمود، ولم يقصد انه حمل على شعر أبي طالب ظ: م.ن: ١/ ٨.

قبل اشياع العلويين؛ لبيان العمق التاريخي النضالي للامام علي وأبيه عليهما السلام فالشيعة لايحتاجون ان يؤكدوا الاثر البطولي والنضالي لعلي وأبيه في سبيل انتصار الاسلام امام العرب؛ لأنَّ تاريخهما معروف لجميع المسلمين، وربما التجأ بلاشير الى هذا التعليل ليسوغ ما ذهب اليه من نظرية عدم صحة أكثر الشعر العربي في مرحلتي قبل الاسلام وصدره مستندا إلى أدلة عقلية وليست نقلية.

وكارل بروكلمان من المستشرقين الذين شككوا في أن بعض شعر أبي طالب عم النبي صلى الله عليه وآله منحول؛ لأنَّه يدور حول ما وقع بين النبي وقريش من احداث، وان مؤرخي السير زينوا سيرة الرسول بشعره لدعم سرد الاحداث، وهو تشكيك لايقوم على علم ويقين صحيحين، فقال: «ولعل بعض هذا الديوان صحيح لتناسب صداه مع حقيقة مواقف أبي طالب، ولكن اكثره منحول، لان الدواعي توافرت عند المحدثين لتزين سيرة النبي في اوائل عهد النبوة أيضاً بكثير من الأشعار بعد ان كثرت الأشعار في سيرته بالمدينة، كما أن شيعة علي أرادوا أن يشيدوا بمعاونة ابيه للنبي، ليضعوه بذلك في مكان بارز، ولابد ان هذا الشعر وضع من قديم، لانه لم يزل يذكر بني هاشم امة واحدة ، لم تفترق بعد الى علويين وعباسيين، ومن ثم ظننت صحة هذا الشعر، فقد روى ابن اسحاق اكثره في سيرة النبي»[1]، كرر كارل بروكلمان ما ردده بلاشير في حديثه عن السيرة النبوية وركز على امرين: الاول الانتحال في بعض اشعار الديوان، والثاني الوضع فيما ذكرته السيرة.

فذكر في النص أن «بعض هذا الديوان صحيح»، فهو يستبعد نسبة الديوان كله معللا ذلك «لتناسب صداه مع حقيقة مواقف أبي طالب» المشرفة في الاسلام

(١) تاريخ الادب العربي (بروكلمان) : ١/ ١٧٥.

وصاحب الرسالة، ولكنه يستدرك ان اكثر شعر أبي طالب منحول، وهو لم يومئ الى الشعر الذي حمله على التشكيك بنسبته إلى أبي طالب، ولم يذكر مثالا واحدا ليدل بذلك على ما قرره في قوله «ولابد أن هذا الشعر وضع من قديم» لكننا نجده منساقا وراء دواعي النحل إلى ثلاثة عوامل: الاول، ذوقي وهو وضع اشعار على لسان أبي طالب لتزيين اخبار النبي في السيرة، يريد أنَّ الشعر يزيد استماع العربي لما يروى من قصة او خبر.

ولا يخفى ان السيرة النبوية ليست حكاية أو قصة أو أسطورة تزين بالشعر ؛ لكي يحلو الاستماع اليها والتلذذ باحداثها؛ لأنَّها تتحدث عن مواقف معارضة المشركين لرسول الله ﷺ واضطهادهم له في اوائل البعثة.

اما العامل الثاني، فهو العامل السياسي، فقد اومأ اليه ابن سلام[1]، وربما اطلع عليه بروكلمان واستند اليه، ففسر وجود الوضع والانتحال في شعر أبي طالب إلى هذا العامل الذي يلحظ أثره في السيرة النبوية ولا سيما في شعر أهل مكة الذي كان له أثر كبير في الدعوة الاسلامية في الحقبة الزمنية للبعثة النبوية أي «في اوائل عهد النبوة» وفيه حملت قريش لواء العداء ضد الدعوة وصاحبها ومن معه من المسلمين وعلى مستويين: الحرب والشعر، وبعد فتح مكة واسلام أهلها بقي أثر الشعر ضئيلا في رسول الله قياسا لشعراء اهل المدينة «بعد ان كثرت الاشعار في سيرته في المدينة» ثم توالت الازمان، فرفع العباسيون شعار العداء للعلويين، فناهض شعراء الشيعة السلطة الحاكمة فاشادوا بمعاونة أبي طالب ابي الامام علي «ليضعوه في مكان بارز» وهذا ما قصده بروكلمان .

---

(١) ظ: طبقات فحول الشعراء: ١/ ٤٦.

وكلامه هذا يصح لو كان الامام علي عليه السلام وابوه من قبيلة لم يكن لها مشاهد مؤثرة في نصرة رسول الله ، فالامام لا يحتاج لان توضع لأبيه أشعار في أوائل عهد النبوة؛ لتعرف مكانته بين العرب فأبو طالب الداعي للاسلام والكفيل والمؤيد والناصر والمؤازر والحامي لرسول الله صلى الله عليه وآله واحد مؤسسي دعائم الدين الاسلامي، فقد اعز الله رسوله بعمه أبي طالب عميد الهاشميين والمطلبيين ورئيس مكة وحاكمها، وشرف نسبه ينبلج من النسب النبوي ، ومواقفه في زمن البعثة وغيرها كفيلة في تخليده بالذاكرة على مر الاجيال، فلا يحتاج من شيعة الامام أن يضعوه في مكان بارز كما زعم بروكلمان.

اما العامل الثالث، فهو الرواية فقد تراجع بروكلمان عن كلامه في نحل الشعر لأبي طالب وما اسند إليه من وضع بقوله: «ومن ثم ظننت صحة هذا الشعر فقد روى ابن اسحاق اكثره من السيرة» وهذا هو الاهم عند بروكلمان ظنه بصحة الشعر؛ لأنَّه روي بسيرة ابن اسحاق.

ويحسن بنا الايماء الى أن ابن اسحاق اعلم الناس في السيرة على الرغم مما قال فيه ابن سلام[1] ، بعدم درايته في الشعر وكان ذلك فيما يخص الشعر الذي ينسب الى قومي عاد وثمود البائدتين، والاقوام غير عربية، ثم جاء ابن هشام بعده، ففحص الاشعار ونقحها فما صح عنده اثبته، وما لم يصح عنده وشك فيه اشار الى عدم صحته، أو اهمله[2] .

---

(١) طبقات فحول الشعراء: ١/ ٨.

(٢) ظ: السيرة النبوية : ١/ ٦٦ ، ١٦٦ ، ٣٧٢ ، ٢/ ١٦٨، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٦، ٢١٢، ٢٨٢، ٢٨٣، التعليقات الاتية: (قال ابن هشام: هذا ما صح له مما روى ابن اسحاق منها)،(وهذا ما صح له منها) =

وفي قراءة فاحصة لكلا الكتابين: السير والمغازي لابن اسحاق[1]، والسيرة النبوية لابن هشام[2]، لما ورد من شعر أبي طالب تبين أن ابن هشام لم يحذف شيئا مما ذكره ابن اسحاق في كتابه ما خلا ابيات من القصيدة اللامية وعلق على هذا الامر جمهور مؤرخي السير كما ذكرنا آنفا، وهذا كفيل بصحة ما ورد من شعر أبي طالب في سيرة النبي ورد لما ذكره بروكلمان في هذا الصدد.

وممن جارى آراء الكتاب المستشرقين الغربيين بعض كُتَّاب العرب في الادعاء بالوضع والنحل لقصائد أبي طالب، وهما محمد سيد كيلاني و النجار، اما الأول: أخذ في كتابه اثر التشيع في الادب العربي يطلق كلاما عاما غير موثق من أنَّ ادباء الشيعة «وضعوا كثيرا من القصائد ونسبوها إلى أبي طالب ليثبتوا بذلك اسلامه، وحسن بلائه في الدين ودفاعه عن النبي وحمايته له، وجهاده في سبيل الاسلام، فمما ينسب اليه قوله :

= (وبقى منها بيت تركناه) ،و(البيت الثاني عن غير ابن اسحاق) و(تركنا منها بيتا واحدا)، (واكثر اهل العلم ينكرها لسعد)،(واكثر اهل العلم بالشعر ينكر هذا الشعر لابي جهل)، (وبعض اهل العلم بالشعر ينكر هذا لمكرز) ، (وهذه الرواية لهذا الشعر مختلطة ليست بصحيحة البناء)، (وهذا اصح اشعار اهل بدر)، (وبعض اهل العلم ينكرها لهند)، (واكثر اهل العلم بالشعر ينكرها لهند) تمثيلاً لا حصراً.

(1) ظ: السير والمغازي: ٣٥، ٧٦- ٧٧، ٧٧، ٧٨، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٠، ١٥٣، ١٥٥، ١٥٦، ١٥٧، ٥٧- ١٥٨، ١٦٠، ١٦٣، ١٦٣- ١٦٤، ١٦٤- ١٦٥، ١٦٧، ١٦٩- ١٧٠، ٢١١، ٢١١- ٢٢٢.

(2) ظ: السيرة النبوية : ١/ ٢٣٥، ٢٦٧- ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٢- ٢٨٠، ٣٣٢- ٣٣٣، ٣٥٢- ٣٥٣، ٧٨- ٣٨٠، ٢/ ٤، ١٥، ١٩- ٢٠، ٣/ ٢٤.

{من الطويل}

ولمـــا رأيـــتُ القـــومَ لا ودَّ فـــيهم وقـــد قطّعـــوا كـــلَّ العُـــرى والوســـائلِ

وقـــد صـــارَحونا بالعـــداوةِ والأذى وقـــد طـــاوعوا أمـــرَ العـــدوِّ المُزايـــلِ»[1]

ذكر الكيلاني كلاما عائما مشابها فيه لآراء المستشرقين في تعليل الوضع والنحل الذي اصاب شعر أبي طالب من وضع اشياع العلويين لكثير من القصائد ونسبوها الى أبي طالب، فلم يذكر الكيلاني القصائد المزيفة الكثير التي حُمِلت على شعر أبي طالب - ما خلا بيتين اثنين من القصيدة اللامية ـ ولم يبين اثر الوضع في هذه القصائد الكثيرة التي ادعاها، واي منها منسوب إلى أبي طالب؛ ليتسنى فحصها وتحقيقها، لنقف على الصحيح منها.

ومما يبطل إنكار الكيلاني قصائد أبي طالب التي ادعى الزيف فيها ويضعف صحة كلامه تعليله لظاهرتي: الوضع والنحل في شعر أبي طالب وهو ان اشياع العلويين ارادوا ان يثبتوا «بذلك اسلامه، وحسن بلائه في الدين ودفاعه عن النبي وحمايته له، وجهاده في سبيل الاسلام، فمما ينسب اليه... » البيتان.

إن تعليل الكيلاني لما يتسم به أبو طالب من روح نضالية مجاهدة ومتفانية في سبيل تثبيت دعائم الاسلام في شعره من دواعي نسبته إليه؛ لأن شعره يتسم بهذه الروحية السامية وما تضمنته القصيدة اللامية يقوي صحة القصيدة وان كلا البيتين المذكورين آنفا في ديوان أبي طالب صنعة أبي هفان وعلي بن حمزة، وقد وردت القصيدة فيها بسند صحيح وسليم[2] .

(١) اثر التشيع في الادب العربي: ٦٩.

(٢) ظ: الديوان: ٦٩- ٧٠، ١٩٠- ١٩٨، ٢٩٢- ٣٠٤.

وواضح أن الكيلاني لم يطلع على ديوان أبي طالب مخطوطا أو منشورا وكتابه سابق في التأليف قبل نشر الديوان؛ مما اسقط حجة انكاره لشعر أبي طالب.

اما الثاني: ما ذهب اليه الاستاذ النجار وهماً في هامش كتاب الكامل في التاريخ إلى أنَّ القصيدة البائية المرفوعة منحولة، وانما له بائية مجرورة معقبا على ما ورد في متن الكتاب الذي أورد ابياتا منها في امر الصحيفة الجائرة وأكل الأرضة لها لما فيها من ظلم وقطيعة رحم، فقال أبو طالب قصيدته البائية ومنها هذه الابيات الثلاثة :

{من الطويل}

وقد كان في امرِ الصحيفةِ عِبرةٌ   متى ما يخبّر عائبُ القومِ يُعجَبُ

محا اللهُ منهم كفرهم وعقوقَهم   وما نقموا من ناطقِ الحقِّ مُعربُ

فاصبحَ ما قالوا من الامرِ باطلاً   ومن يختلق ما ليس بالحقِّ يكذبُ[1]

قال النجار: «ارى اثر الصنعة ظاهرا في هذه الابيات ونحن تحرينا كتب السير والتواريخ ومجموعة قصائد أبي طالب التي شرحها علي فهمي مفتي بلاد الهرسك فلم نجد له بائية مرفوعة، وانما له بائية مجرورة وأولها :

{من الطويل}

ألا ابلغا عني على ذات بيننا   لؤياً وخصا من لؤى بني كعبِ

ألم تعلموا أنا وجدنا محمداً   نبياً كموسى خُطَّ في اولِ الكُتُبِ

بل المعروف أن أبا طالب قال في امر الصحيفة قصيدته الدالية وهي كما رواه

---

(١) الكامل في التاريخ: ٢/ ٦٢،ظ: الديوان: ٩٥- ٩٦،٢٢٩.

ابن هشام وغيره.... {الابيات} »[1].

نبه النجار على الأبيات الشعرية المذكورة في متن كتاب الكامل في التاريخ لابن الاثير (ت٦٣٠هـ) انها مصنوعة وان أثر الصنعة ظاهر فيها، ولكنه لم يبين هذا الاثر، ومن ثمَّ انه تحرى كتب السير والتواريخ ومجموعة قصائد أبي طالب فلم يعثر عليها.

إن كتب السير والتاريخ غير معنية باشعار أبي طالب وغيره؛ لأنها متخصصة لغرض معين وإن كانت مادة الأدب تفيد من التاريخ في معرفة مناسبة النص، ولاسيما ان كتب التاريخ لا تعبأ بالشعر إلا قليلا؛ لأنّها تعني بالاحداث التاريخية، ويبدو أن النجار لم يستقرِ مصادر شعر أبي طالب؛ فقد تحرينا عن القصيدة البائية، فعثرنا عليها كاملة ومجتزأة في مظان السير والعقائد والأدب؛ ومنها : السير والمغازي لابن اسحاق[2]، والنكت الاعتقادية للشيخ المفيد[3]، ومناقب آل أبي طالب لابن شهر اشوب[4]، والحجة على الذاهب الى تكفير أبي طالب[5].

والمتأخرة: بحار الانوار للمجلسي (ت١١١١هـ)[6]،والغدير في الكتاب والسنة والأدب للأميني (ت١٣٩٠هـ)[7]، والقصيدة مبثوثة في ديوان أبي طالب

---

(١) الكامل في التاريخ: ٢/ ٦٢ ، الهامش، ظ: الديوان: ٢١١- ٢١٣، البائية الثانية المجرورة.

(٢) ظ: السير والمغازي: ١٦٤.

(٣) ظ: النكت الاعتقادية (ايمان أبي طالب): ٣٣- ٣٤.

(٤) ظ: مناقب آل أبي طالب: ١/ ٥٨.

(٥) ظ: الحجة على الذاهب الى تكفير أبي طالب: ٢٠٤.

(٦) ظ: بحار الانوار: ٣٥/ ٩٥.

(٧) ظ: الغدير في الكتاب والسنة والادب: ٧/ ٣٦٧.

صنعة أبي هفان[1]، وصنعة علي بن حمزة[2]، ويبدو أنَّ علي فهمي الذي جمع شرح اشعار أبي طالب لم يطلع على هاتين الصنعتين، ولا الاستاذ النجار مما دعا الاخير إلى التشكيك في نسبة القصيدة إلى أبي طالب .

ورأي النجار يفتقر الى الدقة فالقصيدة البائية التي علق عليها بائيتها مجرورة وليس مرفوعة ، وتوجد قصيدة اخرى أشار اليها بائيتها مجرورة ايضا، فالمدة التي بقي فيها أبو طالب في الشِّعب ثلاث سنين وهي مدة كافية لان يصدر منه اكثر من نتاج شعري ابداعي في مخاض معاناة الحصار في الشعب ومن هذا النتاج القصيدتان البائيتان المكسورتان وغيرهما[3] .

اما ظاهرة الاضطراب في رواية الشعر ونسبته إلى قائله فـ«مشكلة صعبة المسالك يمكن ان تصادف الباحث في كل دراسة يتجه بها الى ادبنا القديم، ولاسيما أدب الجاهلية وصدر الاسلام، ذلك لأن تشابه الأسماء أحيانا يميل بالرواية إلى الوهم والاضطراب بين هذا وذاك، وأسرة الشاعر أيضاً ربما أوقَعَت في الوهم إن كان فيها من يقرض الشعر، وكذلك شهرة الشاعر بلَونٍ مُعيَّنٍ من الشعر يمكن ان يوقع في الوهم والاضطراب مع من اشتهر بهذا اللون أيضا... وكذلك نجد اضطرابا في نسبة الاشعار إلى اصحابها لا لشيء إلا بسبب الوهم أو عدم التَّثَبُّت من الرواة، وهذا كثير جدا في ادبنا القديم»[4]، فضلا عن تشابه النصوص الشعرية التي تكون على وزن وقافية واحدة.

---

(١) ظ: الديوان: ٩٥- ٩٦.

(٢) ظ:م.ن: ٢٢٩- ٢٣٠.

(٣) ظ: م.ن: ٢٢٠، ٢٢٧- ٢٢٨، ٢٣٤- ٢٣٧. بحسب مناسبتها.

(٤) العجاج عبد الله بن رؤبة ، حياته ورجزه: ١٥٦ .

ويمكن أن نُصَنِّف المقطوعات والأبيات الشعرية المتدافع عليها في شعر أبي طالب بحسب اهميتها الى انواع وهي كما يأتي:

النوع الاول: عدم تثبُّت الرواة من نسبة شعره الذي يرجع الى سبب الوهم، ومنه: البيتان اللذان هما لأبي طالب ونسبا وهماً الى غيره، ما نسبه السُّهيلي من شعر لأبي سفيان في رثاء مسافر بن ابي عمرو فقال: «وذكر شعر مسافر بن ابي عمرو بن أُمية ....وهو الذي يقول فيه أبو سفيان:

{من الخفيف}

ليتَ شعري مُسافرَ بن ابي عمـ ... رو وليت يقولُها المحزونُ

بوركَ الميتُ الغريبُ كما بو ... ركَ نضحُ الرمان والزينونُ

في شعر يرثيه به»[1].

وقد علق البغدادي على هذين البيتين «والبيتان المذكوران أولا من تسعة أبيات لأبي طالب عم النبي ﷺ رثى بها مسافرا المذكور وبعدهما... {الابيات} ونسب السُّهيلي هذا الشعر لابي سفيان»[2].

إنَّ نسبة البيتين المذكورين في القصيدة النونية لأبي سفيان وهم وقع فيه السّهيلي للأسباب الآتية: انَّه انفرد بهذا القول، والقصيدة مثبتة في ديوان أبي طالب صنعة أبي هفان، وعلي بن حمزة، وموثقة في اربعة وعشرين مصدرا[3] في نسبتها إلى

---

(١) الرُّوض الأُنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام: ١/ ٢٦٩.

(٢) خزانة الادب: ١٠/ ٤٦٦- ٤٦٨.

(٣) ظ:الديوان: ١٠٤- ١٠٥، ٢٦٣- ٢٦٤، ٣٢٥- ٣٢٦.

أبي طالب، ثم أن رواية السُّهيلي متأخرة عن صناعة شعر أبي طالب، زد عمّا يروى أن أبا طالب كان نديما لمسافر بن أبي عمرو بن امية بن عبد شمس[1]، وكان مسافر قد دخلته علة، فخرج ليتداوى في الحيرة فمات، فرثاه أبو طالب بقصيدته النونية[2]، وهذا كله مما يدحض نسبتها إلى ابي سفيان بن حرب، ويقوي نسبتها الى أبي طالب.

ومما ينسب لغير أبي طالب وَهماً بسبب عدم التثبُّت من نسبته قوله :

{من الوافر}

محمدُ تَفْدِ نفسَكَ كلُّ نفسٍ إذا ما خِفْتَ من شيءٍ تَبالا[3]

وهو من الشواهد التي استشهد بها النحاة في باب الحذف، ومنه حذف لام الامر للضرورة الشعرية، والبيت متنازع النسبة بين أبي طالب والاعشى وحسان بن ثابت عند البغدادي في خزانة الادب فقال «... والبيت لا يعرف قائله ونسبه الشارح... لحسان وليس موجودا في ديوانه وقال ابن هشام (في شرح الشذور): قائله أبو طالب عم النبي ﷺ، وقال بعض فضلاء العجم (في شرح ابيات المفصل): هو للاعشى»[4].

ولم تسعفنا كتب اللغة التي استشهدت بالبيت في معرفة أي من الشعراء الثلاثة ينسب البيت؛ لأنّها لم تنسبه إلى أحد ما خلا الكتابين المذكورين في النص[5]،

---

(١) ظ: المحبر: ١٧٤ - ١٧٥.

(٢) ظ: خزانة الادب: ١٠/ ٤٦٨.

(٣) الديوان (التونجي): ٦١، التبال: الهلاك.

(٤) خزانة الادب: ٩/ ١٤.

(٥) ظ: ضرائر الشعر: ١١٧، الهامش ذكر المحقق كتب اللغة التي ذكرت البيت بنسبة وبلا نسبة.

ولم نعثر عليهما في ديواني : حسان بن ثابت والاعشى[1]، بيد أنَّ البيت ورد ذكره في غاية المطالب في شرح ديوان أبي طالب الذي استدركه محمد خليل الخطيب جامع الديوان وشارحه[2]، وفي ديوان أبي طالب عم النبي ﷺ الذي استدركه محمد التونجي جامع الديوان وشارحه أيضا[3]، والبيت ليس مما يدل على أنَّ صاحبيه: الأعشى أو حسان، فمعناه يتردد كثيرا ضمن اسلوب أبي طالب الشعري في فداء النبي بنفسه وأولاده وأخوته وعشيرته والذود عنه حتى الفناء[4]، وبهذا كله نرجح نسبة البيت إلى أبي طالب.

ويلحظ عدم التثبُّت من رواية النص وهماً وذلك بسبب تشكيك الرواة بدلالته وهو ما جاء في كتاب الدرجات الرفيعة من تشكيك للعلماء في البيت الخامس من المقطوعة الشعرية التي قالها أبو طالب في نصرة النبي محمد ﷺ :

{من الكامل}

والله لــن يَــصلوا اليــكَ بِجَمْعِهِــم	حتّــى أُوَسَّــدَ في الــتُّرابِ دفينــا
امــضِ لامــرِك مــا عليــكَ غــضاضةٌ	ابــشرْ وقُــرَّ بــذاكَ منــكَ عيونــا
ودعــوتني وزعمــتَ أنــكَ ناصــحٌ	فلقــدَ صــدقتَ وكُنــتَ قبــلُ امينــا

(١) ظ: ديوان الأعشى، وشرح ديوان حسان بن ثابت الانصاري، لم نعثر على البيت.

(٢) ظ: غاية المطالب في شرح ديوان أبي طالب: ١٧٧.

(٣) ظ: الديوان (التونجي): ٦١.

(٤) ظ : الديوان: ١٥٩، ١٦٠، ١٧٠، ١٧١ – ١٧٢، ١٧٤، ١٧٧، ١٧٨، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٩، ١٩٣، ١٩٨، ٢٠٦، ٢٠٨، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٧، ٢١٩، ٢٢٠ – ٢٢١، ٢٢٤، ٢٢٩–٢٣٠، ٢٣١، ٢٤٣ – ٢٤٤، ٢٤٦، ٢٥٥، ٢٥٨.

وعرضتَ ديناً قد علِمتُ بأنه ... من خيرِ أديانِ البريةِ دينا

لولا المَلامةُ او أُحاذر سُبَّةً ... لوجدتَني سمحاً بذاكَ مُبينا[1]

فقال صدر الدين الشيرازي(ت١١٢٠هـ): «قال بعض علمائنا اتفق على نقل الابيات الأربعة قبل البيت الخامس مقاتل والثعالبي وابن عباس والقاسم وابن دينار وزاد أهل الزيغ والضلال البيت الخامس ظلما وزوراً اذ لم يكن في جملة ابياته مسطورا ولم ينتبهوا للتناقض الذي فيه ومنافاته باقي الابيات»[2]، واتبع هؤلاء العلماء أحمد زيني دحلان (ت١٣٠٤هـ)[3] ونجم الدين العسكري (ت١٣٩٥هـ)[4] وعبد الله الخنيزي[5].

إن خشية هؤلاء العلماء من أن يكون البيت الخامس ضمن أبيات المقطوعة، وانكارهم له، يعود إلى أنَّهم يبحثون عن قضية عقائدية، فالمقطوعة المذكورة تأصل اسلام أبي طالب وايمانه الصحيح، والبيت الخامس ينفي اسلامه وايمانه متوهمين ذلك وهذا ما اكده الشيخ المفيد[6] السابق لهم لدحض الارتياب في صحة نسبة البيت إلى أبي طالب، والمجلسي[7]، وصدر الدين الشيرازي[1]، والاميني[2]، فالبيت الخامس

(١) الديوان: ١٨٩، أوردت البيت ضمن المقطوعة لما أثير حوله من نقاش يوجب ذكر المقطوعة.

(٢) الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة: ٤٤.

(٣) ظ: اسنى المطالب في نجاة أبي طالب: ٤٧.

(٤) ظ: أبو طالب حامي رسول الله ﷺ وناصره: ٤٩.

(٥) ظ: ابو طالب مؤمن قريش: ١٥٣.

(٦) ظ: الفصول المختارة من العيون والمحاسن: ٢٨٥-٢٨٦.

(٧) ظ: بحار الانوار: ٣٥/ ١٧٦-١٧٧.

الذي قاله أبو طالب حين اجمع على نصرة ابن أخيه ومؤازرته والذود عنه عندما اظهر مشركي قريش عداوتهم له من ضمن أبيات النص المذكور آنفا للأدلة الآتية:

أولا: دليل نقلي ونستدل به على حجتين:

أ ـ إنَّ البيت يتناسب و مناسبة النص، فقد ذكر صاحب السير والمغازي، مجيء رجال قريش إلى أبي طالب، فتحدثوا معه «وقالوا: ما نحن يا اباطالب، وان كنت فينا ذا منزلة بسنك وشرفك وموضعك، بتاركي ابن أخيك على هذا حتى نهلكه أو يكف عنا ما قد اظهر بيننا من شتم آلهتنا، وسب ابائنا، وعيب ديننا، فإن شئت فاجمع لحربنا، وإن شئت فدع، فقد اعذرنا إليك، وطلبنا التخلص من حربك وعداوتك فكل ما نظن ان ذلك مخلصا، فانظر في امرك، ثم اقض الينا قضاك...فقال ابوطالب: والله ما كذَّبنا ابن أخي فارجعوا ...ثم قال أبو طالب من شعر قاله حين اجمع لذلك من نصرة رسول الله ﷺ، والدفاع عنه على ما كان من عداوة قومه وفراقهم له»[٣]: الابيات المذكورة .

ويظهر الحوار الذي دار بين مشركي قريش وأبي طالب، أنه مؤمن بما جاء به ابن أخيه بيد أنَّه اراد ان يخمد ثورة المشركين ضد ابن أخيه ، ويتقي أوار الحرب المزمعين على اضرام فتيلها بينهم وبين رسول الله ومن يسانده ويؤازره ويناصره، ليكف بذلك شرهم عنه، وفي الوقت نفسه يحمل نفسه على تطييب خواطرهم بأنه معهم عند مقابلته اياهم ليتسنى له الوقت الكافي لمعاضدة ابن أخيه ومحاماته؛ لأن

---

(١) ظ: الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة: ٤٤.

(٢) ظ: الغدير في الكتاب والسنة والادب: ٧/ ٣٣٥.

(٣) السير والمغازي: ١٥٤- ١٥٥.

دعوته ما تزال في بدايتها، ولو ابدى أبو طالب اسلامه للقي من مشركي قريش العنت والاذى والبلاء والجهد مثلما لقي ابن أخيه وأصحابه، وان قوله لابن أخيه:

لولا المَلامةُ او أُحاذر سُبَّةً   لوجدتني سمحاً بذاكَ مُبينا

لا ينافي اسلامه «لأن مفهومه لولا حذار الشغب من قريش وخوف الفتنة التي توجب المسبة عندهم لاظهرت ما تدعوني اليه وبينته على رؤوس الاشهاد وهذا لا ينافي اسلامه باطنا واعتقاده الحق»[1].

ب ـ جاء البيت ضمن ابيات المقطوعة مثبتاً في الديوان بروايتي أبي هفان وعلي بن حمزة وموثقة من كتب السير والتاريخ والعقائد والأدب والنحو في عشرين مصدرا[2].

ثانيا: الدليل الفني:

تتكرر دلالة البيت مع بعض ألفاظه ضمن اسلوب أبي طالب الشعري وهو في صدد نصرة رسول الله ﷺ واتباعه على نحو ما نجده في قوله في القصيدة اللامية:

{من الطويل}

فوالله لولا أنْ أجيْءَ بِسُبَّةٍ   تجرُّ على أشياخِنا في المحافلِ

لكُنَّا اتَّبعْنَاهُ على كلِّ حالةٍ   من الدهرِ جدّاً غيرَ قولِ التَّهازُلِ[3]

وقوله في القصيدة الميمية:

---

(١) الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة: ٤٤.

(٢) ظ: الديوان: ٨٧، ١٨٩، ٢٩١- ٢٩٢.

(٣) م.ن: ٨٤.

{من المتقارب}

فلـــــولا حـــــذاري نثـــــا سُـــبَّةٍ ... يُــشيدُ بهـــا الحاســـدُ المُفعَـــمُ

ورهبـــــةَ عـــــارٍ عــــلى أسرتي ... إذا مـــا أتـــى ارضَـــنا الموسِـــمُ

لتابعتــــــهُ غـــــيرَ ذي مريـــــةٍ ... ولـــو سيءَ ذو الـــرغمِ والمُحـــرَمُ(1)

ويومىء خطاب أبي طالب في استعماله هذا الأسلوب إلى الحكمة في مسايرة مشركي قريش لما تقتضيه مصلحة الاسلام في ايهامهم انه على ملتهم؛ ليصون رسول الله ﷺ من بغضهم وعداوتهم له فلا يعمدوا إلى مفاجأته بشيء يسوءه في امر رسول الله، لما يتيقنون من محبة أبي طالب له، وفي الوقت نفسه يصرح بتصديقه والايمان بمعتقده كما اومأت مضمونها في شعره،وعلى هذا فالبيت من صلب المقطوعة لأبي طالب.

النوع الثاني: عدم تثبُّت الرواة من نسبة النص وهذا يعود إلى أنَّ كلا الشاعرين من اسرة واحدة، أو لتشابه الموضوع أو لكليهما معا، ومنه ما ذهب إليه النويري (ت٧٣٣هـ) في نهاية الأرب في فنون الأدب إلى نسبة ثلاثة أبيات من القصيدة اللامية إلى العباس بن عبد المطلب في مدح النبي ﷺ وهماً، وهي لأبي طالب، فقال «وفيه عليه السلام يقول عمه العباس رضي الله عنه وارضاه:

{من الطويل}

وابـــيضُ يُستَـــسقى الغـــمامُ بوجهِـــهِ ... ربيـــعُ اليتـــامى عِـــصمةٌ للأرامـــلِ

تُطيـــفُ بـــهِ الهـــلَّاكُ مـــن آل هاشـــمٍ ... فهـــم عنـــدهُ في نعمـــةٍ وفـــضائلِ

---

(1) م.ن: ٩٣، نثا: ما تُخبِر به عن الرجل من حسن وسوء، السبة: العار، يشيد: يفشي، المفعم: الممتلىء، الموسم: المجتمع ويقصد به موسم الحج، ذو مرية: ذو شك، المحرم: ذو الحرمة.

وميـــزانُ حـــقٍّ لا يخـــيسُّ شـــعيرةً وَوزّانُ عـــدلٍ وزنـــهُ غـــيرُ عائـــلِ»[1]

وردت هذه الأبيات في القصيدة اللامية المشهورة في مدح أبي طالب للنبي محمد ﷺ في ديوانه صنعة أبي هفان وعلي بن حمزة وهي موثقة[2]، وقد درج على ذكرها أرباب السير كما مر بنا آنفا، وقد توهم النويري حين نسب هذه الابيات الى عم النبي ﷺ العباس، وربما قصد عمه أبا طالب، فتوهم فذكر عمه العباس، إنَّ غلط النويري في نسبة الأبيات يرجع إلى أن كليهما من أعمام رسول الله.

ونسب البيت الأول كمال الدين الدميري (ت ٨٠٨هـ) إلى عبد المطلب فغلطه القسطلاني فقال: «وهذا البيت من أبيات في قصيدة لأبي طالب على الصواب وقول الدميري وتبعه جماعة انه لعبد المطلب غلط»[3] وانما يقطع الشك فيه قول الرسول ﷺ في حديث الاستسقاء، لما اقحط أهل المدينة استسقى لهم رسول الله فلما رأى السحاب حول المدينة كالاكليل قال رسول الله ﷺ : «لو ادرك أبو طالب هذا اليوم لسرَّه، فقال له بعض اصحابه: كأنك يا رسول الله اردت قوله : وابيض يستسقى الغمام بوجهه.... {البيت} قال: اجل»[4] فهذا نص صريح لرسول الله ﷺ بان منشىء هذا البيت أبو طالب.

---

(١) نهاية الارب في فنون الادب: ١٨/ ٢٤١، ظ: الديوان: ٧٥، ٨٠، باختلاف الرواية، وترتيب الابيات، فقد ورد البيت الثاني: «يلوذُ به الهلاك... »، والبيت الثالث برواية:

«بميزان قسط لا يَغيضُ شعيرةً له شاهدٌ من نفسه حقّ عادلِ»

وتأخر ترتيبه في القصيدة بعد ثلاثة وعشرين بيتا.

(٢) ظ: الديوان: ٦٩- ٨٥، ١٩٠- ١٩٨، ٢٩٢- ٣٠٤.

(٣) شرح المواهب اللّدنية: ١/ ١٩١.

(٤) السيرة النبوية لابن هشام: ١/ ٢٨٠- ٢٨١.

وربما اوقع كمال الدين الدميري في غلط نسبة البيت لعبد المطلب لتشابه موضوع النص الشعري فقد ذكر ان عبد المطلب كان يستسقي أيام القحط في مكة بالنبي ﷺ عندما كان طفلا صغيرا[1]، وكذلك أبو طالب استسقى به أيضا[2].

إنَّ عدم تثبُّت الرواة من نسبة النص اوقعهم في الوهم على الرغم من انه لأبي طالب بن عبد المطلب من غير منازع عليه، فتارة ينسب الى اخيه العباس بن عبد المطلب، وتارة ثانية ينسب البيت الى ابيه عبد المطلب؛ لانهم جميعا من بيت واحد، ولتشابه مناسبة الموضوع المطروق في الاستسقاء برسول الله لأبي طالب وأبيه.

ومن ألوان الاضطراب نسبة النص الشعري لشاعرين لأنهما من اسرة واحدة على نحو ما تنازع في نسبة القطعة الاتية لأبي طالب وابنه طالب في مديح النبي ﷺ :

{من المتقارب}

إذا قيل: مَن خيرُ هذا الورى ... قبيلاً وأكرمهم اسرةْ؟

أنافَ لعبد منافٍ أبٌ ... وفضَّلَهُ هاشمُ الغُرَّةْ

لقد حلَّ مجدُ بني هاشمٍ ... مكان النَّعائم والنَّثرةْ

وخيرُ بني هاشمٍ احمدٌ ... رسولُ الإلهِ على فَترةْ[3]

---

(١) ظ: انساب الاشراف: ١/ ٨٣، الرُّوض الأُنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام: ٢/ ٣٠- ٣١.

(٢) ظ: الخصائص الكبرى: ١/ ٨٦.

(٣) الديوان: ٣٣٨، قبيلاً: القبيلة، أناف: ارتفع، النثرة: كوكبان بينهما قدر شبر وفيهما لطخ بياض، ويقال لها أنف اسد، ويذكر ان طالبا كان محبا للرسول ﷺ وله فيه مدائح، ظ: مجموع شعر قريش ملحق في الأطروحة «شعر قريش في الجاهلية وصدر الاسلام»: ١٥٩- ١٦١.

عزا الشيخ المفيد القطعة الى أبي طالب[1]، وعزاها الشيرازي[2] الى ابنه طالب، وتنازعت نسبة القطعة بين أبي طالب وابنه طالب في آن معا، عند ابن ابي الحديد[3] والمجلسي[4] وجامع غاية المطالب في شرح ديوان أبي طالب لمحمد خليل الخطيب[5]، ومحققي ديوان أبي طالب: محمد التونجي[6]، ومحمد حسن آل ياسين[7]، ومحقق مجموع شعر قريش في الجاهلية وصدر الاسلام لمحمد ساري[8].

وعلى الرغم من أن الشيخ المفيد اسبق في رواية النص المذكور يبقى الترجيح في نسبته امرا صعبا؛ لان غاية الشيخ المفيد صحة اثبات ايمان أبي طالب من خلال النص، وكذلك غاية الشيرازي اثبات اسلام طالب ويبقى النص متنازع النسبة بينهما ما لم نعثر على دليل قوي يحسم الأمر في اثبات نسبته الى احدهما.

ومن هذا اللون الأرجوزة البائية التي نسبت لأبي طالب تارة، ولطالب تارة ثانية، أو كليهما معا :

---

(١) ظ: النكت الاعتقادية (ايمان أبي طالب) : ٣٥.

(٢) ظ: الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة: ٦٣.

(٣) ظ: شرح نهج البلاغة: ١٤/ ٧٨.

(٤) ظ: بحار الانوار: ٣٥/ ١٦٤- ١٦٥.

(٥) ظ: غاية المطالب في شرح ديوان أبي طالب: ٥٠- ٥١.

(٦) ظ: الديوان (التونجي) : ٤٤.

(٧) ظ: الديوان: ٣٣٨.

(٨) مجموع شعر قريش ملحق في الاطروحة «شعر قريش في الجاهلية وصدر الاسلام»:١٦١.

{من الرجز}

يـــــا ربِّ إمّـــــا تُخــــرِجَنَّ طـــــالبي

في مِقْنَــــبِ مـــــن تِلكُــــمِ المقانـــــبِ

فلـــــيكُن المغلـــــوبُ غـــــيرَ الغالـــــبِ

ولـــــيكن المـــــسلوبُ غـــــيرَ الـــــسالبِ[1]

ومما يرجح نسبة الارجوزة طالبا ان مناسبة النص تفيد انها له، فبعد انتهاء معركة بدر التي أُخرج اليها طالب مكرها جرت محاورة بينه وبين بعض قريش «فقالوا: والله قد عرفنا أن هواكم مع محمد فرجع طالب إلى مكة فيمن رجع، وقيل: إنما كان خرج كرها فلم يوجد في الأسرى ولا في القتلى ولا فيمن رجع إلى مكة وهو الذي يقول.... {اشطر الرجز}»[2].

إن نسبة الارجوزة إلى أبي طالب وهمٌ يرجع الى عدم التثبُّت من الاسم، ولأنَّ كلا الشاعرين من اسرة واحدة، ومنه ما نسب الى الامام علي بن أبي طالب عليه السلام وهو لأبيه[3] وهو لا يحتاج الى كثير مناقشة.

والنوع الثالث في عدم التثبُّت من رواية الشعر المتدافع عليه لاحد الشاعرين هو التشابه في وحدة الوزن والقافية ومنه: ما ذكر في أسماء النبي صلى الله عليه وآله فاورد صاحب الخزانة «ورأيت (في المواهب اللدنية) قال مؤلفه: ثم إن في اسمه محمد خصائص منها أنه تعالى شقه من اسمه المحمود كما قال حسان بن ثابت:

(١) الديوان (التونجي): ٢٥، المقنب: الجماعة من الخيل، او نحوها.

(٢) الكامل في التاريخ: ٢/ ٨٥.

(٣) ظ: الديوان: ١٥٠، ٣٣٤.

{من الطويل}

أغـــرُّ عليـــهِ للنبـــوةِ خـــاتمٌ مـــن اللهِ مـــن نـــورٍ يلـــوحُ ويُـــشهَدُ
وضـــمَّ الإلـــه اُســـمَ النبـــيِّ إلى اسـمهِ إذا قـــال في الخمـــسِ المـــؤذنُ اشـــهدُ
وشـــقَّ لـــهُ مـــن اســـمهِ ليجِلَّـــهُ فـــذو العَـــرُشِ محمـــودٌ وهـــذا مُحَمَّـــدُ

... ثم قال صاحب المواهب: وأخرج البخاري في تاريخه الـصغير مـن طريـق علي بن زيد قال: كان أبو طالب يقول: وشقَّ له من اسمِهِ ليجِلَّهُ... {البيت} »[1].

لاشك في أن البيت الثالث الذي ذُكِرَ في القصيدة الدالية لحسان بن ثابت، هـو لأبي طالب لأنَّ رواية شهاب الدين احمد القسطلاني (ت سنة ٩٢٣هـ) متـأخرة عـن رواية ابي عبد الله محمد بن اسماعيل البخـاري (ت٢٥٦هــ)، وقـد أورد البيـت غـير واحد من مؤرخين وأدباء وعلماء[2]، والبيت مما ضمنه حسان بـن ثابـت وبهـذا جـزم أحمد زيني دحلان الشافعي[3]، وعبد الحسين أحمد الاميني[4]، وعبد الرحمن البرقـوقي محقق وشارح ديوان حسان بن ثابت[5].

وسبب نسبة هذا الاضطراب يرجع إلى تشابه قصيدتي: أبي طالب وحسان بـن ثابت المذكور البيت في كلتـيهما، اذ يتـشابهان في وحـدة الـوزن والقافيـة فـضلا عـن

---

(١) خزانة الادب: ١/ ٢٢٥، ظ: شرح ديوان حسان بـن ثابـت: ١٣٤، اخـتلاف روايـة البيـت الاول: «... من الله مَشْهُودٌ يَلُوحُ ويُشْهَدُ».

(٢) ظ: الغدير في الكتاب والسنة والادب: ٧/ ٣٣٥.

(٣) ظ: أسنى المطالب في نجاة أبي طالب: ٤٦.

(٤) ظ: الغدير في الكتاب والسنة والادب: ٧/ ٣٣٦.

(٥) ظ: شرح ديوان حسان بن ثابت: ١٣٤ الهامش.

الموضوع، فموضوع كلتا القصيدتين في مدح النبي محمدﷺ[1] .

ومن هذا اللون من عدم التثبُّت في الرواية الذي يرجع الى تشابه القصائد في الوزن والقافية ما ينسب الى غير أبي طالب وهو له، ما نسبه ابن كثير في السيرة النبوية، وهي أربعة إبيات إلى ورقة بن نوفل بعد ان أورد له قصيدة من اثني عشر بيتا أردف قائلا: «وزاد الاموي

{من الطويل}

فمتَّبعٌ دينَ الذي أسَّسَ البنَا	وكان له فضلٌ على الناسِ راجحُ
وأسَّس بُنيانا بمكةَ ثابتاً	تلألأُ فيهِ بالظلامِ المصابحُ
مثابا لافناء القبائل كلِّها	تُخبُّ اليهِ اليعملاتُ الطلائحُ
حراجيج أمثال القِداحِ من السُّرى	يعلَّق في أرساغهنَّ السلائحُ[2]»

وقد تفرد ابن كثير بهذه الرواية، ولم اقف في المصادر المتقدمة في نسبتها الى ورقة بن نوفل، ولم اعثر عليها في مجموع شعره ضمن القصيدة الحائية له[3]، ويبدو أنَّ الأُموي الذي زادها في القصيدة الحائية لورقة؛ لأنَّها على الوزن والقافية نفسها، ومن المرجح انها لأبي طالب لما ذكرته المظان الاتية:

أورد أبو بكر الانباري (ت٣٢٨هـ) البيتين الثاني والثالث في الزاهر في معاني

---

(١) ظ: الديوان: ٢٣٤- ٢٣٦ (القصيدة)، ٣٣٢ (المستدرك) مع الهامش.

(٢) السيرة النبوية لابن كثير: ١/ ٢٦٩، اليعملات: جمع يعملة ، وهي الناقة النجيبة، والطلائح: المتعبات، الحراجيج: الطوال.

(٣) ظ: ورقة بن نوفل حياته وشعره (بحث): ١٧٥.

كلمات الناس، ولم يعزها الى أي شاعر، بيد أنَّ محقق الكتاب حاتم صالح الضامن عزاهما إلى أبي طالب مستدلا على ما ذكره ابن منظور في لسان العرب[1]، وعزا أبو منصور الازهري (ت٣٩٢هـ) في تهذيب اللغة البيت الثالث الى أبي طالب[2]، وروي البيت لابن منظور صحيح النسبة لأبي طالب فقال : «وانشد الشافعي بيت ابي طالب:

{من الطويل}

مَثابــا لأفْنــاءِ القبائِــل كلِّهــا تَخُــبُّ إليــه الــيَعْملاتُ الــذَّوامِلُ

وقال ثعلب: البيتُ مثابةٌ وقال بعضهم: مثوبةٌ ولم يقرأ بها»[3]، ويلحظ في النص ان ثعلبا (ت٢٩١هـ) لم يعترض على نسبة البيت لأبي طالب، وانما رواه هو وغيره له.

واتبع ابن منظور الزبيدي (ت١٢٠٥هـ) فذكر البيت لأبي طالب[4]، والبيت مذكور في المستدرك من ديوان أبي طالب[5].

ولا نستبعد أن القطعة التي ذكرها ابن كثير رواية عن الاموي أنها لأبي طالب، لأنَّها وحدة شعرية تحمل فكرة الاشادة بالنبيﷺ الذي كان له اثر في بناء

---

(١) ظ: الزاهر في معاني كلمات الناس: ١/ ٢٥٠ مع الهامش.

(٢) ظ: تهذيب اللغة: (ثوب)، وعجز البيت م.ن: (ذمل).

(٣) لسان العرب: (ثوب)، وعجز البيت، م.ن: (ذمل)، وتختلف الرواية عن ابن كثير: «...تُخُبُّ اليه اليَعْملاتُ الذوامِلُ».

(٤) ظ: تاج العروس: (ثوب)، وعجز البيت: م.ن: (ذمل).

(٥) ظ: الديوان: ٣٤١.

الكعبة، وفي شعر أبي طالب ما يدلنا على ذلك أيضا[1]، اما اللغويون الذين لم يستشهدوا ببقية ابياتها فهذا يعود؛ إلى أنَّهم معنيون بايراد الشاهد اللغوي فحسب.

ونعود فنقول إن هذا الاضطراب يرجع إلى أنَّ الأُموي توهم نسبة الأبيات الى ورقة واتبعه ابن الاثير في ذكرها بعد ان أورد القصيدة الحائية لورقة بسبب الوزن والقافية التي عليها القصيدة المذكورة.

ومما تقدم نتبين أن الاضطراب في رواية شعر أبي طالب مما نسب إليه، أو لغيره، أو له ولغيره في آن معا يرجع إلى الوهم في عدم تثبُّت الرواة لنسبته للاسباب التي تشكل بعض الاشكال عليهم، فمنها: تباين معنى النص وهماً، أو تحريف اسم منشيء النص، أو لتشابهه في الموضوع المطروق، أو لتشابهه في وحدتي : الوزن والقافية، وبهذا كله نكون قد ميزنا شعر أبي طالب من غيره من الشعراء، ونطمئن على الاستشهاد به؛ لتأكد نسبته إليه في دراسة الفن والموضوع لشعر أبي طالب.



(١) ظ: م.ن: ٣٣٨.

الدراسة

أولاً: في الموضوع

إنَّ الأدب ولاسيما الشعر لا ينحصر في موضوعات معينة، لأنّه يمثل الحياة العامة باحداثها ومواقفها المتعددة التي أثرت في نفس الشاعر وفكره ووجدانه، وان كل لحظة انفعال يمر بها الشاعر لها سماتها وطبيعتها الخاصة التي تدفعه إلى قول الشعر ليعبر عن ذلك كله، ولذلك تعددت موضوعاته، بيد أنَّ الباحثين اعتادوا على تصنيف الشعر إلى موضوعات قيِّدت بالرثاء والفخر والمديح والهجاء إلى آخره، وهي موضوعات تقليدية معهودة قبل الإسلام، وقد طرأ عليها في فجر الإسلام بعض التغيير والتحوير والتطوير واستحدثت موضوعات جديدة في معانيها تنسجم مع المرحلة الجديدة للحياة الإسلامية، ومبدائها كشعر الدعوة الدينية وغيرها.

وقد طرق أبو طالب بعض الموضوعات القديمة والموضوعات الجديدة فسجل موضوع الرثاء قبل الإسلام، ولم يسجل شيئا منه في الإسلام، بيد ان بعض النصوص ارتدت معانيَ جديدة لم يتناولها الشعراء قبله.

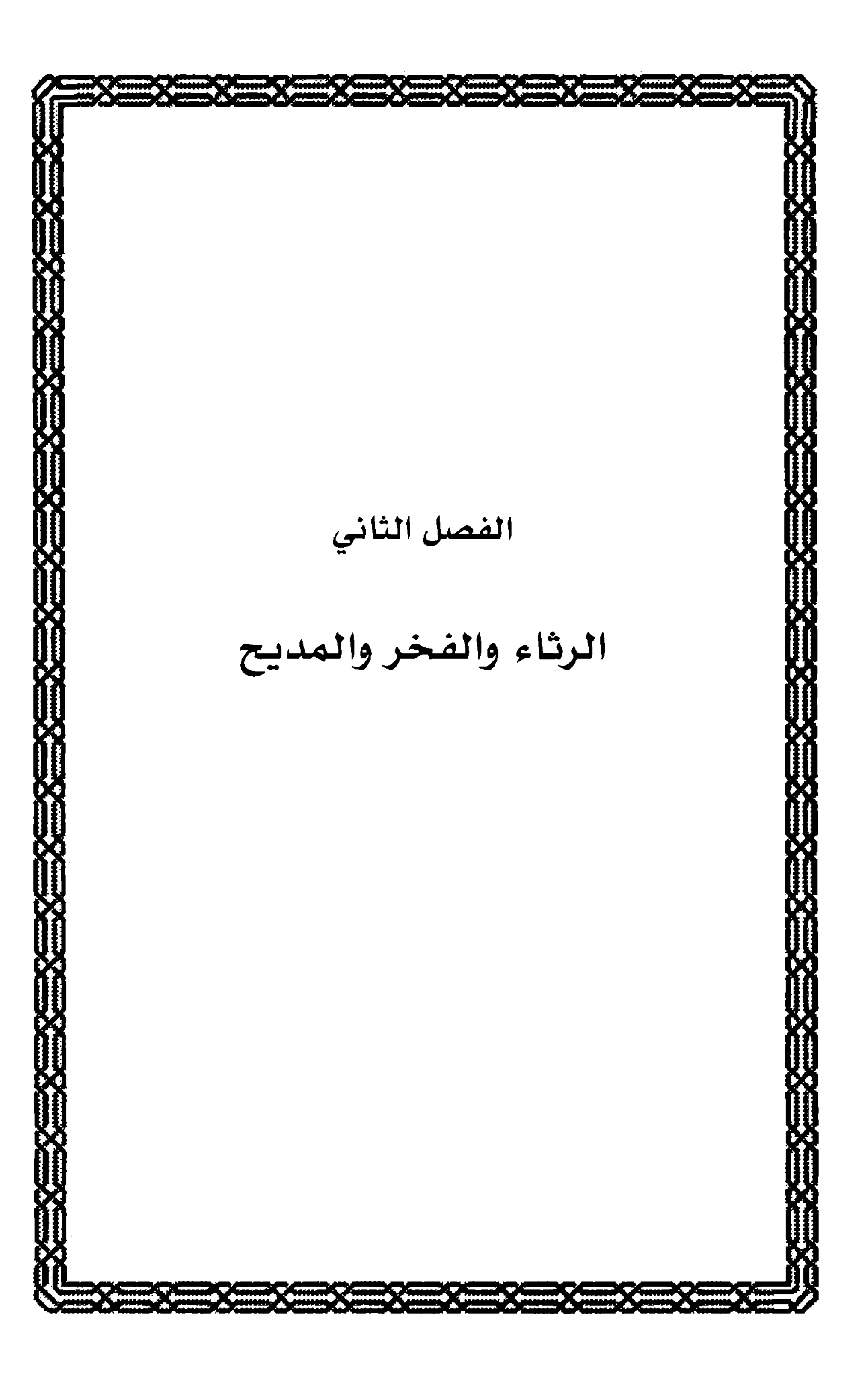
وحفلت الموضوعات الشعرية؛ الفخر والمديح والعتاب والهجاء بصبغة

متطورة تأثرت معانيها بواقع حدث الإسلام الكبير، وما رافقه من تغيير في واقع المجتمع القرشي خاصة والعربي عامة.

اما الألوان الشعرية التي فرضها الواقع الإسلامي الجديد في الايمان بالله ورسوله ونصرته وتأييده والدفاع عنه، فهي مما لاشك فيه ذات طابع جديد، وان كان لها جذور في الشعر العربي من معاني التوحيد، والاجارة، إلا انها في ظل الإسلام اكتست معانيَ إسلامية جديدة اقترنت بصاحب الرسالة الرسول محمد ﷺ في اشهار الشعر سلاحا من اسلحة الدعوة الإسلامية بوجه مشركي قريش، ووسيلة لتقرير العقيدة .

ونأى أبو طالب في شعره عن موضوع الغزل، فلم نعثر على شيء منه، ويبدو أنَّ الشاعر تحرج من ان يطرق هذا اللون من الشعر؛ لأنَّه من الموحدين، ولأنَّه لا يتناسب ومكانته الاجتماعية وهو رئيس قريش وحاكمها، وان اغلب شعره الذي وصل الينا يمثل مرحلة متأخرة من حياته، وأبو طالب وان كان مقلا قبل الإسلام، فإنه غير ذاك بعد مجيء الإسلام؛ ذلك بأنَّ حدث الإسلام العظيم فجر قريحته الشعرية إلى فن الدعوة الإسلامية الجديدة الذي يعد رسائل شعرية موجهة إلى قومه في دعوتهم إلى نصرة رسول الله ﷺ وتأييده ومؤازرته والدفاع عنه، لما رأى من قريش معارضة شديدة للرسول.





الفصل الثاني

الرثاء والفخر والمديح

مفتتح الفصل

علاقة الرثاء بالفخر والمديح

أومأ بعض النقاد القدامى إلى أن ثمة علاقة بين الرثاء والمديح، فجعلوا الرثاء فناً تابعاً للمديح، فقال ابن سلام ما نصه «ان التأبين مدح الميت والثناء عليه... والمدح للحي»[1]، وتابعه قدامة بن جعفر (ت٣٣٧هـ) في ربط الرثاء بالمديح فقال: «ليس بين المرثية والمدحة فصل إلا أن يذكر في اللفظ ما يدل على انه هالك مثل: كان، وتولى، وقضى نحبه، وما اشبه ذلك، وهذا ليس يزيد في المعنى ولا ينقص منه، لان تأبين الميت انما هو بمثل ما كان يمدح في حياته»[2]، ونهج ابن رشيق القيرواني (ت٤٥٦هـ) المنهج نفسه في تلك الاحكام، فقال: «وليس بين الرثاء والمدح فرق إلا انه يخلط بالرثاء شيء يدل على ان المقصود به ميت مثل كان أو عدمنا به كيت وكيت وما يشاكل هذا ليعلم انه ميت»[3]، على ان الحال النفسية التي يكون عليه الراثي

---

(١) طبقات فحول الشعراء: ١/ ٢٠٩.

(٢) نقد الشعر: ١١٨.

(٣) العمدة: ٢/ ١٤٧.

ساعة الابداع الشعري لا تستوي مع الحال النفسية التي يكون عليها المادح، فالراثي وهو يمدح الفقيد انما يرثيه بعاطفة حزينة وموجعة، والمادح انما يمدح بعاطفة الاعجاب بالقيم الاصيلة التي يتوسمها بالممدوح، ونفسه تشع بهجة وسرورا.

بيد أنَّ هناك رابطا قويا في الحالين، وهو ان الراثي عندما يمدح اثار الفقيد لمن حوله من المستمعين، فيريهم في فقيدهم اسمى صور الكمال التي تثير فيهم عاطفة الاعجاب والحزن الممزوجة بخسارة الميت، فيدفعهم الى بكائه اعجابا بما يمتلك من صفات وحزناً واسفاً وحسرةً لفقده[1].

وعندما يمدح الشاعر الممدوح، وهو يرسم صور الاعجاب فيه باعلى درجات الكمال، فإن المادح والمستمعين سيكونون مدفوعين بعاطفة الاعجاب ومتوسمين عمل الممدوح بالفضائل الجليلة، والاعمال الخالدة، والسجايا الحميدة،والمآثر العريقة التي اشاد بها الشاعر؛ ليعمل الممدوح جاهدا؛ لتحقيقها والارتقاء اليها بأبهى صورة.

اما علاقة الفخر بالمديح، فتكمن في أن كلا الضربين يتغنى بهما الشاعر بالفضائل الكريمة، والخصال الجليلة، والافعال الطيبة، والسجايا النفسية والحسية الحميدتين، فالفخر والمديح يصبان في مجرى واحد، فقد عد الفخر من باب المديح، وانما هو «المديح نفسه، إلا أن الشاعر يخص به نفسه وقومه، وكل ما حسن في المدح حسن في الافتخار، وكل ما قبح فيه قبح في الافتخار»[2] على الرغم من وجود فارق بينهما من «ان المادح يجوز له ان يصف ممدوحه بالحسن والجمال، ولايسوغ للمفتخر

---

(١) ظ: الرثاء في الشعر الجاهلي وصدر الإسلام: ٥٧، شعر الرثاء في العصر الجاهلي: ١٥٨.

(٢) العمدة: ٢/١٤٣.

ان يصف نفسه بذلك»[1].

فنقطة الالتقاء بين هذه الموضوعات الثلاثة، جعلتنا نـدرجها في فـصل واحـد طارقين المعاني القديمة والمتطورة والجديدة في اثناء عرض كل فن منها .

۞ الرثاء :

فن من فنون الشعر العربي المعروفة قبل الإسلام، وهو وسيلة يعرب بهـا المـرء عن خلجات نفسه واتراحها عندما يمر بتجربة مؤلمة تفقـده أحَـد ذويـه مـن الأهـل والأقارب والأصدقاء وغيرهم، فيبكيه بدموع سجام، وبحـرارة محرقـة،وهو يـصور خسارة الفقيد بموته متفجعا بين اللهفـة والحـسرة، فـسبيل «الرثـاء ان يكـون ظـاهر التفجع بين الحسرة، مخلوطا بالتلهف والاسف والاستعظام، ان كـان الميـت ملكـا أو رئيسا كبيرا»[2] وفي اثناء ذلك كله قد لاينـسى الـشاعر ان يثنـي عـلى الفقيـد ويـذكر خصائله باحساس صادق وحزن عميق، وقلب ملتهب لفراقه، وهذا ما يقرب لنا مـا أورده الأصمعي حين سأل أحَد الأعراب: «ما بال المراثـي اشرف اشـعاركم؟ قـال: لأنا نقولها وقلوبنا محترقة»[3].

ونتيجة للتبـاين الحاصـل بـالتعبير عـن الاحاسـيس بـألم الفـراق، والـشعور بالحزن، والتفجع بالمصاب اتخذ الرثاء صورا تمثلت بالندب والتأبين والعزاء.

---

(١) منهاج البلغاء وسراج الأدباء: ٣٥٢.

(٢) العمدة: ٢/ ١٤٧.

(٣) العقد الفريد: ٣/ ١٦٢، نهاية الارب في فنون الأدب: ٥/ ١٦٢.

ـ النَّدب:

يعني البكاء على الميت، وتعداد محاسنه، والثناء عليه[1]، والنواح بكلام حزين مفجع يجعل عيون الباكين تذرف الدموع الغزار، وأكبادهم تحترق من شدة المصاب لفراق الفقيد.

إن نظرة فاحصة في النصوص التي وردت في ديوان أبي طالب بحسب كثرة ورودها تكشف انه رثى نادبا أفراد أسرته: أخويه: عبد الله والد الرسول ﷺ والزبير وهما من أمه وأبيه، وأباه عبد المطلب، وخاليه: هشام بن المغيرة، وأبا أمية بن المغيرة، ونديمه مسافر بن أبي عمرو[2].

وكان رثاؤه لأخويه أكثر بروزا في الديوان، ومن ثم لأبيه وخاليه ونديمه وتبرز هذه الظاهرة لشدة الرابطة الأسرية التي تربط الأخ بأخيه، ففقد الأخ عند الرجل القوي قاصم للظهر[3]؛ لان الأخ سند الرجل ومعتمده إمام محن الحياة ومعتركها.

وفَقَدَ أبو طالب عزه وسنده المعتمد عليه عبد الله[4]، ولاستكمال حزن أفراد

---

(١) ظ: لسان العرب: «ندب».

(٢) ظ: الديوان: ٩٧، ٩٨، ٩٩، ١٠٤ - ١٠٥، ١٣٢، ١٣٦، ١٣٨، ١٤٩، ١٦٦، ١٦٩، ٣٣٦ - ٣٣٧، ٣٤٣.

(٣) ظ: ديوان المعاني: ٢/ ١٨٤.

(٤) عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم الملقب بالذبيح، وهو والد الرسول ﷺ، خرج في تجارة الى بلاد الشام، وفي طريق عودته الى مكة تُوفي في المدينة وله خمس وعشرون سنة، ظ: السير والمغازي: ٣٢- ٤١، الطبقات الكبرى: ١/ ٨٨- ٨٩، تاريخ الخميس في احوال أنفس نفيس: ١/ ١٨٢- ١٨٣.

أسرته، ندبه أبو طالب وبكاه أبوه وأخوته بدموع غزيرة، فقال نادباً:

{من البسيط}

عَيْنـــي إِئْـــذَني بِبُكـــاءِ آخِـــرَ الأَبَـــدِ وَلا تَمَـــلِّي عَـــلى قَـــرْمٍ لَنـــا سَـــنَدِ

أَشـكو الَّـذي بِي مِـنَ الوَجـدِ الـشَديدِ لَـهُ وَمـــا بِقَلبِـــي مِـــنَ الآلامِ وَالكَمَـــدِ

أَضـــحى أَبـــوهُ لَـــهُ يَبكـــي وَإِخوتُـــهُ بِكُـــلِّ دَمـــعٍ عَـــلى الخَـــدَّينِ مُطَّـــرِدِ

لَـــو عـــاشَ كـــانَ لِفِهـــرٍ كُلِّهـــا عَلَـــماً إِذ كـانَ مِنهـا مكـانَ الـروحِ في الجَـسَدِ[1]

إن شدة المصاب جمدت دموع الشاعر، لذلك يخاطب عينيه بـان تجـودا عليـه بالبكاء، فذرف الدموع يكشف ما لها من أثر في إطفاء لظى الوجـد، وحرقـة الفـؤاد ولهيب العبرة؛ لأن كتمان البكاء يصدع القلب، ويؤلم النفس، ولاسيما إذا كـان الفقيـد في مقتبل عمره، يُتَوسَّم به تحقيق الأماني في حياته، فبكى أبـو طالـب أمنيتـه الـضائعة التي اختطها الموت عندما خطف أثر أخيه؛ لأنه لو عاش لكان علما متألقا في قـريش، فخذعه أمله، وهذا الوصف له بالغ الأثر في نفوس سامعيه.

وبعد وفاة أخيه عبد الله بثماني سنين[2]، تُوفي أبوه عبد المطلب، فندبه أبو طالب من قلب مكلوم نافذ إلى اعماق وجدانه، وهو يصور دقـة احاسيـسه بفاجعـة وفاتـه، فهول المصاب ابكى العيون عليه، وارسل الدموع مدرارا فقال:

{من البسيط}

أبكـــى العيـــونَ وأذرى دَمعهـــا دِرَرا مـــصابُ شـــيبة بيـــتِ الـــدِّينِ والكَـــرَمِ

....

(١) الديوان: ٩٨.

(٢) ظ: تاريخ اليعقوبي: ٢/ ١٠.

بَكَــتْ قُــرَيْشٌ أَباهــا كُلِّهــا وَعَــلى ... أَيّامِهــا وَحِماهــا الثابِــتِ الــدِّعَمِ

صَــفِيُّ بَكّــي وَجــودي بِالــدُموعِ لَــهُ ... وَأَسْــعِدي يــا أُمَــيْم اليَــومَ بِالــسَّجَمِ

تُجِبــكِ نُــسوَةُ رَهــطٍ مِــن بَنــي أَسَــدٍ ... وَالغُــرِّ زَهــرَةَ بَعــدَ العُــرْبِ وَالعَجَــمِ

أَلَمْ يَكُــنْ زَيْــنَ أَهــلِ الأَرضِ كُلِّهِــم ... وَعِــصمَةَ الخَلْــقِ مِــن عــادٍ وَمِــن أَرِمِ[1]

إنَّ استعمال الشاعر لفظ (أب) لعبد المطلب يوضح مكانة المندوب في قومه، فهو لاشك يحنو عليهم حنو الاب فكأن لهم ابا، وهم يجلونه اجلال الاب فكانوا له ابناء.

وأبو طالب عندما يرثي أباه انما يرثي بيت الدين وشعيرة الكرم بفقدانه، فمصابه شبيه مصاب بيت الله الحرام بفقده إياه، وهذه من المعاني الجديدة التي زادها أبوطالب في فن الرثاء، ومن المعروف ان اباه عبد المطلب كانت سدانة الكعبة في يده، ومن الرجال المشهورين بمكة في الكرم، وقد اقترنت السيادة بكرم صاحبها؛ ولهذا بكت قريش أباها عماد البيت، وطالب أبو طالب أُختيه: صفية وأميمة بان تجود عيناهما بالدموع السجام لأبيهما؛ لتظل العيون سخية له، وهو يصدر احاسيس الشجن ضمن اطار الاسرة.

ولكي يستكمل الشاعر مقومات الحزن في الأسرة والمجتمع القرشي بعد ان وصف بكاء قريش بشكل عام، وصف مشاركة نساء قريش من بني اسد وزهرة، وهن يشاركن بنات الفقيد في النواح والبكاء، وخص الشاعر هذين البيتين؛ لأن أسد

---

(١) الديوان: ٩٧، العادي: الباغي والظالم، والأرم: الآكل، شيبة: اسم عبد المطلب سمي بذلك، لانه كان في رأسه شيبٌ منذ ولادته، وهو أول من خضب بالسواد، ظ: الطبقات الكبرى: ١/ ٨٦- ٨٧، عمدة الطالب في انساب آل أبي طالب: ٢٤.

أخو عبد المطلب، وزهرة من اصهاره، فأدرار الدموع، وطلب البكاء والنحيب، ومشاركة قريش رجالا ونساء لحزن أهل الفقيد ترسم صورة واحدة لفداحة فقدان عبد المطلب عمود الدين وسيد الكرم، والشاعر عاجز عن بلوغ الغاية التي يستحقها المرثي، فالأسى والبكاء لايفيان بحقه؛ لأنَّ الراحل زين أهل الارض، وعصمة الخلق جميعهم.

وتحدرت دموع أبي طالب على وجنتيه بسخاء، ونفسه تنفث الحسرات المحرقة على أخيه الراحل الزبير(١)، الذي كان أحد حكام قريش(٢)، وسيد من ساداتها وسخيا كريما، وعلما باسقا، فقال نادبا أخاه:

{من الخفيف}

أَسبَلت عَبرَةٌ عَلى الوَجَناتِ ... قَد مَرَتها عَظيمَةُ الحَسَراتِ

لأخٍ سَيِّدٍ نَجيبٍ لِقَرمٍ ... سَيِّدٍ في الذُّرى مِنَ الساداتِ(٣)

إنَّ بكاء الشاعر على اخيه يفسر حسرات نفسه الملتهبة من اغوارها، ولكي يريحها؛ اطلق العنان لدموعه ان تسيل مدراراً؛ ليشفي غليله المحرق، ويمنح الراحة لقلبه.

---

(١) الزبير بن عبد المطلب، ويكنى أبا طاهر، وأبا ربيعة، وهو أخو عبد الله والد الرسول ﷺ من أمه وأبيه، وكان من أشراف قريش وحكامها، وهو أول من تكلم في حلف الفضول ودعا إليه، مات ورسول الله ابن بضع وثلاثين سنة، ظ: المحبر: ١٣٢، ١٦٤-١٦٧، المعارف: ٦٠٤، أنساب الأشراف: ١/ ٨٧، ٢/ ١١-٢٠.

(٢) ظ: المحبر: ١٣٢.

(٣) الديوان: ٩٩.

وقد يكون احد بواعث البكاء على الفقيد رؤية ابنه، فيبعث في النفس الأسى والحزن والبكاء، فقال:

{من الطويل}

تَذَكَّرنيَ من بعدِ ما قد نسيتُهُ بفُرْقةِ حُرٍّ من أبينَ كِرامِ
بأحمدَ لمَّا أنْ شدَدْتُ مطيَّتي برَحْلي وقد ودَّعتُهُ بسَلامِ
فلمَّا بكى والعِيسُ قد قُلِّصت بنا وقد ناشَ بالكفَّيْنِ ثِنْيَ زِمامِ
ذكرتُ أباهُ ثم رَقْرقْتُ عَبْرَةً تجودُ من العينَيْنِ ذاتَ سِجامِ[1]

عبر أبو طالب عن هذا المعنى عندما كان عازما على الرحيل إلى بلاد الشام للتجارة[2]، رأى النبي محمدﷺ وهو في كنفه عندما كان صغيرا ان الراحلة تهيأت ايذانا بالسفر، اخذ بزمام ناقة عمه وبكاه تعلقا به، فأثار أبو طالب مشهد بكاء ابن أخيه وتعلقه بالراحلة، فتداعت له ذكرى أخيه الراحل عبد الله والد النبي، فانهمرت عيناه بالدموع السجام، وبكاءه بالدموع الغزيرة يدل على وفائه لذكراه، وحسرة لفراقه.

وقال أبو طالب في قصيدة «رثى بها أبا أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وكان ختنه، فخرج تاجرا إلى الشام فمات بموضع يقال له سرو سحيم»[3] نادبا إياه بهذه الأبيات :

---

(١) م.ن: ١٣٢.

(٢) ظ: السير والمغازي: ٧٣.

(٣) خزانة الأدب: ٤/ ٢٤٤، سرو سحيم: موضع في بلاد هذيل، ظ: معجم البلدان:٣/ ٢١٧.

{من الطويل}

أَرِقتُ وَدَمعُ العَينِ فِي العَينِ غائِرُ وَجادَت بِما فيها الشُّؤونُ الأَعاوِرُ
كَأَنَّ فِراشي فَوقَهُ نارُ مَوقِدٍ مِنَ اللَّيلِ أَو فَوقَ الفِراشِ السَّواجِرُ
عَلى خَيرِ حافٍ مِن قُريشٍ وَناعِلٍ إِذا الخَيرُ يُرجى أَو إِذا الشَرُّ حاضِرُ
أَلا إِنَّ زادَ الرَكبِ غَيرُ مُدافَعٍ بِسَروِ سُحَيم غَيَّبَتهُ المَقابِرُ[1]

وثمة علاقة بين العين وما تفيض من الدموع الكثيرة وعدم رقادها، وما يتبع ذلك كله من سهر الشاعر فالليل مجلب للاحزان وهذه صورة معبرة عن حال المصاب تكشف معاناته في الليل، فيحس فراشه نارا، غمرته دموعه الحارقة كالسيل، لفقدان خاله أبي أمية الذي كان يتصدى لاداء الخير، ولدفع الشر.

ـ التأبين :

ومن صور الرثاء التأبين، وهي صورة تختلف عن الندب، فالشاعر لايظهر حزنه فحسب، وانما يتجاوزه ليعبر عن حزن الجماعة وما فقدته من عزيز عليها لما لهذا الفقيد الراحل من أثر بيِّن فيهم بما يتحلى من صفات كريمة، وخلال بهية، وشمائل رفيعة، واعمال جليلة، فالتأبين ليس نواحا ونشيجا، وانما هو أقرب إلى الثناء منه إلى الحزن الخالص، فاذا خرَّ نجم لامع من المجتمع، اشاد الشعراء بمنزلته السامقة،

---

(١) الديوان «التونجي»: ٤٥، زاد الركب: لقب أبي أمية، وكان أزواد الركب في قريش ثلاثة: أبو أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، ومسافر بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس، وزمعة بن الأسود ابن عبد المطلب بن أسد بن العُزَّى، وانما قيل لهم أزواد الركب؛ لأنهم إذا سافروا لم يتزود معهم أحد، ظ: خزانة الأدب: ٤/ ٢٤٦.

وكأنهم يريدون ان يصوِّروا فداحة خسارة الناس فيه؛ لذلك كان التأبين ضربا من التعاطف الاجتماعي يعبر الشاعر فيه عن حزن الجماعة بفقده، فيسعى لتسجيل فضائله بالحاح، وكأنه يريد أن يحفرها في ذاكرة الناس على مر الاجيال[1].

وبعد ذكر تجربة الحزن التي يعانيها الشاعر حين يفارق احباءه واعزاءه وندبه لموت الفقيد وذرف عينه الدموع المحرقة حزنا واسى عليه، يجد الشاعر سبيلا إلى ذكر مناقب الفقيد وخصائله، وهذا الامر مُستَحسَن في المراثي، «فأحسن الشعر ما خلط مدحا بتفجع»[2]، أي مدح مناقب الراحل وسجاياه وفضائله وشمائله الحميدة التي يتحلى بها، فتعلو من شأنه أمام الناس لتجعله مثالا سامقا يتوق اليه الجميع، ومن اهم الفضائل التي أبَّنها ابوطالب في احبابه الراحلين إلى الحياة الآخرة: شرف السيادة، وعلو المجد، ونقاء النسب، والشجاعة الفائقة، واغاثة الجائع، وشعيرة الكرم، والتجمل بالصبر[3].

إنَّ اعتزاز العربي بعلو مكانته وعظم سيادته وعراقة نسبه لايدانيه أي اعتزاز ومن كانت هذه صفاته وجب على الشاعر الحديث عنها، ولاسيما اذا كان الفقيد أباه، أو أخاه، وقد أومأ أبوطالب إلى هذه القيم في مراثيه، فأبَّن أخاه الذي كان سخيا شريفا في قومه وسيد الناس حيا وميتا، وكأن أبا طالب يريد أن يرثي فضائله وخلائله وسجاياه وشمائله الجليلة بموته فقال بعد ان بكاه[4]:

---

(١) ظ: الرثاء: ٦.

(٢) التعازي والمراثي: ٢٧.

(٣) الديوان: ٩٧، ٩٨، ٩٩، ١٠٤، ٢٣٨، ٢٦٣، ٣٣٥.

(٤) ظ: الديوان: ٩٩.

{من الخفيف}

سَـيِّدٌ وَابـنُ سـادَةٍ أَحـرَزوا المَجـ ـدَ قَـديماً وَشَـيَّدوا المَكرُمـاتِ

جَعَـلَ اللهُ مَجـدَهُ وَعُـلاهُ في بَنيـهِ نَجابَـةً وَالبَنـاتِ

مِـن بَنـي هاشِـمٍ وَعَبـدِ مَنـافٍ وَقُـصَيٍّ أَربـابِ أَهْـلِ الحَيـاةِ

حَـيُّهُم سَـيِّدُ الأحيـاءِ ذا الخَلْـ ـقِ وَمَـنْ مـاتَ سَـيِّدُ الأَمـواتِ[1]

وهذه من المعاني القديمة التي ابّن بها أبو طالب اخاه الزبير بن عبد المطلب في الاشادة بجليل فضائله، فهو سيد السادات في العلو والمجد والكرم من بيت لا يبلغ مفاخره علو منزلته وشرف نسبه، فالزبير من بني هاشم بن عبد مناف بن قصي، وهؤلاء جميعهم سادات الدنيا، فجمع الزبير شرف النسب وشرف الكرم، فهو شيَّد المكرمات مع ابائه، وقد اقترنت فضيلة الكرم بالسيادة؛ لأنها من سجايا السيد الشريف، وهذا ما عرف عنهم من سعة كرمهم، وكثرة معروفهم[2].

وبعد أن ندب أبو طالب أباه حزنا وشجى وبكاءً[3]، أبّنه بفضائله الجليلة على الناس جميعهم، ومنها السيادة والكرم والشجاعة، فالسيادة في نظر الناس تعني القوة والمنعة والحماية، أي جزء من الشجاعة، ولا يكون السيد ذا هيبة ومحرزا المجد ما لم يكن معقلا يُلجا اليه في الشدائد، ويلوذ به الناس عند الحاجة، فهو الجواد السخي؛ لأن «السخاء اخو الشجاعة، وهما في أكثر الأُمور موجودان في ذوي بعد الهمة

---

(١) م.ن: ٩٩.

(٢) ظ: السيرة النبوية لابن هشام: ١/ ١٢٣- ١٢٤.

(٣) ظ: الديوان: ٩٧.

والاقدام والصولة»[1]، وعبد المطلب لـه بـاع في قومـه؛ فهـو رئيسهم واحـد حكـام العرب في قريش[2]، الذي لايتقدم عليـه احـد برايتـه التـي يحملهـا وهـو يـدافع عـن الابطال، وهو القائم على اعـمار بيت الله الحـرام، فـامتلأت الكعبـة نـورا، وانجلى الجدب عن الناس بفضله، ولعظم قدره وسيادته وشرفه وشجاعته وكرمه التي تعلـو على سادات القوم، وجب على الابن أن يندب أباه مفتخراً على أهل الفخر بقوله:

{من البسيط}

كـانَ الـشُجاعَ الجَـوادَ الفَـردَ سُـؤدَدُهُ ... لَـهُ فَـضائِلُ تَعلـو سـادَةَ الأُمَـمِ

مَـضى أَبـو الحَـارثِ المَـأمولُ نائِلُـهُ ... وَالُمختَـشى صَـولُهُ في النـاسِ وَالـنِّقَمِ

هُـوَ الـرَّئيسُ الَّـذي لا خَلْـقَ يَقدمُـهُ ... غَـداةَ يَحْمـي عَـنِ الأَبطـالِ بِـالعَلَمِ

العـامِرُ البَيـتَ بَيـتَ اللهَ يَمـلأهُ ... نـوراً فَيَجْلـو كُـسوفَ القَحْـطِ وَالظُّلَـمِ

رَبُّ الفِـراشِ بِـصَحْنِ البَيـتِ تَكرِمَـةً ... بِـذاكَ فُـضِّلَ أَهـلُ الفَخـرِ وَالقِـدَمِ[3]

إنَّ تأبين أبي طالب والده عبـد المطلـب في هـذا المقـام يعـد معنـى جديـدا، فهـو يتجاوز التأثير الاجتماعي ضمن اطار الاسرة إلى مـا هـو أعـم وأشـمل، وهـو الجانـب الديني، فعبدالمطلب رجل الدين المسؤول عـن سـدانة الكعبـة؛ ولانـه الـسيد الـشريف والعالي المقام «فكان يوضع لعبد المطلب فراش في ظل الكعبة وكان بنوه يجلسون حـول فراشه حتى يخرج اليه، لايجلس عليه احد من بنيه إجلالاً له»[4] وإعظاماً لمكانته.

---

(١) صبح الاعشى في صناعة الانشا: ٢/ ١٥.

(٢) ظ: تاريخ اليعقوبي: ١/ ٣٢٠.

(٣) الديوان: ٩٧.

(٤) السيرة النبوية لابن كثير: ١/ ٢٣٩.

ويبدو أنَّ أبا طالب في رثائه لأبيه يؤكد الجانب السياسي الذي يتمتع به في سيادته على قريش، وعلى المقام الديني، وفي هذا المقام وذاك يصوِّر فداحة فقدانه التي لحقت بالدين والدنيا.

وحينما أصابت بني قيس أيام من الجدب التجأوا إلى عبد المطلب لجاهه، ليشفع لهم بالسقيا من عند الله، ودعا الله بنزول الغيث، فما برحوا حتى انعم الله عليهم بالمطر فارتوت أرضهم.

وكأن أبا طالب أراد أن يبين جاه أبيه عند الله ومكانته الجليلة ومنزلته الرفيعة التي تفوق سائر الناس، وان وفاة والده عبد المطلب تمثل خسارة كبيرة لقومه وعشيرته، فقال مجيبا وفدا قد عزّوه بوفاة والده:

{من الطويل}

أبونا شفيعُ الناسِ حتّى سُقُوا بِهِ ... من الغيثِ رجّاسُ العَشِيِّ بَكُورُ
ونحنُ سنينُ المَحْلِ قامَ شَفيعُنا ... بمكَّةَ يدعو والمياهُ تَغُورُ
فلم يبرح الأقوامُ حتّى رَأَوْا بها ... سحاباتِ مَزنٍ صَوْبُهُنَّ دَرُوْرُ
وقيسٌ أتَتْنَا بَعْدَ أزْمٍ وشِدَّةٍ ... وَقد عَضَّها دَهرٌ أكبُّ عَثُورُ
فما برَحِوا حتّى سقى اللهُ أرضَهم ... بِشَيْبَةَ غيثاً فالنباتُ نَضيرُ[1]

ومن المعاني الجديدة التي زادها أبو طالب في هذا المقام الكرامة التي منحها الله والده عبد المطلب بالاستسقاء[2] ببركة دعائه أيام الجدب والقحط في مكة، فقد

---

(١) الديوان: ١٤٩، غيث رَجّاس: ذو رعدٍ شديد الصوت، بكور: مُبكّر في وقته، أكب: كثير العثار.

(٢) ظ: أنساب الأشراف: ١/ ٨٣، الخصائص الكبرى: ١/ ٨٠، حديث الاستسقاء.

«توالت على قريش سنون مجدبة حتى ذهب الزرع وقحل الضرع، ففزعوا وقالوا: قد سقانا الله بك مرة بعد اخرى فادعُ الله أن يسقينا ... فما راموا حتى انفجرت السماء بمائها وكظَّ الوادي بثجّه»[1].

ـ العزاء:

العزاء في الأصل الصبر، والتعزية التصبير والحمل على الصبر بذكر ما يسلي المصاب ويخفف حزنه ويهون عليه مصيبته، والعزاء الصبر على كل ما فُقِدَ[2]، ثم حُدِّد استعمال اللفظ بمصيبة الموت، فالعرب كانوا في الجاهلية يتحاضون على الصبر ويعرفون فضله، ويعيرون بالجزع أهله ايثارا للحزم وتزينا بالحلم، وفرارا من الاستكانة إلى حسن العزاء[3]، ويحاول الشاعر في التعزية أن يتطرق إلى المعاني التي تخفف وقع اثر المصاب على أهل الراحل، ويتخذ العزاء أساليب وألوانا متعددة في التعبير تبعا لقدرة الشاعر الابداعية وتأثره بالمصاب، وعلاقته بصاحب المصيبة.

ومن ألوان العزاء، تسلية النفس بالصبر، وهذا ما فعله أبو طالب في رثائه لصديقه مسافر، فهو لايعزي أهل الفقيد بمصاب صديقه ونديمه وخليله مسافر بن أبي عمرو[4]، وانما يعزي نفسه بفقده، لأن المصاب ليس مصاب أهله فحسب، وانما

---

(١) تاريخ اليعقوبي: ٢/ ٩- ١٠.

(٢) ظ: لسان العرب: «عزا».

(٣) ظ: التعازي: ٧٥، التعازي والمراثي: ٤.

(٤) ظ: المحبر: ١٧٤، مسافر بن ابي عمرو بن أمية بن عبد شمس، كان سيدا وجوادا في قومه، وهو أحد أزواد الركب الذي سبق ان ترجمنا عنه ص: ٧٣- ٧٤، مات بالحيرة في الجاهلية، ظ: خزانة الأدب: ٤/ ٢٤٦، ٨/ ١٤٧، ١٠/ ٤٦٨-٤٦٩، ٤٧١.

مصابه هو أيضا، فقال في قصيدته النونية التي رثاه بها، وقد كان مسافر قد أصيب بداء في بطنه فخرج ليتداوى في الحيرة فمات بهبالة[1]:

{من الخفيف}

كَم خليلٍ وصاحبٍ وابنِ عمٍّ وحميمٍ قفَتْ عليهِ المَنونُ

فتَعزَّيتُ بالجلاةِ والصَّبْرِ وإنّي بصاحبي لَضَنينُ[2]

ويجد أبو طالب في العزاء سبيلا الى التأسي بمن فقد؛ لان الموت سيحل بفنائه في يوم من ايامه، وهذا يهون عليه المصاب؛ ولأن الانسان ضيف بين أهله وخلانه يقاسي المتاعب من غربة ومرض وهموم، ثم يرحل إلى العالم الآخر، لايذكر ما كان يعانيه، وكأن الشاعر بعد أنينه وبكائه[3] على صاحبه رأى ان كل ما يفعله من أمر البكاء لا يغني عنه شيئا؛ لأن محنة الموت محنة الناس جميعا، فوجد في العزاء بالصبر خير سلوى لأحزانه.

ونجد في شعر أبي طالب صورة أُخرى من صور العزاء، وهي ان يكون الشاعر المُعزَّى من قبل الناس والمُعَزِّي نفسه في آن معا، فعندما «سارت وجوه قيس وهذيل وأسد ومن داناهم من مضر، حتى أتوا قبر عبد المطلب فأقاموا عليه أياما، ونحروا مطاياهم، وحلفوا ألا يدخلوا مكة إلا حفاة حُسرا وجاؤوا أبا طالب يعزونه»[4] بمصاب والده الجسيم، ويسألون ان يكون بخلافته جبر ما انكسر، وان

---

(١) ظ: الديوان: ٢٦٣، هبالة: موضع من مياه بني نمير، ظ: معجم البلدان: ٥/ ٣٩٠.

(٢) م.ن: ٢٦٣.

(٣) ظ:الديوان: ٢٦٣.

(٤) م.ن: ١٤٧.

يرتفع به ذكر العرب، فقد كان عبد المطلب شفيعا لمن شفع، لاتخمد ناره، ولايخاف جاره، الملك المتوج، الوارث الجود عن الجدود[1]، فأراد المعزون بتعزيتهم بيان منزلة عبد المطلب عند الله والناس فقد كانت قريش تستسقي بشفاعته عند الله ايام الجدب، لعظم قدره وجليل مكانته، فيعودون منه مستبشرين، وهم يتوسمون في أبي طالب الخير في خلافته إياه، فهو «وارث الجود، ومحل الوفود، وانما تلد الاسود الاسود»[2]، ففي عقب عبد المطلب الخير والصلاح والفلاح، فأجاب أبو طالب المعزين:

{من الطويل}

أَتَيْتُم فعزَّيْتُم على هُلْكِ سيدٍ   قضى نحبهُ والدائراتُ تدورُ

فبُلِّغْتُم ما تأملونَ بِغبطَةٍ   وصِرْتُم الى ربٍّ إليه نصيرُ[3]

والحقيقة التي لا مناص منها في ظل الدين الحنيف تؤكد ان مرد الانسان إلى الله، ولا سبيل له في الفرار، فالموت تاج فوق رؤوس الناس، ولاينبغي للمرء ذي العقل الراجح والمتزن والمؤمن بقضاء الله أن يجزع، أو يفعل ما لا يليق بمعتقده ودينه وسلوكه القويم، وهذا ما كان واضحا في معتقد أبي طالب، لأنه من الموحدين، فقد وجد في الرثاء له طريقا اخر بصورة تباين مثيلتها في الجاهلية يظهر فيها الايمان بقضاء الله، فكان جواب أبي طالب «فإنَّ الى الله الرُّجعَى وهو الحيُّ الذي لا يموتُ وما سواهُ ميت طوبى من كان في الحياة حسن العمل، وفي دهره قصر الأمل، ويكون بدله خير بدل»[4]، فأبو طالب يدرك ان الموت الذي أخذ أباه لابد من أن يأخذه

---

(١) ظ: م.ن: ١٤٧ – ١٤٨.

(٢) م.ن: ١٤٨.

(٣) م.ن : ١٤٩.

(٤) م.ن: ١٤٨.

يوما، وعليه أن يستجيب لامر الله؛ لأن الجميع مردهم اليه.

ومن صور التأسي والعزاء تذكير أهل الفقيد بمنزلته ومكانته وفضائله، فعزى أبو طالب عمرو بن هشام ابن خاله هشام بن المغيرة، متوسما الخير فيه، في عظيم المحن والمصائب مثلما يفعل أبوه فقال:

{من الطويل}

فَقَدنا عَميدَ الحَيِّ فَالرُكنُ خاشِعٌ ... لِفَقدِ أَبي عُثمانَ وَالبَيتُ وَالحِجرُ

وَكانَ هِشامُ بنُ المُغيرَةِ عِصمَةً ... إذا عَرَكَ الناسَ المَخاوِفُ وَالفقرُ

بِأَبياتِهِ كانَت أَرامِلُ قَومِهِ ... تَلوذُ وَأَيتامُ العَشيرَةِ وَالسَّفرُ

فَوَدَّت قُريشٌ لَو فَدَتهُ بِشَطرِها ... وَقَلَّ لَعَمري لَو فَدَوهُ بِهِ الشَّطرُ

نَقولُ لِعَمرٍو: أَنتَ مِنهُ، وَإِنَّنا ... لَنَرجوكَ في جُلِّ المُهِمّاتِ يا عَمرُو[1]

إنَّ موت هشام مصاب جلل خشع له الحجر الأسود والكعبة والذي حولها استعظاما للحدث، وهذه من المعاني الجديدة التي زادها أبو طالب في العزاء، وهو يركز على الصفات التي يتحلى بها الفقيد، الذي كان حاميا ومانعا للناس، فهو ملاذ الفقراء والأرامل والأيتام والمسافرين، فموته ترك فراغا كبيرا لهؤلاء القوم، ولذلك

---

(١) الديوان:٣٣٥، أبو عثمان كنيته هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، والد أبي جهل من سادات العرب في الجاهلية، وكان رئيس مخزوم في حرب فجار، وكان يؤرخون في مكة بوفاته، ظ: جمهرة أنساب العرب: ١/ ١٤٤، والتبيين في أنساب القرشيين: ٣١٦، عمرو بن هشام: كان يكنى في الجاهلية أبا الحكم، وكناه رسول اللهﷺ أبا جهل، وكان أحد مشايخ قريش ومن اشد المشركين إيذاءً للرسول والمسلمين، قُتِلَ كافرا في معركة بدر في السنة الثانية للهجرة، ظ: السيرة النبوية لابن هشام: ٢/ ٢٠٠- ٢٠١، جمهرة أنساب العرب: ١/ ١٤٤- ١٤٥.

فان قريشا تفديه بنصفها، وهذا قليل بحقه، ومن هنا تتضح مسوغات مبالغة الشاعر في رثائه.

والنعي له علاقة وثيقة بالرثاء فهو يعني اعلان موت الفقيد وإشهاره، «فيقال: نعي الميت ينعاه نعيا إذا اذاع موته وأُخبر به، وإذا ندبه»[1] ومن هنا تبرز حقيقتان: الأولى: اشاعة خبر موت الفقيد بين الناس، والثانية ارتباط نعي الميت بندبه أي بذكر محاسنه وصفاته وشمائله وخلاله الحميدة، وبتأبينه بالبكاء عليه وذرف الدموع الغزار، وبتعزية أهله بمصابهم إلى آخره.

ومما ورد في شعر أبي طالب في صدد النعي باعلان موت الفقيد، واشاعة خبره بين الناس، الصورة التي رسمها عندما فقد أخاه وسنده في النائبات، فتردت حاله ساعة ابلاغه خبر هلاكه حينما نادى الناعي بموت أخيه الزبير، تُبين حزنه العميق النافذ إلى اعماق شعوره، ففقده لأخيه اضناه وهزل جسده، ولوعته الصادقة اشابت رأسه، وكأن صحة الشاعر ذهبت بذهاب أخيه حسرة عليه، فليس بعده سند في المحن والشدائد فقال:

{من البسيط}

يا زَبرُ أوحدتني للنائباتِ وقد ... خلَّلتَ لحمي وامسى الرأسُ مُشتَهِبا

من كانَ سرُّ بهلكِ للزُبيرِ فقد ... نادى المُنادى بِزُبرِ إنهُ شَجَبا[2]

ومن سبل النعي ندب الشاعر الفقيد وتأبينه بالخصال والقيم الحميدة، فعندما

---

(١) لسان العرب: «نعا».

(٢) الديوان: ١٦٩، خللت لحمي: قلَّ ونحف من الهزل، والمشتهب: الذي غلب بياضُهُ سوادَهُ، والشجب: الهلاك.

نادى الناعي برحيل أبي امية بن المغيرة اصابت الحيين: كعب وعامر بموته فاجعة كبيرة بخلاف ما كان يتنادى الناس بالبشارة لوصوله سالما من رحلته في بلاد الشام فيصبح اهل مكة في غمرة من الفرح والحبور لمجيئه، فقال:

{من الطويل}

تَنادُوا بِأَنْ لا سَيِّدَ الحَيِّ فيهِم ... وَقَد فُجِعَ الحَيّ انِ كَعبٌ وَعامِرُ

وَكانَ إذا يَأتي مِنَ الشامِ قافِلاً ... تَقَدَّمهُ تَسعَى إِلَينا البَشائِرُ

فَيُصبِحُ أَهلُ اللهَّ بيضاً كَأَنَّما ... كَستهُم حَبيراً رَيْدَةٌ وَمَعافِرُ

تَرى دارَةً لا يبرحُ الدَهر عِندَها ... مُجَعجِعَةً كومٌ سِمانٌ وَباقِرُ

إِذا أَكَلَتْ يَوماً أَتى الغَدَ مِثلها ... زَواهِقُ زُهمٌ أَو مَخاضٌ بَهازِرُ

ضَروبٌ بِنَصلِ السَّيفِ سُوقَ سِمانِها ... إِذا عَدِموا زاداً فَإِنَّكَ عاقِرُ

....

فَيا لَكَ مِن ناعٍ حُبيتَ بِأَلَّةٍ ... شِراعِيَّةٍ تَصفَرُّ مِنها الأَظافِرُ[1]

وكأن الشاعر هنا ينعى الفقيد ويشيع خبر موته بين الناس في البيتين الاول والثاني في الوقت الذي كان هول إعلان موت أبي أمية له وقعٌ نفسيٌ كبيرٌ عليه جعله يطلق العنان للسانه بالدعاء على الناعي بان يوجه الله له حربة طاعنة تبلغ بها موته على خبره المشؤوم، وكأن الشاعر لايدرك ماوقع فعلا بعد ان ينعى اجلَّ الصفات التي يتحلى بها الفقيد، وهي فضيلة الكرم، والشاعر عندما ينعى كرم خاله، انما يظهر

---

(١) الديوان (التونجي): ٤٥ – ٤٦، الزواهق: مفردها زاهقة وهي السمينة، البهازر:البُهزُرة: وهي الناقة العظيمة، كعب وعامر اولاد لؤي بن غالب بن فهر، يدخلان في النسب النبوي،ظ: جمهرة أنساب العرب: ٢/ ٤٦٤.

الدافع الروحي لأبي أمية في حبه لهذه القيمة، لأنَّه ينحر أفضل ما عنده من الإبل لاطعام الفقراء والضيوف، يريد أن يصور أن خاله كثير العطاء سخي جواد من سادات مكة، فبكرمه حاز المجد والعلى.

إن إيغال الشاعر بتفاصيل الحديث عن كرم الفقيد يجعل تبيين هول فقده واضحا يشترك فيه اغلب الناس الذين عرفوا هذه الصورة منه.

واذا كان للندب والتأبين نصيب وافر في قصيدة الرثاء، فانها لن تخلو من النعي فقد يشترك الندب والتأبين والنعي في آن معا، فنعى أبو طالب نديمه بمعاني الوفاء للصديق، وهو ينتحب بكاء وحزنا وألما عليه نادبا ومؤبنا فقال:

{من الخفيف}

لَيتَ شِعري مُسافِرَ بنَ أَبي عَمـ	ـرِو وَلَيتٌ يَقولُها المَحزونُ
أَيُّ شَيءٍ دَهاكَ أَوغالَ مَرْآ	كَ؟! وَهَل أَقدَمَتْ عَلَيهِ المَنونُ؟
أَنا حامِيكَ مِثلَ آبائِيَ الزُهـ	ـرِ لآبائِكَ الَّتي لا تَهونُ
مَيتُ صِدقٍ عَلى تَبالَةَ أَمسَيـ	ـتَ وَمِن دونِ مُلْتَقاكَ الحُجُوْنُ
بُورِكَ المَيِّتُ الغَريبُ كَما بو	رِكَ نَضحُ الرُمانِ وَالزَّيتُونُ
كُنتَ بي مرَّةً وَفَوقَكَ لا فَو	قَ فَقد صِرْتَ لَيسَ دونَكَ دُوْنُ
كانَ مِنكَ اليَقينُ لَيسَ بِشافٍ	كَيفَ إِذ رَجَّمَتكَ عِندي الظُّنونُ
كُنتَ مَولىً وَصاحِباً صادِقَ الخِبـ	ـرَةِ حَقّاً وَخُلَّةً لا تَخُوْنُ
فَعَلَيكَ السَّلامُ مِنّي كَثيراً	أَنفَدَتْ ماءَها عَلَيكَ الشُّؤونُ[1]

---

(١) الديوان: ١٠٤، تبالة: موضع ببلاد اليمن، أو من أرض تهامة في طريق اليمن، ظ: معجم البلدان: ٢/ ٩، والحجون: موضع مقابر أهل مكة، ظ: معجم البلدان: ٢/ ٢٢٥.

يريد الشاعر أن يداوي جراحه وهو يبكي الفقيد؛ ليسكن غليان جوفه، وفوران دموعه، وصوت أنينه، وفي هذا كله تتدفق عواطفه ويشتد الغلو في ذكر محاسن الفقيد فتتفاعل لدى الشاعر مشاعر مختلفة من بكاء ومديح، ليبين مقدار الحزن الذي يكتنفه عند سماع خبر موت الفقيد، فنبأ وفاة مسافر كان خطبا جليلا، وفاجعة مؤلمة، وخسارة عظيمة للشاعر ـ الذي كان نديما له ـ فلم يصدق موت صاحبه لمفاجأته بوفاته، ولكنه سرعان ما ادرك بيقين ان سلامة صديقه امر محال بعدما سمع خبر نعي وفاته، فقد كان مسافر نعم ابن العم والصديق والخليل الذي لايخون صاحبه، فعليه السلام مودعا ما دامت العين تذرف الدموع.

ومما تقدم يتبين: أنَّ رثاء أبي طالب جاء على ثلاث صور: الندب والتأبين والعزاء، فورد الرثاء مادياً ـ في أكثر الاحايين ـ بالبكاء، وذرف الدموع على الفقيد الراحل، والتركيز على الفضائل الخُلُقية من شرف السيادة، وعراقة الأصل، وعلو النسب، وشعيرة الكرم وغير ذلك من الصفات، وغياب الصفات الخَلقِية مثلما كان معهودا في الشعر الجاهلي، وفي العزاء شاعت روح ايمانية في التسليم بقضاء الله وقدره في المصاب، اما ارتباط النعي بصور الرثاء، فقد كان النعي يهدف إلى إشاعة خبر الموت أو مواساة أهل الفقيد، وقد ركز الشاعر على ما يمكن أن يميز رثاءه من غيره من الشعراء فخشوع الحجر والبيت معنى لانجده عند غيره من الشعراء.

❁ الفخر :

مزج بعض الباحثين بين الحماسة والفخر[1]، وجعلهما في باب واحد للروابط

---

(١) ظ: أدباء العرب في العصر الجاهلي وصدر الإسلام: ١/ ٤٦، الفروسية في الشعر الجاهلي: ٢٤٣- ٢٤٤، شعر الحرب في العصر الجاهلي: ٢١٨- ٢٢٢.

الوثيقة بينهما، فالحماسة تعني الفخر بالنفس والإباء، وذكر البطولات والوقائع، ووصف الحرب وأدواتها من سلاح وخيل وعدة، ومن مظاهر قيم البطولة: الشجاعة والإقدام والجرأة والمنعة والمحاربة والشدة والصبر إلى آخره.

وباب الفخر يعني المباهات بالنسب والسيادة والمجد والكرم والاخلاق الكريمة فضلا عن الاشادة بالأعمال الحربية، وقيم البطولة من شهامة، ومروءة، وقوة، وشجاعة، وإقدام، وخبرة حربية، وتضحية، وصبر، ورئاسة، وكثرة عددية، ومجد حربي، فالحماسة وردت ضمن معاني الفخر، فهما صنوان متلازمان يسيران في خط واحد لايمكن الفصل بينهما، فهي الفخر بعينه الذي يرتفع فيه صوت الذات أو الجماعة أو كلاهما في آن معا، فالحماسة والفخر يصدران من صفات جليلة وفضائل حميدة تمثلتها النفس العربية قبل الإسلام، اما في عهد الرسالة فكانت تسبغ عليها روح الايمان، وتأييد رسالة السماء، والوقوف بجانب صاحب الرسالة، والدفاع عنه وحمايته ومناصرته وشد أزره، وهي من الموضوعات المهمة في شعر أبي طالب[1]، يجد الشاعر فيها منفذا ليتغنى من خلالها بالمثل العليا، والسجايا المعنوية، والفضائل المادية التي تتناسب وطبيعة شخصيته المعتدة بنفسها، وروحه المتوهجة بالانفة والشموخ، ومجده الكريم، فيشيد بفخره الديني الذي يرتبط بقيم السماء، والدين الجديد والايمان بالله، ومؤازرة رسول الله ﷺ ونصرته، وهو في ذلك كله مدفوعا بحماسته الدينية إلى الفخر بالقيم الاجتماعية التي باركها الإسلام وحث عليها على

(١) ظ: الديوان: ١٧٢، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٧، ١٧٨، ١٨٠، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٩، ١٩٣، ١٩٦، ١٩٨، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١٢- ٢١٣، ٢١٤- ٢١٥، ٢١٦- ٢١٧، ٢١٨- ٢١٩، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٨، ٢٢٩، ٣٠٠، ٢٣٥، ٢٣٦- ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٤١، ٢٤٢- ٢٤٤، ٢٨٥، ٣٣٣، ٣٣٨- ٣٣٩، ٣٤٤.

مستويين: الفخر الذاتي الذي يتغنى فيه الشاعر بمناقبه ومحاسنه وفضائله، والفخر الجماعي الذي يتباهى فيه بنسب قومه الهاشمي ودفاعهم عن نبي الله والذود عنه، وحمايتهم له، وبجليل اعمالهم قبل عهد الرسالة وبعدها.

ومن سمات الفخر الديني التي تتجلى في أبهى صورها في شعر أبي طالب فخره بحماية رسول الله ﷺ، فقانون الحماية في المجتمع العربي قانون اجتماعي فرضته طبيعة حياة العرب الذي يفسر قوة روح الأواصر والتماسك في المجتمع الواحد كما ذكرنا آنفا، وقد اكتسب هذا القانون في عهد الرسالة معنى جديدا لايتمثل بحماية الفرد فحسب، وانما يتمثل بحماية الدين الجديد، وصاحبه، وتأييده، ومناصرته، ومؤازرته،والحفاظ عليه، وحماية اصحابه حتى يشتد ساعده، ويظهر دينه إلى النور، ووجد صاحب الرسالة في عمه خير حامٍ وناصر ومؤازر ومدافع، والى هذا المعنى يتباهى أبو طالب بعدم خذلان النبي متوعدا اعداءه بقطف الرؤوس، والهزيمة عند المواجهة، فقال:

{من المنسرح}

وَاللهِ لا أَخــذُلُ النَبِــيَّ وَلا ... يَخْذُلُـهُ مِــن بَنِـيَّ ذو حَسَبِ

حتّــى تَــرَوْنَ الــرؤوسَ طائحــةً ... منّــا ومــنكم هنــاكَ بالقُــضُبِ

وترجــعُ الخيــلُ بعــدَ شــدَّتِها ... مَزدودُهــا نحــو وِجْهَــةِ الهَــرَبِ

حتّـى تَـرى الجِـدَّ حـينَ يُقْـضَبُ بالسّـ ... ـمـرِ وبالمُرهفــاتِ كاللَّعــبِ

نحــنُ وهــذا النبــيُّ أُسرتُــهُ ... نــضربُ عنــهُ الأعــداءَ كالــشُّهُبِ

إنْ نِلتُمــوهُ بكُــلِّ جَمْعِكــم ... فــنحنُ في النــاسِ ألأمُ والعَــرَبِ[1]

---

(١) الديوان: ١٧١ - ١٧٢.

ويعاضد أبو طالب نبي الله على اعدائه ويطلب منه اظهار دعوته، ويقدم نفسه قبل نفس النبي دفاعا عنه مفتخرا:

{من البسيط}

لا يَمنَعَنَّكَ مِن حَقٍّ تَقومُ بِهِ إيراقُ أيدٍ ولا إرعادُ أَصواتِ
فدونَ نَفْسِكَ نفسي غيرَ مَتْئِبٍ وَدونَ كفِّكَ كفّي في المُلِمّاتِ[1]

إن كف أبي طالب هنا ليست كفا كغيرها من الاكف، فهي كف الثقل الاجتماعي والديني والاخلاقي الذي يجسده بيت عبد المطلب، ولذلك اشار إلى كفه لا من قلة وانما من قوة وكثرة .

وإيمان أبي طالب بالدين الجديد جعله يفتخر بحماية رسول الله والذود عنه ضد معارضيه، فهو سخي النفس في فداء نبي الله؛ لان الله ـ بلا ريب ـ مظهر دينه ورافع شأنه في الدنيا والآخرة، فقال:

{من الطويل}

وَجُدتُ بِنَفسي دُونَهُ وَحَمِيتُهُ وَدافَعتُ عَنهُ بِالطُّلى وَالكَلاكِلِ
وَلا شَكَّ أَنَّ اللهَ رافِعُ أَمرِهِ وَمُعلِيهِ في الدُنيا وَيَومَ التَّجادلِ[2]

ومن أوضح ملامح الفخر العقائدي في شعر أبي طالب في دفاعه عن الدين الجديد، ونصرة الإسلام المتمثلة بحامل لواء الإسلام بوصفه النبي محمداً قوله:

---

(١) الديوان: ٢٠٨.

(٢) م.ن : ٨٥، الطُّلى: الاعناق، الكلاكل: عظام الصدر.

{من الطويل}

أُقـيمُ عـلى نَـصْرِ النبـيِّ محمّـدٍ أقاتـلُ عنـهُ بالقنـا والقَنابـلِ[1]

ومن مظاهر المعاني الاجتماعية المنبثقة من القيم الدينية صلة الرحم، وهي احدى دعائم البناء السليم للمجتمع الذي نقّاها الإسلام من براثن الجاهلية من ظلم واسراف[2]، فلم تعد صلة أسرية فحسب، وانما صلة واجبة اوجبها الإسلام، وصلة الرحم في شعر أبي طالب نابعة من قداسة قرابته لنبي الله ﷺ التي فرضت عليه حمايته، فضلا عن ايمانه بما جاء به ابن أخيه، فعمل جاهدا على ديمومتها عندما افتقده وظن أن قريشا اغتالته، فهب مخاطبا قريشا، ومفتخرا باخلاصه في رعايته لآل محمد، غير قاطع رحمه مهما نجم عن ذلك من حروب متوعدا الفهريين الذين عزموا على قتل محمد زورا وظلما بحرب لاهواد لها ان نفذوا ما عزموا عليه فقال:

{من الوافر}

أَلا أَبلِـغ قُرَيـشاً حَيـثُ حَلَّـت وَكُـلُّ سَرائِـرٍ مِنهـا غُـرُوْرُ

فَـإِنّي ـوَالـضَوابِحُ عادِيـاتٍ وَمـا تَتلـو الـسَفاسِرَةُ الـشُّهُوْرُ

لآلِ مُحَمَّـدٍ راعٍ حَفـيظٌ وَوَدُّ الـصَدرِ مِنّـي وَالـضَميرُ

ولَـستُ بِقـاطِعٍ رَحِمـي وَوُلـدي وَلَـو جَـرَّت مَظالِمَهـا الجَـرورُ

فيـا للهِ درُّ بنـي قُـصَيٍّ لَقِـدْماً حـلَّ عرصـتَهم ثُبُـورُ

عـشيةَ ينتحُـونَ بـأمرِ إفـكٍ ويـستهوي حلُـومُهم الغُـرورُ

---

(١) الديوان: ٢٥٨، القنابل: الجماعات من الناس والخيل.

(٢) ظ: البقرة/ ٢١٥، النساء/ ٣٦، الانفال/ ٧٥.

فــلا وأبيــكَ مــا صَــدَقَتْ قــريشٌ ... ولا أمَّـــت رشـــاداً إذ تُـــشِيْرُ

أيـــأمرُ جمعُهـــم أفنـــاءَ فهـــرٍ ... بقتـــلِ محمـــدٍ والأمـــرُ زُوْرُ

ألا ظلَّـــتْ حُلـــومُهُم جميعـــاً ... واطلـــقُ عَقْـــلُ حَـــربٍ لا تَبـــورُ

أتـــرضى مـــنكم الحُلـــماءُ هـــذا ... ومـــا ذاكُـــم رضىً لي أنْ تَبُـــورُوا

بُنَـــيَّ أخـــي ونـــوطُ القلـــب منّـــي ... وأبـــيضَ مـــاؤه غَـــدَقٌ كثـــيرُ

وتـــشربُ بعـــدهُ الـــشبَّانُ ريّـــاً ... وأحمـــدُ قـــد تـــضُمَّنَهُ القُبـــورُ

وكيـــف يكـــونُ ذاكُـــم مـــن قـــريشٍ ... ومـــا منـــاً الـــضر ّ اعَةُ والفُتُـــورُ[1]

من الملاحظ أن فخر أبي طالب هنا قد تخلص من الرداء القبلي، فهو يخاطب قومه مهددا ومؤنبا، ويفخر بنفسه، وهذا ما لم نعهده عند غيره من الشعراء[2]، فلم يعد فخر الشاعر فخرا بالقبيلة وانما هو فخر بالنفس او بالرهط الادنى من قومه، وهذا جاء بفعل العقيدة، ومن هنا لم يقسُ الشاعر على قومه وهو يؤنبهم على فعلهم، وانما حاول ان يستثير الحكماء منهم بان لايقبلوا هذا الامر، ولاسيما أنه يشعر أن قريشا تحفظ له مكانته فيها من حيث علو المقام فلا بأس من تأنيبهم من هذا الطرف أو ذاك.

ومن مستلزمات قانون الحماية الشجاعة التي كانت قبل الإسلام لها غايتها في الدفاع عن النفس ضمن إطار القبيلة، فاضحت في الإسلام لها غايات سامية وهي

---

(١) الديوان: ٢٤٢ - ٢٤٣، الضوابح: الخيل التي لا يكون لانفاسها صوت عند العدو، السفاسرة: اصحاب الاسفار وهي الكتب، الشهور: العلماء، صدر البيت الحادي عشر غير مستقيم.

(٢) ظ: تمثيلا لا حصرا: شرح المعلقات العشر واخبار شعرائها: ١٣٧ - ١٥٣، (معلقة عمرو بن كلثوم)، ديوان الأعشى الكبير: ١٨١ - ١٨٣، ٢٥٩ - ٢٦٥.

نشر الدعوة الإسلامية، وحماية رسول الله، واعلاء كلمة الحق.

ويسمعنا أبو طالب صوته في فخره بفروسيته التي هي أظهر مجالات الشجاعة وهو يذود من دون رسول الله محذرا الفهريين[1] الذين إئتمروا على قتل رسول الله بحرب تفور منها الدماء، مانحا النبي محمدا عهدا بالحفاظ عليه ونصرته من شيخ هجر المعايب والفواحش، وعندما يفتخر بمجانبة الاثام والابتعاد عنها؛ فهذا يدل على أنه شخصية قويمة على هدي التوحيد، فقال:

{من الوافر}

عليَّ دماءُ بُدنٍ عاطِلاتٍ ... لئن هَدَرَتْ لذلكم الهدورُ

وقامَ الضّاربونَ بكُلِّ ثَغْرٍ ... بأيديهم مُهَنَّدَةٌ ذُكُورُ

لتَعترِفُنَّني في الصَّف قُدْماً ... أضاربُ حينَ تحزبُهُ الأمورُ

أرادي مرَّةً وأكرُّ أُخرى ... حذاراً أن تَغُورَ به الغُؤورُ

أذودَهُم بأبيضَ مشرفيٍّ ... إذا ما نابَنا أمرٌ كسيرٌ

اذا سألَتْ مُجَلَّحَةٌ صدوقٌ ... كأنَّ زهاءَها رأسٌ كبيرُ

مجمّعةُ الصفوفِ أُسودُ فهرٍ ... وكانَ النَّقعَ فوقهم يثورُ

كأنَّ الأفقَ محفوفٌ بنارٍ ... وحولُ النّارِ آسادٌ تزيرُ

بمعتركِ المنايا في مكرٍّ ... تخالُ دماءها قدراً تفورُ

هنالكَ يا بُنَيَّ تكونُ منّي ... بوادرُ لا يقومُ لها ثَبيرُ

كدَهدَهةِ الصُّخورِ من الروابي ... إذا ما الأرضُ زَلْزَلَها النذيرُ

وقيٌّ دونَ نفسكَ إنْ أرادُوا ... بكَ الدَّهياءَ أو سالَتْ بحورُ

---

(١) ظ: الديوان: ٢٤٢- ٢٤٣.

....

لــكَ اللهُ الغــداةَ وعَهْــدُ شـيخٍ تجنَّبــهُ الفــواحشُ والفجــورُ
بتَحفــاظٍ ونُــصرةُ اريحــيٍّ مـــن الأعـــامِ اعـــضادٌ نـــصورُ(١)

وجد الشاعر في تصوير المعركة سبيلا لتصوير بلائه والاشادة بنفسه وهو يمزج بين الفخر والوعيد.

ويأبى أبو طالب الضيم، فيدافع عن الحق الذي انزله وحي السماء مستنكرا ان يضام «النبي محمد»(٢) وهو على قيد الحياة، فقال مفتخرا بشجاعته:

{من مجزوء الكامل}

أَنَّــى تُــضامُ وَلَمْ أَمُــت وَأَنــا الــشُّجاعُ العربِــدُ
وَبِطــاحُ مَكَّــةَ لا يُــرى فيهــا نَجيــعٌ أَســوَدُ
وَبَنــو أَبيــكَ كَــأَنَّهُم أُســدُ العَــرينِ تَوَقَّــدُ(٣)

وهذه من المعاني التي ارتدت حُلَّة إسلامية تتجلى بها بروز فكرة الفداء للنبي ﷺ.

ومن أظهر ملامح الشجاعة الصبر، والفخر بقيم الصبر من المعاني القديمة

---

(١) الديوان: ٢٤٣- ٢٤٤، ظ: م.ن: ٢١٠، عاطلات: الحسان وعيطل الناقة في حسن منظر وسمن، أرادي: أناضل وادافع، غؤور: ذهب في الأرض، التجليح: الحملة والإقدام الشديد، الزهاء: الشُّخوص، رأس كبير: أي الجيش على حياله.

(٢) ظ: الديوان: ٣٣٣.

(٣) م.ن: ٣٣٣، القرم: السيد، الاغر: الشريف، البطاح: مفردها الأبطح، وهي حصى الوادي اللين في بطن المسيل، النجيع: الدم الذي يضرب لونه إلى السواد، العرين: مأوى الأسد بين الشجر.

التي تمثلها العربي في مواجهة معترك الحياة، ومداليلها تتسع لتشمل مختلف اسبابها، وقد اكتسى هذا المعنى حُلَّة جديدة في عهد الإسلام تزين صاحبه بالإيمان الذي عدَّ من سجايا القلوب المؤمنة، فمن المفاخر الذي يعتز بها أبو طالب الصبر والثبات في المواقف الصعبة، واوقات المحن، وهو يذود عن رسول الله، ويُصبِّر نفسه على من خذله من بني عبد مناف، ولاسيما بني عبد شمس ونوفل في تخلفهم عن نصره ونصرة رسول الله[1]، تاركهم للزمن لعله يجد سبيلا لاصلاحهم فقال:

{من الطويل}

ألَمْ تعلموا أنّا بدارِ مَضيْعَةٍ	ولا لكم فينا قِصَاصٌ ولا وتْرُ
فلا تَعْجَبوا أنّي صبرتُ عليهم	فصّبْري وإبقائي لكي يُقْبَلَ الدَّهْرُ[2]

ولما آوى بنو هاشم مع رسول الله ﷺ إلى الشِّعب، وقد تحالفت عليهم قريش وكتبوا الصحيفة، كان مدلول الصبر سبيل أبي طالب الى النصر متدرِّعا نفسه به عن مقاتلتهم، فحبس نفسه منهم بقناته وسيفه البتّار الذي هو من تراث حِمْيَر، يريد أنَّه لامثيل له فأنشد:

{من الطويل}

وَلَمّا رَأَيتُ القَومَ لا وُدَّ فيهم	وَقَد قَطَعوا كُلَّ العُرى وَالوَسائِلِ
وَقَد صارَحونا بِالعَداوَةِ وَالأَذى	وَقَد طاوَعُوا أَمْرَ العَدوِّ المُزايِلِ
وَقَد حالَفوا قَوماً عَلَينا أَظِنَّةً	يَعضّونَ غَيظاً خَلفَنا بِالأَنامِلِ

---

(١) ظ: م.ن: ١٨٦، ٢٢٢.

(٢) الديوان: ٢٢٢.

صَــبَرتُ لَهُــم نَفــسي بِــصَفْراءَ سَــمحَةٍ وَأَبــيَضَ عَـضبٍ مِـن سيوفِ المقـاوِلِ[1]

لم يحدثنا التاريخ عن معارك بين المسلمين والمشركين في مكة استعملت فيها السيوف، بيد أنَّ الشاعر سلك هذا السبيل ليبعد أذى المشركين عن النبي ﷺ من دون ان يقع قتال فعلي، وهذا الشعر أقرب إلى الفخر الممزوج بالتهديد الذي سنتحدث عنه لاحقا[2].

ومن أوضح معالم الصبر الحلم والعفو، وهما من القيم العربية التي لها علاقة وثيقة بالكرم، وهما دليلان على صفاء القلب، وسعة الصدر، وطيب النية، فتغنى أبو طالب بحلمه وعفوه في الوقت الذي له القدرة على انصاف نفسه من خصمه، فأعدَّ عفوه ضربا من فضيلة الكرم:

{من البسيط}

قابلــتُ جهلَهُــمُ حلــماً ومغفــرةً والعفـوُ عـن قُـدرةٍ ضربٌ مـن الكَـرَمِ[3]

ويمتزج الفخر الفردي بالفخر الجماعي؛ لذوبان شخصية الفرد بالجماعة للاواصر الوثيقة التي تربط الشاعر بقومه ومجتمعه، فهو يتكلم بلسان حال قومه في المهمات فيظهر صوت الشاعر الذاتي مرة، وصوت الجماعة بلسانه مرة أُخرى، أو كليهما في آن معاً، ومعاني الفخر الجماعي في شعر أبي طالب تمثلت بالافتخار بشرف قومه الهاشمي الطيب، ومجدهم الباسق، ومآثرهم الجليلة في رعايتهم للبيت الحرام،

---

(١) الديوان : ١٩٠، الاظنة: مفردها ظنين، وهو الرجل المتهم، الصفراء: القوس، والعضب: القاطع، والمقاول: الملوك والرؤوساء، «ويحتمل ان السيف من هبات الملوك لأبيه؛ فقد وهب ابن ذي يزن لعبد المطلب هبات جزيلة حين وفد عليه مع وفد قريش يهنئونه بظفره بالحبشة»، خزانة الأدب: ١/ ٦١.

(٢) ظ: الفصل الرابع مبحث (التحذير والتهديد) : ١٤٤- ١٥١.

(٣) الديوان: ٣٤٣.

وسقاية الحجيج، وحمايتهم لنبي الهدى ومساندتهم له في دعوته إلى آخره.

ومن مظاهر الفخر الجماعي الاجتماعي الفخر بالنسب الذي يفسر حرص العربي على تعليقه بأرومته، ومباهاته بالانتماء إليها، وفي شعر أبي طالب تبرز سمات الاعتزاز بنسبه متعددة الجوانب بين شرفه، وعلوه، ونقائه، وطيبه، الذي جمع فيه طابع الفخر قبل الإسلام وروح الإسلام[1]، وقد يكون الفخر من نتاج التعريض، فيقود الشاعر إلى تسجيل مآثر قومه ومناقبهم مقابل تجريد الخصم منها في المنازعات والخصومات[2]، فعندما ناصب أبو لهب العداوة رسول الله ﷺ مع من ناصبه، وكان أبو لهب لأم خزاعية وأبو طالب وعبدالله والد النبي والزبير لفاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم، فأغلظ أبو طالب القول لأبي لهب[3]، وهو يفاخر بأمه التي حملت بأولادها للطيب والطهر وبفحلها عبدالمطلب، فحَرَم أبو طالب أبا لهب من فضيلتين: فضيلة مصاحبة اخوته ومؤازرتهم، وفضيلة مشاركة أخويه في الأفراح والأتراح فقال:

{من السريع}

إنّا بنو أُمّ الزُّبيرِ وفحلِها ... حملتْ بنا للطَّيِّبِ والطُّهْرِ

....

فحُرِمتَ منّا صاحباً ومؤازراً ... وأخاً على السَّرَّاءِ والضُّرِّ[4]

---

(١) ظ: الديوان: ١٧١، ١٧٥، ١٧٧، ١٨٠، ١٨٢، ١٩٣، ١٩٦، ١٩٨، ٣٣٣.

(٢) ظ: تاريخ الأدب العربي (بلاشير): ٢/ ٢٩٠.

(٣) ظ: السير والمغازي: ١٥٠.

(٤) الديوان: ١٨٠.

وتفاخر أبناء أم الزبير دليل على عراقة اصلها، وحسن تربيتها لاولادها.

وسجل أبو طالب فخره باسم بني هاشم فافتخر على قريش بفضيلة عبد مناف بسرها وخالصها وبنو هاشم اشرف من بني عبد مناف والمصطفى محمد من بني هاشم، فهو اكرمهم فقال:

{من الطويل}

إِذا اِجتَمَعَت يوماً قُرَيشٌ لِمَفخَرٍ   فَعَبدُ مَنافٍ سِرُّها وَصَميمُها

وإِن حُصِّلَتْ أَشرافُ عَبدِ مَنافِها   فَفي هاشِمٍ أَشرافُها وَقَديمُها

وَإِنْ فَخرت يَوماً فَإِنَّ مُحَمَّداً   هُوَ المُصطَفى مِن سِرِّها وَكَريمُها[1]

إن افتخار الشاعر على قريش بعبد مناف، وافتخاره على عبد مناف ببني هاشم، وافتخاره على الجميع بالنبي محمد ﷺ، فهو لايقلل من شأن قريش، وانما علا شرفهم؛ لأن النبي اشرفهم.

ويتباهى أبو طالب بفضيلة أُخرى انماز بها قومه فضلا عن نسبهم، وهي فضيلة سيادتهم في قريش بمكة، فقال:

{من الطويل}

وَنَحنُ الصَّميمُ مِن ذؤابَةِ هاشِمٍ   وَآل قُصَيٍّ في الخُطوبِ الأَوائِلِ

وَإِنَّ لَنا حَوضُ السِّقايَةِ دونهم   وَنَحنُ الذّرى مِن غالِبٍ في الكَواهِلِ

فَما أَدركوا ذَحلاً وَلا سَفَكوا دَماً   وَلا حالَفوا إلا شِرارَ القَبائِلِ[2]

---

(١) الديوان : ١٧٥، «سرها أي وسطها ... يكون الوسط مدحا وان ذلك في موضعين في وصف الشهود وفي النسب»، الرَّوض الأُنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام: ٢/ ١٢.

(٢) الديوان : ١٩٦، الذحل: الحقد والعداوة.

لقد تولى أمر سيادة مكة قصي بن كلاب بن مرّة بن كعب بن لؤي بن غالب جدهم الذي جمع امر قريش في بداية عهده «فكانت اليه الحجابة والسقاية والرفادة والندوة واللواء، فحاز شرف مكة كله ... فكان امره في قومه من قريش في حياته، ومن بعد موته، كالدِّين المُتَّبع لايعمل بغيره»[1]، وكان رئيسا مطاعا معظما، ثم تولى الرفادة وسقاية الحجيج هاشم بن عبد مناف[2]، ومن هذه المأثرة ارتفع صوت أبي طالب بوجه مشركي قريش في المفاضلة بالاشادة بعراقة أرومتهم من بني هاشم وآل قصي، وان لهم شرف سقاية حجاج بيت الله، وانهم ارفع نسبا في قريش فضلا عن أنهم انمازوا بمكارم الاخلاق.

ومجد أبي طالب عريق يرجع إلى أفضل أبناء بني هاشم وبهذا كله ارتبط فخره الجماعي ـ في بعض الأحايين ـ بمجد آبائه وسيادتهم وعلوهم ورفعتهم بين العرب، فعزهم قديم، ومقامهم عظيم، ونسبهم عريق، فهم اصحاب السيادة والقيادة والحكم في قريش توارثوها عبر الاجيال من قصي بن كلاب إلى أن انتقلت بيد أبيه عبد المطلب الذي كان أحد حكماء العرب[3]، فكانت بيده أمر السقاية والرفادة وإلى هذه المأثرة والمجد المنيف الواضح أشاد أبو طالب بفخره، وهو يتباهى بانهم يجيرون الفقراء ويكرمونهم فقال:

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام: ١/ ١٢٤- ١٢٥، ظ: السيرة النبوية لابن كثير: ١/ ٧٩، وللمزيد من التوضيح حول السقاية والحجابة والرفادة والندوة واللواء، ظ: العقد الفريد: ١/ ٢٣٥- ٢٣٧، وتاريخ التمدن الإسلامي: ٢٩- ٣٠.

(٢) ظ: السيرة النبوية لابن هشام: ١/ ١٢٤- ١٣٧.

(٣) ظ: تاريخ اليعقوبي: ١/ ٢٢٠.

{من المتقارب}

فَإِنّـــا بِمَكَّـــةَ قِـــدْماً لَنـــا ... بِهـــا العِـــزُّ وَالخَطَـــرُ الأَعظَـــمُ

وَمَـــن يَـــكُ فيهـــا لَـــهُ عِـــزَّةٌ ... حَـــديثاً فَعِزَّتُنـــا الأَقـــدَمُ

وَنَحـــنُ بِبَطحائِهـــا الرائـــسِو ... نَ وَالقائِـــدونَ وَمَـــن يَحكُـــمُ

نَـــشأنا فكُنّـــا قَلـــيلاً بِهـــا ... نُجـــيرُ وَكُنّـــا بِهـــا نُطْعِـــمُ

إِذا عَـــضَّ أَزمُ الـــسنين الأَنـــامَ ... وَحـــبَّ القُتـــار بِهـــا المُعـــدِمُ

نَـــماني شَـــيْبَةُ ســـاقي الحَجـــيجِ ... وَمَجـــدٌ مُنيـــفُ الـــذُّرى مُعْلَـــمُ[1]

ويفخر أبو طالب بعزة قومه ومجدهم وكرمهم الذي كان له وشيجة بالسيادة في فخره الجماعي، فلا يوجد حضري في مكة امثالهم في العزة والمجد والرفعة، فمجدهم في بطن مكة عميق، نشأوا حين كان الناس قلة، وهم كرماء يطعمون حين يبخل الناس، ولهذا كله فان حمدهم يزداد على مر الأيام، فقال:

{من الطويل}

فمَـــنْ يَـــكُ ذا عـــزٍّ بمكـــةَ تالـــدٍ ... فعزَّتُنـــا في بطـــنِ مكـــةَ أتْلَـــدُ

عَلَوْنـــا بهـــا والنـــاسُ فيهـــا أذلَّـــةٌ ... فلـــم ننفـــك نـــزدادُ عـــزاً ونـــُحمَدُ

ونُطعِـــمُ حتّـــى يـــتركَ النـــاسُ فـــضلَهُ ... إذا جُعلـــت أيـــدي المُقـــصِّرِ تُجمَـــدُ[2]

ويومىء الشاعر من طرف خفي إلى فضل جده هاشم على قومه، «وهو أول

(١) الديوان: ٩٤، الخطر: المال والشرف والمنزلة وارتفاع القدر، الأزم: الجدب والمَحْل، القتار: ريح الشواء.

(٢) م.ن : ٢٣٥.

من اطعم الثريد بمكة»[1].

ويرتفع صوت أبي طالب بفخره الجماعي بذكر خصال بني هاشم الذين انمازوا عن غيرهم من قريش التي تنادت على أذيتهم، بالاشادة بجميل صنيعهم، وتمجيد افعالهم، والتغني بمآثرهم المجيدة قبل الإسلام، فكانوا لايوافقون على ظلم الناس ويردّون المتكبرين إلى الضعة والذل، وكانوا حماة قريش يدافعون عن حصونهم وبيوتهم، وهم السادة الأعلون، والبرية كلها تدين لهم بالخضوع والانصياع.

فتباهى أبو طالب في الإسلام لما رأى من قومه ما يسره من جدهم معه وحدبهم عليه، فمدحهم وذكر قدمهم، وذكر فضل النبيﷺ فيهم[2] فقال:

{من الطويل}

وَكُنّا قَديماً لا نُقِرُّ ظُلامَةً	إذا ما ثَنوا صُعرَ الخُدودِ نُقيمُها
وَنَحمي حِماها كُلَّ يَومِ كَريهَةٍ	وَنَضرِبُ عَن أَحجارِها مَن يَرومُها
بِنا انتَعَشَ العودُ الذَّويُّ وَإِنَّما	بِأَكنافِنا تَندى وَتَنْمى أُرومُها
هُمُ السادَةُ الأَعلَونَ في كُلِّ حالَةٍ	لَهُم صِرمَةٌ لا يُستطاعُ قُرومُها
يَدينُ لَهُم كُلُّ البَرِيَّةِ طاعَةً	وَيُكرِمُهُم مِلأَرضِ عِندي أَديمُها[3]

وفاخر أبو طالب بالمعاني الانسانية وهو يومىء الى حلف الفضول الذي

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام: ١/ ١٣٦.

(٢) ظ: الديوان: ١١٣.

(٣) م.ن: ١١٣ - ١١٤، الذواء: الذي جف وذبل، ملأرض: لهجة عربية تدمج من الجارة بمجرورها.

شارك فيه بني هاشم في دفع الظلم عن الناس، وحماية الجار وغير ذلك[1]، فتباهى بقدم مجد قومه، وحمدهم في تولي امور الناس في الحل والربط، ودفع الظلم، فهم يبلغون ما يريدونه من غير شدة وعنف، ويعملون لصالح عشيرتهم، ولذلك كله نالوا من أعدائهم الطلاقة والعفو الذين يحمدان عليهما وود الناس لهم، فقال في قصيدته التي مدح فيها النفر الذي سعوا في نقض الصحيفة مفتخرا بقومه:

{من الطويل}

وكانَ على النَّعتِ الذي قالَ عالِمٌ: لديكَ البيانُ لو تكلَّم أسوَدُ

متى شاركَ الأقوامُ من جلٍّ أمرِنا وكُنَّا قديماً قبلها نتودَّدُ

وكُنَّا قديماً لا نقرُّ ظُلامةً ونُدركُ ما شِئنا ولا نتبدَّدُ

وظلَّ لافناءِ العشيرةِ صالحٌ نحِلُّ إذا شئنا بغور ونُنجدُ

ونلنا كثيراً حيث نلنا من العِدا طلاقةَ عفو والطلاقةَ تحمَدُ[2]

وسعى رسول الله صلى الله عليه وآله لتوظيف عوامل الحماية المتاحة له كالاحتماء بعمه وعشيرته التي انمازت بالوجاهة والمنعة والبطولة، فعشيرته مثل بقية القبائل العربية ذات الحمية على افرادها، فقد «منع الله {مشركي قريش} رسوله بعمه أبي طالب، وقد قال أبو طالب حين رأى قريشا تصنع ما تصنع في بني هاشم وبني عبد المطلب،

---

(١) ظ: السيرة النبوية لابن هشام: ١/ ١٣٣- ١٣٥، الرَّوض الأُنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام:١/ ٢٤٢- ٢٤٨، الكامل في التاريخ: ٢/ ٢٥- ٢٧، وأول من دعا لحلف الفضول وكان سببا لقيامه الزبير بن عبد المطلب أخو أبي طالب وعم الرسول صلى الله عليه وآله، ظ: الرَّوض الأُنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام:١/ ٢٤٢.

(٢) الديوان: ٢٣٦- ٢٣٧، أسود: اسم جبل، ظ: معجم البلدان: ١/ ١٩٢.

دعاهم إلى ما هو عليه من منع رسول الله ﷺ والقيام دونه، فاجتمعوا إليه وقاموا معه واجابوا إلى ما دعاهم إليه من دفع عن رسول الله ... فلما اجتمعت بنو هاشم وبنو عبد المطلب معهم ورأى أن قد امتنع بهم وان قريشا لن يعادوه معهم قال أبو طالب، وبادى قومه بالعداوة، ونصب لهم الحرب»[1] فجهر بصوته مفاخرا بعشيرته تارة، وبنفسه تارة أُخرى في آن معا، لنصرة رسول الله وحمايته من اعدائه فقال:

{من المتقارب}

نَصَرْنا الرَّسولَ رَسولَ المَليكِ	بِبيضٍ تَلألأُ كلمع البُروقِ
بِضَرْبٍ يُذيبُ بدونَ التهابِ	حذارَ البوادرِ وَالخَنفَقيقِ
أَذُبُّ وَأَحمي رَسولَ المَليكِ	حِمايَةَ حامٍ عَلَيهِ شَفيقِ
وَما إِن أَدُبُّ لأعدائِهِ	دَبيبَ البِكارِ حذارَ الفَنيقِ
وَلَكِن أَسيرُ لَهُم سامِتاً	كَما زارَ لَيثٌ بِغيلٍ مَضِيقِ[2]

ولم يفخر أبو طالب بمآثر قومه من بني هاشم على اساس الروح القبلية، وانما فخر بمآثرهم على اساس انهم حماة صاحب الدعوة الإسلامية، فعندما خرج قومه من الشِّعب ومزقت الصحيفة، شكا أبو طالب ظلم قريش[3]، وافتخر بفتيان قومه الكرماء في دفاعهم عن رسول الله ﷺ فقال:

---

(١) السير والمغازي: ١٤٨- ١٤٩.

(٢) الديوان: ١٧٤، الخنفقيق: الداهية، الفنيق: الفحل المكرم عند اهله، الغيل: عرين الأسد وموضعه.

(٣) ظ: م.ن: ٢٢٧- ٢٢٨.

{من الطويل}

أترجُون أنّا مُسْلِمونَ محمداً ... ولمّا نُقاذِف دونَه بالمراجِمِ
بكلِّ فتىً ضخمِ الدَّسيعةِ ماجدٍ ... تمكَّن من العلياءِ من نسلِ هاشمِ
نَبِيٌّ أتى بالوَحيُ مِن عِندِ رَبِّهِ ... فمَنْ قالَ: لا، يَقرَع بِها سِنَّ نادِمِ[1]

ويتباهى أبو طالب بحماية بني هاشم لرسول الله ﷺ بوجه نفر من قومه الذين ناهضوه وأرادوا قتله، فهم يذودون عنه بأيديهم الهاشمية القوية، وفعلهم هذا مدعاة للفخر والشرف فقال:

{من الطويل}

فَلا تَحسبونا مُسْلِمينَ مُحَمَّداً ... لِدى غُرْبَةٍ مِنّا وَلا مُتَقَرِّبِ
سَتَمنَعُهُ مِنّا يَدٌ هاشِمِيَّةٌ ... مُرَكَّبُها في الناسِ خَيرُ مُرَكَّبِ
وَلا وَالَّذي تَخْذي لَهُ كُلُّ نضوةٍ ... طَلائحِ جنبي نَخلَةٍ فَالمُحَصَّبِ
يَميناً صَدَقنا اللهَ فيها وَلَم نَكُن ... لِنَحلِفَ بُطلاً بِالعَتيقِ المُحَجَّبِ
نُفارِقُهُ حَتّى نُقَتَّلُ حَولَهُ ... وَما نالَ إسلام النَبِيِّ المُقَرَّبِ[2]

مما تقدم يتبين: أن فخر أبي طالب لم يكن من قبيل التبجح والادعاء على غرار العرف السائد في المجتمع العربي قبل الإسلام، وانما كان فخره بمحامد قومه والتغني بفضائلهم يوفر له الرفعة والجاه والقوة والمنعة وهو يتصدى لاعداء الرسالة

---

(١) م.ن: ٢٢٨، الدسيعة: العطية الجزيلة.

(٢) م.ن : ٢٢٩- ٢٣٠، يخذي: يسرع، الطليح: الهزيل، جنبا نخلة: واديان قرب مكة، ظ: معجم البلدان: ٥/ ٢٧٧، والمُحَصَّب: «موضع رمي الحجر بمنى»، معجم البلدان: ٥/ ٦٢.

ليحميها، ويحمي صاحبها في المرحلة التمهيدية للدعوة الإسلامية التي واجهت معارضة من رجال مشركي قريش خشية ان تؤدي الى وأدها.

وركز أبو طالب في فخره على معاني الفخر بالصبر والكرم والنسب والدفاع عن النبي ﷺ ومزج ذلك كله بما لايقطع الصلة بينه وبين قومه الأدنين من بني هاشم وعبد المطلب، فقد استطاع ان ينحو بالفخر منحى اخر اذ كان يفخر برهطه الادنين من دون قومه من قريش، وكانت السمة البارزة في فخره هي مزجه بالتهديد والوعيد.

❁ المديح :

من أبرز فنون الشعر العربي فن المديح، يثني به الشاعر على الممدوح، فيتغنى بفضائله الجليلة، ويشيد بخلاله العظيمة، ويعدد شمائله الحميدة، وغاية الشاعر من المديح تخليد قيم المديح التي يترسم فيها صورة الاعجاب والثناء والتقدير للممدوح، فاعجاب الشاعر بالفضائل الانسانية وتأكيدها هي دعوة إلى الاهتداء إليها، والاقتداء بها ، وتمثلها ـ اذا كانت غائبة عن الممدوح ـ والشاعر يدفع الممدوح للتوجه إليها والإلتزام بها ؛ لأنها الصورة المثلى التي يتمناها عليه ، ويتمناها المجتمع العربي.

وهو في الوقت نفسه عندما يمدح القيم والمعاني والسجايا والمناقب، فانه يمدح نفسه ويخلدها بذكرها؛ لأنه يؤمن بها ايمانا عميقا، وإذا تحقق الدافع النفسي والدافع الفني مع ايمانه بالقيم التي يعتقدها، وتمتعه بالخيال الخلاق، وبراعة الاداء، استطاع ان يرفع الممدوح بتمجيده إياه؛ لامتلاكه الصدق الفني في التعبير.

وقد أبقى الإسلام على كثير من القيم الجاهلية التي تتناسب والحياة الجديدة في ظله، فاعتز بالقيم العربية الاصيلة، واكبر عليها، وحث على التمسك بها، بيد أنّها اكتسبت معاني جديدة تبعا لغاياتها التي تمثلت بارضاء الله ونيل ثوابه.

والتغيير الذي طرأ على هذا الفن متمثلا بالتوجه العام الذي توجه به الشعراء في اشعارهم نحو الالتزام بالقيم والمباديء التي ارتضاها العربي قبيل البعثة، والقيم الجديدة التي جاء بها الإسلام مثل الايمان الصادق، وتقوى الله، والعدل وغيرها(1)، فضلا عن القيم الموروثة مثل: الكرم، والشجاعة، وعراقة النسب، والصدق، والحلم، والصبر... إلى آخره. وانشطر فن المديح في شعر أبي طالب إلى تجاهين:

ـ الأول : المديح النبوي:

المدائح النبوية لون من ألون التعبير الفني يراد بها التقرب إلى الله بنشر محاسن الدين والثناء على شمائل رسول الله صلى الله عليه وآله والتغني بصفاته، وهي تصدر عن قلوب مفعمة بالايمان الصادق لله ولرسوله(2)، ومدح الحق تبارك وتعالى نبيه في التنزيل الحكيم: ﴿وإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيْمٍ﴾(3) الذي تمثلت به مكارم الاخلاق التي ارتضاها العربي قبل الإسلام وبعده متمثلة بالخلق الرفيع الذي زاد عليه بالسمات الدينية.

وتعد مدائح أبي طالب لرسول الله النواة الأولى لنشأة المدائح النبوية، فمدحه

---

(1) ظ: الأمالي في الأدب الإسلامي: ١٧٩.

(2) ظ: المدائح النبوية: ١٧ – ١٨.

(3) القلم/ ٤.

بوقت مبكر قبل غيره من الشعراء[1]، ومنها وجدت سبيلها إلى مديح الصفات الخَلقية، وهي ليست مدائح مادية لشخصية النبي بقدر ما هي مدائح لعظمة مكانته، وجليل قدره، وسمو رفعته بوصفه نبيا صاحب رسالة سماوية، أُرسل إلى الناس كافة بدين الهدى ليخرجهم من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان، فرسم أبو طالب صورة جبينه في القصيدة الرائية حين افتقده وظن ان قريشاً قتلته[2]، فقال:

{من الوافر}

أَيـا اِبـنَ الأَنـفِ أَنـفِ بَنـي قُـصَيٍّ ... كَـأَنَّ جَبينَـكَ القَمَـرُ المُنـيرُ[3]

فما يعنيه القمر من نور وسمو ورفعة هو شأن النبي ﷺ فلم يكن المقصود بالجمال المادي فحسب، وهو كذلك أيضاً عندما أجادت قريحة أبي طالب في كشف جمال وجه النبي بهاءً ونوراً في قوله:

{من الطويل}

أغـرُّ كـضوءِ البـدرِ صـورةُ وجهـهِ ... جـلا الغـيمَ عنـهُ ضَـوؤهُ فتوقَّـدا[4]

---

(١) عزا زكي مبارك نشأة المدائح النبوية إلى أقدم ما مدح به الرسول ﷺ القصيدة الدالية للأعشى، والقصيدة اللامية لكعب بن زهير، ثم قرر ان كلتا القصيدتين ليست من المدائح النبوية في شيء؛ لأن الأعشى لم يقل الشعر وهو صادق النية في مدح الرسول، وانما اراد التقرب منه، ولم يمدح كعب الرسول إلا لينجو من الموت، فكانت نشأة المدائح في شعر حسان بن ثابت، ظ: المدائح النبوية: ١٩- ٢٥، ٢٩- ٤٦، وقد اغفل ذكر أبي طالب الذي مدح النبي في زمن البعثة أي قبل الهجرة، على أننا وجدنا ان الأعشى وكعباً وحساناً قد مدحوا الرسول بعد الهجرة، من هنا نقرر ان نشأة المدائح النبوية كانت في شعر أبي طالب، فهو أول من تشرف بمدح النبي ﷺ قبل غيره من الشعراء.

(٢) ظ: الديوان: ٢٤٢- ٢٤٤.

(٣) الديوان: ٢٤٤.

(٤) م.ن: ١٥٠.

وفي القصيدة اللامية التي أنشدها في الشِّعب الذي آوى اليه بنو هاشم مع رسول الله لما تحالفت عليهم قريش وكتبوا الصحيفة[1]، اشاد أبو طالب بحسن خلق رسول الله، فجماله فاق جمال اهل الدنيا، فقال:

{من الطويل}

لَعَمْري لَقَد كُلِّفتُ وَجداً بِأَحمَد ... وَإِخوَتِهِ دَأبَ المُحِبِّ المُواصِلِ

فَلا زالَ في الدُنيا جَمالاً لأَهلِها ... وَشَيْناً لِمَن عادى وزَيْنَ المَشاكِلِ[2]

ونعت ابوطالب طلعة الرسول البهية بشعلة النار المضيئة في يد حاملها في ضيائه، فقال:

{من الطويل}

حَزِيمٌ على جُلِّ الأمور كأنَّهُ ... شِهابٌ بكفِّي قابسٍ يتوقَّدُ[3]

وهذه إشارة إلى الهداية التي جاء بها النبي ﷺ، وللصفات، الخُلقية المعنوية التي يتحلى بها نبي الهدى الحظ الاوفر من شعر أبي طالب، فكان الرسول المقام العالي للخُلق الكريم، وما بعث إلا ليتمم مكارم الاخلاق، فمدحه أبو طالب بشرف النسب، وصدق القول، وشعيرة الكرم، والتجمل بالحلم إلى آخره.

فمن القيم السامية التي يتشرف بها العرب عراقة النسب الزكي، وطهارة

---

(١) ظ: الديوان: ١٩٠- ١٩٨.

(٢) م.ن: ١٩٧، أخوته يريد أولاده الذين كانوا كأخوته وهم: طالب وجعفر وعقيل وعلي، دأب المحب: عادته وطبعه.

(٣) م.ن: ٩٠.

المنبت الطيب، وقد أشاد أبو طالب بهذه الفضيلة الكريمة لاصل الرسول فهو فرع باسق في المجد من شجرة عتيقة الاصل في الحسب والنسب خالص المنبت في طهارته وزكاته، فأحمد من أكارم بني هاشم وبني هاشم من أكارم وبني عبدمناف، فقال:

{من الطويل}

وَإِن حُصِّلَت أَشرافُ عَبدِ مَنافِها ... فَفي هاشِمٍ أَشرافُها وَقَديمُها

وَإِن فَخَرت يَوماً فَإِنَّ مُحَمَّداً ... هُوَ المُصطَفى مِن سِرِّها وَكَريمُها[1]

وزاد أبو طالب معاني إسلامية في مديحه لابن أخيه، فهو المصطفى الذي اختاره الله لأداء رسالته، ومديح رسول الله ﷺ يعني فخراً لأبي طالب بنفسه، فإن قلت هنا إنه مديح فلا بأس، وإن قلت فخراً فيمكن أن يكون.

وأثنى أبو طالب على ابن أخيه عندما تعرض لأذى عبد الله بن الزبعرى السهمي، ونفر من رجال قريش فحمل عليهم أبو طالب، ومسح رؤوسهم بالفرث والدم، واصاب ابن الزبعرى حتى ادمى انفه[2]، ثم قال: «سألت من أنت؟ أنت محمد بن عبد الله، ثم نسبه الى آدم عليه السلام، ثم قال: انت والله اشرفهم حياً وارفعهم منصبا»[3] أنت النبي محمد الطيب المنبت، الكريم النسب، من أصل عمرو بن عبد مناف الرجل الأوحد الذي هشَم الثريد لقومه بمكة أيام القحط، فأضحى صنيعه من بعده سنة متبعة وهو يومىء إلى النبي قائلاً:

---

(١) الديوان: ١٧٥.

(٢) ظ: بحار الانوار: ٣٥/ ١٢٦.

(٣) ظ: بحار الانوار: ٣٥/ ١٢٧.

{من مجزوء الكامل}

أَنـــــتَ النَبِـــــيُّ مُحَمَّـــــد ... قَـــــرْمٌ أَغَـــــرُّ مُـــــسَوَّدُ

لِمُـــــسَوّدين أَكـــــارِمِ ... طـــــابوا وَطـــــابَ المَوِلـــــدُ

نِعـــــمَ الأَرومَـــــةُ أَصـــــلُها ... عَمـــــرُو الخِـــــضَمُّ الأَوحَـــــدُ

هَـــــشَمَ الرَّبيكَـــــةَ في الجِفـــــا ... نِ وَعَـــــيشُ مَكَّـــــةَ أَنكَـــــدُ

فَجَـــــرَت بِـــــذَلِكَ سُـــــنَّةٌ ... فيهـــــا الخَبيـــــزَةُ تُثـــــرَدُ[1]

وذكر صفات جده بعد ما اجتمعت قريش والعرب على الاقرار بها، وهـذا مـا يحتاجه أبو طالب في مديحه للنبيﷺ ، ونـسبه لـيس مجهـولا في المجتمـع القـرشي، ولكن اراد أبو طالب الافصاح عنه لتبيين مكانته فـيهم، ولان الله اصـطفى نبيـه مـن دون سائر خلقه لتكليفه بأعباء الرسـالة، فـأثنى الحـق تبـارك وتعـالى بزكـاة نـسب الرسـول، وكـرم أرومتـه في قولـه: ﴿وَتَقَلُّبَـكَ فِي الـسَّاجِدِيْنَ﴾[2] أراد في أصـلاب الموحدين من نبي إلى نبي حتى اخرج من صلب أبيه من نكاح غـير سـفاح مـن لـدن آدم عليه السلام[3]، وأشاد بزكـاة أرومتـه «أنـا دعـوة أبي إبـراهيم ... نقلـت مـن أصـلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات لم يمسسني سفاح أهل الجاهلية»[4] فاقتـضت كرامـة الله ان يكون نبيه مـن أكـرم شـجرة وأشرف أرومـه، وأفـضل عـترة، وخـير الأُسر،

---

(١) الديوان: ٣٣٣، الربيكة: الأقط والتمر والسمن مع الطحين، أنكد: مشؤوم.

(٢) الشعراء/ ٢١٩.

(٣) ظ: مجمع البيان في تفسير القرآن: ٧/ ٢٠٧.

(٤) الايضاح: ١٧٥، المطالب العاليـة بزوائـد الثمانيـة: ٤/ ١٧٧، اشـار رسـول الله ﷺ الى دعـوة النبـي إبراهيم في قوله: ﴿...وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الأَصْنَامَ﴾ إبراهيم/ ٣٥.

فأودعه في النسب الهاشمي الزكي النقي، فتغنى أبو طالب بانتماء الرسول إلى النسب الهاشمي، فقال:

{من الطويل}

وَلَكِنَّهُ مِن هاشِمٍ في صَميمِها إِلى أَبحُرٍ فَوقَ البُحورِ صَوافِ[(١)]

ويجاهد أبو طالب نفسه وابنه علي عليه السلام في فداء النجيب وابن النجيب، فهو السيد الشريف في قومه، الكريم في أرومته، فقال:

{من الخفيف}

قد بذلناكَ ـ والبلاءُ عسيرٌ ـ لِفداءِ النَّجيبِ وابنِ النَّجيبِ

لفداءِ الأغرِّ ذي الحسبِ الثّا قبِ والباعِ والفناءِ الرَّحيبِ[(٢)]

وسجية الكرم خصلة اصيلة في طبع العربي تمثلها الشعراء في عصر قبل الإسلام[(٣)]، وحث الإسلام على التحلي بها[(٤)]، وقد تمثلت ملامح شخصية الرسول الخُلقية السامية بالكرم الذي ارتسم بانموذج الرجل الجواد، فمدح أبو طالب ابن أخيه حين اجتمعت قريش على خلافه، بأنه خير من وطىء الثرى ثقة وقت المحن والشدائد جوادُ بماله، فقال:

{من الطويل}

وما إنْ جنينا في قريشٍ عظيمةً سوى أنْ مَنَعنا خيرَ من وطىءَ التُّربا

---

(١) الديوان: ١٧٧.

(٢) م.ن : ٢٢٠- ٢٢١.

(٣) ظ: الرثاء في الشعر الجاهلي وصدر الإسلام: ٥٨.

(٤) ظ: نهاية الارب في فنون الأدب: ٣/ ٢٠٤- ٢٠٥.

أخـــا ثقـــةٍ للنائبـــاتِ مُـــرَزَّأً كـــريماً نَثـــاهُ لا لئـــيماً ولا ذَربـــا[1]

ورسول الله كريم الاصل يُستَبشَر الخير بوجهه الكريم أيام الجدب والقحط التي تصيب القوم، فطلعته تثري بالرفد والعطاء، فهو رجل فياض الكرم، ومن تعاليمه الحثّ على اكرام الضيوف، وبهذه السمات المعنوية الخُلقية الرفيعة في شخصية الرسول أومأ أبو طالب، فقال:

{من الطويل}

مِـنَ الأَكـرَمينَ في لـؤيٍّ بـنِ غالِـبِ إذا سِـيْمَ خَـسفاً وَجْهُـهُ يَتَربَّـدُ

طَوِيـلُ النِّجَـادِ خـارِجٌ نِـصفُ سـاقِهِ عَـلى وَجهِـهِ يـسْقي الغَـمامُ وَيُـسْعِدُ

عَظِـيمُ الرَّمـادِ سَـيِّدٌ وَابـنُ سَـيِّدٍ يَحُـضُّ عَـلى مَقـري الـضُّيوفِ وَيَحْـشُدُ[2]

وتغنى أبو طالب في مدائحه النبوية بالقيم الدينية التي تمثلت في شخصية ابن أخيه المتصلة بالنبوة، وتصديق الرسالة، ودعوة الناس لاتباعه، ودعوته للدين الجديد، وتأييد الله له، وطلب الشفاعة، ونزول الوحي إلى غيرها[3] من السمات

---

(١) الديوان: ١٨٣، المرزأ: الذي يصيب الناس من ماله ونفعه كثير، الذرب: الحادُّ السليط اللسان.

(٢) الديوان: ٩٠، وصدر البيت الثاني والثالث غير مستقيمين، ومن تعاليم السنة الشريفة التي اكدها أبوطالب في شعره ان الكرم شعبة من شعب الإيمان قال رسول الله ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلْيكْرِمْ ضيفَهُ»، صحيح البخاري: ٤/١١٢.

(٣) ظ: الديوان: ١٥٠، ١٦٤- ١٦٥، ١٦٧، ١٦٨، ١٧١- ١٧٢، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٧،١٨٢، ١٨٣، ١٨٥، ١٨٩، ١٩٣- ١٩٤، ١٩٧- ١٩٨، ٢٠٧، ٢١١، ٢١٥، ٢١٧، ٢١٩، ٢٢١، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٨، ٢٢٩- ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٥- ٢٣٦، ٢٤١، ٢٤٤، ٢٥٣، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٩، ٣٢٩، ٣٣٢، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤٢.

النبوية التي هي جزء من متطلبات الدعوة الإسلامية.

ومن أجل هذه السمات التي اكرم الله بها نبيه لتبيين جلالة مكانته وقدره، اشتقاق اسم محمد من اسم صاحب العرش المحمود، ودلالة الاسم جديدة غير معهودة من قبل، فقال أبو طالب:

{من الطويل}

لَقَدْ أَكْرَمَ اللهُ النَبِيَّ مُحَمَّداً فَأَكْرَمُ خَلْقِ اللهَ فِي النَاسِ أَحْمَدُ

وَشَقَّ لَهُ مِنْ إِسْمِهِ لِيُجِلَّهُ فَذو العَرْشِ مَحمودٌ وَهَذا مُحَمَّدُ[1]

وقد فاض كرم الحق تبارك وتعالى على نبيه في تبيين علو مقامه الشريف فذكر اسمه في الكتاب المقدس، وهو الأمين في تبليغ رسالة الله التي استودعها في قلبه من وحيه، سديد القول، فقال أبو طالب:

---

(١) الديوان: ٣٣٢، محمد سمّاه به جده عبد المطلب بالهام من الله، وقد حمى الله أن يُسمّى احد باسم أحمد، أو محمد قبل زمانه، اما أحمد الذي ورد ذكره في الكتب وبشرَّت به الانبياءُ فمنع الله تعالى بحكمته ان يُسمّى أحد غيره، كيلا يدخل لبسٌ على ضعيف القلب، أو شك، وكذلك محمداً أيضا، فلم يُسمَ به أحد من العرب ولا غيره إلى أن شاع قبيل ميلاده ان نبيا يُبعث اسمه محمد فتسمّى قوم قليل من العرب أبناءهم به رجاء ان يكون أحدهم هو، وهم محمد بن أحيحة بن الجلاح الأوسي، ومحمد بن مسلمة الانصاري، ومحمد بن براء البكري، ومحمد بن سفيان بن مجاشع، ومحمد بن حمران الجعفي، ومحمد بن خزاعي السلمي، ظ:عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير: ١/ ٣٠- ٣١، السيرة النبوية لابن كثير:١/ ١٩٧، الخصائص الكبرى: ١/ ٧٨- ٧٩، السيرة النبوية (انسان العيون في سيرة الأمين والمأمون):١/ ٨٧- ٩٣، وضمَّن حسان بن ثابت البيت الثاني في شعره، ظ: ديوان حسان بن ثابت: ١٣٤، مع الهامش.

{من الطويل}

نبـيٌّ أتـى مـن كـلِّ وجـه بخطِّـهِ فـسمّاهُ ربِّي في الكتـابِ محمَّـداً

أمـين عـلى مـا اسـتودَعَ اللهُ قَلْبَـهُ وإنْ قـالَ قـولاً كـان فيـه مُـسدَّدا(1)

وحاول أبو طالب توكيد مباديء الإسلام في اذهان الناس في علاقة صاحب الرسالة بالله، فيمدحه مرة أُخرى بفضيلة النبوة التي كرمها الله بها، فهو أفضل الناس، كريم الاصل والاخلاق، رشيد مؤيد من عند الله، يسعى لبناء مجد عشيرته، والقائد فيهم، محمود السجال، وصادق القول، ومن جيش بني هاشم تابع لإمرته ومؤيدين من الله بالنصر والسداد، فقال:

{من الطويل}

ألا إنَّ خـير النـاسِ نفـساً ووالـداً ـ إذا عُـدَّ سـاداتِ البـريةِ ـ أحْمَـدُ

نبـيُّ الإلـهِ والكـريمُ بأصـلِهِ وأخلاقـهُ وهـو الرشـيدُ المؤيَّـدُ

وَيَبنـي لأفنـاءِ العَـشيرَةِ صـالِحاً إذا ـ نَحنُ طُفنا في البِلادِ ـ ويَمْهِـدُ

ويبنـي كثيراً حيـث كـان مـن العِـدا طِـلاعِ المـدى لاغـيرَ ذلـكَ يجهـدُ

هـو القائـدُ المُهـدى بـهِ كـلُّ مِنْسَرٍ عظـيمُ اللِّـواءِ أمْـرُهُ الـدَّهرُ يُحْمَـدُ

إذا قـالَ قـولاً لا يُعـادُ لقولِـهِ كـوَحي الكتـابِ في صَـفيحٍ يُخَلَّـدُ

(1) الديوان: ١٥٠، الكتاب: يراد به الإنجيل، ظ: الطبقات الكبرى: ٣٦٠-٣٦٣، ذكر صفة رسول الله صلى الله عليه وآله في التوراة والإنجيل.

بجيشٍ لـه مـن هاشـمٍ يتبعونَـهُ يُـسدِّدُهم ربُّ الـوَرى ويؤيِّـدُ[1]

ومدح أبو طالب رسول الله بحسن الصفات الحسية والمعنوية بتعبير صادر من قلب محب ومؤمن بالنبي ودينه، وهو يتأمل الخير منه، فاذا قاسه حكام العرب بغيره عند المفاضلة، فهو المفضل؛ لأنّه النبي ذو الحسب والسيادة والعلم والرشد، ولم يتخذ وليا إلا الله لايغفل عنه ابدا، ويدعو أبو طالب رب العباد أن يؤيده بنصر من عنده، ويظهر دينه دينا ثابتا دائما، فقال:

{من الطويل}

فَمَـن مِثلُـهُ في النـاسِ أَيُّ مُؤَمَّـلِ إِذا قاسَـهُ الحُكّـامُ عِنـدَ التفاضُـلِ

جَميـلُ المُحيّـا ماجـدٌ وابـنُ ماجـدٍ لـه إرثُ مجـدٍ ثابـتٍ غـيرَ ناصـلِ

حَلـيمٌ رَشـيدٌ سـيّدٌ وابـنُ سـيّدٍ يـؤولُ إليـهِ العِلْـمُ لـيس بجاهِـلِ

{...} عـادلٌ وابـنُ عـادلٍ يُـوالي الإلـهَ لـيس عنـهُ بغافـلِ

فَأَيَّـدَهُ رَبُّ العبـادِ بِنَـصرِهِ وَأَظهَـرَ دينـاً حَقُّـهُ غَـيرُ زائـلِ[2]

والصدق من القيم الخُلقية الجليلة التي اتصف بها نبي الله واثنت عليها الشرعية الإسلامية، وقريش تعلم بصدق رسول الله قبل البعثة، ولكنها ترفض الانصياع لأمر دعوته، فافصح أبو طالب وهو في الشِّعب منددا باهل الباطل الذين يعلمون ان ابن أخيه لاينطق زورا وبهتانا، وهو لايعبأ بما يقولون، فقال:

---

(١) الديوان: ٩٠ - ٩١، طلاع: اعتلى على ملته، المنسر: الجيش، الوحي: الكلام والكتاب الخفيان، الصفيح: الحجر.

(٢) الديوان: ١٩٧ - ١٩٨، {...} بياض في الديوان.

{من الطويل}

فقَـــد عَلِمـــوا أَنَّ اِبنَنـــا لا مُكَـــذَّبٌ   لَـــدَينا وَلا يَعنـــى بِقَـــولِ الأَباطِـــلِ[1]

وصفة الصدق إحدى صفات رسول الله التي عهدها أبو طالب بابن أخيه منذ كان طفلا صغيرا، فقال:

{من مجزوء الكامل}

وَلَقَـــــد عَهِـــــدتُكَ صـــــادِقاً   في القَـــــــولِ لا تَتَزَيَّـــــــدُ

مـــا زِلـــتَ تَنطِـــقُ بِالـــصَّوا   بِ وَأَنـــتَ طِفـــلٌ أَمـــرَدُ[2]

وصدق رسول الله من الفضائل التي انماز بها فهو برهان على صحة نبوته، ففي القصيدة التي ذكر فيها أبو طالب قصة الصحيفة، ان العرب كانوا يعرفون دين إبراهيم، فاستنكر ظلمهم بمن يدعو إلى البر والتقى والصلاح، وقد اعتبروا في أمر الصحيفة، فمحا الله ما جاء فيها من كفر قريش وعقوقهم، وأثبتت الأرضة التي قضمت الصحيفة ان كل ما ادعوه باطل وما هو إلا كذب وافتراء، من أجل هذه الآية أظهر الله محمداً صادقا فيما ذكره من فعل الأرضة، وسينصره الله باهل العقير ويثرب، فتغنى بصدق رسول الله صلى الله عليه وآله.

فقال:

{من الطويل}

وَمـــا ذَنْـــبُ مَـــن يَـــدعو إِلى اللهِ وَحـــدَهُ   وَديـــنٍ قَـــديمٍ أَهلُـــهُ غَـــيرُ خُيَّـــبِ

---

(١) الديوان: ١٩٨.

(٢) م.ن: ٣٣٣.

وَما ظُلمُ مَن يَدعو إِلى البِرِّ وَالتُقى ... وَرَأب الثَأى بالرأي لا حِينَ مَشْعَبِ

وَقَد جرَّبوا فيما مَضى غِبَّ أَمرِهِم ... وَما عالِمٌ أَمراً كَمَنْ لَم يُجَرِّبِ

وَقَد كانَ في أَمرِ الصَحيفَةِ عِبرَةٌ ... أَتاكَ بِها مِن غائِبٍ مُتَعَصِّبِ

محا اللهُ مِنها كُفرَهُم وَعُقوقَهُم ... وَما نَقَموا مِن صادِقِ القَولِ مُنْجِبِ

وأَصبَحَ ما قالُوا مِنَ الأَمرِ باطِلاً ... وَمَن يَختَلِق ما لَيسَ بِالحَقِّ يُكذَبِ

فَأَمسى اِبنُ عَبدِ اللهَ فينا مُصَدّقاً ... عَلى ساخِطٍ مِن قَومِنا غَيرِ مُعْتَبِ

....

وَيَنصُرُهُ اللهُ الَّذي هُوَ رَبُّهُ ... بِأَهلِ العُقَيرِ أَو بِسُكّانِ يَثرِبِ[(١)]

ولا نستبعد أن يكون النبي محمد ﷺ أخبر عمه أبا طالب بالهجرة إلى يثرب قبل وقوعها، ليطمئنه على انتصار الإسلام، فضلا عن أن أبا طالب سمع من احبار يهود بني قريضة أن ابن أخيه «نبي وانه لانبي بعده، واسمه أحمد، ومهاجره إلى يثرب»[(٢)] فأومأ في مديحه الى هذا الامر يقينا لهجرته وتصديقا لبعثته.

ومما تقدم يتبين: أن أبا طالب افاض في مدح الرسول في تعداد سجاياه المادية والمعنوية الصادرة عن قلب محب، ونفس معجبة، وروح مؤمنة، وعقيدة راسخة،وايمان قوي، وتصميم ثابت بالنبي ودعوته.

ومما يلحظ أن أبا طالب لم يعنِ عناية كبيرة في رسم الملامح الخَلقية في تبيين هيأة الرسول المنظور إليها، وانما اكتفى باللمحة السريعة، ووجه عنايته حول بيان

---

(١) الديوان : ٩٥- ٩٦، الثأى: اصلاح الفساد، المشعب: الطريق، العُقير: بلدة بالبحرين، ظ: معجم البلدان: ٤/ ١٣٨.

(٢) السيرة النبوية لابن كثير: ١/ ٢١٤.

صفاته الخُلقية والقيم الدينية، فمدح مكارم الأخلاق التي تربى عليها العربي التي تجري على وفق ما كان مألوفاً عند العرب من انهم ينظرون إلى الأفعال التي تخلدهم، فضلا عن مدح الرسول بوصفه نبي الامة الذي بلَّغ رسالة السماء ونشر تعاليمها، فشخصيته تستحق الثناء والتبجيل.

- الثاني: المديح العام:

ويراد بالمديح العام الذي أشاد به أبو طالب بحق الآخرين ما خلا مديحه لرسول الله صلى الله عليه وآله، فمدائحه[1] كانت تعبيرا عن حضِّ الممدوحين لمؤازرة رسول الله طمعا في مناصرته ومحاماته، أو تعبيرا عن إسداء معروف، أو حق احسان للذين ساندوا الرسول، ووقفوا بجانبه لمواجهة اعداء الدعوة.

ومعاني المديح التي تمثلت بالخصال الرفيعة والاخلاق الكريمة، والقيم الجليلة، والمباديء العظيمة هي نفسها التي اكبرها العربي وأجلها، فكانت موضع اعجابه وتمييزه، وحرص أبو طالب على مديح فضائل الآخرين من بعض رجال قريش تقويما لمواقفهم الجليلة، واعترافا بنبل أفعالهم، وإكبارا لشجاعتهم في نقض الصحيفة[2]، فأثنى عليهم بالحزم والرشاد وحسن التدبير، فقد اجتمعوا كالملوك بل هم أعز منهم وأعلى في موضع الحجون في الليل، واتفقوا على نقض الصحيفة في

---

(١) ظ: الديوان: ١٩٠، ١٩٧، ٢٠٦، ٢٣٥، ٢٣٨، ٢٣٩ - ٢٤٧، ٢٤٠، ٢٥٩، ٣٤٠، ٣٤١.

(٢) ظ: السير والمغازي: ١٥٩ - ١٦٢، السيرة النبوية لابن هشام: ١/ ٣٧٤ - ٣٧٧، السيرة النبوية لابن كثير: ٢/ ٤٤ - ٤٦، امتاع الاسماع بما للنبي صلى الله عليه وآله من الاحوال والاموال والحفدة والمتاع: ١/ ٤٤، تفاصيل خبر نقض الصحيفة.

الصباح، فقال:

{من الطويل}

جَــزى اللهُ رَهطــاً بِــالحجونِ تَتــابَعوا ... عَــلى مَــلإٍ يَهــدي لِخَــيرٍ وَيُرشِــدُ

قُعــوداً لَــدى رُكــنِ الحَطــيمِ كَــأَنَّهُم ... مَقاوِلَــةٌ بَــل هُــم أَعَــزُّ وَأَمجَــدُ

قَـضَوا مـا قَـضَوا في لَـيلِهِم ثُـمَّ أَصبَحوا ... عَــلى مَهَــلٍ وَســائِرُ النــاسِ رُقَّــدُ

وآخَــرُ مَــسرورٌ بنــاتُ فــؤادِهِ ... تحــضُّ علينــا بالمغيــبِ وتُوقِــدُ

وســارَعَ فيهــا كــلُّ صــقرٍ كأنَّــهُ ... شِــهابٌ بِكَفّــي قــابِسٍ يَتَوَقَّــدُ[1]

وقد يمدح أبو طالب افرادا لعمل سامٍ قاموا به من مثل موقف زهير بن أبي أمية، وهو أحد الرجال الذين نقضوا الصحيفة، فتغنى أبو طالب بفضائله: قرابته منه، وجليل كرمه، ونبل نسبه، وصدق قوله، واصالة مجده، وعظيم شجاعته، فقال:

{من الطويل}

فــنعمّ ابــنُ أُخــت القــومِ فــيما ينــوبُهُم ... زُهــيرُ النَّــدى ذو المُكرمــاتِ الفواضــلِ

كــريمُ النّــشا جَلْــدُ القُــوى ذو حفيظــةٍ ... وذو مَــصْدقٍ عنــد اخــتلافِ الغَوائــلِ

فتــىً لم يــزلْ يَــسمو الى المجــدِ والعُــلا ... قــديماً لعمــري في بيــانٍ ونائــلِ

---

(١) الديوان: ٢٣٥، الرهط: الجماعة وهم النفر الذين نقضوا الصحيفة وانكروها وهم خمسة: هشام بن عمرو بن الحارث وزهير بن أبي أمية بن المغيرة، والمطعِم بن عدي، وزمعة بن الأسود بن عبد المطلب، وأبو البختري بن هشام، ظ: البداية والنهاية في التاريخ: ٣/ ٩٣- ٩٦، والحجون: «جبل بأعلى مكة عند مدافن اهلها»، معجم البلدان: ٢/ ٢٢٥.

أشَـــمُّ مـــن الـــشُّمِّ البهاليـــلِ، ينتمـــي	إلى حـــسبٍ في باحـــةِ المجـــدِ فاضـــلِ[1]

فمديح أبو طالب لموقف زهير الشجاع في إنقاذ المسلمين وفك حصار الشِّعب منهم من دواعي اعجابه بما صدر عنه في هذا التوجه.

وينتقي أبو طالب الفضائل التي يعتز بها العربي ويحفل، ليقدم صورة جليلة بحس الشاعر، فيرى أن أبا قيس بن الأسلت لايقل عن زهير في اتجاهه المحمود على أثر قصيدته البائية[2] التي عظم فيها حرمة البيت، ونهى قريشا عن محاربة رسول الله ﷺ وكف الأذى عنه، ذاكرا فضلهم، فتغنى أبو طالب بمديحه طمعا بنصرته لرسول الله، فهو نقي الأرومة وطيب الأصل، وسيد الندى، فقال:

{من الطويل}

وينـــصرُ ابنـــي كـــلُّ بـــرٍّ وعـــالِمٍ	بـما يتلـو (...) المِـدارسَ وَسْـطَ المحَـارِبِ

ومثـلُ أبي قـيس المـصفّى مـن الخنـى	قَرِيـعُ النَّـدى وابـنِ الكـرامِ الأطائـبِ[3]

وحماية الجار منقبة خُلقية عظيمة تزاد على مناقب السيد الكريم، ففي القطعة

---

(١) الديوان: ١٩٧، أُخت القوم: عاتكة بنت عبد المطلب، النشا: الريح الطيبة، زهير بن أبي أمية بن المغيرة بن عمرو بن مخزوم، وكانت أمه عاتكة بنت عبد المطلب شقيقة أبي طالب، وهو من المستهزئين الذين أذَّوا الرسول ﷺ ولكن أعان على نقض الصحيفة، أختلف في سنة وفاته، ظ: الكامل في التاريخ:٢/ ٥٠، الإصابة في تمييز الصحابة: ١/ ٥٥٢- ٥٥٣، ٤/ ٣٥٧- ٣٥٨.

(٢) ظ: السيرة النبوية لابن هشام: ١/ ٢٨٣- ٢٨٦.

(٣) الديوان: ٢٠٦، (...) بياض في الديوان، أبو قيس بن الأسلت من بني وائل الأوسي؛ مختلف في اسمه فقيل: الحارث، أو عبد الله، أو صيفي، أو حرب، أو صرمة، وأُختلِفَ في إسلامه، وهو شاعر قال اشعارا يحث فيها قومه على الإسلام، ولم يذكر سنة وفاته، ظ: الإستيعاب في معرفة الأصحاب: ٤/ ١٦٠، الإصابة في تمييز الصحابة: ٤/ ١٦١- ١٦٢.

البائية التي بعثها أبو طالب الى نجاشي الحبشة يحثه فيها على إكرام المهاجرين[1] نعته بافعال الخير كلها اللازمة فيه، وبسخاء كرمه، فعطاياه وافرة تصل إلى من يدخل في جواره، عزيز المجد فلا يتعب من في حماه، فقال:

{من الطويل}

تَعلَّم بِأَنَّ اللهَ زادَكَ بَسطَةً ... وَأسبابَ خَيرٍ كُلُّها بِكَ لازِبُ

وَأَنَّكَ سَيبٌ ذو سِجالٍ غَزيرَةٍ ... يعيشُ بجدواكَ الطَّريدُ المُصاقِبُ

وإنَّكَ عزٌّ - والملوكُ أذِلَّةٌ - ... كريمٌ فلا يشقى لديكَ المُجانِبُ[2]

وحمدَ اصحاب رسول الله جوار النجاشي الذي أحسن إليهم[3] فاشاد أبو طالب بحسن جواره وكرمه لهم، فقال :

{من الطويل}

فبدَّلهُم ربُّ العبادِ بدارِهم ... جوارَ كريمٍ سيِّدٍ ذي فواضلِ

جوارَ النجاشيِّ الذي ليس مثلَهُ ... مليكٌ مجيرٌ للضِّعافِ الأراملِ[4]

ولنصرة النجاشي المسلمين ومحاماته لهم، نال حقا عليهم لجليل فضل تكرمه، فاستحق الثناء، فقال أبو طالب فيه:

{من الطويل}

وإنكَ ما يأتيكَ منّا عصابةٌ ... لفَضلِكَ إلا أُرْجِعُوا بالتَّكَرُّمِ

---

(١) ظ: البداية والنهاية في التاريخ: ٣/ ٧٦.

(٢) الديوان: ٢٤٧، المصاقب: المجاور، المجانب: الذي صار جنبه ودخل في حماه.

(٣) ظ: م.ن: ٢٥٧.

(٤) م.ن : ٢٥٨.

بـــذلْتَ لهـــم عُرفـــاً ولم تبـــغِ عـــنهم فنلـــتَ بهـــا حَقّـــاً عـــلى كُـــلِّ مُـــسْلِمِ[1]

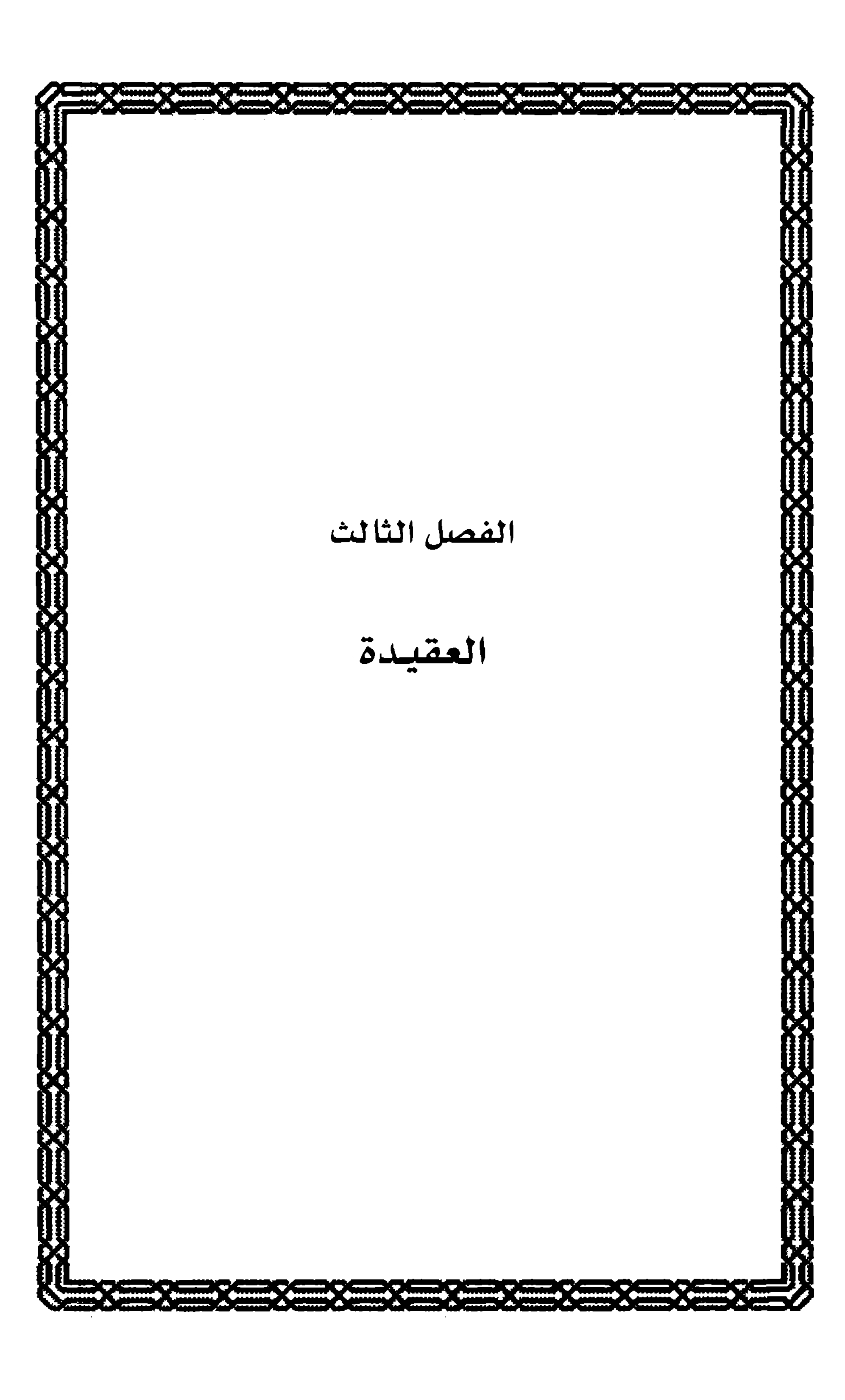
ومديح أبي طالب ينأى عن المبالغة غير الواقعية فلا يشيد بفضائل الممدوح إلا بما فيه من السجايا والخصال المحمودة، فيتوجه إليه بهالة من الثناء.

وصفوة القول: إن مدائح أبي طالب نابعة من عقيدة ثابتة بالقيم العربية الأصيلة التي تمثلت في المجتمع الإسلامي بمعانٍ مثالية ذات رؤية إسلامية، وتبرأت مدائحه عن غاية في طلب مأمول؛ لأنه كان شيخا ذا مكانه عالية معتدا بنفسه، وأنفته، وكبريائه، فمدائحه صادرة عن إيمان صادق بصاحب الرسالة، موجهة إليه، وإلى من سانده وآزره وحاماه في محنته، فلم يمدح ملكا أو أميرا أو رئيس قبيلة؛ لأنه هو مهوى مدائح الشعراء لمكانته ومنزلته، اما ما مدح به النجاشي فلأنه أجار المسلمين.

وكان مديح أبي طالب مديح شكر لفضل سابق في الممدوح وهو دعوى للاخرين للتمثل بما فعله الممدوح للدعوة الإسلامية ولرسول الله صلى الله عليه وآله .



(١) الديوان: ٢٥٩.



الفصل الثالث

العقيـدة

مفتتح الفصل

شعر العقيدة

اضطربت معالم الحياة الدينية قبيل ظهور الإسلام في بلاد العرب فتصدعت القيم الانسانية والعقائدية[1]، وكان بزوغ فجر الإسلام حدثا تاريخيا مهما في الجزيرة العربية، اخذ فعله في نفوس الناس ـ ولا سيما الشعراء ـ فعمل على تنقية عقيدة العرب في التوحيد من الشرك الذي شابها من قبل، ويعد زيد بن عمرو بن نُفيل[2]، وورقة بن نوفل[3] وغيرهما ممن مثلوا تلك العقيدة في اشعارهم بيد أنَّ فكرة التوحيد في زمن البعثة اصبحت فكرة ثابتة وواضحة في دين جديد قائم بذاته، ونبي مرسل يدعو الناس إلى هذا الدين، وصار لهذه المعاني حضور واسع في شعر من اسلم من الشعراء وفي مقدمتهم أبو طالب.

---

(١) ظ: تاريخ العرب قبل الإسلام (القسم الديني): ٥/ ٥٦-٥٩، دراسات في التاريخ الإسلامي: ٢١- ٢٤.

(٢) ظ: زيد بن عمرو بن نفيل حياته وما تبقى من شعره (بحث): ٩٠- ٩٢.

(٣) ظ: ورقة بن نوفل حياته وشعره (بحث): ١٧٤- ١٧٨.

إنَّ مجيء الإسلام بمباديء جديدة خلق في نفوس الشعراء شعرا تلوح فيه تلك المباديء؛ لأنَّ الإسلام حفز الشعراء الذين استبشرت نفوسهم العبادة الحقة ودواعي النزعة الروحية الجديدة إلى التعبير عن ايمانهم بما يملكون من وسائل، وكان الشعر وسيلة هذا التعبير[1]، وكان أبو طالب السابق قبل غيره من الشعراء في هذا الباب، فقد انيط بشعره الملتزم الاسهام في موقف النصرة والمحاماة لصاحب الرسالة في خطاب تبليغي موجه إلى أبنائه وأخوته وعشيرته يحثهم على الذود عن الرسالة وصاحبها ومساندته ومؤازرته والدفاع عنه بمايستطيعون.

وفي شعر العقيدة لأبي طالب نصيب وافر منه، لأنه ألصق الفنون الشعرية بحياته وفي هذا النمط من شعره عبر عن المعاني الإسلامية الجديدة المتعلقة بالايمان بالله وحده وبرسله، والكتب المنزلة على رسله، ويوم البعث، والدعوة الى الوحيد، وتصديق رسول الله ﷺ، وببعثته الشريفة، وبما جاء به من تعاليم سماوية ارتسمت في شخصيته، والزام طاعته،واتباعه، وحمايته، ومناصرته، وبذل النصيحة في السير على هديه، والدعوة الى الصبر، وجهاد اعدائه، والوصية بنصرته إلى آخره.

❁ التوحيد :

إنَّ مما يدين به المرء لوجود خالقه ووحدانيته أنه لا مثيل له،وليس له شريك في الملك، ومتفرد بصفات الكمال كلها، والايمان برسله، والكتب المنزلة عليهم، وهذه من المعاني التي تجسد عقيدة التوحيد، فالتوحيد الركن الأول للإسلام.

---

(١) ظ: شعر العقيدة في عصر صدر الإسلام: ٦٠.

فعندما شرع رسول الله ﷺ بتبليغ دعوته لجميع الناس على مبادىء الإسلام[1]، دعا عمه اباطالب، فكان الناصح في دعوته، والصادق في حديثه،والأمين في تبليغ رسالة السماء، فقال أبو طالب:

{من الكامل}

وَدَعَوتَني وَزَعَمتَ أَنَّكَ ناصِحٌ	فلَقَد صَدَقتَ وَكُنتَ قبلُ أَمينا
وَعَرَضتَ ديناً قَد عَلِمتُ بأَنَّهُ	مِن خَيرِ أَديانِ البَرِيَّةِ دينا
لَولا المَلامَةُ أَو أُحاذِرُ سُبَّةً	لَوَجَدتَني سَمحاً بِذاكَ مُبينا[2]

كان أبو طالب على يقين من صدق الرسول محمد ﷺ قبل البعثة وبعدها، ومعرفته بأفضلية الدين الإسلامي على غيره من الأديان؛ لأنه يتوافق مع ملة نبي الله إبراهيم عليه السلام التي عليها أبو طالب وأهله، ومما لاشك فيه أن أبا طالب اطلع على عقائد النصارى واليهود في رحلاته الى الشام واختلاطه باهلها، وبأهل خيبر وتيماء من اليهود، بمعنى ان معرفته لافضلية الإسلام نابعة من معرفة صادقة، بيد أن خشية

---

(١) عندما كُلف الرسول ﷺ بتبليغ دعوته زاد التوتر في صفوف رجال قريش، ففكروا في قتله، ولكن رأى عقلاؤهم من الحكمة الذهاب إلى أبي طالب، وهم يحملون في حديثهم معه نغمة الرجاء تارة، والتهديد تارة اخرى، فأبى رسول الله ﷺ إلا ان يصدع بامر الله بكلمة الحق، وتنزيهه عن عبادة الاوثان وهو يقول لعمه أبي طالب: «أي عم أو لا أدعوهم إلى ما هو خير لهم منها؟ كلمة يقولونها تدين لهم بها العرب ويملكون رقاب العجم، فقال أبو جهل: ما هي؟ وأبيك لنعطينكها وعشر أمثالها، قال تقولون: لا إله إلا الله» فثارت حفيظة رجال قريش لمنع المد الإسلامي بالوسائل كلها، ظ: السير والمغازي: ١٥٤، الكامل في التاريخ: ٢/ ٤٤، البداية والنهاية في التاريخ: ٣/ ١٢٣.

(٢) الديوان: ١٨٩.

أبي طالب ملامة قريش جعلته يكتم إسلامه ولا يظهره، وكأنه قطع الطريق على من يلومه، وإلا فإنه كان مفصحا عما اعتنق من الدين الجديد، وله علم ودراية بتعاليمه ومبادئه، ولذلك فضل الدين الإسلامي على غيره من الأديان، فافصح بعقيدته الصادقة عنه، والتصديق بصاحب الدعوة، وهما حقيقتان من حقائق الايمان.

وأمسى أبو طالب معلناً توحيده بالله وحده لا شريك له، وهو يهتف:

{من الوافر}

مَلِيكُ النَاسِ لَيسَ لَهُ شَرِيكٌ هُوَ الوَهّابُ وَالمُبدي المُعِيدُ
وَمَن فَوقَ السَماءِ لَهُ لَحَقٌّ وَمِن تَحتَ السَماءِ لَهُ عَبيدُ[1]

جمع أبو طالب السماوات والارض بتوحيدها لله، والاعتراف بربوبيته، فعبودية الجميع تجسد التوحيد بمعانيه كلها.

وفي النص أكثر من شاهد على توحيد أبي طالب ففي قوله : «مليك الناس ليس له شريك»، فهو يخلع انداد الجاهلية من دون الله جميعها، والله متفرد في الملك ومتفرد بكمال صفاته «المليك، والوهاب، والمبدي، والمعيد» فعظم الشاعر اسماء الله بذكر صفاته، فهو المليك الغني عن العباد وعن جميع المخلوقات، وهو الوهاب الوافر العطاء، والمبديء الخلق ابتداءً والمعيد المنشيء خلقه نشأة أخرى بعد الموت، وفي ذكر الصفتين المبديء والمعيد ايماءتان الى حقيقة الايمان بالبعث بعد الموت، وثمة شيء اخر أفصح عن ايمان أبي طالب يوثقه شعره، وهوحقيقة العبودية لله وحده فكل ما في السماوات ، وما في الارض خاضع ذليل منقاد لصاحب الملك، وهذه من المعاني

(١) الديوان: ١٥٨.

الجديدة التي لم تكن معهودة قبل الإسلام.

ويؤكد أبو طالب توحيده لله تعالى عندما مضى إلى امره خلاف قريش فيما أراد رسول الله ﷺ واجتماع قومه على عداوته وخلافه[1] بعد أن شاع الاسلام، فقال:

{من الطويل}

فـــو اللهِ لـــولا اللهُ لاشيءَ غـــيرُهُ   لأصـــبحتُمُ لا تملكـــون لنـــا سربـــا[2]

أخذ ابوطالب على نفسه رفع شعار التوحيد في مخاطبة قريش فقال: «فوالله لولا الله لا شيء غيره» كلمة قالها بوجه مشركي قريش ليحثهم عليها، وللاقرار بها، وهي تومىء الى عقيدة التوحيد إيماءً صريحاً واضحاً.

ولأبي طالب أثر فعال في حركة الدعوة الإسلامية للخروج بها من مكة إلى الحبشة ويظهر بصورة جلية في الأبيات التي بعثها إلى ملك الحبشة يحضه فيها على حسن جوار المهاجرين المسلمين من مكة إليه[3]، ويدعوه إلى اعتناق الدين الإسلامي الجديد لتوحيد الله، وتصديق نبيه، وما نزل عليه من كتاب الله الذي يضارع ما أنزل على النبيين: موسى وعيسى عليهما السلام وما نزل على النبي محمد ﷺ يقرأه اليهود في توراتهم والنصارى في انجيلهم، فهو دين الهدى الناطق بالصدق لا ريب فيه، فقال:

---

(١) ظ: السير والمغازي: ١٥٠.

(٢) الديوان: ١٨٣، السرب: الطريق.

(٣) ظ: السير والمغازي: ١٥٠.

{من الطويل}

أَتعلم مَليــــكَ الحُبـــشِ أَنَّ مُحَمَّـداً وزيرٌ لِموسى وَالمَسيـــحِ بـــنِ مَـــريمِ؟

أَتـى بِهُـدىً مِثـلَ الَّـذي أَتَيـا بِــه فكُــلٌّ بِــأَمرِ اللهِ يَهــدي وَيعْــصِمُ

وَإِنَّكُـــمُ تَتلونَـــهُ في كِتـــابِكُم بــصِدقِ حَـديثٍ لا حــديثِ الـتَّرَجُّمِ

فَــلا تَجعَلــوا للهِ نِــدّاً وَأَســلِموا فــإِنَّ طَريــقَ الحَــقِّ لَـيسَ بِمُظلِـمِ[1]

بيَّن أبو طالب جملة من فضائل الإسلام فدين محمد صلى الله عليه وآله قد بشرت به الكتب السماوية، فكان احبار اليهود، ورهبان النصارى يترقبون ظهوره، وبشَّروا ببعثة النبي المرتقب بالشواهد والدلائل والآيات والمعجزات، فكانت وثيقة لصحة نبوته الشريفة، والكتاب المنزل عليه من عند الله للحقائق التي تضمنتها الكتب السماوية التي اوحى الله بها إلى النبيين: موسى وعيسى عليهما السلام وأول شيء صدع فيه رسول الله في تبيلغ رسالته هو التوحيد، ونفي عبادة الانداد من دون الله، لأن الله خالق كل شيء، له ما في السماوات، وما في الارض، فمن حقه ان تكون العبادة خالصة له وحده بلا شريك.

وعقيدة أبي طالب في الايمان بالله لا تنفك عن عقيدته في الايمان برسله، وتصديقه وتأييده لهم جميعا، فلا فرق بينهم؛ لأن مقتضى الايمان واحد، وواجب على كل مسلم بها اكدته الشريعة الإسلامية، فضلا عن ان عقيدته تلزمه بان يحث الناس على اتباع منهج الحق؛ لأنه طريق مشع بنور الهداية بعد ان اكتنفت غياهب الظلام في العقيدة الجاهلية.

---

(١) الديوان: ٢٥٩، في البيت الثاني إقواء.

ويومض البيت الرابع إلى عقيدة النصارى التي تجعل المسيح ابنا لله[1] وان تبني أبي طالب دعوة ملك الحبشة لاعتناق الدين الإسلامي الجديد وتقديمه الحجة والبرهان من كتب النصرانية نفسها، لها اثرها العميق في نفس النجاشي حتى اعلن إسلامه[2].

۞ التصديق :

إنَّ تصديق الرسول بكل ما يتحدث به من وحي السماء وتأييده هو الركن الثاني للإسلام، فمدح أبو طالب صدق نبي الله ﷺ في شعره إلى جانب موقف المشركين المنكرين لدعوته بما جاء من صدق القول المنزل من عند الله، فقال:

{من المتقارب}

وقَــوْلٍ لأَحْمَــدَ : أنــتَ امــرُؤٌ خَلُــوفُ الحـديثَ ضَـعيفُ الـسَّبَبْ

وإنْ كــانَ احمــدُ قــد جــاءهم بِحَــقٍّ ولم يَــأتِهم بالكَــذِبْ[3]

وعندما آذن الله للرسول بنشر دعوته للاقربين من بني هاشم وعبد المطلب، ورفع كلمة الحق بينهم كذبوه، وعابوا عليه دينه، ومن عشيرته الاقربين عمه أبولهب، وكان ذلك الأمر في بداية الدعوة الإسلامية، فاشاع في سوق ذي المجاز[4]، بانه

---

(١) ظ: العهد الجديد: ٣٢٦- ٣٤٣، الرسالة إلى العبرانيين، الاقسام : ١- ١٣.

(٢) ظ: السيرة النبوية لابن هشام: ١/ ٣٤١، البداية والنهاية في التاريخ: ٣/ ٨٤.

(٣) الديوان: ١١٥، السبب: الوُصْلَة من الصلة والاتِّصال.

(٤) ظ: مناقب آل أبي طالب: ١/ ٥١.

كذاب، فانتفض أبو طالب باعلان صدق مقال ابن أخيه وانه رسول من الله، وقرآنه صادق منزل من ذي العزة، فأنشد:

{من البسيط}

أنتَ الامينُ امينُ الله لا كَذِبُ والصادقُ القِيلِ لا لهوٌ ولا لَعِبُ
أنتَ الرسولُ رسولُ الله نعلمُهُ عليكَ تنزلُ من ذي العزّةِ الكُتُبُ[1]

إنَّ تركيز أبي طالب على صدق رسول الله ﷺ يحقق له امرين: الأول، أنه يحرص على تذكير قريش بهذا اللقب (الصادق الأمين) الذي عرف به المصطفى في الجاهلية، فما عدا مما بدا، فهم يُصدِّقون قبل، ويُكذِّبون بعد، والثاني انه صادق حقا كما يؤمن هو والمسلمون بكل ما جاء به، فأومأ في قوله: «أنت الأمينُ أمينَ الله لا كذب، وأنت الرسولُ رسولُ الله نعلمه» باليقين الذي لايقبل الشك على إيمانه بالله، وان ابن أخيه الصادق الأمين مبعوث من عند الله؛ لأن أبا طالب آمن بغيب السماء المبشرة ببعثته قبل ان يبعث في الوقت الذي كان قومه يعبدون الأصنام:

{من الطويل}

وبالغيبِ آمنّا وقد كان قومُنا يصلُّون للأوثانِ قبلَ محمدِ[2]

وهذا دليل موثق من شعر أبي طالب يؤكد إيمانه بغيب الله بما أخبر به، واطلع عليه، واعتقد به، معلناً تصديقه ببعثة النبي المنتظر.

ولما قعدت قريش برسول الله ﷺ في القبائل بالموسم وزعموا أنّه ساحر

---

(١) الديوان: ٣٢٩.

(٢) م.ن: ٣٣٤.

أقسم أبو طالب جهد ايمانه بان ابن أخيه ليس ساحرا ولا كاذبا، وما قالته قريش زورا وبهتانا، فقال:

{من الكامل}

زعمتْ قريشٌ أنَّ احمدَ ساحرٌ ... كذبُوا وربِّ الراقصاتِ الى الحَرَمْ

ما زلتُ أعرفُهُ بصدقِ حديثِهِ ... وهو الأمينُ على الحرائبِ والحُرَمْ

بَهَتُوهُ لا سُعِدوا بِقَطْرِ بعدما ... ومضتْ مقالتُهم تسيرُ إلى الأُمَمْ[1]

وأبوطالب ما زال يعرف صدق حديث ابن أخيه المعهود، فقد كان النبي ﷺ صادقا وظل على صدقه وهو امين على ما أئتمنه على ماله وحريمه، فالصدق والامانة كلاهما من صفات الانبياء يريد انهما من صفات نبي الله محمد ﷺ.

ولما انتشرت دعوة رسول الله ﷺ لتوحيد الله في صفوف قريش «اشتد اذى أبي جهل بن هشام للنبي ﷺ وعناده له، قال أبو طالب له: متهددا، وبالحرب متوعدا، ولرسول الله ﷺ، ولدينه محققا ومعتقدا»[2]:

{من الكامل}

صدقَ ابنُ آمنةَ النبيُّ محمدٌ ... فتميّزوا غيظاً به وتقطَّعوا

إن ابنَ آمنةَ النبيَّ محمداً ... سيقومُ بالحقِّ الجليِّ ويصدعُ

فاربعْ أبا جهلٍ على ظلَعٍ فما ... زالتْ جدودُك تستخفُّ وتظلَعُ

سترى بعينكَ إن اردتَ قتالَهُ ... وعنادَه من أمرِهِ ما تسمعُ[3]

---

(١) م.ن: ١٨٥، الحريبة: المال، والجمع حرائب.

(٢) الحجة على الذاهب إلى تكفير أبي طالب: ٢٩٢.

(٣) الديوان: ٣٣٩.

سجل الشاعر اعلانا اخر بصدق نبوة ابن أخيه في شعره: «صدق ابن آمنة النبي محمدا»، ويؤكد تكرارا «ان ابن آمنة النبي محمدا» وقد جاء بالحق الواضح، وصدع بما امر الله تعالى بدعوته، وركز أبو طالب على نسب النبي إلى أمه؛ ليؤكد حقيقة، وهي أن نسبه من طرف أبيه معروف، اما ذكر نسب أمه، فربما أراد به أن يستميل أهلها إلى ابن أختهم، فضلا عن شرف نسبها الذي يفخر به.

وعقيدة الشاعر الراسخة في الايمان بالله ورسوله، كانت دافعا لان يتحدى صناديد الشرك، ومنهم أبو جهل الذي كان يدعى أبا الحكم في الجاهلية، فسماه الرسولﷺ أبا جهل، لجهله ومكابرته في عدم اتباعه، وها هو أبو طالب يستعمل الاسم نفسه، فينهاه عن الحاق الأذى برسوله، ومن عناده في قتاله؛ لأن النبي محفوف برعاية الله وتأييده ونصرته.

ومما يلحظ أن الشاعر وقف بوجه أبي جهل لا لعصبية ابن أخيه وانما بصدق دعواه؛ لذلك ركز على صدق دعوته ونبوته، والحق الذي جاء به، وهنا تغيير فيما كان ساريا بين العرب من عصبية النسب إلى عصبية العقيدة.

ومن دلائل التصديق بالله ورسوله:

ـ أولاً: المعجزة :

أيَّد الباري تبارك وتعالى الرسل بالمعجزات التي تؤكد صدق نبوتهم، فالمعجزة سمة مقترنة بالانبياء والمعجز يجريه الحق على يد الرسل اقناعا للمعارضين، وتأييداً لدعوتهم، «وشاء الله ان تكون معجزة كل نبي من جنس ما يبرع به قومه؛ لكي تؤثر في نفوسهم، وتستولي على عقولهم، فيسرعوا بالتصديق، ويبادروا إلى الايمان وهو ما

يسعى إليه كل نبي مرسل»[1]، فكانت المعجزات دلالة واضحة وبرهانا ساطعاً على الايمان بصدق النبوة.

ومن المعجزات التي شاهدها أبو طالب[2]، واشاد بها لابن أخيه الرسول الكريم ﷺ المنزل عليه القرآن المجيد من الله العزيز الذي لا تدركه الابصار، فما نُزّل عليه من سورة «صاد»، وسور «حاميم» من العجائب التي يستأنس بها القلب، ويرتاح لها الفؤاد، فتستحق الاكبار والتعظيم فقال:

{من البسيط}

وقد أتانا بحقٍّ غيرِ ذي عوجٍ	مُنَزَّلٍ في كتابِ اللهِ معلومِ
فيه عجائبُ يرتاح الفؤادُ لها	ممّا تنَزَّلُ في صادٍ وحاميمِ
من العزيزِ الذي لا شيءَ يدركُهُ	فيه بصائرُ من حقٍّ وتعظيمِ[3]

إنَّ نزول القرآن الكريم على النبي محمدﷺ معجزة عقلية تحدى بها العرب جميعا وهم اهل الفصاحة والبيان ،ولا سيما سورة «ص» التي تفتتح بالحرف نفسه، والسور التي تضمنت الحرفين (حاميم) التي تفتتح بها السور: غافر، وفصلت، والشورى، و الزخرف، والدخان، والاحقاف، على الترتيب القرآني و«الحواميم

---

(١) دراسات في الادب الإسلامي: ٢٨.

(٢) ان ما نزل من القرآن الكريم في مكة هو ست وثمانون سورة، فلو فرضنا ان أبا طالب شهد نزول خمسين سورة خلال زمن البعثة، فهذا يعني انه اطلع على كم وافر من السور المكية التي تتحدث عن التوحيد والعقيدة أكثر من حديثها عن التشريع كما هو معروف.

(٣) الديوان: ٢٤١.

ديباج القرآن»[1] ويسمين عرائس القرآن[2]؛ لفضلهن، وهذه دلائل جلية على صدق ما جاء به النبي من الله تعالى، ليمضي في تبليغ رسالته في دعوته الى التوحيد، وازالة ظلام الشرك والوثنية من الفكر الجاهلي.

وأفصح أبو طالب عن معجزة حسية حصلت لابن أخيه قبل بعثته الشريفة عندما اصاب القحط في مكة، وقد استحضرها وهو في حصار الشِّعب ساعة نظم القصيدة اللامية «التي تعوذ فيها بحرم مكة وبمكانه منها، وتودد فيها أشراف قومه، وهو على ذلك يخبرهم وغيرهم في ذلك من شعره انه غير مسلِّم رسول الله ﷺ ولا تاركه لشيء أبداً حتى يهلك دونه»[3].

فببركة وجه ابن أخيه استمطر الغمام، وهو ملجأ الأرامل والأيتام، يأتي إليه فقراء عشيرته من آل هاشم، فيكونوا في نعمة تزيد عليهم حتى يغدقوا بها على غيرهم، فقال أبو طالب:

{من الطويل}

وَأَبــيَضَ يُستَسقى الغَمامُ بِوَجهِهِ	ربيعُ اليَتامى عِصمَةٌ لِلأَرامِلِ
يَلوذُ بِهِ الهُلاكُ مِن آلِ هاشِمٍ	فَهُم عِندَهُ في نعمَةٍ وَفَواضِلِ[4]

إنَّ من ارهاصات النبوة رعاية الله تعالى للمصطفى وهو صغير ما روي ان القرشيين شكوا إلى أبي طالب القحط في مكة، فقالوا: «يا أبا طالب، اقحط الوادي،

---

(١) كنز العمال في سنن الاقوال والافعال: ١/ ١٤٤.

(٢) ظ: الجامع لاحكام القرآن: ١٥/ ٢٨٨.

(٣) السيرة النبوية لابن هشام: ١/ ٢٧٢، ظ: الديوان: ١٩٠- ١٩٨.

(٤) الديوان: ٧٥.

واجدب العيال، فهلمَّ واستسقِ، فخرج أبو طالب ومعه غلام كأنه شمس دُجن تجلت عنه سحاب قتماء، وحوله أغيلمة فأخذه أبو طالب فالصق ظهره بالكعبة ولاذ باصبعه الغلام، وما في السماء قزعة فاقبل السحاب من ها هنا وها هنا واغدق واغدودق وانفجر له الوادي واخصب البادي والنادي»[1].

ولا يخفى وقع معنى البيتين في نفس المصطفى ﷺ موقعا حسنا فيما تلمح اليه الرواية: ان اهل المدينة اصابهم قحط شديد ـ بعد بعثته ـ فاستغاثوا بالرسول فاستسقى لهم، فما لبث ان جاء المطر، ما خشي من أهل المدينة من الغرق، فشكو ذلك الى رسول الله ﷺ[2] فقال: «اللهم حوالينا ولا علينا، فانجاب السحاب عن المدينة حتى استدار حولها كالإكليل. فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه، ثم قال: لله دُرّ أبي طالب! لو كان حيا لقرت عينه. من ينشدنا قوله؟ فقام علي عليه السلام فقال: يا رسول الله، لعلك اردت: وابيض يُسْتَسْقَى الغمامُ بوجهه) قال: اجل، فأنشده أبياتاً ورسول الله يستغفر لأبي طالب على المنبر»[3] فقول رسول الله: «لله در أبي طالب...» تصريح منه على أن أبا طالب لو رأى مشهد استسقاء رسول الله، لخالجه شعور الحبور والسرور والفرح ولقرت عيناه، لانه مطمئن القلب، ثابت العقيدة على يقين ان ابن أخيه له وافر

---

(١) الخصائص الكبرى: ١/ ٨٦، سمط النجوم العوالي في انباء الاوائل والتوالي: ١/ ٣٦١، كأن شمس دُجُن: ذات يوم داجن أي مظلم، وحوله أغيلمة: تصغير أغلمه جمع غلام، قزعه: القطعة من السحاب، أغدودق: كثر قطره، ظ: شرح المواهب اللدنية: ١/ ١٩٠.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام: ١/ ٢٨٠- ٢٨١، صحيح البخاري: ١/ ٢٣٩- ٢٤١، صحيح مسلم: ١/ ٣٩٣، دلائل النبوة لابن نعيم: ٣٨٣ «حديث الاستسقاء».

(٣) شرح نهج البلاغة:١٤/ ٨١، ظ:شرح شواهد المغني:١/٣٩٨، بحار الانوار:٣٥/ ١٦٨. الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة: ٧٥.

البركة، وشرف المنزلة، والمكانة السامقة، وجليل الاثر عند ربه، فمنحه هذه الكرامة الجليلة، فمما لا شك فيه أنَّ استذكار الرسول لحادثة الاستسقاء القديم بحضور أبي طالب يؤكد تصديقه به قبل البعثة، فمدحه بالاستسقاء بوجهه.

ومن الآيات ما جاء في خروج النبي محمد ﷺ وهو صغير مع عمه أبي طالب الى الشام، آية الغمام التي اظلته فسجلها أبو طالب في شعره:

{من الطويل}

فلـــمّا رآهُ مقـــبلاً نحـــو دارِهِ	يوقِّيــه حَـرَّ الـشمس ظـلُّ غـمامِ
حنـى رأسَـه شِـبْه الـسجود وضـمَّهُ	الى نحـــرِهِ والـــصدرِ أيَّ ضُـــمامِ
...	...
فـــذلك مـــن اعلامِـــهِ وبيانِـــهِ	ولـــيس نهـــارٌ واضـــحٌ كظَـــلامِ[1]

رأى الراهب صفات وعلامات استدل بها على أنه النبي الموعود في كتبهم، شاهد غماما تظله من بين القوم، فإذا وقف وقفت واذا سار سارت، فنظر الى الغمام حتى اظلت الشجرة التي تحتها ومالت اغصان الشجرة عليه، فأدرك الراهب أن هذا الحدث العجيب لا يكون إلا لنبي مرسل فنزل من صومعته[2]، ووقف امام النبي محمد منحني الرأس معظما اياه، ثم ضمه إلى نحره، وصدره جذلا ببشارة النبوة، ودوَّن أبو طالب هذه الحادثة في شعره عندما بُعِث ابن أخيه، ليؤكد أن الله تعالى كان

---

(١) الديوان: ١٦٦ - ١٦٧.

(٢) ظ: الطبقات الكبرى: ١/ ١٥٤، دلائل النبوة لابن نعيم: ١٢٦، دلائل النبوة ومعرفة احوال صاحب الشريعة - البيهقي: ٢/ ٢٧، إعلام الورى بأعلام الهدى: ١٧، ، صفة الصفوة: ١/ ٣٣، عيون الاثر في فنون المغازي والشمائل والسير: ١/ ٤١.

يرعاه من صغره بهذه الدلالة، ويدعو من شهد معه هـذه الحادثـة ليتـذكرها فيـشهد بذلك، ولا نستبعد ان هذه الحادثة كانت معروفة عند قريش قبل البعثـة فـأبو طالـب يعيدها على مسامع قريش وكأنَّه يدعوهم إلى الايمان بالنبوة بعد أن آمنوا بهذه الحادثـة التي طرقت مسامعهم.

إنَّ تدوين أبي طالب لهذه المعجزة في شعره، وجعلها من العلامات الدالة عـلى نبوة ابن أخيه دليل منه على تصديقه، ومما يؤكد يقين أبي طالب في التصديق هو إخبارُ الراهب بحيرا له عن نبوة ابن أخيه، وذكر البشائر الدالة عليه وهو يوصيه «لاتخرجن بابن اخيك إلى ما ههنا فإنَّ اليهود أهـل عـداوة، وهـذا نبـي هـذه الامـة، وهـو مـن العرب، واليهود تحسده تريد أن يكون من بني اسرائيل، فاحذر على ابـن أخيـك»[1]، وما كان كلام الراهب إلا خشية على النبي من العيون التي تترقبه حسداً على نبوته.

ومما لاشك فيه أن الراهب بحيرا قد قـرأ في الكتـب الـسماوية ان هـذا الزمـان زمن بعثته ﷺ . وأشـار أبـو طالـب الى آيـة اخـرى، فـابن أخيـه الأمـين والحبيـب المصطفى بين عباد الله، والمهاب بينهم، معلم بخاتم النبوة، فالجاهل فيه لـيس كالعـالم به، فقال:

{من الطويل}

أمينـــا حبيبـــاً في الـــبلادِ مُـــسوَّماً	بخـــاتمِ ربٍّ قـــاهرٍ للخَـــواتِمِ
يـــرى النـــاسُ برهانـــاً عليـــه وهيبـــةً	ومـــا جَاهـــلٌ في فعلـــه مثـــل عَـــالمِ[2]

(١) الطبقات الكبرى: ١/ ١٥٥.

(٢) الديوان: ٢٢٤، يريد بالخواتم الرجال اصحاب الخـواتم، وخـاتم النبـوة: شـامة خـضراء أو سـوداء محتفرة في اللحم، أو كغدة عند غضروف كتفه اليسرى مثـل التفاحـة، ظ: الـرَّوض الأُنـف في تفـسير السيرة النبوية لابن هشام: ١/ ٣١٥- ٣١٦.

فخاتم النبوة آية موثقة بالشاهد والدليل وبرهان واضح على صدق نبوة ابن أخيه، ويريد الشاعر أن يدعو قريشا إلى الايمان به وتصديقه ونصرته[1]، فقال وهو يذكر صفة النبي ﷺ المعلم بخاتم النبوة:

{من البسيط}

فآمنوا بنبيٍّ - لا أبا لكُمُ - ذي خاتمٍ صاغه الرحمنُ مختومِ[2]

وذكر أبو طالب معجزة أُخرى لابن أخيه - بعد بعثته - وهي «أن أبا جهل بن هشام جاء الى النبي ﷺ ومعه حجر يريد أن يرميه به إذا سجد رسول الله ﷺ، فرفع أبو جهل يده فيبست على الحجر، فرجع وقد التصق الحجر بيده، فقال له اشياعه من المشركين : أجبنت؟ قال: لا ولكني رأيت بيني وبينه كهيأة الفحل يخطر بذَنَبِهِ»[3] فأنشد أبو طالب ابياتاً متعجباً وموثقاً لهذه المعجزة في القصيدة التي حذر فيها قومه من انكارهم لبعثة رسول الله[4]:

{من المتقارب}

وَأَعجَبُ مِن ذاكَ مِن أَمرِكُم عَجائِبُ في الحَجَرِ المُلصَقِ
بِكَفِّ الَّذي قامَ مِن حِينِهِ إِلى الصّابِرِ الصَادِقِ المُتَّقي
فَأَيبَسَهُ اَللهُ في كَفِّهِ عَلى رغمِ ذا الخائِنِ الأَحمَقِ

---

(١) الديوان : ٢٤١.

(٢) م .ن: ٢٤١.

(٣) الحجة على الذاهب إلى تكفير أبي طالب: ٢٢٣، ظ: شرح نهج البلاغة: ١٤/ ٧٤، البداية والنهاية في التاريخ: ٣/ ٤٣، الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة: ٥٣.

(٤) ظ: الديوان: ٢٥٥.

أُحَيمِقَ مَخزومِكُم إِذ غَوى　　بغَيِّ الغُواةِ وَلَم يَصدقِ[1]

فهذه الأبيات أقرب إلى الهجاء مع دعوة التصديق التي يدعو اليها أبو طالب فهو يذكر أبا جهل بما وقع له ورواه بنفسه، وهذا ادعى للتصديق، فان لم يُصدِّق بما وقع له فهو احمق، وتفصح الابيات أيضاً عن التصديق برسول الله ﷺ بالمعجزة التي شرف الله رسوله، وخصه بها، تعظيما لمكانته عنده، وتأييدا لنصرته.

ومما تقدم يتبين: أن ذكر أبي طالب العلامات والآيات والمعجزات التي حركت شاعريته تنم عن غاية في نفسه، وهي دعوة عشيرته وقومه لتصديق رسول الله ﷺ ، وليكونوا جميعا صفا واحدا تحت راية الإسلام في نصرة حاملها، وتأييده واتباعه، ومن ثمَّ شمول دعوته البلاد العربية عامة ، ومن حولها، وكان لسان أبي طالب جهادا شعريا لاستجلاب قريش إلى الدعوة الإسلامية، وهو يقدم الدلائل والبراهين المشهودة على صدق نبوة رسول الله ﷺ .

ـ ثانياً: النصرة:

النصرة منقبة خُلقية جليلة يثنى عليها الرجل الكريم الفاضل في قومه يرى من الواجب عليه حماية من يطلب منه الجوار ونصرته، فجذورها متأصلة في سجية العربي المجبول على الغيرة، وحفظ الحرمة ، وصيانة العرض، وتعد من فضائل العربي التي تستحق الاشادة والافتخار، فمنعة المنصور منعة للناصر، والحاق الأذى به يتبعه إلحاق الأذى له، وتمثل صورة حية وصادقة للحياة الاجتماعية عند العرب، وقانونا مستمدا اصوله من التضامن الاجتماعي بينهم، ونجد اشارات ثرة لهذه

---

(١) الديوان: ٢٢٥- ٢٥٦.

الفضيلة تغنى بها الشعراء قبل الإسلام[1].

اما في ظل الإسلام فاتخذت طابعا دينيا في أكثر الاحايين لمساندة الدعوة الإسلامية، ويتبنى أبو طالب نصرة ابن أخيه التي كان مبعثها الاعتقاد السليم بما جاء به النبي المبعوثﷺ ؛ ولان حمايته حق مفروض عليه، وواجب موكل اليه اسنده والده عبد المطلب له؛ لأن نبوته بشرت بها الكتب السماوية القديمة التي كان والده قد قرأها، وانبأه بها زد على أنَّ النصرة تكفلتها عادات المجتمع العربي وتقاليدهم، فأعلن أبو طالب نصرته وحمايته لابن أخيه ليجهر بدعوته المباركة «اخرج ابن أبي فإنك الرفيع كعبا؛ والمنيع حزبا، والأعلى أبا، والله لا يسلقك لسان إلا سلقته ألسن حداد، واجتذبته سيوف حداد، والله لتذلنَّ لك العرب ذل البهم لحاضنها، ولقد كان أبي يقرأ الكتاب جميعا ولقد قال: إن من صلبي لنبياً لوددت اني أدركت ذلك الزمان فآمنت به فمن أدركه من ولدي فليؤمن به»[2]، وافتخر أبو طالب بشعره بنصرته لرسول اللهﷺ وحمايته له عندما اضحى في قريش اتجاهان متضادان: الاول، اتجاه المسلمين في سريان المد الإسلامي بين رجال قريش والثاني، اتجاه المشركين المضاد والثائر على المد الإسلامي، وبات أبو طالب يخشى أن يعلن هذان الاتجاهان حرباً لايعرف عقباها، ويأبى الرسول إلا ان يمضي في تبليغ رسالة السماء بقوة وعزم وصرامة.

فلما رأى أبو طالب قوة ابن أخيه وايمانه، وثبات عزيمته، واصراره على المبدأ قال له يطيب خاطره، ويوعده بالنصرة مرة أُخرى «أمضِ على امرك وافعل

---

(١) ظ: الفروسية في الشعر الجاهلي: ٢٨٤، ٢٨٨، ٣٠٨.

(٢) الغدير في الكتاب والسنة والادب: ٧/ ٣٤٩، نقلا عن نهاية الطلب وغاية السؤل في مناقب آل الرسول لإبراهيم بن محمد الدينوري.

ما احببت فوالله لا نسلمك لشيء ابدا»[1] وأنشد:

{من الكامل}

وَاللهِ لَـن يَـصِلوا إِلَيـكَ بِجَمعِهِـم ... حَتّـى أُوَسَّـدَ فِي الـتُرابِ دفينـا

امـضِ لأَمـرِكَ مـا عَلَيـكَ غَـضاضَةٌ ... وَأبـشِرْ وقـرَّ بـذاكَ منـكَ عُيونـا[2]

يعد أبو طالب الركيزة الأولى لدعائم الإسلام في نصرته لرسول الله ﷺ وحمايته ومؤازرته له طول مدة البعثة حتى مماته، فقد فداه بنفسه وحافظ على سلامته بقوة، وكان يحنو عليه حنان المشفق على ولده المحب له، فوجَّه أبو طالب شعرا إلى خصوم رسول الله ﷺ مهدداً ومتوعداً، على الرغم من ان المواجهة لم تقع بين الطرفين قال:

{من المتقارب}

نَـصَرْنا الرَّسـولَ رَسـولَ المَليـكِ ... بِبـيضٍ تَـلالا كلمـع الـبُروقِ

بـضَربٍ يُـذيبُ بـدونَ التهـابٍ ... حـذارَ البـوادر وَالخَـنفَقيقِ

أَذُبُّ وَأَحمـي رَسـولَ المَليـكِ ... حِمايَـةَ حـامٍ عَلَيـهِ شَـفيقِ

وَمـا إِن أَدُبُّ لأَعدائِـهِ ... دَبيـبَ البِكـارِ حـذارَ الفَنيـقِ

وَلَكِـن أَسـيرُ لَهُـم سـامِتاً ... كَـما زارَ لَيـثٌ بِغيـلٍ مَـضيقِ[3]

---

(١) السير والمغازي: ١٥٤، ظ: أنساب الأشراف: ١/ ٢٣٠، مناقب آل أبي طالب : ١/٥٣، شرح نهج البلاغة: ١٤/ ٥٤، شرح شواهد المغني: ٢/ ٦٨٧.

(٢) الديوان: ١٨٩.

(٣) الديوان: ١٧٤، الخنفقيق: الداهية، البكار: مفردها البكرة وهي انثى من الإبل، الفنيق: الفحل المكرم عند أهله لايؤذى ولا يركب لكرامته، الغيل: عرين الأسد وموضعه.

إنَّ نصرة أبي طالب لابن أخيه اساسها الهداية، ونـصرة الـدين، واعـلاء كلمـة الحق التي بُعث المصطفى من أجلها وهو يردد «نصرنا الرسول رسـول المليـك، أذبُّ وأحمي رسول المليك» فنصرة أبي طالب متأتية من التصديق برسـالة رسـول الله ﷺ والاقرار بانها رسالة سماوية، وهاتان حقيقتان مـن حقـائق الايـمان بـالله، والتـصديق برسول الله، والتسليم بهما.

ولما رأت قريش نصرة أبي طالب لرسول الله وحماية قومه عنـه، جـاء نفـر مـن قريش لأبي طالب يسامونه على ابن أخيه، فيعطونه عمارة بـن الوليـد؛ ليكـون نـصره وميراثه له على ان يدفع إليهم ابن أخيه، فغضب أبو طالب ونهرهم، فهموا بقتل نبـي الهدى[1].

فخاطبه رجال قريش حين طلبوا منه النبي ﷺ ليقتلوه على ان يعطـوا بدلـه ولدا من عندهم إذ سألوه ان يتنازل عـن منـاصرة نبـي الهـدى؛ ليكـون في نـصرتهم، وطالبوه بتسليم احمد لهم على ان يعطونه مكانه ولدا آخر منهم، بيـد أنَّـه لا يحفـل بـما يقولونه، فالله إلهه مانعه على من يريد الكيد برسوله من بني لؤي بن غالـب، فلايعطي ابن أخيه ليقتلوه، ويرعى ابنهم ليتبناه، فهذا لن يكـون ابـدا، ولـن يـنقض عهـداً قـد قطعه على نفسه في تربية أحمد ورعايته وحمايته، فقال:

{من الطويل}

يقولـونَ لي: دَعْ نَـصرَ مَـن جـاءَ بِالهُـدى	وَغالِـبْ لَنـا غَـلابَ كُـلِّ مُغالِـبِ
وَسَـلِّم إِلَينـا أَحمَـداً وَاِكفلَـن لَنـا	بَنِيـاً وَلا تَحفـل بِقَـولِ المُعاتِـبِ
فَقُلْـتُ لَهُـم: اللهُ رَبّي وَنـاصِري	عَـلى كُـلِّ بـاغٍ مِـن لُـؤَيٍّ بـنِ غالِـبِ

(١) ظ: السيرة النبوية لابن هشام: ١/ ٢٦٧، أنساب الأشراف: ١/ ٢٣١.

أأجْــزِركم ابنــي وأُخفِــرُ ذِمَّتــي واكفـل إبنـاً لابـنِ عَمَّـي وصـاحبي[1]

وأبو طالب صاحب عقيدة راسخة في الايمان بالله ينبهنا عليها شعره: «يقولون لي: دع نصر من جاء بالهدى» حال قوله، وليس حال قول المشركين، فاقرَّ بلسانه بان رسول الله الدليل الهادي إلى اخراج الناس من ظلمات الكفر والضلال إلى نور الهداية والايمان.

وأبو طالب صاحب قدم ثابتة في الإسلام يقول: «الله ربي وناصري» فالله ملاذه ومانعه وحاميه من شرور الناس، ومحمد ﷺ نبي الهدى كافله وناصره، فنفسه دونه في الملمات، لاظهار دعوته ونشرها في أرجاء بلاد الله.

وأبو طالب ليس ناصرا لابن أخيه فحسب، وانما متبنياً لدعوته فيخاطب أخاه أبا لهب، وبني هاشم جميعا، وصديقه أبا عمارة، وآل بيته كلهم داعيا لنصرة ابن أخيه ولدعوته؛ لصلة الرحم، ولقرابة النسب، فيأمرهم بان يكونوا له يدا واحدة في اشهار سيوفهم بوجه أعدائه دفاعا عنه وعونا له، فإن لم يفعلوا، فلم يبقَ له سوى خيار واحد وهو أنَّه سينصره، ويدافع عنه الذين يخذلونه بصولته :

{من الخفيف}

قُـل لِعَبـدِ العُـزّى أخـي وَشَـقيقي وَبَنـي هاشِـمٍ جَميعـاً عِزينـا

وصـديقي أبي عُـمارة والاخــ وانِ طُـراً وأسْرَتي اجمعينـا

إنْ يكـنْ مـا أتـى بـه أحمـدُ اليَـوْ مَ سـناءً وكـان في الحـشر دِيْنـا

فـاِعْلَمُوا أَنَّنـي لَـهُ ناصِرٌ دهــ ري وَمُجْـرٍ بِقَـولَتي الخاذِلينـا

(١) الديوان: ٢٠٥.

فَانْـــصُروهُ لِلـــرُّحْمِ وَالنَــسَبِ الأَد　　　ــى وَكونـــوا لَـــهُ يَـــداً مُـــصلِتينا[1]

وقف أبو طالب سداً منيعاً لحماية ابن أخيه ودعوته، فأخذ على عاتقه مناشده آل بيته وأخوته وعشيرته والمقربين ولا سيما الوليد بن المغيرة، وكأن الخطاب موجّه إليه قبل بني هاشم، لأنه أحد عظماء قريش وهو واحد من اثنين[2] قال فيهما الله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلا نُزِّلَ هَذا القُرآنُ على رَجُلٍ مِنْ القَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [3] فجعله أبو طالب من أهل بيته في دعوته في الوقوف إلى جانب رسول الله ﷺ وحماية رسالته، فاستعطفهم بصلة الرحم ووشائج النسب متوسما فيهم الخير في نصرته.

وخطاب أبي طالب يؤمىء إلى أن نصرته لابن أخيه محكومة بتصديقه «إن يكن ما أتى به احمد اليوم سناءً وكان في الحشر دنيا، فاعلموا انني له ناصر دهري... »

فوشيجة النسب، وصلة الرحم لم تدع أبا طالب الى حماية نبي الله فحسب، وانما عقيدته تدعوه إلى الافصاح بتصديق رسالته، وتأييد دعوته، ويريد أبو طالب أن ينبه آل بيته وأخوته وعشيرته والمقربين له جميعهم إلى أن قريشا مهما سعت جاهدة لاطفاء نور الإسلام ودعوة رسول الله فلن تستطيع أبدا.

ويتبنى أبو طالب الدعوة الإسلامية مرة أُخرى، وابلاغها إلى من اتصف بفضيلة الكرم، والمكانة السامقة من قبيلة كنانة، قد جاءكم رسول مبعوث من الله

---

(١) الديوان : ١٠٠، أبو عمارة: الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، ويكنى ابا عبد شمس أيضا، والوليد من المستهزئين المؤذين لرسول الله ﷺ مات بعد الهجرة بثلاثة اشهر أو نحوها، ودفن بالحجون، ظ: أنساب الأشراف: ١/ ١٣٣ - ١٣٤، ٢٣٢.

(٢) والثاني أبو مسعود عمرو بن عمير الثقفي سيد ثقيف، ظ: السيرة النبوية لابن هشام: ٢/ ٩.

(٣) الزخرف/ ٣١.

يقدم لكم الأعمال الصالحة، فأيدوه وانصروه؛ لأنه ملتحف برداء رباني:

{من الخفيف}

قُــل لِمَــن كــانَ مِــن كِنانَــةَ في العِــ ـــزِ وَأَهــلِ النَّــدى وَأَهــلِ الفعــالِ

قَــد أَتــاكُم مِــنَ المَليــكِ رَســولٌ فَــاقبَلوهُ بِــصالِحِ الأَعــمالِ

وانــصروا أَحمَــداً فَــإِنَّ مِــنَ اللَــ ـــهِ رِداءً عليــهِ غَــيرَ مُــدَالِ[1]

ومرة أُخرى يؤكد أبو طالب: أن ابن أخيه رسول مبعوث من عند الله (أتاكم من المليك رسول)، وعلى الناس قبول تعاليمه؛ لأنها هبطت من وحي السماء فيها الرشاد والفلاح للناس جميعا، فاعلن أبو طالب عقيدته في الايمان بالله تبارك وتعالى والتصديق برسول الله المبعوث من عنده صلى الله عليه وآله.

ولما حلَّ في صفوف المسلمين بعض الأمن والاستقرار، اجتمعت قريش على أن يكتبوا كتابا يتعاقدوا بموجبه على مقاطعة بني هاشم وعبدالمطلب[2]، فخطاب أبوطالب مشركي قريش، ولاسيما بطن كعب بن لؤي بن غالب، يعلمهم باستمراره في مؤازرته النبي محمدصلى الله عليه وآله ويحذرهم مغبة معاداته، مستنكرا علمهم بمعرفته وحملهم على معاداته، فهو مثل موسى ورد ذكره في كتب الانبياء، وانه محفوف بهالة من حب

---

(١) الديوان: ٢٠٧، كنانة: بطن من بطون قريش تدخل في النسب النبوي،ظ: أنساب الأشراف: ١/ ١٥- ٣٥.

(٢) وتشمل بنود المقاطعة: حصار بني هاشم وعبد المطلب في شِّعب أبي طالب، ويمنع الدخول إليهم، والخروج منهم، ولايتزوجون منهم، ولا يزوجونهم، وتمنع الامدادات الغذائية والتعامل التجاري، ولا يرفع الحصار عن أبي طالب وعشيرته إلا ان يسلم محمدا صلى الله عليه وآله أو يموتوا جميعهم، ظ: السير والمغازي: ١٥٦، السيرة النبوية لابن كثير: ٢/ ٤٤.

الله الذي منحه لعباده لمحبة رسوله، فورب الكعبة لا نسلم محمدا أو نخذله في شدته:
{من الطويل}

أَلا أَبلِغــا عَنّــي عَــلى ذاتِ بينِنــا	لُؤَيّــاً وَخُــصّا مِــن لُــؤَيٍّ بَنــي كَعــبِ
أَلَم تَعلَمــوا أَنّــا وَجَــدنا مُحَمَّــداً	نَبيّــاً كَموســى خُــطَّ في أَوَّلِ الكُتــبِ
وأَنَّ عليــهِ في العِبــادِ مَحَبَّــةً	وَلا خَــيرَ مِمَّــن خَــصَّهُ اللهُ بِالحُــبِّ
....	....
فَلَــسنا ـ وبيــتِ الله ـ نُــسلِمُ أَحَمَــداً	لِعَــزّاء مِــن نكْــبِ الزَمــانِ وَلا كَــربِ[1]

ففي النص جملة من الدلائل الموثقة في تصديق أبي طالب لنبوة رسول الله محمدﷺ، فهو يذكر بطن كعب بن لؤي معرفتهم ببعثة النبي التي وردت بشارته بانه خاتم الانبياء على لسان جدهم كعبا الذي كان له علم ودراية واحاطة بكتب الانبياء: التوراة والانجيل، فما جاء في خطبته التي تضمنت العديد من الوصايا قوله: «... واعظموا هذا الحرم وتمسكوا به فسيكون له نبأ، ويبعث منه خاتم الانبياء بذلك جاء موسى وعيسى... »[2] فما على بطن كعب إلا التصديق بما جاء به من الكلام الالهي، ويومىء خطاب أبي طالب إلى ايمانه العميق وإسلامه الراسخ؛ لأن المرء لايدعو إلى الايمان والتسليم ما لم يكن مؤمنا مسلما صادق العقيدة، وهو يرفع هتافه «ألم تعلموا انا وجدنا محمد نبيا ... »، وقد اكد صدقه بما اومأ إليه بان النبي محمد شبيه بموسى عليه السلام وزاد في تصديقه تأكيدا (خُطَّ في أولِ الكُتبِ)، فهذا دليل آخر على أنَّه بُشِّر بمقدمِهِ ونبوتِهِ كل نبي له كتاب، ومن ثمة فهو ينبه على حقيقة عقائدية

---

(١) الديوان: ٢١١- ٢١٢.

(٢) أنساب الأشراف: ١/ ٤١، ظ: الكامل في التاريخ: ٢/ ١٦.

أُخرى (ان عليه في العباد محبة ... خصه الله بالحب)، فقد حاز النبي محمد ﷺ محبة الله، ومحبة الناس فهو أفضل خلق الله؛ لأن الله تبارك وتعالى خصَّه من دون عباده بفضيلة النبوة.

فنصرة أبي طالب لرسول الله لها جذور متأصلة في عقيدته الثابتة في الايمان بالله، وبمحمد رسول الله، وبالتصديق برسالته وبالرسل من قبله، وبالكتب المنزلة عليهم، وهذا يشير إلى أن أبا طالب له سبق حسن في الإسلام.

ويحمي أبو طالب المستضعفين من المسلمين ويدافع عنهم، وينصر كل من اعتنق الإسلام، واستنار بهديه، فهذا عثمان بن مظعون الصحابي الجليل يلقي ألوانا من العذاب والعنت عندما اسلم، فطلب جوار الوليد بن المغيرة فأجاره، ولما رأى عثمان ما في اصحاب رسول الله ﷺ من البلاء وهو يروح ويغدو في امان الوليد بن المغيرة، ردَّ جواره؛ ليكون في جوار الله، فحدث ان اعتدى عليه احد رجال قريش ولطم عينه، فأصابها[1]، فغضب أبو طالب غضبا شديدا لهذا الامر، واستنكر انكار قريش في تصديق النبي، وما جاء به، فهو واضح مستقيم، تبينه وتفسره آيات ياسين، والشاعر في ذلك كله يريد من قريش اما ان يكفوا اذاهم بلين، واما ان يؤمنوا بالدين الجديد، فقال:

{من البسيط}

أَمِنْ تَذَكُّرِ دَهرٍ غَيرِ مَأمونِ أَصبَحتَ مُكتَئِباً تَبكي كَمَحزونِ؟

أَمْ مِنْ تَذَكُّرِ أَقوامٍ ذَوي سَفَهٍ يَغشونَ بِالظُّلمِ مَن يَدْعو إِلى الدِّينِ؟

....

---

(١) ظ: أنساب الأشراف: ١/ ٢٢٨،والبداية والنهاية في التاريخ: ٣/ ٩٢- ٩٣.

أَلا يَــــرَوْنَ - أَذَلَّ اللهُ جَمعَهُــــمُ - أَنّـــا غَــضِبنا لِعُــثمانَ بــنِ مَظعــونِ؟

إِذا يَلطِمــــونَ وَلا يَخــــشَونَ مُقلَتَــــهُ طَعنــاً دِراكــاً وَضَربــاً غَــيرَ مَرهــونِ

....

وَنَمنَــعُ الــضَّيمَ مَــن يَبغِــي مَــضامَتَنا بِكُــلِّ مُطَّــرِدٍ في الكَــفِّ مَــسنونِ

وَمُرهَفــاتٍ كَــأَنَّ المِلــحَ خالطَهــا يُــشفَى بِهــا الــدَّاءُ مِــن هــامِ المَجــانِينِ

حَتّــى تُقِــرَّ رِجــالٌ لا حُلــومَ لَهــا بَعــدَ الــصُّعوبَةِ بِالإِســماحِ وَاللِّــينِ

أَو يُؤمِنــوا بِكتــابٍ مُنــزَلٍ عَجَــبٍ عَـلى نَبِـيٍّ كَموسـى أَو كَـذي النُّـونِ

يَــأتي بِــأَمرٍ جَــلِيٍّ غَــيرِ ذي عِــوَجٍ كَــما تَبَــيَّنَ في آيــاتِ ياســينِ[1]

يتجرع أبو طالب المرارة من فعل مشركي قريش في تعذيبهم المسلمين والنيل منهم، ليفتنونهم عن دينهم؛ وليرجعوهم إلى ملتهم القديمة، وأبو طالب يزداد اصرارا في نصرة النبي؛ ليصدع بامر الله تعالى ويمنع مشركي قريش من إيذاء أصحابه ﷺ ، فلا يرضى أن ينال احداً من المسلمين ضيمٌ، أو أذى من (يدعو إلى الدين) الجديد، وهو يتحدى المشركين بالقرآن المجيد الذي انزله الحق تبارك وتعالى على نبيه، فبهرهم به وسحر عقولهم، فوصف بالعجب، لم تشهد العرب قبله، وما يقوله النبي ليس بقول شاعر ولا بقول ساحر.

ويؤكد أبو طالب نبوة ابن أخيه (نبي كموسى أو كذي النُّون) ، ويعلن ايمانه بالرسل وبرسالاتهم،وبما جاء به النبي محمد ﷺ أمر واضح ومستقيم وصفته آيات ياسين وبينته[2] .

---

(١) الديوان (التونجي): ٩٤- ٩٥، دراكا: متتابعا، المطرد: المستقيم وهو وصف للرمح المقدر.

(٢) ظ: يس/ ١- ٤.

ومما تقدم يتبين:

إنَّ مواقف أبي طالب الجهادية لنصرة دين الله ومحاماة رسوله، وأصحابه تنم عن إيمان صادق بالشريعة الإسلامية منذ مهدها إلى أن ترسخت دعائمها، وهو ناصر لكل من يعتنقها، مانع للضيم لكل من يستجير به، ومن مظاهر النصرة ما يأتي:

ـ الحث على الصبر:

تحولت فضيلة الصبر من اطارها النفسي إلى اطارها العبادي عندما اقرتها الشريعة الإسلامية[1]، بانها كنز من كنوز الايمان[2]، فحث أبو طالب عليها في شعره عندما ازمعت قريش على ادخال بني هاشم وبني عبدالمطلب عشيرة رسول الله ﷺ في الشِّعب وباتت تخطط لاغتيال رسول الله، فاوجس أبو طالب منهم خيفة، وكان «كثيرا ما يخاف على رسول الله ﷺ البيات إذا عرف مضجعه، فكان يقيمه ليلاً من منامه، ويضجع ابنه علياً مكانه، فقال علي ليلة: يا أبت، إني مقتول»[3].

والامام لايخشى الموت وهو يدافع عن ابن عمه، وانما أراد أن يبين طاعته لأبيه، في فداء نفسه لابن عمه ونصرته له، وهو لا يقل عن فداء أبيه بنفسه لابن أخيه، فحثه أبو طالب على التحلي بالصبر وحضه على طاعته، فهذا اولى له من الجزع؛

---

(١) ظ: تمثيلا لا حصرا: هود/ ١١٥، النحل/ ١٢٧، لقمان/ ١٧، الاحقاف/ ٣٥، الطور/ ٤٨، المعارج/ ٥، البلد/ ١٧.

(٢) ظ: كنز الفوائد: ١/ ١٤٠.

(٣) شرح نهج البلاغة: ٤/ ٦٤، ظ: بحار الانوار: ٣٥/ ٩٣، الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة: ٤٢، و«كان علي عليه السلام لايرى أحداً يسب النبي ﷺ إلا وثب عليه، وكان في كل يوم يجيء إلى أبيه مضروبا مشجوجا فقال له في ذلك أبو طالب ... {الابيات}» الحجة على الذاهب إلى تكفير أبي طالب: ٢٧٦ – ٢٧٧، ظ: الديوان: ٢٢٠.

لأن الموت امر محتوم على كل انسان، وان البلايا جسام، وسهام المنايا عظام ، وقد تصيب، أو تخطئ، وكل امرىء مهما طال عمره آخذٌ بنصيب منها، فقال:

{من الخفيف}

إصطَبِرْ يا عَليُّ فَالصَبرُ أَحجى كُلُّ حَيٍّ مَصيرُهُ لِشَعُوبِ

قَد بَذلِناك -وَالبَلاء عسيرُ- لِفِداءِ النَّجيبِ وَابنِ النِجيبِ

لفداء الأَغَرِّ ذي الحَسَبِ الثّا قِبِ وَالباعِ والفناءِ الرَّحيبِ

إِنْ تُصِبكَ المَنونُ فَالنَّبلُ يُبْرَى فَمُصيبٌ مِنها وَغَيرُ مُصيبِ

كُلُّ حَيٍّ وَإِن تَمَلا عيشاً آخِذٌ مِن سهامها بِذنوبِ[1]

إن حثَّ أبي طالب ولده على الصبر لا لأنه كان خائفا؛ وانما ليؤكد حرصهم جميعا على نصرة رسول الله، فكان أبو طالب متفانيا في نصرة ابن أخيه؛ لان يفدي ابنه له، ويبدو أنَّ الدافع الديني عند أبي طالب أقوى وأعظم من الدافع العاطفي لوشائج القربى، فمهما بلغ المرء من وشيجة النسب، وصلة القرابة، وحبه لابن أخيه، لا يرضى أن يتعدى على معتقداته، وأن يقام دين محل دينه ما لم يكن مؤمنا إيمانا عميقا بالدعوة الإسلامية، ومعتنقا إياها، وهذا ما تترجمه افعال أبي طالب،وتهالكه في بذل نفسه وولده دون نبي الله ﷺ ، فيرغب بالصبر ويحث عليه؛ لأن الرجال الصابرين المؤمنين هم الذين ينهضون باعباء الدعوة الإسلامية ونشرها. ويدعو أبو طالب اخاه الحمزة - عندما اسلم - الى التجمل بالصبر والثبات؛ لتحمل أعباء الرسالة المحمدية، ويحثه على اتباع رسول الله ﷺ ، ويناشده مناصرته:

{من الطويل}

اصبِرْ أَبا يَعلى عَلى دينِ أَحمَدٍ وَكُنْ مُظهِراً لِلدينِ وُفِّقتَ صابِرا

---

(١) الديوان: ٢٢٠- ٢٢١، أحجى: أولى، شعوب: المنية.

وَحُـط مَـن أَتـى بِـالحَقِّ مِـن عِنـدِ رَبِّـهِ بِـصِدقٍ وَحَـقٍّ لا تَكُـن حَمـزَ كـافِرا

فَقَـد سَرَّني إِنْ قُلـتَ إِنَّـكَ مُـسْلِمٌ فَكُـن لِرَسـولِ اللهِ فِي اللهِ نـاصِرا

وَبـادِ قُرَيـشاً بِالَّـذي قَـد أَتَيتَـهُ جِهاراً وَقُل: ما كانَ أَحمَدُ ساحِرا[1]

انصاع حمزة بن عبد المطلب (رضي الله عنه) لدعوة أخيه أبي طالب عندما طلب منه الانضواء ضمن اتباع ابن أخيه، واتباعه ومناصرته «فكان حمزة ممن اعز الله به الدين»[2] بعد أبي طالب، وما عليه إلا ان يتجرع الصبر محتسبا في سبيل الإسلام ولم تثنِ عزيمة أبي طالب عداوة قريش له ولابن أخيه، فقد كان طول رفقته معه صادقا به مؤيدا لدعوته، صحيحا في اعتقاده وهو يردد (وحُط من أتى بالحقِّ من عند ربِّه • بصدقٍ وحقٍّ ...) فهذا اعلان ساطع بالايمان بالله، والتصديق برسول الله ﷺ، ودخول عم النبي الحمزة (رضي الله عنه) الإسلام دعم للرسالة المحمدية، وقوة، ومنعه لحامل الرسالة في نظر اعدائه والمناوئين له، فكان لإسلامه أثر بالغ في نفس أبي طالب (فقد سرني إنْ قلتَ إنَّك مُسلمٌ)، فيمتليء حبورا لإسلام أخيه، ويأمر بالانصياع واقتفاء اثر مسيرة رسول الله، ونصرته ومؤازرته، (فكن لرسول الله في الله ناصرا)، فنصرته لرسول الله مبعثها مرضاة الله وليس رابطة القربة فحسب، ويلزم أبوطالب أخاه باعلان إسلامه امام رؤوس الشرك من قريش واعلامهم بأن ابن أخيه رسول من عند الله صادق القول وليس ساحرا بحسب زعم مشركي قريش. وإسلام حمزة (رضي الله عنه) يعني قوة ركني: النبي ﷺ وأبي طالب، واعلاء كلمة الدين، واضعاف قريش، بل إن إسلامه اقترن بضربه لأبي جهل لأنه أساء للمصطفى ﷺ.

---

(١) الديوان: ٢٥٣- ٢٥٤، أبو يَعْلَى: كنية الحمزة بن عبد المطلب.

(٢) السير والمغازي: ١٧٢.

ودعوة أبي طالب لأخيه الحمزة إلى التجمل بالصبر والثبات على دين رسول الله ﷺ وإلزامه باتباعه ومؤازرته وايمانه بالله تعالى، وتصديقه لرسوله وجذله بإسلام أخيه امارات كلها جلية على عقيدة أبي طالب الصحيحة بالإسلام.

ـ النصيحة :

هو الشعر الذي يوجِّه إلى الأبناء والأقارب، عندما تكون غمامة تحجب الحق من ظهوره، ويراد به الخير في ملازمة الحق واتباعه باخلاص وتفانٍ، فاذا كان لاجل الله عبرت النصيحة عن صدق الاعتقاد، والوحدانية، واخلاص النية في عبادة الله، والتصديق برسوله، والكتاب المنزل عليه، والانقياد له.

والانقياد يعني إرداف منهج رسول الله ﷺ اقواله وافعاله والسير على هداه في طاعته، وكان هذا منهج أبي طالب في نصحه فقد وجه نصحه إلى أولاده، ولاسيما أميرالمؤمنين باتباع النبي ﷺ وحضّه على نصرته، وهو يقول له: «يابني الزم ابن عمك فانك تسلم به من كل بأس عاجل وآجل»[1] وأنشد:

(١) الديوان: ١٧٠، شرح نهج البلاغة: ١٤/ ٧٥، الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة: ٥٤، وذكر في إسلام أميرالمؤمنين عليه السلام انه قال: «أي بُنيّ؛ ما هذا الدين الذي أنت عليه؟ فقال: ياأبتِ؛ آمنتُ بالله وبرسول الله، وصدقته بما جاء به، وصليت معه لله واتبعته... قال له: أما انه لم يَدْعُك إلا إلى خير فالزمه» السيرة النبوية لابن هشام : ١/ ٢٤٧، ظ: الفصول المختارة: ٢٨٣، الإصابة في تمييز الصحابة: ٤/ ١١٦.

ان تحنّث النبي ﷺ في غار حراء، ولايعلم أبو طالب وهو كفيله، يخالف منطق الاشياء، واحسب أن أبا طالب لم يفاجأ بنبوة المصطفى، وانما كان ينتظرها، وسؤاله عن ابنه كان من أجل الاقرار بالدين، فهو استفهام للتقرير.

{من الكامل}

إنَّ الوَثيقَـــــةَ في لُـــــزومِ مُحَمَّـــــدٍ فَاشْـــدُدْ بِـــصُحبَتِهِ عَـــليُّ يَـــدَيكا[1]

لما كان اتباع النبي ونـصرته الـسبيل إلى النـور والهدايـة، واسـاس العقيـدة في الايمان بالله ورسـوله، امـر أبـو طالـب ولـده أمير المـؤمنين عليه السلام بتأييـد ابـن عمـه في الاحوال كلها وملازمة صحبته، وامتثال أوامره، والشد على سـاعديه، فنـصرة أمـين الله نصرة للدين الجديد وتقوية لدعائمه.

ويسلك أبو طالب منهجا واضحا في النصيحة لأبنائـه طاعـة لرسـول الله صلى الله عليه وآله فقد كان «إسلام جعفر بامر أبي طالب ... مرَّ أبو طالـب ومعـه ابنـه جعفـر برسـول الله صلى الله عليه وآله وهو يصلي، وعلي عن يمينه، فقال أبو طالب لجعفر: صلْ جناح ابـن عمَّـك، فجاء جعفر فصلى مع النبي صلى الله عليه وآله فلما قضى صلاته قال له: يا جعفـر؛ وصـلت جنـاح ابن عمك، إنَّ الله يعوضك من ذلك جناحين في الجنة»[2] فحـث أبـو طالـب ولديـه: علي وجعفر عليهما السلام على اتباع النبي ونـصرته عنـد احتـدام الـشدائد، وتـأزم الكـرب، فعندما يكونان مستعدين لملاقاة المحن يفاخر بهما حينما ينتسب إلى المـآثر ويحـامي هـو واسرته مـن دون النبـي في مواجهـة اعدائـه؛ لأنهـم يعـدون أُمـةً وحـدهم، لعـزتهم ومنعتهم، فأنشد:

---

(1) الديوان: ١٧٠.

(2) الديوان : ١٧١، بحار الانوار: ٣٥/ ١٢١، يراد في الصلاة: ركعتان قبل طلوع الشمس، وركعتان قبل غروبها، كانتا في اوائل الإسلام، قبل ليلة الاسراء، كان يقوم بها الرسول صلى الله عليه وآله قبل بعثته، ولايجوز حمل هذه الصلاة على الصلوات الخمس المفروضة؛ لأنها فرضت ليلة الاسراء، ظ: الرَّوض الأُنف في تفسيرالسيرة النبوية لابن هشام: ١/ ٤٢٣- ٤٢٤، وكانت الصلوات الخمسة فرضت بعد موت أبي طالب بنحو سنة ونصف، فقد توفي في السنة العاشرة من البعثة.

{من المنسرح}

إنَّ عَلِيّاً وَجَعفَراً ثِقَتي عِندَ احتِدامِ الأُمورِ وَالكُرَبِ

{ أَراهُما عُرضَةَ اللِّقاءِ إِذا سامَيتُ أَو أَنتَمي إِلى حَسَبِ }[1]

لا تَخذُلا وَانصُرا ابنَ عَمِّكُما أَخي ابنِ أُمّي مِن بَينِهِم وَأَبي

...

وَاللهِ لا أَخذُلُ النَبِيَّ وَلا يَخذُلُهُ مِن بَنِيَّ ذو حَسَبِ

...

نحنُ وهذا النبيَّ أُسرتُهُ نضربُ عنه الأعداء كالشُّهُبِ

إنْ نلنُموهُ بكلِّ جَمْعِكم فنحنُ في الناس الأمُ العَربِ

مما لا شك فيه أن الشعر يشيع في مكة والمشركون لايؤمنون ولايفهمون قوة العقيدة التي تحكم العلاقات بين المسلمين، فخاطبهم أبو طالب بما يفهموه هم، فهو ينصر المصطفى ﷺ ويدعو بنيهِ للنصرة لهذا السبب، ثم يقفيه بعقيدته الراسخة في الدين. ويبدو أنّ الدوافع المحركة لنصرة أبي طالب ابن أخيه ﷺ أنه ابن شقيقه من أمة وأبيه، فنصرته محكومة بصلة الرحم هذا من جهة ومن جهة أُخرى انه نبي الأمة، وحامل رسالة جديدة تحمل افكاراً وعقائد تصطدم مع افكار المشركين وعقائدهم، وأصحاب الكتب السماوية على السواء، فكان لابد له من الحفاظ على حياة

---

(١) الديوان: ١٧١ – ١٧٢، والبيت بين القوسين اضافة في الديوان نفسه صنعة (أبي هفان) : ١٣٧، أخي ابن أُمي: يريد أن أم أبي طالب وأم عبد الله والد الرسول ﷺ واحدة فهي (فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي) أنساب الأشراف: ١/ ٨٨.

النبي ﷺ ومعاضدته، وشد ازره، لتخرج رسالته إلى النور وتمحو ظلام الجاهلية.

ونصيحة أبي طالب ولديه: علي وجعفر عليهما السلام في الانضمام لابن عمهما، والانضواء تحت شريعته، وحثهما على نصرته، وعدم خذلانه، والثناء عليهما، وجوده بنفسه وولده، وتأييده بقلبه ولسانه وسيفه، واخلاصه وتفانيه لمحبته، تلويح واضح على إيمان أبي طالب المقترن بالتصديق (لا اخذلُ النبيّ، وهذا النبيّ)، فقضية نصرته ابن أخيه وحمايته له ليست نصرة عم وحماية لابن الاخ فحسب، وانما قضية عقيدة ذات جذور عميقة ترتبط بالايمان.

ويغض أبو طالب الطرف عن مواقف أبي لهب في عداوته لرسول الله وتكذيبه له، ومعاونته لمشركي قريش في الكيد منه، ويدعوه ناصحا وموجها له ان ينضم لركب المسيرة المحمدية مخاطبا اياه؛ لدفع الظلم عن ابن أخيه لما في عمله هذا من الصلاح والعلو والشموخ، ويستجلب أبو طالب ابا لهب لمحاربة الاعداء ويستقطبه لمناصرته، ومناصرة رسول الله، ويحذره من العجز الذي لا يليق به، ومحاربة قومه، وهم لم يحاربوه ولم يخذلوه في الاحوال كلها، وقد كذبت قريش في زعمها بان قوم النبي محمد سوف يخذلوه ويقهروه، فهدد الشاعر قريشا بانها سترى حربا تشن عليهم في الشِّعب ليس لها قائم ان ارادت قريش ذلك، فقال:

{من الطويل}

إنَّ امرَءاً أَبو عُتَيبَةَ عَمُّهُ	لَفي رَوضَةٍ ما إن يُسام المَظالِما
أَقولُ لَهُ ـ وَأَينَ مِنهُ نَصيحَتي ـ:	أَبا مَعْتَبٍ ثَبِّت سَوادَكَ قائِما
وَلا تَقبَلَنَّ الدَهرَ ما عِشتَ خُطَّةً	تُسَبُّ بِها إمّا هَبَطتَ المَواسِما
وَوَلِّ سَبيلَ العَجزِ ـ وَيْكَ ـ مِنهُمُ	فَإِنَّكَ لَم تُخلَق عَلى العَجزِ جائما

وَحارِب فَإِنَّ الحَربَ نِصفٌ وَلَن تَرى   أَخا الحَربِ يُعطي الخسفَ حَتّى يُسالما
فكَيفَ وَلَم يَجنوا عَلَيكَ جنايةً   وَلَم يخذُلوكَ غارماً أَو مُغارِما

....

كَذَبتُم وَبَيتِ اللهِ يُبزى مُحَمَّدٌ   وَلَمّا تَروا يَوماً لَدى الشِّعبِ قائِما[1]

خاطب أبو طالب أخاه بكنيته محاولا ان يحرك في نفسه وشائج الرحم لابن أخيه، فدعاه إلى نصرته وهو بهذا ناصح له باخلاص، وهذا نمط من الخطاب فيه روح إسلامية تتمثل بخفض الجناح واللين وصلة الرحم متلمسا وسيلة النصح والارشاد تارة، والحث والتحضيض تارة اخرى في استقطاب اخيه ابي عتبة، ليلتحق بالقافلة المحمدية ما استطاع؛ لأن أبا عتبة من كبار خصوم رسول الله ﷺ، وله أثره البالغ في قرارات المشركين، فلعله في مخاطبته اياه يخفف من وطأة تحامله على ابن أخيه، وحقده وكيده لدعوته، ويستجلب نصرته له؛ لأن قانون الحماية عرف اجتماعي فرضته طبيعة الحياة العربية، وطبيعة القربى لابن أخيه.

ومرة اخرى يخاطب أبو طالب أبا لهب ناصحا وحاثا له على نصرة رسول الله واعانته على اعدائه والدفاع عنه من اذى المشركين[2] فقال:

---

(١) الديوان: ١٧٨، ابو عتبة: عبد العزى ابو لهب.

(٢) إنَّ سبب نظم القصيدة يرجع إلى أن أبا سلمة عبد الله بن عبد الاسد المخزومي، وأمة برّة بنت عبد المطلب من المسلمين الذين عُذِّبوا في إسلامهم، عذبه قومه وطلبوا منه الرجوع الى ملته القديمة، فهرب منهم، واستجار بخاله أبي طالب، ليمنعه من عداوة قريش، فطالب بنو مخزوم به، فأبى أبو طالب ردَّ جواره، وكثر لغط بني مخزوم فيه، فدافع أبو لهب عنه وعن حاميه، فطمع أبو طالب بما سمع من مناصرة أخيه له فقال هذه القصيدة ناصحا موجها، ظ: السير والمغازي: ١٦٤، اسد الغابة في معرفة الصحابة: ٣/ ٢٩٥، البداية والنهاية في التاريخ: ٣/ ٩٣.

{من الطويل}

عَجِبتُ لِحِلمٍ يا ابنَ شَيبةَ عازِبِ ... وَأَحلامِ أَقوامٍ لَدَيكَ سِخافِ
يَقولونَ: شايِع مَن أَرادَ مُحَمَّداً ... بِسوءٍ وَقُم في أَمرِهِ بِخِلافِ
أَضاميمُ إِمّا حاسِدٌ ذو جِنايَةٍ ... وَإِمّا قَريبٌ مِنكَ غَيرُ مُصافِ
فَلا تَركَبَنَّ الدَهرَ مِنهُ ذِمامَةً ... وَأَنتَ اِمرُؤٌ مِن خَيرِ عَبدِ مَنافِ
وَلا تَترُكَنهُ ما حَييتَ لِمُعظَمٍ ... وَكُن رَجُلاً ذا نَجدَةٍ وَعَفافِ
يَذودُ العِدا عَن ذِروَةٍ هاشِمِيَّةٍ ... وإيلافهم في الناسِ خَيرُ إِلافِ
وَراجِم جَميعَ الناسِ عَنهُ وَكُن لَهُ ... وَزيراً عَلى الأَعداءِ غَيرَ مُجافِ
فَإِنَّ لَهُ قُربى لَديك قريبةً ... وليس بذي حلفٍ ولا بمُضافِ
ولكنه من هاشم في صميمها ... إلى أبحرٍ فوق البحورِ صوَافِ
فَإِن غَضِبَت مِنهُ قُرَيشٌ فَقُل لَها: ... بَني عَمِّنا ما هاشِمٌ بِضِعافِ
فَما بالُنا يَغشَونَ مِنهُ ظُلامَةً ... وَما بالُ أَرحامٍ هُناكَ حَوافِ
وَلَكِنَّنا أَهلُ الحَفائِظِ وَالنُّهى ... وَعِزٌّ بِبَطحاءِ الحطائمِ وافِ[1]

حاول أبو طالب ان يحرك في أخيه أبي لهب العصبية للرحم من توجيهه لنصرة النبي ﷺ فتتجه نصيحته بالاشادة ببيان فضائله (وأنت امرؤ من خير عبد مناف)؛ ليستقطبه إلى صفه، وصف ابن أخيه؛ وليمهد لما يدلي به بجملة من النصائح «لاتركبَنَّ الدهر منه ذمامة، ولاتتركنه ما حييت لمعظمٍ، وكن رجلا ذا نجدة وعفافِ،

(١) الديوان: ١٧٧، شيبة هو عبد المطلب، عازب: غائب، سخاف: نواقص، الأضاميم: مفردها الإضمامة وهي الجماعة.

وراجم جميع الناس عنه، وكن له وزيرا على الأعداء غير مجافِ»، ومن ثمَّ يستعطفه بقرابته برسول الله (فان له قربى لديك قريبة)، فيرى أبو طالب أنَّ من باب الحكمة ان يستثير عواطف أخيه بمناشدة من هذا المسلك، فنصرته نصرة للرحم، والتقاليد التي تربى عليها وسط المجتمع العربي؛ ليوجب أبو طالب كف عداوة أبي لهب لرسول الله، واذاه له، وليمسك عن مساعدة مشركي قريش الناصبين العداوة لرسول الله ولدعوته، وليربك مخططاته ضد رسول الله، ولاحباط عزيمته في مواصلة عداوته له، ولتكسير شوكته في نظر مشركي قريش، وليفتح أبو طالب آفاقا جديدة لرسول الله في تبليغ دعوته.

ـ الوصية :

عرفت الوصية قبل الإسلام وبعده شعرا كما عرفت نثرا[1]، وقد اتخذت طابع الوصية في شعر أبي طالب سبيلين: الوصي في رعاية ابن أخيه وحفظه، ومعاضدته، ودفع الضيم عنه والموصى في دعوة الأهل والعشيرة لمناصرة رسول الله صلى الله عليه وآله في نشر دعوته ومؤازرته وهذا الطابع الذي يطبع شعر أبي طالب من إمارات ايمانه بنبوة ابن أخيه، وتصديقه بماجاء من عند الله وتأييده للرسالة المكلف بها لأن أباطالب كان له علم ببعثة ابن أخيه منذ نعومة اظفار المبعوث ولاسيما عندماكان جد النبي عبدالمطلب يردد «ان لابني شأنا»[2] استنادا لما بشر به من أهل الكتاب من أنه نبي هذه الأمة[3]،

---

(١) ظ: المعمرون والوصايا: ١١٧- ١٦٧.

(٢) سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي: ١/ ٢٧٠، ظ: أسنى المطالب في نجاة أبي طالب: ٤٠.

(٣) ظ: السير والمغازي: ٧٥، ، الطبقات الكبرى: ١/ ١١٨، أمتاع الأسماع بما للنبي صلى الله عليه وآله من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع: ٤/ ٣٦- ٣٧، سمط النجوم العوالي في انباء الاوائل والتوالي: ١/ ٢٧٠.

ومثل هذه العبارات كانت تطرق مسامع أبي طالب، فقال لبعض من كان بمكة من أهل العلم عندما ظهرت على ابن أخيه علامات النبوة: «لقد انبأني أبي عبد المطلب بأنه النبي المبعوث وأمرني أن استر ذلك لئلا يغرى به الأعادي»[1]، وهذا ما تؤيده المعجزات التي حصلت للنبي وهو صغير تؤكد نبوته.

وتذكر المظان ان عبد المطلب جد الرسول ﷺ اوصى ابنه عبد مناف بالمصطفى فقال:

{من الرجز}

أوْصِيكَ يا عبدَ مناف بَعْدي
بِمفردٍ بعدَ أبيهِ فَردِ
فَارَقَهُ وهو ضجيعُ المَهْدِ
فكُنْتُ كالأمِّ لهُ في الوجدِ
تُدْنيهِ من احشائِها والكَبْدِ
فأنتَ من أرجى بنيٍّ عَندي
لِدَفعِ ضَيمٍ أوْ لِشَدِّ عَقْدِ[2]

كان لوصية عبد المطلب بالغ الاثر في نفس أبي طالب، فيطلب من أبيه أن لا يوصيه بما عليه فعله من واجب في رعاية ابن أخيه وحفظه؛ لأنه سمع عنه العجب العجائب من أحبار اليهود ورهبان النصارى في بيان صفاته التي تدل على شأنه

---

(١) تاريخ اليعقوبي: ٢/ ١١.

(٢) السير والمغازي: ٦٩، تاريخ اليعقوبي: ٢/ ١٠، مناقب آل أبي طالب: ١/ ٣٤، ظ: عمدة الطالب في انساب آل أبي طالب: ٢٣.

العظيم، فقال:

{من الرجز}

لا تُوصــــني بـــلازمٍ وواجـــبِ

إنّي ســـمعتُ أعجـــبَ العجائـــبِ

مـــن كـــلِّ حـــبرٍ عـــالمٍ وكاتـــبِ

بـــان بحمـــد الله قَـــوْلُ الراهـــبِ[1]

ويردف عبد المطلب بوصية أُخرى يحثُ بها أبا طالب على نصرة ابن أخيه بنفسه وماله، واتباعه ومؤازرته فقال: «يا أبا طالب؛ إن أدركت أيامه فاعلم أنّي كنتُ من ابصر الناس به، فإن استطعت ان تتبعه فافعل، وانصره بلسانك ويدك ومالك فإنه والله سيسودكم ويملك ما لم يملك احد من بني آبائي»[2].

ويتعهد أبو طالب رعاية رسول الله ﷺ في صغره وكبره، وحمايته بنفسه وماله من اليهود المرصدة له بالعداوة، ومن بني أعمامه،والعرب كافة الذين يحسدونه على ما وهبه الحق من امر النبوة[3]. وأبو طالب يستحضر وصية أبيه عبد المطلب في القصيدة التي ذكر فيها خروجه في ركب إلى الشام تاجرا، وقد اخبره الراهب بحيرا ببشارة النبي المنتظر التي وردت في كتبهم الأولى ويحث الراهب أبا طالب على ارجاع ابن أخيه إلى أهله خوفا عليه من أن يقتله اليهود[4]، ويومىء أبو طالب في القصيدة

---

(١) الديوان: ٣٢٩.

(٢) اكمال الدين واتمام النعمة في اثبات الرجعة: ١٧٠.

(٣) ظ: مناقب آل أبي طالب: ١/ ٣٤، بحار الانوار: ٣٥/ ٨٥.

(٤) ظ: السير والمغازي: ٧٣- ٧٦، التاريخ الكبير: ١/ ٢٦٧- ٢٧١.

التي يمدح بها النبي وهو صغير إلى تعلقه بركاب عمه حين ازمع الرحيل، فرق له وبكى، وصحبه معه في رحلته، الذي رعى فيها قرابته الموصولة به، وحفظ وصية عبد المطلب فيه قال:

{من الكامل}

إنَّ ابــن آمنــةَ النبــيَّ مُحَمَّــداً عِنــدي يَفــوقُ مَنــازِلَ الأَولادِ

لَمّــا تَعَلَّــقَ بِالزمــامِ رحمتُــهُ وَالعــيسُ قَــد قَلَّــصنَ بِــالأَزوادِ

فَــارفَضَّ مِــن عَينَــيَّ دَمــعٌ ذارِفٌ مِثــلُ الجُـمانِ مُفَــرَّقٌ الأفــرادِ

راعَيــتُ فيــهِ قَرابَــةً مَوصــولَةً وَحَفِظــتُ فيــهِ وَصِــيَّةَ الأَجــدادِ[1]

ومما لايخفى على القاريء أن قول الشاعر «إنَّ ابن آمنة النبي محمدا» إمارة واضحة على تصريحه بنبوة ابن أخيه، وتصديقه به، وهي من دواعي الحفاظ عليه وحمايته قبل البعثة، ومعاضدته ومؤازرته بعد البعثة، زد على أن محبة النبي وجعله بمنزلة أولاده هي من شعب الايمان.

ويومئ الشاعر في قوله «حفظت فيه وصية الاجداد» الى وصية جد النبي عبد المطلب وهو يحتضر بعد أن تكفله بنفسه، فكان له حافظا وراعيا «يابنيَّ؛ تكفَل ابن أخيك مني فأنت شيخ قومك وعاقلهم، ... وهذا الغلام ما تحدثت به الكهان، وقد روينا في الاخبار أنه سيظهر من تهامة نبي كريم، وروي فيه علامات قد وجدتها فيه، فأكرم مثواه واحفظه من اليهود فإنهم اعداؤه»[2].

---

(١) الديوان: ١٦٤ - ١٦٥، قلصن: تابعن مسيرهن، الأزواد: مفردها الزاد وهو طعام السفر، ارفض: تتابع سيلانه متفرقاً.

(٢) بحار الانوار: ٣٥/ ١٣٠.

وتدور الايام دورتها، ويوشك ناصر الرسول، وحاميه على الموت، فيكون الموصي لا الوصي، فيجمع أولاده وأخوته ووجوه قريش، ولا سيما اخويه العباس والحمزة، وبنيه جعفر وعلي (رضي الله عنهم) فيدلي بوصيته التي يتجلى فيها حبه للنبي محمدﷺ ولدعوته، واصراره على دعوة بني زهرة والقرشيين للانضمام الى النبي والالتفاف حوله، واتباعه ونصرته وحمايته واعانته على اعدائه؛ لينالوا الرشاد والفلاح والخير، فأنشد:

{من البسيط}

أوصي بِنَصرِ أمينِ اللهِ مشهَدَهُ ... بَعْدي: عَلِيّاً وصِنْوَ الخَيرِ عَبّاسا

وَحَمزَةَ الأَسَدَ المَخشِيَّ صَولَتُهُ ... وَجَعفَراً أَن يَذودوا دونَهُ النّاسا

وجمعَ زُهْرَةَ إذ كانت مُخَلَّلَةً ... أن يُوجَدوا دُوْنَ حربِ القوم أكياسا

كونوا فِدىً لَكُم نَفسي وَما ولَدَت ... مِن دونِ أَحمَدَ عِندَ الرَّوعِ أَتراسا

بِكُلِّ أَبيَضَ مَصقولٍ عَوارِضُهُ ... تَخالُهُ في سوادِ اللَيلِ مِقباسا[1]

ويتضح من الأبيات أن أبا طالب على هدى الإسلام فقد كان مصدقا للرسالة المحمدية، معاضدا للنبي محمد ﷺ ومساندا له في ظروفه الحرجة، شاحذا للهمم ومقويا للعزائم وهو يردد في وصاياه لبني هاشم وحلفائهم «ان محمدا نبي صادق وامين ناطق وان شأنه اعظم شأن ومكانه من ربه أعلى مكان فاجيبوا دعوته واجتمعوا على نصرته وارموا عدوه من وراء حوزته فانه الشرف الباقي لكم مدى

---

(١) الديوان: ٢٤٦، وبنو زهرة بن كلاب بن مُرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك، فهم أخوال النبي ﷺ وبطن من بطون قريش يدخل في عمود النسب النبوي، ظ: جمهرة أنساب العرب: ٢/ ٤٦٤.

الدهر»[1] فاعلن ايمانه بالله، وتصديقه برسول الله.

ولأبي طالب وصية أخرى أفردها لابنه الأكبر طالب يحثه فيها على اتباع ابن عمه رسول الله، فما اشد حسرة أبي طالب اذ فارق الحياة، ولم يقر عينا بارتفاع شأن ابن أخيه، فهل سيراه سيدا في قومه، وابنه علي يتقدم جيشه، ويعانق لوائه؟ وهل سينال شفاعة المصطفى يوم البعث؟، بيد أنَّ الحقيقة المدركة انه لا محالة سيموت فانشد:

{من الكامل}

أَبُنَـيَّ طالِـبُ إِنَّ شَـيخَكَ ناصِـحٌ ... فـيما يَقـولُ مُـسَدِّدٌ لَـكَ راتِـقُ

فَـاِضرِب بِـسَيفِكَ مَـن أَرادَ مـساءَةً ... حَتّـى تَكـونَ لَـدى المَنِيَّـةِ ذائِـقُ

هَـذا رَجـائي فيـكَ بَعـدَ مَنِيَّتـي ... لا زِلـتُ فيـكَ بِكُـلِّ رُشـدٍ واثِـقُ

فَاِعـضِد قُـواهُ يـا بُنَـيَّ وَكُـن لَـهُ ... إِنّـى بِجِـدِّكَ لا مَحالَـةَ لاحِـقُ

آهـاً أُرَدِّدُ حَـسرَةً لِفراقِـهِ ... إِذ لَم أَراهُ وَقَـد تَطـاوَلَ باسِـقُ

أَتَـرى أَراهُ وَاللِـواءُ أَمامَـهُ ... وَعَـلِيٌّ اِبنـي لِلِّـواءِ مُعـانِقُ

أَتَـراهُ يَـشفَعُ لي وَيَـرحَمُ عَـبرَتي ... هَيهـاتَ إِنّي لا مَحالَـةَ راهِـقُ[2]

ويظهر أن أبا طالب انفرد بهذه الوصية لابنه طالب، لأن طالبا كان حينئذ غير مسلم[3]، مع أنه كان يحب النبي حبا جما، وله اشعار فيه[1] وهذه الأبيات تعطي

---

(١) مناقب آل أبي طالب: ١/ ٥٥- ٥٦.

(٢) الديوان: ٣٤٠.

(٣) ظ: الطبقات الكبرى: ١/ ١٢١، السيرة النبوية لابن كثير: ٢/ ٤٠٠، خرج طالب يوم بدر مكرها مع مشركي قريش.

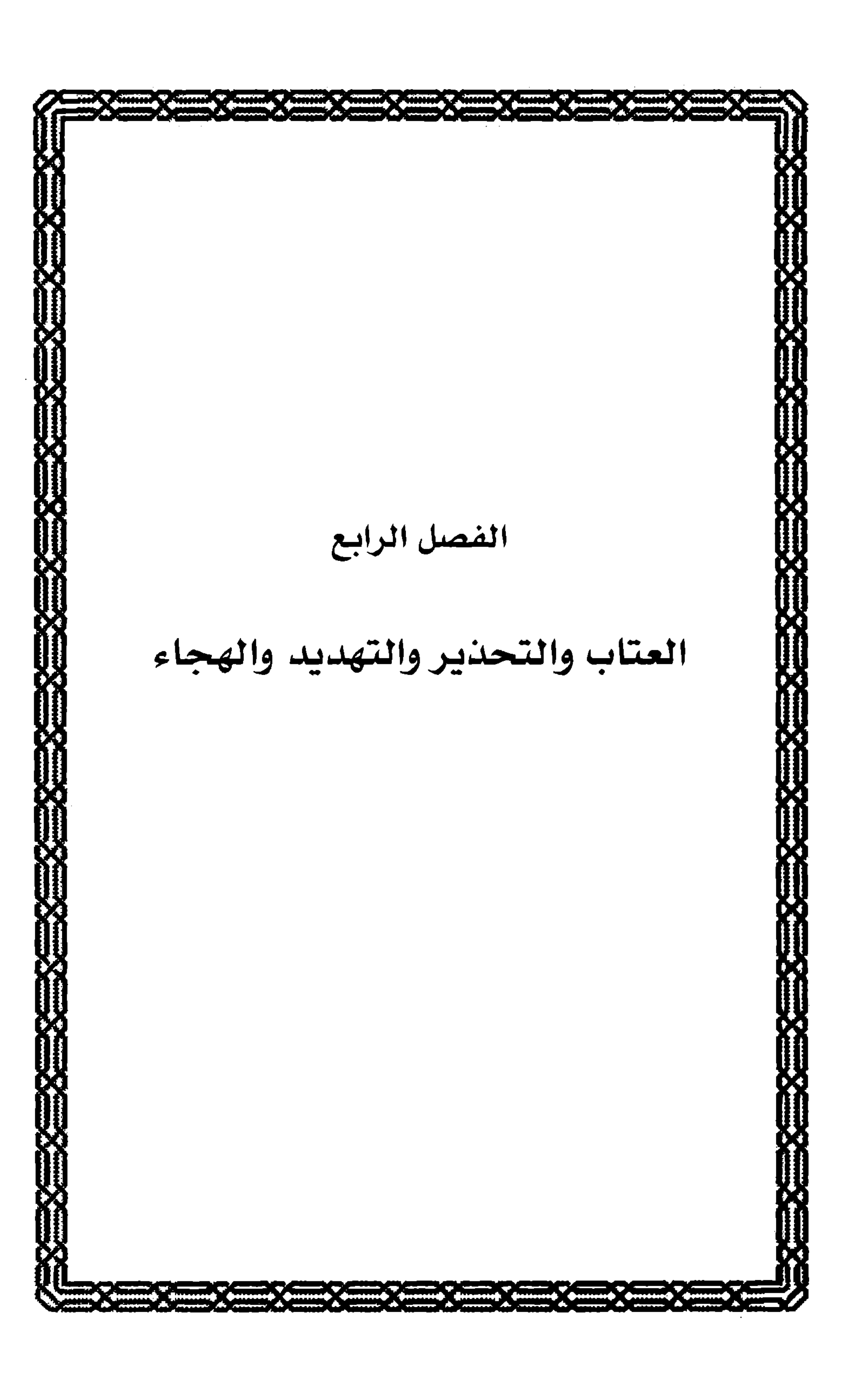
صورة بيّنة عن المبدأ الذي نهجه أبو طالب في نصرة ابن أخيه واتباعه ومعاضدته والتصديق به، فقد كرس شطرا من حياته في تربيته ورعايته وحفظه وهو صغير، والدفاع عنه وحمايته وهو كبير؛ لنشر دعوته حتى كُتب لها النجاح وتم له النصر، ووصاياه امتداد لوصية أبيه عبد المطلب الذي الزم نفسه بتنفيذها والسير بمقتضاها بكل حزم.

ومما تقدم يتبين: أن شعر أبي طالب واكب أحداث نشر الدعوة الإسلامية منذ عهدها الاول في اطلاق اولى شعارات التوحيد والتصديق بالله ورسوله، فرسم شعره العقائدي صورة صادقة ومعبرة عن الحال الجديدة للحياة الجديدة في مواجهة المعارضين والمناوئين والمناهضين من المشركين، ومن هنا تبرز اهمية شعره وقيمته في التجديد وتأصيل الظاهرة الأدبية من خلال ما حمل نفسه على نصرة الإسلام المتمثل بصاحبه رسول الله، وحرصه في الحفاظ عليه وهذا مما افاده شعره، واوحى به في الوقت نفسه عن مسؤوليته بالتأييد والنصرة والمحاماة والمؤازرة والحث على ذلك كله بألوان من فنون القول المختلفة بالصبر، والنصيحة، والوصية، ولاشك فيه أن هذا السلوك الاخلاقي ذا القيمة العالية هو الغاية التي ينشدها الدين الجديد في إيمانه به.

إن ايمان أبي طالب دعم لرسول الله واضافة معنوية جديدة؛ إذ امد الإسلام بلسان اعلامي مُعبِر، تبرز فيه الروح الدينية، بما استلهمه من فيض زاخر من المعاني الإسلامية الجديدة، ومن معاني التعبير القرآني وألفاظه في شعره العقائدي.



(١) ظ: مجموع اشعار قريش ملحق في الاطروحة (شعر قريش في الجاهلية وصدر الاسلام): ١٥٩ – ١٦١.



الفصل الرابع

العتاب والتحذير والتهديد والهجاء

مفتتح الفصل

علاقة العتاب بالتحذير والتهديد والهجاء

ثمة رابطة قوية تربط العتاب بهذه الموضوعات مجتمعة، فعلى الرغم من ان العتاب دليل المودة، وحب المواصلة والابقاء عليها ومراعاتها، يخرج إلى التوبيخ والتعريض، فإذا قل كان داعية المحبة، وادامة الوصال، وإذا كَثُرَ كان سببا لتصدع القلوب، وتنافر النفوس بعد ألفتها، وهذا ما أكده ابن رشيق القيرواني بقوله: «العتاب -وإن كان حياة المودة، وشاهد الوفاء - فإنه من ابواب الخديعة يسرع إلى الهجاء، وسبب وكيد من أسباب القطيعة والجفاء، فإذا قل كان داعية الالفة، وقيد الصحبة، وإذا كَثُرَ خشن جانبه، وثقل صاحبه»[1]؛ لأن العتاب مزيج من نوعين من أنواع الانفعال، وهما: الحب والبغض، فالشاعر يضع سيلا من أسباب الجفوة بينه وبين من اساء إليه، وهو يقابل الصد بالود تارة، والصلابة باللين تارة أُخرى، ويسلك طرقا في العتاب منها: انه يتأمل الأيام الماضية؛ ليحدد مشاهد الذكريات المكللة بالود والالفة، ثم يبين زمن القطيعة والجفوة بينهم، وقد تصفو المياه، وتعود إلى مجاريها،

---

(١) العمدة: ٢/ ١٦٠.

فتهدأ النفوس، وترجع الى ودها القديم، وقد تبوء عملية العتاب بالفشل، وعدم الوفاق بين الطرفين، فينفتح العتاب على نوافذ الانذار والتحذير والوعيد والهجاء أو التعريض.

والهجاء تعبير عن موقف انفعال لحظة الغضب؛ لأنه خدن انفعال الشاعر المسيطر عليه في حالات الصراع والغلبة التي يترتب عليه غض الطرف عن اعمال خصمه المحمودة وتعريته مما سُتِرَ من افعاله الشائنة،واهانة اشرافه، والحط من اقدارهم، واشاعة العار فيهم.

وقد لا يكون قصد الشاعر في عتابه أن يهجو الطرف الآخر خشية ما يجر الحديث من كلام مؤلم يورث العداوة والبغضاء، وانما سلك هذا السبيل؛ لأن نفسه تشربت بانفعالات حادة ناشئة من غضبه وسخطه، فنفس الشاعر تتوق الى الصلح ونبذ الخصومة، بيد أنَّ آثار البغض واشاعة فتيل نار الغضب تقوده إلى ثورة نفسية يخوض فيها غمار الهجاء مضطرا، للانتصاف لنفسه، فيحتدم القول، وتستلزم ثورة انفعال الشاعر إلى توعّد الخصم بالشر والعقاب؛ ليوهن قوته؛ وليعطل فيه المكارم، وتوعد الشاعر وتهديده مرهون بقدرته وعزته ومنعته وسطوته، فعندما يهدد خصمه ويتوعده يوحي بان خصمه لا قدرة له سوى قبول الاهانة والاستكانة.

وتتطلب قدرة الشاعر في الانذار والتهديد والوعيد توظيف أدوات الحرب في استعمال السيوف والرماح والخيول، والاستعداد للمصاولة والكر والقتل ووصف الحرب، وكأنَّ الهجاء حرب ومعركة تشيع فيها لغة الحرب ووقع آلاتها في اسلوب الشاعر الذي يعتمد على وفرة مادته اللغوية، وثراء موضوعه بالصور الموحية، ومن التقاء هذه الخطوط العامة للموضوعات التي ذكرناها دعتنا لأن ندرجها في فصل واحد.

وموضوعات العتاب والتحذير والتهديد والهجاء من الموضوعات المعروفة قبل الإسلام، ولكن لم نعثر عليها ضمن هذه المرحلة من شعر أبي طالب، فقد غذاها الإسلام في التزامه بها، ومع انبلاج نور الإسلام طرأ عليها تغيير وتطوير منذ ان استعملها أبو طالب وسيلة من وسائل الدفاع عن الدين الجديد في زمن البعثة بمكة، فتصدى أبو طالب للمعارضين من مشركي قريش في المواقف التي استدعت فيه الوقوف للدفاع عن صاحب الرسالة الذي لم تتوافر له بعد فئة من الشعراء تنافح عن دعوته جهارة امام طغاة الشرك سوى أبي طالب الحامي الاوحد لرسول الله ﷺ والقائم على تثبيت دعائم الإسلام.

❁ العتاب :

العتاب ظاهرة اجتماعية حتمية في طبيعة البشر تصور التماسك بين الفرد وابناء مجتمعه ولا سيما مع من تربطه وشائج القربى امام شعور الفرد بالاذى والظلم والقسوة والعنت لما يلحق به من الآخرين، فهو الرحى التي تدور حولها الروابط الاجتماعية لدوام المحبة والألفة، والعلاقة التي تربط الشاعر بالمعاتب، هي التي تحدد طبيعة معاني العتاب وتباينها وتنوعها.

ونأنس بشعور التودد والتلطف والملاينة في عتاب أبي طالب لمعارضي قريش الذي ألبسه ثوبا إسلاميا تبرز فيه فكرة فدائه لرسول الله ﷺ ودفاعه عنه، وعن دينه الجديد الذي جاء به، ووقوفه ناصرا ومساندا ومعاونا وحاميا، فانتهج طريقا في التودد والتلطف في معاتبة قريش تارة، والمن والانتصاف لنفسه تارة أُخرى، في أيام الأزمة الشديدة التي اجتازها الدين الناشيء في تلك الحقبة مفيدا من سلطته في

قريش، ومكانته بينهم، وقد يتحدى قوة قريش متطلعا إلى اظهـار الحـق، وبهـذا جـاء عتابه متعدد الصور يخرج إلى اللوم والنصح والتنبيه والتحذير والتهديد والتعريض [1] جانحا إلى مستويين من العتاب:

ـ العتاب الفردي:

وهو يدخل ضمن دائرة تحديد شخص قد أثم في حق الشاعر فأورث في نفـسه عدم الرضا، وايلام النفس وايجاعها، ونظفر بصور متعددة للعتـاب بحـسب بواعثـه على نحو ما نجده في عتابه لأخيه أبي لهـب الـذي لقـي منـه الأذى والعنـت والظلـم بوزره السيء؛ لأنه خذله واعان عليه اعداءه، وجعله غرضا للئام، فقـال أبـو طالـب معاتبا أخاه بخطاب شعري تبليغي يذكره بمكانته وبمقامه الرفيع:

{من الكامل}

أبلـغْ أبـا لهـبٍ مقالـةَ عاتـبٍ	هـل تُنكِـرَنْ عنـدَ المُقامـةِ محـضري
أم هل اتى أني خذلتُ وَغالَني وجَعَلتَني	عَنـه الغَوائِـلُ بعـد شَـيبِ المَكْـبِرِ
غَـرَضَ اللِّئـامِ وكُلُّهُـم	رامٍ يـرومُ البغـيَ غـيرَ مُقَـصِّرِ
حتّـى تُـصيبَ نبـالُهم وسـهامُهم	قَـصَرَ الـسنامِ مـن القَميـعِ الأخْفَـرِ
أَجَـزَرتَهُم لحمـي بمكَّـةَ سـادِراً	ثكلَتْـكَ أُمُّـكَ أيَّ لحـمٍ تَجـزِرِ
هَـدَفٌ تَراشَـقهُ الرُّمـاةُ كَـأَنَّما	يَرمـونَ جَندَلَـةً بِعُـرضِ المَـشعَرِ [2]

---

(١) ظ: الديوان: ٧٦، ٧٧، ٧٨، ٧٩، ٨١، ٨٢، ٨٣، ٩٢، ٩٥، ٩٦، ١٠٧–١٠٨، ١١٥ - ١١٦، ١١٧، ١٢١، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٧، ١٢٩، ١٧٧، ١٧٨، ١٨١، ١٨٣، ١٨٤، ٢٠٥، ٢٣١، ٢٤٣، ٢٥٨.

(٢) الديوان: ١٨٤، القصر: الأصول، القميع: أعلى السنام، الأخفر: المنيع، العرض: الناحية.

أراد أبو طالب أن يقرر في وجدان المتلقي أن أخاه هو الذي خذله فاستحق هذا العتاب الذي يصل الى التقريع والتوبيخ، فالخذلان جاء من أبي لهب، ومن يخذله لايعد كريما في مقاله فتكون الموازنة بين من يخذله ومن يبغي عليه.

حاول الشاعر في بداية الامر ان يعيد اواصر المحبة والالفة التي تربطه بأخيه أبي لهب فراح يتأمل الأيام الماضية التي كان له سندا فيها ومنعه، فذَّكره بطيب افعاله وانه لم يخذله يوما، سالكا طريق المن في عتابه، وعندما ايقن الشاعر جفوة أخيه له، وقطع المودة بينهما، راح يسأله عن جفوته ونكرانه؛ ليجد متنفسا في تفريغ شحنات انفعاله التي اختلجت في نفسه بسبب اوزار أخيه الشائنة، وهذه احدى وسائل العتاب المؤلم التي لجأ اليها الشاعر.

إنَّ سأم الشاعر من أخيه جعل شعوره بالظلم يشتد فينفعل؛ ليعبر عن قبح فعل أبي لهب، فدار حديث العتاب إلى الدعاء عليه بالموت في فقدان أمه له، ويبدو أنَّ هذا اللون من الكلام فيه اغاضة لاحساس أبي لهب وايلامه، ومنه هنا اتجه العتاب اتجاها آخر افاد اللوم والتقريع، وقبل ان يندمل جرح أبي طالب النفسي من أخيه، فهو يرى أن أخاه حاول أن يحط من قدره؛ لأنه ناصر دين الله، فتراه يقحمه بالسؤال: «أيُ لحمٍ تُجزر؟» للدلالة على عظم مكانته ومهابته وجلالته، فما رمي به من اللئام، ما هو إلا كمثل الحجارة التي يرمى بها بعرض المشعر، يريد أنه لا تؤثر فيه، لضآلة حجمها، وبهذا انتصف الشاعر لنفسه، فافاض عتابه بصور متعددة في المن والاجحاف، والتأنيب واللوم والتقريع والانصاف.

ويتخذ عتاب أبي طالب طابع الشكوى من حيف وظلم ألحق به من أخيه أبي لهب فلم يكف أبو لهب عن أذى أخيه أبي طالب وتشنيعه بالأقاويل المفتراة في

تأليب اعدائه بكل مقال يسوء إليه في انظار الناس، وكان هؤلاء الأعداء لا يجرؤن على الشاعر وعشيرته، فعاتب أبو طالب أخاه بعتاب صادق عما في دواخله:

{من الوافر}

حديثٌ عن ابي لهبٍ أتانا ... واكْنَفَه على ذاكُم رجالُ

بَغَوهُ بذاك بعضَ القولِ حتّى ... تَجَلّلنا بلُؤمِهم جِلالُ

وقد لَهِجَ العدوَّ بنا فقالوا ... وقد كُنَّا وليس لَهم مَقالُ

معاشر منهم - كانوا قديماً ... لئاماً - في تَوسُّعِهم قُلالُ[1]

حرص أبو طالب في عتابه على رد اقاويل خصومه في تبرأة نفسه منها، فالتفت الى الماضي؛ ليستعين به، فوجد دليلا دامغا لرد هذه الاقاويل ودفع الشبهات عنه، فهؤلاء الاعداء كانوا لا يجرؤن على الاساءة اليه، معللاً خصلة الكذب والبهتان فيهم، في الوقت الذي احتقن بالانفعالات، فتوهج غضبه بان يسجل صفة ذميمة للمناهضين له، فهم اناس لئام بكل ما تحمل دلالة دناءة النفس الملازمة لهم التي لا تتواءم وطبع العربي الكريم، لينتصف لنفسه منهم،وهذا ما يؤلم المعاتب فتراه يخرج العتاب إلى الهجاء.

وتكشف رؤية معادات أبي لهب لأخيه أبي طالب عن أن الأول كان ضمن صفوف المشركين يؤلب الأعداء المناوئين على رسول الله وناصره، ويعينهم بالافتراء والبهتان عليهما، بخلاف أبي طالب الذي يمثل حال الصمود والصلابة في الدفاع عن ابن أخيه بنصرته له وعدم خذلانه[2]، ولهذا كان عتاب أبي طالب رد فعل لعدم

---

(١) الديوان: ١٨١، أكنفه: أعانه، الجِلال: الغطاء، قلال: قليل.

(٢) ظ: م.ن: ١٧١.

انصاف أبي لهب له ولابن أخيه الرسول الكريم.

ويتجه عتاب أبي طالب إلى ذكر بعض أسماء قريش مستمدا عتابه من طبيعة العلاقة الاجتماعية والسياسية التي تربطهم فتودد اليهم واستعطفهم خشية ان تعاضد العرب قومه عليه وعلى ابن أخيه ﷺ، يخبرهم وغيرهم في عتابه انه غير مُسَلِّم ابن أخيه حتى يهلك دونه[1]، وطرق أبو طالب في قصيدته اللامية المشهورة في عتابه معانيَ متنوعة مملوءة بنفحات تقنية فنية بارعة الصناعة عبر فيها عن انفعالاته الزاخرة باحاسيسه ومعاناته تجاه مشركي قريش، على حين اننا لا نغفل أن الشخصيات التي عاتبها كانت تعادي بني هاشم حسدا لهم لشرفهم السالف، ولتكريم الله لهم بشرف النبوة التي جعلها فيهم، فعاتب أبو طالب بعضهم قائلاً:

{من الطويل}

لَعَمري لَقَد أَجرى أُسَيدٌ وَرهطُهُ	إِلى بُغضِنا وَجَزاً بأُكْلَةِ آكِلِ
جَزَت رَحِمٌ عَنّا أُسَيداً وَخالِداً	جَزاءَ مُسيءٍ لا يُؤَخَّرُ عاجِلِ
وَعُثمانُ لَم يَربَع عَلَينا وَقُنفُذٌ	وَلَكِن أَطاعا أَمرَ تِلكَ القَبائِلِ
اطاعا بنا الغاوينَ في كلِّ وجهةٍ	وَلَم يَرقُبا فينا مَقالَةَ قائِلِ
كَما قَد لَقِينا مِن سُبَيعٍ وَنَوفَلٍ	وَكُلٌّ تَوَلّى مُعرِضاً لَم يُمايِلِ
فَإِن يُقتَلا أَو يُمكِنِ اللهُ مِنهُما	نَكِل لَهُما صاعاً بِكَيلِ المكايِلِ[2]

---

(١) ظ: م.ن: ٧٤- ٧٥، ٨٤- ٨٥.

(٢) الديوان : ٧٥- ٧٧، أسيد بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، كان سيد قومه، وله من الأولاد عتاب وخالد، ظ: جمهرة أنساب العرب: ١/ ٨٠، ١١٣، وعتاب بن أُسيد، اسلم يوم فتح مكة واستعمله النبي ﷺ على مكة لما سار إلى حنين، وأقره أبو بكر (رضي الله عنه) إلى أن =

سلك أبو طالب في عتابه لأسيد وولديه: عتاب وخالد، وعثمان بن عُبيد، وقنفذ بن عمير، وسُبيع بن خالد، ونوفل بن خويلد، سبيلا «يدخله الاحتجاج والانتصاف»[1]، فأُسيد وولداه اغتابوا الشاعر وعشيرته، وجعلوهم طعمة في أفواه الأعداء، واطاع عثمان وقنفذ الأعداء، ولم يحفظا مقالة قائل بخير، وتولى سبيع ونوفل معرضين لم يعاملا بالجميل.

قضم هؤلاء حبال المودة بينهم وبين الشاعر فملئت نفسه بالغيض فراح ينتصف لنفسه ولعشيرته، فقرر: ان نابَ هؤلاء القوم خطب سيعاملهم بمثل ما عُومل به، فسوف يعرض عنهم ولا ينصرهم.

= مات يوم مات، ظ: جمهرة انساب العرب: ١/ ١١٣، الإصابة في تميز الصحابة: ٢/ ٤٥١.

وخالد: والد عبد الرحمن، اسلم عام الفتح واختلف المؤرخون في سنة وفاته ومكانها، ظ: أسد الغابة في معرفة الصحابة: ٢/ ١١٤، الاصابة في تمييز الصحابة: ١/ ٤٠١.

وعثمان بن عُبيد بن عثمان التيمي أخو طلحة، اسلم وهاجر وصحب النبي ﷺ، ولم تعرف سنة وفاته، ظ: أسد الغابة في معرفة الصحابة: ٣/ ٥٧٦، الإصابة في تمييز الصحابة: ٢/ ٤٦١.

وقنفذ بن عمير بن جدعان التيمي له صحبه، ولاه عمر رضي الله عنه مكة ثم عزله، لم تعرف سنة وفاته، ظ: الاستيعاب في معرفة الأصحاب: ٣/ ٢٨٠، أُسد الغابة في معرفة الصحابة: ٤/ ٣٩٢، الإصابة في تمييز الصحابة: ٣/ ٢٨٠- ٢٨١.

«وسبيع بن خالد، أخو بلحارث بن فهر»، ظ: السيرة النبوية لابن هشام :١/ ٢٨٢، ولم تسعفنا التراجم المذكورة آنِفاً في معرفة المزيد عن شخصيته.

ونوفل بن خُويلد بن أسد بن عبد العُزّى بن قصي من شياطين قريش قتله الامام علي عليه السلام يوم بدر، ظ: السيرة النبوية لابن هشام: ١/ ٢٨٢، ٢/ ٢٥٣، جمهرة أنساب العرب: ١/ ١٢٠.

(١) العمدة: ٢/ ١٦٠.

ومن طرق العتاب أن يجنح الشاعر إلى السخرية والاستهزاء في عرض اعمال المعاتب الشائنة، فأبو عمرو أصر على بغض الشاعر وعشيرته، ويودُّ اجلاءهم إلى البوادي بين أهل الشاة والجمال، وهو كثير المناجاة لأعدائهم، فقال أبو طالب من القصيدة ذاتها:

{من الطويل}

وَذاكَ أَبو عَمرٍو أبى غَيرَ مُغضِبٍ ... لِيظعننا في أَهلِ شاءٍ وَجامِلِ

يُناجى بِنا في كُلِّ مُمسىً وَمُصبحٍ ... فَناجِ أَبا عَمرٍو بِنا ثُمَّ حامِلِ

وَيُقسِمُنا بِاللهِ ما إِن يَغُشَّنا ... بَلى قَد نَراهُ جَهرَةً غَيرَ خاتِلِ

أَضاقَ عَلَيهِ بُغضنا كُلَّ تَلعَةٍ ... مِنَ الأَرضِ بَينَ أَخشَبٍ بالأجادِلِ[1]

كان أبو عمرو مخادعا يصور للشاعر وعشيرته أنه ليس مع اعدائه فيقسم بالله انه معهم، ولن يخدعهم، وكأن الشاعر غافل عن كذبه ومخاتلته، ومن هنا داخل العتاب السخرية والاستهزاء بالمعاتَب في كشف مراوغته؛ لأن بغض بني هاشم ضيّق على أبي عمرو التلاع من الأرض ما بين جبال مكة وقصور الشام، بمعنى انه لايمكن اصلاحه فكان عتاب الشاعر إيذانا بالقطيعة والهجران.

ونجد نمطا آخر من عتاب أبي طالب يذكر به رجحان رأي المعاتب لشخصية مشركة أُخرى يسلك فيه وسيلة الاستفسار عن طريق شخص معين، أو أن يبلغ الحاضر عتابه له سالكا سبيل التأنيب والمديح والتنبيه والنصيحة في القصيدة اللامية

---

(١) الديوان: ٧٧- ٧٨، ابو عمرو: قُرظة بن عمرو بن نوفل بن عبد مناف، أخو الصحابي عَبْدُ بنُ زمعة ابن الاسوَدِ، ظ: السيرة النبوية لابن هشام: ١/ ٢٨٢، أسد الغابة في معرفة الصحابة: ٣/ ٥١٠، وأورده الجزري في كتابه ضمن ترجمة الصحابي عبد بن زمعة.

ذاتها فقال:

{من الطويل}

وَسـائِل أَبـا الوَليّـدِ مـاذا حَبوتَنـا ... بِسَعيكَ فينـا مُعْرِضـاً كَالمُخاتِـلِ

وَكُنـتَ اِمـرءاً مِمَّـن يُعـاشُ بِرَأيِـهِ ... وَرَحمَتِـهِ فينـا وَلَـست بِجاهِـلِ

وَعُتْبَـةُ لا تَـسمَع بِنـا قَـولَ كاشِـحٍ ... حَـسودٍ كَـذوبٍ مُـبغِضٍ ذي دَغـاوِلِ

وَقَـد خِفـتُ إِن لَم تَزدَجِـرهُم وَتَرْعَـووا ... نُلاقـي وَنَلقـى مِنـكَ إِحـدى البَلابِـلِ[1]

سائل الشاعر أبا الوليد عتبة عن أي شيء افاده من سعيه في اصلاح بني هاشم وهو يمر معرضا عنه كالمخاتل، وكأنَّه يريد تأنيبه في العتاب، ولكي يخفف من وقع التأنيب وشح عتابه بالمديح، فهو يراه ذا رأي ورحمة وشفقة، ولم يكن جاهلا مثل غيره، قال الرسولﷺ: «كان عُتبة بن ربيعة، وأوخوه شيبة بن ربيعة، وأبوجهل بن هشام، وأبو سفيان، لا يسقط لهم رأي في الجاهلية، فلما جاء الإسلام لم يكن لهم رأي»[2]، ولهذا مدح أبو طالب عتبة بصدق القول في قوة رأيه للدلالة على مكانته،

---

(١) الديوان: ٧٨، أبو الوليد: عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف، أحد المشركين قتل يوم بدر، ظ: السيرة النبوية لابن هشام: ٢/ ٢٥١- ٢٥٢.

وقد أخطا أبو هفان صاحب الديوان في التعليق عليه فظن أن أبا الوليد هو الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم الذي كان يكنى أبا الوليد، والصواب ما ذهب اليه ابن هشام في تعليقه على الشخصيات الواردة ذكرها في القصيدة اللامية وما بيّنته دلالة الأبيات الذي يعاضدها الحديث النبوي الشريف، ظ: السيرة النبوية لابن هشام: ١/ ٢٨٢.

(٢) أُسد الغابة في معرفة الصحابة: ٣/ ٩، ولم أعثر على الحديث في صحيح البخاري، وصحيح مسلم، وسُنن أبي داود، وسُنن الترمذي، وسُنن النسائي.

وكأنَّه يومىء إلى عتبة الترفع بنفسه عن سماع أقوال العدو الحاسد الكذوب المبغض ذي البلايا للشاعر ولعشيرته من بني هاشم،وهو يناديه مناجيا باسمه دون كنيته التي ذكرها في البيت الاول؛ لاشعار عتبة بمودته له وقربه من نفسه.

ومن هنا كان للشاعر مدخل لنصح عتبة، واظهار خشيته ان لم يكن يزجر قومه، ويردع نفسه، يلقوا الاضطراب الذي يسلبهم الراحة جراء اصرارهم على المعاداة، وهو يسعى من دون شك إلى استمالته، فإن لم يكن ذلك فلا بأس من أن يبقى بعيدا عن مناصرة الخصوم.

وقد احسن أبو طالب في استعمال معاني العتاب في عرض فضيلة قوة رأي أبي الوليد عتبة، وتنبيهه ونصحه وتحذيره طمعا منه في استمالته الى صف الايمان متأملا نصرته؛ لأن عتبة له شأن كبير في قومه فهو أحد وجهاء قريش.

ويتجه عتاب أبي طالب طريق التظلم في عتابه لأبي سفيان، فيضيق ذرعا به؛ لأنَّه يمر عليه مرور الملك المتجبر معرضا عنه، ويخبره انه ناصح له حريص على مصالحه شفيق بمودته، وهو بخلاف ذلك فقال من القصيدة نفسها :

{من الطويل}

وَمَرَّ أَبو سُفيانَ عَنّي مُعرِضاً ... كأنَّكَ قَيْلٌ في كبارِ المجادِلِ

يَفِرُّ إلى نَجدٍ وَبَردِ مِياهِهِ ... وَيزعُمُ أَنّي لَستُ عَنهم بِغافِلِ

وَأَعلَمُ أَن لا غافِلٌ عَن مَساءَةٍ ... كَذاكَ العَدُوُّ عِندَ حَقٍّ وَباطِلِ

فَميلوا عَلَينا كُلّكُم إنَّ مَيلَكُم ... سَواءٌ عَلَينا وَالرِّياحُ بِهاطِلِ

تُخَبِّرُنا فِعلَ المُناصِحِ أَنَّهُ ... شَفيقٌ وَتُخفي عارِقاتِ الدَواخِلِ[1]

---

(١) الديوان: ٧٨- ٧٩.

يلح شعور الشكوى في عتاب أبي طالب لأبي سفيان، لما يؤلمه منه أنه يعلم ما يخفيه من سوء كامن في دواخله؛ ولأن أبا طالب خبرته الحياةُ فصقلته صراعاتها من هذه الشخصية وغيرها، فهو غير غافل عن نواياها، ومن هنا تتضح نغمة اليأس في عتابه لهذه الشخصيات في استمالتها إلى جانبه؛ لتمنحه تأييدها ونصرتها لدعوة ابن أخيه ﷺ وقبول رسالته.

ويتخذ العتاب في المن والاستعطاف بالتذكير في معروف سابق عندما يتضخم استياء الشاعر فينتصف لنفسه من المعاتَب، فيمنُّ عليه بما قدم له من اعمال جليلة مشرفة في لحظات الشدائد على نحو ما نجده في القصيدة ذاتها في عتاب أبي طالب للمطعِم بن عدي، فقال:

{من الطويل}

أَمُطعِمُ لَمْ أَخذُلكَ في يَومِ نَجدَةٍ ... ولا عِندَ تِلكَ المُعظَماتِ الجَلائِلِ

وَلا يَومَ قَضْمٍ إِذ أَتَوكَ أَلِدَّةً ... إلى جَدَلٍ مِنَ الخُصومِ المسَاجِلِ

أَمُطعِمُ إِنَّ القَومَ ساموكَ خُطَّةً ... وَإِنّي مَتى أُوكَل فَلَستُ بِآيِلِ[1]

وجد أبو طالب سبيلا لطرح الجفوة والقطيعة بينه وبين مطعم بن عدي، فذكره بطيب فعل له؛ ليدفع الجفوة؛ ولتعود حبال الوصال مثلما كانت بينهما.

---

(١) الديوان: ٧٩، مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف، وكان ممن أذى رسول الله ﷺ، وقد طلب رسول الله جواره بعد خروجه إلى الطائف عائدا إلى مكة بعد وفاة عمه أبي طالب، فطاف بالكعبة وامره برد جواره كراهية أن يبقى في جوار مشرك، أسر ببدر وقتل كافرا صبرا قتله حمزة بن عبدالمطلب (رضي الله عنه)، ظ: الكامل في التاريخ: ٢/ ٥١، ٦٤.

إنَّ لجوء الشاعر إلى هذا القول انما قصد به تقييد مطعم بطيب اخلاقه وحسن معروفة؛ وليضع نفسه بميزان المفاضلة، على أن تكرار اسم الشخصية المعاتَبة توحي بتودد الشاعر واستعطافه لها، على الرغم من اعتداده بنفسه، فهو اذا ما انتابته الاخطار يكتفِ بنفسه دون غيره، فكان الشاعر يتظلم ويمن ويستعطف ويحتج وينتصف في آن معاً.

ـ اما العتاب الجماعي:

فيدخل ضمن دائرة الاعمام والاجمال لافراد قبيلة الشاعر الذي ينتمي إليها الذين اساءوا إليه واطلقوا عنان شرهم عليه، واثاروا قلقه، وخدشوا احساسه، فكان سببا موجبا لغضبه عليهم، ومقاطعتهم وجفوتهم، وصدهم، وعندئذ والحال هذه لا يلوذ الشاعر بالصمت،وانما صارحهم بالتنبيه والاستنكار لافعالهم التي آلمته، وضاق صدره ذرعا بها على نحو ما نجده في عتابه الجماعي لأفناء فهر كلها، حين افتقد رسول الله ﷺ وظن أنَّ قريشا قتلته مستنكرا بصيغ الاستفهام التي هي احدى وسائل العتاب يحاول الشاعر ان يثير بها قريشا، ويجد سبيلا الى التهديد والوعيد، فقال:

{من الوافر}

أَيامرُ جَمعُهُم أفناء فِهرٍ ... بِقَتلِ مُحَمَّدٍ وَالأمرُ زورُ

ألا ضلّت حُلُومُهم جميعاً ... وأُطلق عَقلُ حربٍ لا تَبورُ

أترضى منكُمُ الحُلَماءُ هذا ... وما ذاكم رضىً لي أنْ تَبوروا

بَني أَخي وَنوطُ القَلبِ مِنّي ... وَأَبيضُ ماؤُهُ غَدَقٌ كَثيرُ

وَتَشرَبُ بَعدَهُ الشُّبانُ رِيّاً ... وَأَحمَدُ قَد تَضَمَّنَهُ القُبورُ

وكيفَ يكونُ ذاكم من قريشٍ وما مِنّا الضّراعةُ والفُتُورُ
فإما تفعلوه فإن قلبي أبيٌّ أمرَكم عنه نَفُورُ[1]

لا يكتفي الشاعر بالسؤال الواحد وانما راح يستفسر بعدد من الاسئلة ليبحث عن الاحتمالات التي تجول في خاطره في عزم قريش على قتل رسول الله ﷺ كما يظن ذلك، فكان الاداة المنشطة لحركة بدا العتاب الذي اظهر مزيجا من الانفعالات المتناقضة من حبه لابن أخيه وشفقته وعاطفته عليه، وسخطه على قريش وغضبه وكرهه لهم .

إنَّ طريقة عتاب أبي طالب لقريش تكشف عن ود ضائع، وقطيعة اكيدة،وحقد متوقد، اثار غضبه فكان داعيا إلى تهديد حلماء أفناء فهر بالحرب التي لا تقوم لها قائمة، وهذه صورة من صور العتاب الذي يخرج إلى التهديد والوعيد، والوقوف بوجه قريش متحديا إياهم في نصرة رسول الله ﷺ[2].

وقد يتخذ العتاب التذكير بصلة النسب فخص أبو طالب من فهر الذين يدخلون في عمود النسب النبوي أبناء كعب وقصي وعبد مناف في عتابه، لقطيعتهم، وخذلانهم في نصرة أخوانهم من بني هاشم مع رسول الله ﷺ وتركهم في الشِّعب يقاطعهم خصومهم ويحاصرونهم من دون رأفة، ولغط أبو طالب بالعتاب إلى أن سلك مسالك متعددة بحسب شدة انفعاله الى المديح والتوجيه والتهديد والتوبيخ، فقال:

---

(١) الديوان: ٢٤٣، صدر البيت الرابع غير مستقيم.

(٢) ظ: م.ن : ٢٤٣- ٢٤٤.

{من الطويل}

فعَبــدَ مَنــافٍ أَنــتُمُ خَــيرُ قَــومِكُم ... فَــلا تُــشرِكوا في أَمــرِكُم كُــلَّ واغِــلِ

فَقَــد خِفــتُ إِن لَم يُــصلِحِ اللهُ أَمــرَكُم ... تَكونــوا كَــما كانَــت أَحاديــثُ وائِــلِ

لَعَمــري لَقَــد أُوهِنــتُمُ وَعَجــزتُمُ ... وَجِئــتُم بِــأَمرٍ مُخطِــئٍ لِلمَفاصِــلِ

وَكُنــتُم حَــديثاً حَطْــفَ قِــدرٍ فَــأَنتُمُ ... بنــا كحِطــابِ أَقــدُرٍ وَمَراجِــلِ

لِــيَهنْ بَنــي عَبــدِ مَنــافٍ عُقوقُهــا ... وَخِــذلانُها وَتَركُنــا في المَعاقِــلِ

فَــإِن يَــكُ قَــومٌ سَرَّهُــم مــا صَــنَعتُمُ ... سَــيَحتَلِبوها لاقِحــاً غَــيرَ باهِــلِ

فَــأَبلِغْ قُــصَيّاً أَن تَنَــشَّرُ أَمرُنــا ... وَبَــشِّر قُــصَيّاً بَعــدَنا بِالتَخــاذُلِ

وَلَــو طَرَقــت لَــيلاً قُــصَيّاً عَظيمَــةٌ ... إِذاً مــا لَجَأنــا دونَهُــم في المَــداخِلِ

ولَــو صُــدِقوا ضَربــاً خِــلالَ بُيــوتِهِم ... لَكُنّــا أُســى عِنــدَ النِــساءِ المَعاطِــلِ

فَــإِن تَــكُ كَعــبٌ مِــن لُــؤَيٍّ تَجَمَّعَــت ... فَــلا بُــدَّ يومــاً مَــرَّةً مِــن تَزايُــلِ

وإِن تَــكُ كَعــبٌ مِــن كُعــوبٍ كَبــيرَةٍ ... فَــلا بُــدَّ يَومــاً أَنَّهــا في مَجاهِــلِ

وكُنّــا بخــيرٍ قبــل تــسويد معــشرٍ ... هُــمُ ذبحونــا بالمُــدى والمغــاوِلِ[1]

انشأ أبو طالب عتابه بمديح بني عبد مناف رغبة منه في استئناف علاقة الود والوصال بينهم بوصفها حالة سلوكية تستقطب الطرف الآخر إلى صفِّه وتستميله إليه، وتحفزه لاستثارة ذهنه لقبول أي صورة من صور العتاب.

وقد زيَن ابوطالب عتابه بالردع، ثم النصيحة للدلالة على المودة في خشيته من سوء عاقبتهم، وتوجه العتاب بالانذار والوعظ باحاديث ولدي وائل فأومأ إلى

(١) الديوان: ٨١– ٨٢.

الحرب الضروس التي وقعت بين بكر وتغلب، ويبدو أن تداخل الردع والنصيحة والوعظ هو السبيل الأمثل للعتاب، بيد أن أبا طالب عندما يدرك عدم نجاح وسيلة التودد في عتابه تحتد انفعالاته وتتصاعد فيكشف عن غيضه، ويظهر غضبه،فيقوده العتاب إلى إهانة بني عبد مناف لقطعهم الرحم وعدم نصرة بني هاشم وهم محاصرون في الشِّعب، ثم تهديدهم بصورة فنية موحية إن احتلبوا الحرب وشاع الامر، فليبشروا بالخذلان مع اعمامهم من بني قصي، ولكي يعيد الشاعر توازنه النفسي من جراء احساسه بألم القطيعة والجفوة من بني عمومته، كان عليه ان يعلق: لو طرقت قصي نازلةٌ شديدة فلن يتخلى أبو طالب وعشيرته من بني هاشم عن نصرتهم والدفاع عنهم، وحفظ نسائهم، وانما طرق الشاعر هذا الكلام ليمنحهم الفرصة في التفكير والعودة إلى رشدهم، والعزوف عن غيهم، وهو في الوقت نفسه غاية ما يجود به المرء من ود لبني جلدته، وتفصح عن قوة شخصية أبي طالب الحكيمة ذي الخبرة المتراكمة في الحياة التي جعلته يعتقد: إذا كانت بنو كعب قد اعتمدوا على كثرة شرفهم ونفوسهم، فلا بد من وقوعهم في شدائد لا يهتدون الى الخروج منها، ولابد من خذلانهم، ويبدو أنَّ أبا طالب قد يأس من نصرة ابناء عمومته، بدلالة ذبحهم لبني هاشم بالمدى بالقول والفعل، وهكذا تباينت انفعالات أبي طالب في العتاب بالتودد بالمديح والنصح والوعظ تارة، والتوبيخ والتهديد تارة أخرى بحسب تنوع بواعث العتاب.

واتجه عتاب أبي طالب إلى تقرير الصفات الحميدة له سالكاً الاتجاه نفسه في الشكوى والتحذير والنصيحة والوعظ، فحينما اجتمعت قريش على خلاف أبي طالب، كان لا بد من أن تنقطع حبال الود بينه وبينهم، فشكى ابوطالب بطون قريش عامتهم، ثم خص منهم ذرية عبد مناف: بني عبد شمس، ونوفل، فقال:

{من الطويل}

وَمــا إِن جَنَيْنــا في قُــرَيشٍ عَظيمَـــةً سِـوى أَن مَنَعنـا خَـيرَ مَـن وَطِـئ التُّربـا

أخـــا ثقـــةٍ للنائبـــات مُـــرَزَّأً كـــريماً نَثَـــاه لا لئـــيماً ولا ذربـــا

فيــا أخَوَينــا عبــد شــمسٍ ونــوفلاً فإيـــاكما أن تُـــسْعِرا بيننـــا حربـــا

وأنْ تــصبحوا مــن بعــدِ ودٍّ وأُلفــةٍ أحـابيش فيهـا، كُلُّكُـم يـشتكي النَّكبـا

ألم تعلمــوا مــا كــانَ في حــربِ داحــسٍ ورهــطِ ابي يكــسُوم إذ مَــلأوا الــشِّعبا

فـــوالله لـــولا اللهُ لا شيءَ غـــيرُهُ لأصــبحتُم لا تملكــونَ لنــا سربــا[1]

انصبّ عتاب أبي طالب على مخالفة قريش لـه ومقـاطعتهم لعـشيرته مـن بنـي هاشم المرهونة بحمايته ومنعته ومساندته لابن أخيـه رسـول الله ﷺ؛ ولكـي يـسوغ منعته لابن أخيه بيَّن خصائله وشمائله وفضائله الكريمة، ثم التفـت إلى بعـض بطـون قريش وهما: عبد شمس، ونوفل، وخصهما بالذكر لاحقيتهما في المناصرة؛ لأنهم أبناء عمومة يدخلون في النسب النبوي[2]، ليضرب لهـم مـثلا وعظيـا في حـربي: داحـس،

---

(١) الديوان: ١٨٣، المرزأ: الذي يصيب الناسُ من ماله ونفعه كثير، نثّا: ما يقـال عـن الرجـل، الـذَّرب: الحاد السليط اللسان، أحابيش: متفرقون.

وحرب داحس: حرب طويلة دارت بين عبس وذبيان واشتملت الأيام الاتية: المريقـب، وذي حُـسى واليعمري والهباءة والفروق والقطن، وأثار حرب داحس والغبراء رهان جرى بـين قـيس بـن زهـير العبسي، وحذيفة بن بدر من ذبيان على سباق لخـيلهما، وظلـوا يتراوحـون القتـال أربعـين سـنة، ظ: العقد الفريد: ٦/ ١٤- ٢١، الكامل في التاريخ: ١/ ٣٤٣- ٣٥٥.

أبو يكسوم: كنية أبرهة الاشرم، ظ: السيرة النبوية لابن كثير: ١/ ٢٩- ٤٢، ذكر سـبب قـصد أبرهـة بالفيل مكة ليخرب الكعبة فأهلكه الله تعالى.

(٢) أنساب الأشراف: ١/ ٦١.

وابرهة الحبشي، لعلهم يتعظون، ويرجعون عن غيهم،وظلمهم في المقاطعة، فذكر حرب داحس يعني تأكيد الفناء، وذكر حرب ابي يكسوم تذكير لهم بغلبة ابن أخيه، فهو ابن عبد المطلب الذي قال: «إن للبيت ربا سيمنعه»[1]، فانتصر بقوة الله تعالى من دون حرب، وسينتصر ابن أخيه بالقوة ذاتها فاستحضر أبو طالب من التأريخ ـ في عتابه ـ ما يحقق له غاية قد ترجع الخصم من غيه، ويبدو أنَّ طريقي النصح والوعظ: هما الطريقان الأفضلان في العتاب.

وعندما يجد أبو طالب أن الوصال أوشك على الانهيار، فلا حيال له لاستئناف الود بينه وبينهم اتجه عتابه سلبا؛ لأنه لم يحقق شد المقابل إلى ما يصبو إليه من النصرة والحماية والتأييد،وبهذا كله تنوعت انفعالات الشاعر من الشكوى إلى التحذير والنصيحة والوعظ بحسب بواعث العتاب. وسلك ابوطالب في عتابه لبني عبد شمس مسلكا تحريضياً يمتزج بالتوبيخ فقال مخاطبا إياهم:

{من الطويل}

وَما كُنتُ أَخشى أَن يُرى الذُلُّ فيكمُ	بَني عَبدِ شَمسٍ جيرَتي وَالأَقارِبِ
جَميعاً فَلا زالَت عَليكُم عَظيمَةٌ	تَعُمُّ وَتَدعو أَهلَها بِالجَباجِبِ
أَراكُم جَميعاً خاذِلينَ فَذاهِبٌ	عَنِ النَّصرِ مِنّا أَو غَوٍ مُتَجانِبُ[2]

إنَّ العلاقة بين الشاعر وقومه علاقة فاترة، لاحجامهم عن النصرة وعدم تمسكهم بنصرة الاخ والقريب كما فرضت ذلك الحياة الجاهلية، فعدَّ قانون الحماية عنوان العربي القوي صاحب السطوة والعز في المجتمع، وان العزوف عن تطبيق هذا

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام: ١/ ٥٠.

(٢) الديوان: ١٢٩، في البيت الثالث إقواء، الجباجب: جبال بمكة، ظ: معجم البلدان: ٢/ ٩٨.

القانون جناية عظيمة في حق العربي، وذل لا يمحى على مر الدهر، ومن هنا كان عتاب أبي طالب الممتزج بالتحريض لبني عبد شمس، وان كان متيقنا منهم ان الذل لازمهم لتنصلهم عن النصرة، وهذا التوبيخ اوقع ايلاما في النفس؛ لأن العربي ذو أنفة يأبى الذل، واومأ أبو طالب من طرف خفي إلى جعل نفسه ميزان المفاضلة في الاباء والرفعة والسطوة والسلطة والقوة بأن يكون الناصر لدين الله ولرسوله الكريم الذي أدى حق هذا القانون الاجتماعي في الوقت الذي يشعر به باليأس والقنوط من نصرتهم وهو يعاتبهم.

وصفوة القول: إنَّ ظاهرة العتاب الأخوي في شعر أبي طالب لأخيه أبي لهب ولأشراف قومه من قريش الذين هم اكفاؤه فرضتها طبيعة المرحلة التي واكب فيها ابوطالب بواكير الدعوة الإسلامية فكان علما باسقا لنصرة رسول الله ﷺ وهو يدعو من يعاديه إلى النصرة والمؤازرة والحماية، وهذا يلحظ في عتابه الجماعي الشامل لبطون قرش ولا سيما أبناء عمومته الذين يدخلون في شجرة النسب المعارضين للدعوة الإسلامية، فكان العتاب له أثره الواضح في نصرة الإسلام ومخالفة بطون قريش للدعوة الإسلامية المتمثلة بزعاماتها والتي افرزها حسدهم، لتشريف الله بني هاشم في الشرف والسيادة والنبوة، فكانت هذه الفضائل من عوامل جفائهم وقطيعتهم وبغضهم وحقدهم، وطرق أبو طالب هذه المعاني في عتابه بتقنية فنية متناسقة مع الموقف الآني الذي يمر به والمتآزر مع صور العتاب المتعددة من مديح ولوم ونصح وتنبيه وتحذير وتهديد وتوبيخ، فافصحت عن تنوع انفعالات الشاعر المتاثرة بمواقف الشخصيات والبطون الرافضة لحماية أبي طالب لابن أخيه، بيد أنَّ أبا طالب بقي الصوت المسيطر في العتاب بما يملك من قوة وسطوة ومكانه في نصرة الرسالة ورسول الله ﷺ .

❁ التحذير والتهديد :

وهما موضوعان طرقهما الشاعر الجاهلي، الأول، ما ذكر فيه انذار الأعداء وتحذيرهم من مغبة طغيانهم عندما تظهر امارات الاساءة، أو ان تكون على وشك الوقوع، فيرشدهم الشاعر إلى الصواب، اما الثاني، فيتوعد الشاعر الأعداء بالقتل والتنكيل والوعيد والثبور بالقوة والعنف إن لم يرجعوا إلى الطريق السوي، فسوف يلحق بهم الأذى.

وصدر تحذير أبي طالب وتهديده إلى بطون قريش على شكل رسائل شعرية، بوسائل تبليغية متعددة اما أن يكون التبليغ صادرا منه مباشرة إليهم، واما أن يبلغ الحاضر الغائب منهم، وأما أن يعين رسولا لهذه المهمة، حين علم ان بطون قريش ـ التي تدخل في شجرة نسبه ـ قد عقدوا العزم على الشر في قتل رسول الله ﷺ والقضاء على دينه، فيحاول ـ في بعض الأحايين ـ أن يتبع تحذيره لهم بانذارهم ونصحهم؛ ليوجه انظارهم إلى من يشعل نار الحرب، وما ستؤول عليهم من مصائب وخسائر، فالشاعر الحازم الحليم الناصح يحذر القوم من مغبة افعالهم غير المحمودة العواقب لاحترامه صلة القربى، وما تفرض عليه من واجبات النصح والتوجيه.

وقد يكون التحذير شديد اللهجة، فيزداد انفعال الشاعر، فيلتهب القول، ليصل إلى درجة التهديد والوعيد، فيهدد بانزال اشد العقاب بعبارات شديدة الحرارة، وكأنه مصمم على تنفيذ تهديده ووعيده إذا اقيمت الحرب لقتل رسول الله ﷺ [١].

---

(١) ظ: الديوان: ٧٤، ٨٥، ٨٨، ٩٦، ١١٥ - ١١٦، ١١٧ - ١١٩، ١٢٢، ١٢٤ - ١٢٥، ١٢٧ - ١٢٨، ١٥٠، ١٨٢، ١٨٧، ٢١١ - ٢١٣، ٢١٤ - ٢١٥، ٢٣١، ٢٤٤، ٣٣٥.

وأهم ما انماز به التحذير والتهديد في شعر أبي طالب انه يحذر ويهدد بطون قريش من أجل نصرة الإسلام واقامة عمود الدين فهذان النوعان من فنون القول المرتبطان بفكرة نصرة رسول الله ورسالته بدأ في فجر الدعوة الإسلامية على لسان أبي طالب بما توافر له من امكانات السلطة والقوة والحزم في حماية نبي الله محمدﷺ، وكانت بطون قريش تعرف قدر أبي طالب فيها، فلا تجرأ على الرد عليه؛ لأنها إن تجرأت ستقوم حرب لا هوادة لها في قبيلة قريش نفسها بوصف أبا طالب زعيما لعشريتين كبيرتين في قريش هما: بني هاشم، وبني عبد المطلب، فالذين يعادونهم هم أبناء عمومتهم، وهم المؤيدون والناصرون والحامون لرسول الله ﷺ زد على ذلك أن قريشا كانت تنأى عن طبيعة الحياة القبلية في صراعاتها، فلم «يكن بينهم نائرة»[1]، فهي ليست من أرباب الحروب لطبيعة معيشتها التجارية، ولاستقرارها في الحاضرة، ولتكويناتها الاجتماعية فأكثر هذه البطون رؤوسها شخصيات متزعمة لها مقاماتها الاجتماعية في المجتمع القرشي، فلم تكن ذا قوة كبيرة تصمد أمام العرب، فهي تخشى من تألب العرب عليها، فتضعف قوتها، واشعار أبي طالب في هذين الموضوعين المستندين إلى فكرة حماية الإسلام المتمثلة بمنعة رسول الله ونصرة دينه تمثل بداية الصراع بين صف الايمان، وصف الشرك التي تتأصل فيه الظاهرة الأدبية في باكورة الدعوة الإسلامية .

ونجد في شعر أبي طالب الذي قيل في التحذير سبيلا إلى النصح والعظة لمشركي قريش ولا سيما بني غالب حيث يحذر الرجال البصراء والعقلاء بما حل بالأُمم قبلهم اذ تمادوا في غيهم، واصروا عليه في رفض رسالات رسل الله وايذائهم

---

(١) طبقات فحول الشعراء: ١/ ٢٥٩.

لهم، فلفت انتباههم إلى العواقب المؤلمة التي ستحيق بهم إذا هم قتلوا رسول الله ﷺ، وانما نهج أبو طالب منهج العقل والمنطق في نصح قومه وتحذريهم، ليستعبروا، وليتعظوا وليتقوا سخط الله عليهم في إيذاء رسوله مذكراً إياهم بمعجزته التي كانت سبباً في شلل يد أبي جهل حين عزم على قتل رسول الله ﷺ فقال في قصيدته القافية:

{من المتقارب}

أَفيقوا بَني غالِبٍ وَانتَهوا ... عَنِ البَغيِ في بَعضِ ذا المَنطِقِ

وَإلا فَإِنّي -إذن- خائِفٌ ... بَوائِقَ في دارِكُم تَلتَقي

تَكونُ لِغابِرِكُمُ عِبرَةً ... وَرَبِّ المَغارِبِ وَالمَشرِقِ

كَما نالَ مَن كانَ مِن قَبلِكُم ... ثَموداً وَعاداً فَمَن ذا بَقي

غداةَ اتاهم بها صَرْصَراً ... وناقة ذي العرشِ إذْ تستقي

فَحَلَّت عَلَيهِم بِها سَخطَةٌ ... مِنَ اللهِ في ضَربَةِ الأَزرَقِ

غَداةَ يعضُّ بِعُرقوبِها ... حُساماً مِنَ الهِندِ ذا رَونَقِ

وَأَعجَبُ مِن ذاكَ مِن أَمرِكُم ... عَجائِبُ في الحَجَرِ المُلصَقِ

بِكَفِّ الَّذي قامَ مِن حَينِه ... إِلى الصّابِرِ الصادِقِ المُتَّقي

فَأَيبَسَهُ اللهُ في كَفِّهِ ... عَلى رغم ذا الخائِنِ الأَحمَقِ

أُحَيمِقِ مَخزومِكُم إذ غَوى ... بغَيِّ الغُواةِ وَلَم يَصدقِ[1]

---

(١) الديوان: ٢٥٥-٢٥٦، البوائق: الدواهي والخصومات، مفردها بائقة، الأزرق: هو قِدار الازرق الذي عقر ناقة صالح، العرقوب: عقُب الناقة، «ثمود بن عاثر بن سام بن نوح... كانوا احياء من العرب العاربة قبل إبراهيم الخليل عليه السلام وكان ثمود بعد عاد ومساكنهم مشهورة فيما بين الحجاز والشام إلى وادي القرى وما حوله»، تفسير ابن كثير: ٣/ ١٨٩.

حذر أبو طالب الحلماء من أرباب العقول من بني غالب الـذين يعتـبرون مـن حوادث الأمم السالفة، ويجعلونها سبيلا يهتدون إليها في التفكير والعمـل؛ لأن هـذه الحوادث الموشحة بالطراز الديني تعيد نفسها على الرغم من اختلاف الزمان والمكـان والاشخاص.

فقد كذب قـوم عـاد رسـولهم هـود عليه السلام وقـوم ثمـود رسـولهم صـالح عليه السلام وتعجبوا من إلقاء الوحي على بشر مثلهم فرموهم بالكـذب والافـتراء، فغـضب الله عليهم وانزل عقابه بهم.

واليوم كذب المشركون رسول الله محمد صلى الله عليه وآله، فحذرهم أبوطالـب مـن مغبـة امرهم؛ لغاية ترهيبية لانذارهم في حال تماديهم في الظلـم والبغـي، ولفـت اذهـانهم إليها، فافادت العظة والنصح والارشاد بهذه القـصص القرآنيـة[1] التـي اسـتثمر أبـو طالب معنى جوهرها في تحذير قومه من بني غالب، ثم ليـدلل عـلى معجـزة رسـول الله صلى الله عليه وآله؛ ليعتبر من كان مقتنعا بها، وليسمعها من لم يعتبر فيعتبر ويـتعظ، وهـو يـدلل على صحة نبوته ورسالته، وهكذا حرص أبو طالب على تحذير قومـه مـن عـذاب الله الذي سيحيق بهم إذا قتلوا رسول الله بنصحه في عزوفهم عـن قتلـه، سـالكا مـسلك المنطق والعقل والحكمة والتدبر في عواقب الأمور؛ لدفع شرورهم.

وقد يتجه الخطاب الشعري إلى تهديد الخصم بشن الحرب والايقاع به، ويبـالغ الشاعر في شن الهجوم وذكر معدات الحرب الضرورية من خيل قوية وأسلحة كثـيرة

---

(١) ظ: تمثيلا لا حصرا: الأعراف/ ٦٥- ٧٩، هود/ ٥٠- ٦٨، الشعراء/ ١٢٣- ١٥٨، النمل/ ٤٥- ٤٧، فصلت/ ١٣- ١٨، الأحقاف/ ٢١- ٢٦، الذاريات/ ٤١- ٤٥، النجم/ ٥٠- ٥١، القمر/ ١٨- ٣١، الحاقة/ ٤- ٨، الفجر/ ٩، قصتي: عاد وثمود.

وأبطال ذي قوة وحزم عندما كانت قريش تهدد بقتل رسول الله ﷺ، ودفعاً لما تتوهم قريش في ضعف أبي طالب وعشيرته الحامين له، توعدهم أبو طالب برسالة شعرية موجه إلى بني لؤي الذين يدخلون في عمود النسب النبوي وخص منهم أبناء عمومته الأقربين، بني: تيم، وعبد شمس، ونوفل، فقال في قصيدته اللامية:

{من الطويل}

أَلا أَبلِغا عَنّي لُؤَيّاً رِسالَةً	بِحَقٍّ وَما تُغني رِسالَةُ مُرسِلِ
بَني عَمِّنا الأَدنَينَ تَيماً نَخُصُّهُم	وَإِخوانَنا مِن عبدِ شَمسٍ وَنَوفَلِ
أَظاهَرتُمُ قَوماً عَلَينا أَظِنَّةً	وَأَمرَ غَوِيٍّ مِن غُواةٍ وَجُهَّلِ
يَقولونَ: إِنّا قَد قَتَلنا مُحَمَّداً	أَقَرَّت نَواصي هاشِمٍ بِالتَّذَلُّلِ
كَذَبتُم -وَبَيتِ الله- يُثلَمُ رُكنُهُ	وَمَكَّةَ وَالإِشعارِ في كُلِّ مُعمَلِ
وَبِالحَجِّ أَو بِالنيبِ تَدمى نُحورُها	بِمَدماه والرُّكنِ العَتيقِ المُقَبَّلِ
تَنالونَهُ أَو تَعطِفوا دونَ قَتلِهِ	صَوارِمُ تَفري كُلَّ عَظمٍ وَمِفصَلِ
وَتَدعو بِأَرحامٍ وَأَنتُم ظَلَمتُمُ	مَصاليتَ في يَومٍ أَغَرَّ مُحَجَّلِ
فَمَهلاً وَلَمّا تُنتِجِ الحَربُ بِكرَها	بَيَتْنٍ تِمامٍ أَوبِآخَرَ مُعجَلِ
فَإِنّا مَتى ما نَمرِها بِسُيوفِنا	نُجالِح فَنَعرُك مَن نَشاءُ بِكَلكَلِ
فَإِنّا سَنَحميهِ بِكُلِّ طِمِرَّةٍ	وَذي مَيعَةٍ نَهدِ المَراكِلِ هَيكَلِ
وَكُلِّ رُدَينِيٍّ ظِماءٍ كُعوبُهُ	وَعَضبٍ كَإِيماضِ الغَمامَةِ مِقصَلِ
وَكُلِّ جَرورِ الذَّيلِ زَغفٍ مُفاضَةٍ	دِلاصٍ كَهَزهازِ الغَديرِ المُسَلسَلِ
بِأَيمانِ شُمٍّ مِن ذَوائِبِ هاشِمٍ	مَغاويلُ بِالأَخطارِ في كُلِّ مَحفَلِ

هُـمُ سـادَةُ الـساداتِ في كُـلِّ مَـوطِنٍ وَخـيرَةُ رَبِّ النـاسِ في كُـلِّ مُعـضِلِ[1]

علم أبو طالب قرار بني لؤي بن غالب في القضاء على الإسلام المتمثل بالرسول الكريم، ويقينه ان خطابه مع قومه لا ينفع؛ لإدراكه تصميمهم على تنفيذ رأيهم، فاستفزه هول رأيهم واثار غضبه، والتهبت حميته، فدفعته دفعا إلى تهديدهم في استحالة قتل رسول الله، وتعجيزهم على ذلك، ومادام بنو لؤي بن غالب أجهروا عداوتهم للإسلام بصراحة ، فكان عليه ان يعلن موقفه بقوة وصرامة إلى جانب الإسلام بوصفه الحامي لمثل الإسلام مع عشيرته من بني هاشم، فكان شعره في هذا الموضوع سلاحا في خدمة الإسلام لصد اعدائه وتهديدهم وتخويفهم بحرب شؤوم، واظهر أبو طالب استعداد حماة الإسلام ليحاربوا بالوسائل كلها، فمن مستلزمات القتال في الحرب الخيل فنعتها بالجودة والقوة والسرعة، ومن عدة الأسلحة : الرماح المتينة والمتماسكة،والسيوف البتارة والقوية، والدروع الواسعة والطويلة ، وبهذه المعدات يجهز الابطال المتحاربون من بني هاشم فوصفهم بالشجاعة والأنفة والشرف والبطولة في المهالك، فهذه المقومات القتالية مجتمعة هي من وسائل التهديد بالحرب التي تتكفل بتحقيق النصر إذا ما شرع بنو لؤي بالحرب.

وقد يصف الشاعر شعوره المؤلم نحو قومه، فيتحدث عن حالته النفسية

---

(١) الديوان: ١١٧- ١٢٠، المعمل: ديار لبني هاشم، تمام: تمام الخلق، جالحه: كاشفه بالعداوة، الطمرة: الفرس الجواد الطويل القوائم، ميعة الفرس: أول جريه، المراكل: مفردها المركل وهو موضع ركل الدابة بالقدم، الهيكل: الفرس الطويلة الضخمة، الكعوب من الرماح: المتينة المتماسكة، جرور الذيل: صفة للدرع الطويلة، الزغف: الدرع الواسع والطويل وهي صفة ثانية للدرع لؤي بن غالب بن فهر =

في مفارقة مضجعه في الخطاب الشعري الموجه إلى قومه الذين سعوا إلى قتل رسول الله ﷺ ظلما وبهتانا، فوصف ألمه لما ضاق ذرعا بعزم بني فهر على هذا الأمر، واعتراه الهم والحزن والقلق، فانذرهم وهددهم وحذرهم في آن معا، فنبههم ظلمهم الذي سيعود عليهم بالوبال،ونعت جنايتهم بالجهل وضعف الرأي، وتوعدهم بالشر والعقاب إذا ما اندلعت حربا بينهما تتنادى عليهم بالأسف، فقال:

{من الطويل}

أَلا مَن لِهَمٍّ آخِرَ اللَّيلِ مُعتِمِ ... عراني وَأُخرى النَجمِ لَمّا تَقَدَّمِ

عراني وَقَد نامَت عُيونٌ كَثيرَةٌ ... وَسائِرُ أُخرى ساهِرٌ لَم يُنَوِّمِ

لأَحلامِ أقوامٍ قَد أَرادوا مُحَمَّداً ... بِسوءٍ وَمَن لا يَتَّقي الظُلمَ يُظلَمِ

سَعَوا سَفَهاً وَاِقتادَهُم سوءُ رأيهم ... عَلى فائِلٍ مِن رأيهم غَيرِ مُحكَمِ

رجاء أُمورٍ لَم يَنالوا بِظُلمِها ... وَإِن حَشَدوا في كُلِّ بَدوٍ وَمَوسِمِ

يُرَجّونَ أَن نَسخى بِقَتلِ مُحَمَّدٍ ... وَلَم تَختَضِب سُمرُ العَوالي مِنَ الدَّمِ

يُرَجّونَ مِنّا خُطَّةً دونَ نَيلِها ... ضِرابٌ وَطَعنٌ بِالوَشيجِ الُمقَوَّمِ

كَذَبتُم وَبَيتِ اللهَ حَتّى تَعَرَّفوا ... جَماجِمَ تُلقى بِالحَطيمِ وَزَمزَمِ

وَتُقطَعَ أَرحامٌ وَتَنسى حَليلَةٌ ... حَليلاً وَيُغشى مَحرَمٌ بَعدَ مَحرَمِ

وَيَنهَضَ قَومٌ في الحَديدِ إِلَيكُمُ ... يَذُودونَ عَن أَحسابِهِم كُلَّ مُجرِمِ

= ابن مالك، وتيم بن مرة بن غالب، وعبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب ابن لؤي، ونوفل بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي، وهؤلاء من بطون قريش، ظ:جمهرة أنساب العرب: ٢/ ٤٦٤.

فَيا لبني فِهرٍ أَفيقوا وَلَمْ تَقُم | نَوائِحُ قَتلى تَدَّعي بِالتَّنَدُّمِ
عَلى ما مَضى مِن بَغضِكُم وَعُقوقِكُم | وَغِشيانِكُم مِن أَمرِكم كُلَّ مَأثَمِ
وَظُلمِ نَبِيٍّ جاءَ يَدعو إِلى الهُدى | وَأَمرٍ أَتى مِن عِندِ ذي العَرشِ قَيِّمِ
فَلا تَحسِبونا مُسلميهِ وَمِثلُهُ | إِذا كانَ في قَومٍ فَلَيسَ بِمُسلَمِ
فَهَذي مَعاذيرٌ وَتَقدِمَةٌ لَكُم | لِكَيلا تَكونَ الحَربُ قَبلَ التَقَدُّمِ(١)

كان من حكمة أبي طالب، وعقله ومنطقه أن يحذر بني فهر؛ ليمنحهم فرصة في التفكير قبل الانزلاق إلى الشر، وما يجر عليهم من عقوق واثم؛ لجسامة خطر رأيهم؛ ولاستحالت تسليم رسول الله ﷺ لهم، فهذه معاذير يهديها الشاعر لقومه قبل أن يتورطوا في الحرب.

ولا بد من أن يعلن أبو طالب من جانبه بقوة وصرامة موقفه من حماية الإسلام، مادامت قريش اعلنت عداوتها وبغضها بصراحة، ولا شك في ان تهديده وتحذيره اكتسى حلة إسلامية في دفع العقوق والاثم عن نبي الهدى الذي جاء من عند ربه بدين مستقيم للبشرية جمعاء.

وتبرز المعاني الإسلامية أكثر في الدعوة إلى الحق والانصاف في استعمال العقل والحكمة في الخطاب الشعري الذي وجّهه أبو طالب إلى قومه الذين لم يراعوا حقوق صلة القربى وواجباتها من بني غالب، ولاسيما لؤي وتيم المعادون للإسلام والمبغضون له، وشعوره العميق بصلة القربى جعله يزمع على تجنب القطيعة، فينذرهم ويحذرهم من أجل ادامة وشيجة القربى، لاحتمال ان تتكفل الحرب

(١) الديوان: ٢١٦- ٢١٧.

بفنائهم، وليضرب حكمه بذلك، وعندما باءت أمنيته في اعادة العلاقة الطيبة بينهما بالفشل، فلا يمتلك سوى التهديد امام تهديدهم واصرارهم على قتل رسول الله ﷺ، فقال منذرا ومحذراً برسالة تبليغيه، ويمدح رسول الله ﷺ في القصيدة الميمية :

{من الطويل}

فَبَلِّغ عَلى الشَّحناءِ أَفناءَ غالِبٍ ... لُؤَيّاً وَتَيماً عِندَ نَصرِ الكَرائِمِ

لأنّا سُيوفُ اللهَ وَالمَجدِ كُلِّهِ ... إِذا كانَ صَوتُ القَومِ وَحيَ الغَماغِمِ

أَلَم تَعلَموا أَنَّ القَطيعَةَ مَأثَمٌ ... وَأَمرُ بَلاءٍ قاتِمٍ غَيرِ حازِمِ

وَأَنَّ سَبيلَ الرُّشدِ يُعلَمُ في غَدٍ ... وَأَنَّ نَعيمَ الدَهرِ لَيسَ بِدائِمِ

فَلا تَسفَهَن أَحلامُكُم في مُحَمَّدٍ ... وَلا تَتبَعوا أَمرَ الغُواةِ الأَشائِمِ

يُمَنُّونَكُم أَن تَقتُلوهُ وَإِنَّما ... أَمانيُّهُم تلكم كَأَحلامِ نائِمِ

فَإِنَّكُم ـ وَاللهِ ـ لا تَقتُلونَهُ ... وَلَما تَرَوا قَطفَ اللِّحى وَالغَلاصِمِ

وَلَم تُبصِروا الأَحياءَ مِنكُم مَلاحِماً ... تَحومُ عَلَيها الطَيرُ بَعدَ مَلاحِمِ

وَتَدعوا بِأَرحامٍ أَواصِرَ بَينَنا ... وَقَد قَطَعَ الأَرحامَ وَقعُ الصَوارِمِ

وَنَسمُو بِخَيلٍ بَعدَ خَيلٍ تَحُثُّها ... إِلى الرَّوعِ أَبناءُ الكُهولِ القَماقِمِ

مِنَ البيضِ مِفضالٍ أَبِيٍّ عَلى العِدا ... تَمَكَّنَ في الفَرعَينِ في حَيِّ هاشِمِ

أَمينٌ مُحِبٌّ في العِبادِ مُسَوَّمٌ ... بِخاتَمِ رَبٍّ قاهِرٍ لِلخَواتِمِ

يَرى النّاسُ بُرهاناً عَلَيهِ وَهَيبَةً ... وَما جاهِلٌ أَمراً كَآخَرَ عالِمِ[1]

---

(١) الديوان: ١٢٧ – ١٢٨، القماقم: مفردها القمقام، وهو السيد.

إنّ من مزايا أبي طالب الرجل العاقل المؤمن أن يلجأ الى الحكمة والنظر في عواقب الامور في مراعاة وشيجة القربى، يريد بها جمع الشمل؛ لأنهم من نسب واحد، وينبههم على أن القطيعة اثم وبلاء كبيران.

وجاءت الخطوة الثانية في تحذير القوم في بيان جهلهم برسول الله ﷺ واتباعهم أهل الضلال، وكأنَّ أبا طالب يريدهم أن يتريثوا فلا يستعجلوا في رأيهم بقتل رسول الله ﷺ؛ لأنهم يعرفون علامات نبوته وإذا ما بدأت الحرب فسيعلمون قوة الحامين والناصرين والمؤيدين من بني هاشم، وسيلقون العقاب على أيديهم، وبهذا توجه الخطاب الشعري من التنبيه والتحذير إلى اصدار حكمة مستخلصة من تجارب حياة الشاعر من ان طريق الرشاد سيعلم في غدٍ، وان السعادة ليست بدائمة؛ فيحتدم الصراع، وتتوهج انفعالات الغضب فيثور أبو طالب مهددا ومتوعدا، وذلك ليظهر الشاعر وعشيرته من بني هاشم بمظهر الأبطال الأقوياء في مواجهة أعداء الإسلام، فيصور الشاعر ما يزمع عليه من ايقاع اشد القسوة والعنت بهم في ملحمة كبرى يصف فيها قطف الرؤوس من الرقاب، وتصوير جثث القتلى طعاما للطيور الضارية، ليرسم هذه الصورة الترهيبية في أذهان القوم التي هي احدى وسائل التهديد والوعيد.

وتتكرر هذه الصورة الترهيبية في تحذير الخصم في حال الاستعداد للحرب، وينصح أبو طالب بالتريث والتمهل مستعينا بالحادثة الدينية المستمدة أحداثها من التاريخ، سالكا اتجاهات متنوعة في خطابه لبني لؤي بن كعب من انذار ونصح وتحذير وتهديد ووعيد، عندما اشتد البلاء على بني هاشم وبني عبد المطلب في حصار شِعْب أبي طالب لحمايتهم رسول الله ﷺ فكتبت قريش صحيفة المقاطعة،

فقال أبو طالب في قصيدته البائية التي يمدح فيها رسول الله، ويخاطب رهطه[1]:

{من الطويل}

وَأَنَّ الَّذي نمَّقتُمُ في كِتابِكُم ... لَكُم كائِنٌ نَحساً كَراغِيَةِ السَّقبِ

أَفِيقوا أَفِيقوا قَبلَ أَنْ يُحفَرَ الثَّرى ... وَيُصبِح مَن لَم يَجنِ ذَنباً كَذي الذَّنبِ

وَلا تَتبَعوا أَمرَ الغُواةِ وَتقطَعوا ... أَواصِرَنا بَعدَ المَوَدَّةِ وَالقُربِ

وَتَستَجلِبوا حَرباً عَواناً وَرُبَّما ... أَمَرَّ عَلى مَن ذاقَهُ حَلَبُ الحَربِ

فَلَسنا ـ وَبَيتِ اللهِ ـ نُسلِمُ أَحمَداً ... لِعَزّاءَ مِن عَضِّ الزَمانِ وَلا كَربِ

وَلَمّا تَبِن مِنّا وَمِنكُم سَوالِفٌ ... وَأَيدٍ أُتِرَّت بِالقُساسيَّةِ الشُّهبِ

بِمُعتَرَكٍ ضَنكٍ تَرى قِصَدَ القَنا ... بِهِ وَالنُّسورُ الطُّخمُ يَعكُفنَ كَالشَّربِ

كَأَنَّ مُجالَ الخَيلِ في حَجَراتِهِ ... وَمَعْمَعَةَ الأَبطالِ مَعرَكَةُ الحَربِ

أَلَيسَ أَبونا هاشِمٌ شَدَّ أَزرَهُ ... وَأَوصى بَنيهِ بِالطِّعانِ وَبِالضَّربِ

وَلَسنا نَمَلُّ الحَربَ حَتّى تَمَلَّنا ... وَما نَشتَكي مِمّا نلاقي مِنَ النَكبِ

وَلَكِنَّنا أَهلُ الحَفائِظِ وَالنُّهى ... إِذا طارَ أَرواحُ الكُماةِ مِنَ الرُعبِ[2]

حرص أبو طالب على انذار قومه ونصحهم وتحذيرهم لما كتبوه في صحيفتهم المشؤومة مثل شؤوم رغاء سقب ناقة النبي صالح على قوم ثمود، وأراد «ولد الناقة التي عقرها قُدار، فَرَغا ولدها، فصاح برغائه كل شيء له صوت، فهلكت ثمود عند

(١) ظ: الديوان: ٢١١.

(٢) الديوان: ٢١٢ – ٢١٣، السوالف: صفاح الاعناق، اترت: قطعت، القساسية: سيوف تنسب إلى جبل اسمه قساس في أرمينية، الطهم: سود الرؤوس، الكماة: الأبطال المدججون بالسلاح.

ذلك فضربت العرب ذلك مثلا في كل هلكة»[1]، وانما ساق أبو طالب هذه الحادثة الدينية من تاريخ الأمم السالفة، للعظة والاعتبار بعقاب الله للذين يؤذون رسله كي يتراجع القوم عن مقاطعتهم لعشيرة الرسول الكريم ﷺ الحامين له قبل ان يفتضح امرهم وتثار مخازيهم، ويتساوى عندها الجاني والبريء، أي ليتخذوا من هذه الحادثة الدينية منارا يهتدون بها في سلوكهم، ويحذرهم حربا حلوبا تجر عليهم الويلات، إذا ما أصرَّ القوم على الحرب، ويهددهم بايقاع الهزيمة والحاق افدح الخسائر بهم، وهو يستعين بأدوات الحرب من سيوف ورماح وخيل وأبطال جانحا إلى وصف ساحة المعترك بصورة موحية تصور جثث القتلى طعاما للنسور العاكفة عليها، وهي صورة توحي بالرعب والخوف والاشمئزاز، ومما لاشك فيه أنَّ أبا طالب يؤكد تفانيه ووفائه للإسلام بحماية رسول الله ﷺ وهو يحذر ويهدد ويتوعد وهذا من جديد أبي طالب في هذا الموضوع.

وصفوة القول: يتبين أن النزاع لم يكن بين عشيرة أبي طالب والقبائل الأُخرى وانما بينه بوصفه زعيما لعشيرته وحاميا للإسلام، وبين رهطه من قريش نفسها، فلقد استحكم الخلاف بين أبي طالب ومشركي قريش المناهضين للدعوة الإسلامية، فصممت قريش على قتل رسول الله ﷺ للقضاء على الإسلام، فلجأ أبو طالب إلى استعمال أساليب متنوعة في خطابه مع رهطه من قريش اتخذت طريق النصح والانذار والتحذير والتهديد والوعيد، بحسب انفعالاته المتباينة مع المواقف التي يمر بها، فقد يثير في نفوس قريش حبه وإخلاصه في نصحه لوجوه الخير الذي يفرضه العقل والحكمة، وقد ينثار حزنه وألمه من سوء افعالهم فينسج أبياتا في انذارهم

---

(١) الرَّوض الأُنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام: ٢/ ١٣٣.

محاولا تنبيههم على العواقب الوخيمة التي لحقت بالأمم السالفة لتماديها في غيها في تكذيب رسلها، فيعظ قومه بهذه القصص الدينية، وقد يتحامل على قومه لجهلهم بنبي الهدى، وظلمهم له، فينشد أبياتا محذرا إياهم،وقد يسوده غضب شديد فيثور بركان انفعاله عليهم فيهددهم ويتوعدهم وقد يلتهب احساسه فيصوغ أبياته في حماية الإسلام بعاطفة صادقة صادرة عن نبض قلب الرجل المؤمن، ومن هنا يعد أبو طالب في شعره بحق الرائد الأول في تطور هذه الموضوعات بمضامين إسلامية في خدمة الدعوة الإسلامية، وشعره ممثل امين لمرحلة الصراع الفكري بين الإيمان والشرك والذي واكب فجر الإسلام وبدايته، فعبر عن تفاصيل يوميات سيرة رسول الله ﷺ في معارضة قريش له.

۞ الهجاء :

الهجاء ظاهرة اجتماعية أُخرى لها وقعها المؤلم في نفس الخصم؛ لاقتصارها على ذكر مثالبه، وكشف عيوبه، وفضح مستوره أمام الناس، والهجاء مرهون بانفعالات الشاعر الحادة المتولدة من لحظات الغضب الشديد تجاه الخصم، ليضعف به معنوياته، وقد ارتدى فن الهجاء في قصائد أبي طالب ثوبا إسلاميا ناشئا من فكرة معاداة مشركي قريش للإسلام في رفضهم تمثل النبوة ببني هاشم حسدا وحقدا وبغضا[1]، فنشأ نزاع فكري أدى إلى خوفهم على كيانهم ومناصبهم في المجتمع القرشي، فناهضوا صاحب الدعوة الإسلامية وجاهروا بحقدهم وبغضهم وعداوتهم له، في الحاق الأذى به والقضاء على دينه، وخذلان عمه الناصر للإسلام، فخيبوا أمل أبي طالب فيهم، ولهذا كله نشأ صراع شعري زرع بذرته الأولى أبو

(١) ظ: أنساب الأشراف: ١/ ١٣٤.

طالب في تصديه لمعارضي سادات قريش حول فكرة دفاعه عن العقيدة، متخذا شعره سلاحا لمواجة بطون قريش وساداتها[1]، فكانت مواقفه الدفاعية للإسلام ومناهضة مواقف مشركي قريش المعادية هما الدافعان لقول الهجاء.

ومن الجدير ذكره أن الشخصيات المهجوه تمثل زعماء عشائرها أو ساداتها، فربما هجا العشيرة باسم زعيمها أو هجا الزعيم باسم العشيرة؛ ولهذا يمكن أن يعد الهجاء القبلي هجاء شخصيا لرغبة الشاعر في توسيع نطاق الألم والايجاع والاغاضة من الخاص إلى العام؛ لأن هجاءه مرتبط بسادات قريش أصحاب الرأي والمشورة، والأمر والنهي، بيد أننا لانعدم من وجود هجاء لشخص بعينه، ومنه الهجاء الذي اناطه أبو طالب بأخيه أبي لهب الذي كان شديد العداوة للإسلام، وعظيم التكذيب والأذى لرسول الله ﷺ فقد لج في أمر الرسول الكريم،ونابذ أخاه أبا طالب الحامي للإسلام فأثار حفيظته، فحاول الأخير الحط من قدر أبي لهب، والتقليل من شأنه في كشف ما خفي من عيوب أمه الخزاعية[2]، المدعوة بسمحج، ليحقق قدراً من الايلام لأخيه وهو يُعَرِّض بها، فقال:

{من السريع}

مستعرض الأقوام يُخبرُهم	غدري وما إنْ جئتُ من غَدْرِ
يكنى بسمْحَجَ إذ يخالفُنا	ويجدُّ في النَّكراء والكفرِ
فاجعلْ سماحِجَ وابنَها غرضاً	لِكرائم الأكفاء والصِّهْرِ

(١) ظ: الديوان: ٧٦، ٧٧، ٨٠، ١٠٧، ١٢١، ١٧٨، ١٨٠، ٢٥١، ٣٣٩، ٢٤١.

(٢) «وأمه لُبنى بنت هاجر بن عبد مناف بن ضاطر بن حبشية بن مؤمل بن اسعد، من خزاعة»، أنساب الأشراف: ١/ ٩٠.

واسمعْ بوادِرَ من حديثٍ صادقٍ يَهْوينَ مثلَ جَنادِلِ الصَّخرِ

....

صَمّاء ضافَ إليكَ عائرها إسلامنا لنوائبِ الدهرِ[1]

ولو انعمنا النظر في هجاء أبي طالب لأخيه أبي لهب لألفينا هجاء جاهليا بالمقاييس الفنية في ذكر عيب أمه، فقد كان يرى الشاعر في سمحج شيئا من الدهاء والفتنة التي دنت إلى أبي لهب بهذا العيب، بيد أننا لا نعدم التقاط عيب إسلامي يوصم به أخاه وهو الكفر.

وهجاء الأخ لأخيه غير مألوف في الشعر العربي، لأن الأخ سند لأخيه في الشدائد والمحن والمصائب، ولكن موقف أبي لهب المعادي لرسول الله ﷺ ولأخيه الناصر لدين الله أبي طالب جعل الأخير يقف موقف الغاضب على أخيه؛ لأنه خيب أمله في نصرة ابن أخيه الرسول الكريم، واعان عليه اعداءه من طغاة الشرك، فدافع العقيدة هو الذي وجَّه الشاعر إلى هجاء أخيه، وشعوره الحاد كان حمية للإسلام في الدفاع عنه، فأفاضت قريحته بضربات مؤلمة ولاذعه في نفس المهجو، فعبر بصدق القول، فاصاب الحقيقة ووسم صاحبها بعار لا يجلوه الزمن، بخلاف الكذب والادعاء والافتراء الذي يمكن ان يجلو اثره على مر الايام، فيكشف زيف ادعاء الشاعر في المهجو .

وأبو طالب ينأى عن السب المقذع الذي يقترب من كلام السوقة، فيبتعد عن غاية الهجاء الذي يراد بها توجيه الافراد والجماعات من المجتمع القرشي المناهضين للدعوة الإسلامية في ابتعادهم عن موقفهم المعادي للإسلام على نحو ما نجده في

(١) الديوان: ١٨٠، صماء: فتنة أو داهية، ضاف: مال ودنا.

الهجاء القبلي المتزاوج مع الهجاء الشخصي في ذم بطون قريش من بني عبد شمس ونوفل وتيم ومخزوم، في القصيدة الميمية التي يمدح بها أبا لهب طمعا في نصرة ابن أخيه رسول الله ﷺ ويحضه على نصرته[1]، فقال:

{من الطويل}

جَزى اللهُ عَنّا عَبدَ شَمسٍ وَنَوفَلاً   وَتَيماً وَمَخزوماً عُقوقاً وَمَأثَما

بِتَفريقِهِم مِن بَعدِ وُدٍّ وَأُلفَةٍ   جَماعَتَنا كَيما يَنالوا المَحارِما

أطاعوا ابن ذكوانٍ وقيساً ودَيسَماً   فضلُّوا ودقُّوا للملا عطْرَ مَنْشِما

كَذَبتُم وَبَيتِ اللهِ يُبرى مُحَمَّداً   وَلَمّا تَرَوا يَوماً لَدى الشِّعبِ قائِما[2]

استهل أبو طالب الهجاء بصيغة الدعاء، وهذا ما يتردد في شعره في هذا الموضوع[3]، وهو تمهيد جيد لكشف مكنونات انفعالات الشاعر في النص، فهو يتمنى ان يجازي الله الاحياء القرشية على اثامها وعقوقها،فعرَّاها عن الفضائل الجليلة واكساها بالرذائل المهينة في ارتكابها الاثم، والعقوق، وانتهاك المحارم في عزمها على قتل رسول الله ﷺ فصوَّر أبو طالب المهانة وهي لاصقة بابناء عبد شمس ونوفل وتيم، موقوفة عليهم، وكأن الشاعر يريد أن يقول بأن من يتصف بهذه الصفات ليس من سادات القوم، وانما من اراذلهم، ومن لم يكن سيدا لا يستحق ان يؤخذ برأيه في أمر خطير مثل قتل رسول الله ﷺ، وإمضاءً في اغاظة هذه البطون جعلها الشاعر تابعة ذليلة لرأي ابن ذكوان «عُقْبَة بن أبي عمرو بن أُمية بن عبد

(١) ظ: الديوان: ١٧٨.

(٢) ظ: الديوان: ١٧٨.

(٣) ظ: م.ن: ٧٦، ٨٠، ١٧٨.

شمس، وأبو عمرو: اسمه ذكوان .... وقيس: هو قيس بن عاقل الخَولاني صاحب بني مخزوم، ودَيْسَم: هو الوليد بن المغيرة المخزومي، ويقال: انه عبد يدعى بِدَيْسَم بن صَقْعَب»[1]، فجعل أبو طالب البطون المذكورة آنفا تابعة لا متبوعة، فهم دون منزلة ابن ذكوان عقبة بن أبي مُعيْط، فقد ذكر ان أُمية قد سَاعَى أمَةً أو بَغَتْ أمَةٌ له، فحملت بذكوان، فاستلحقه بحكم الجاهلية، والأمة التي ولدته يهودية من صفورية بلدة في الأردن[2]، وعندما أمر الرسول ﷺ بقتل عقبة بعد اسره يوم بدر، قال عقبة: «أأقتل من بين قريش صَبْرَاً، فقال عمر: حَنَّ قِدحٌ ليس منها، يُعَرِّض بنَسَبه»[3]، وهذا تعريض واضح بنسب بني أُمية، ولهذا حذف ابن هشام البيت الثالث، فقال ما نصه: «وبقي منها بيت تركناه»[4]؛ لأن فيه تعريضا بذكوان جد الامويين، وهذا ليس طعنا في نسب عقبة فحسب؛ بل في نسب بني أُمية نفسها، مما جعل السُّهيلي يعلق على الطعن في نسب بني أُمية؛ ليهون عليهم هذه المذلة، فقال: «عفا الله عن أمر الجاهلية، ونهى عن الطعن في الأنساب، ولو لم يجب الكفُّ عن نسب بني أُمية إلا لموضع عثمان بن عفَّان رضي الله عنه، لكان حَرَى بذلك»[5]، فقد كان أبو طالب صادق القول، ينأى عن الكذب، ولهذا لم يستطع التاريخ أن يمحو أثر قوله، أو يدفع عن اصحابه وسمة العار في غمز نسب أمية، فوقع تعريض أبي طالب في المهجو على سبيل الازدراء والتنقيص، وهو أشد وطأة عليه؛ لأن «التعريض أهجى من التصريح؛

---

(١) الديوان: ١٧٩.

(٢) ظ: الَّروض الأُنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام: ٣/ ٩٣ - ٩٤.

(٣) م.ن: ٣/ ٩٣.

(٤) السيرة النبوية لابن هشام: ٢/ ١٥.

(٥) الرُّوض الأُنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام: ٣/ ٩٣.

لاتساع الظن في التعريض، وشدة تعلق النفس به، والبحث عن معرفته، وطلب حقيقته»[1].

اما من لم يكن من سادات القوم وأشرافها أمثال: قَيْس، ودَيْسَم، إذا صح ان ديسما كان عبدا، فقد أراد أبو طالب أن يضرب بهما مثلا في الانتقاص والامتهان والوضاعة، ومن هنا وجه بطون قريش إلى أنهم عاجزون عن تحقيق مآربهم في قتل نبي الله؛ لأنهم ليس لهم رأي فهم ليسوا أسيادا لأنهم خضعوا لمن دونهم، واتبعوهم، ولا يخفى ما لسلب صفتي: الشرف والسيادة من أثرهما العظيم في نفوس تلك البطون القرشية، فعبيد قريش تتحكم باسيادها، من هنا صار العبد سيدا والسيد عبدا، ولا هجاء أقسى من هذا على زعماء قريش، وفيه تحريض مبطن على تأليب من بقي من قريش على قيس وديْسَم. ومن سبل الهجاء الانفتاح على التهديد والوعيد والتحدي لمن يريد نيل رسول الله صلى الله عليه وآله، فان بدات المعركة لا يرون لهم قائمة بعدها في شعب أبي طالب.

ومن سبل الهجاء الشكوى من الخصم، واخفاء فضائله المحمودة، وابراز ما خفي وظهر من عيوبه على نحو ما نجده في قصيدة أبي طالب الميمية، فقد اعتراه الهم والحزن فأرقه وسلب نومه[2]، لظلم قريش له ومنها البطون: تيم، وهصيص، ومخزوم، ففارت نفسه وغليت انفعالاته، فثار يهجو ظلمهم وعقوقهم لمقاطعة بني هاشم وفرض الحصار عليهم، لحمايتهم رسول الله صلى الله عليه وآله؛ لأن هذه البطون أدركت قوة رسول الله بعشيرته من بني هاشم بزعيمها أبي طالب، فلولاهم لاستطاعت

(١) العمدة: ٢/ ١٧٢- ٢٧٣.

(٢) ظ: الديوان: ١٢١.

الانقضاض على الإسلام في قتل رسول الله ﷺ ووأد دعوته؛ لذلك تجنبت هذه البطون اراقة الدماء، فاجبرتهم على الحصار لكي يتخلوا عن رسول الله، ثم تتمكن قريش منه، فخاطب أبو طالب قريشاً وهو يذكرهم ظلمهم وعقوقهم وحصارهم في الشِّعب، فقال:

{من الوافر}

لِظُلْمِ عَشيرَةٍ ظَلَموا وَعَقّوا ... وَغِبُّ عُقوقِهِم كُلأٌ وَخيمُ

هُمُ اِنتَهَكوا المَحارِمَ مِن أَخيهِم ... وَلَيسَ لَهُم بِغَيرِ أَخٍ حَريمُ

إِلى الرَحمَنِ وَالكَرَمِ اِستَذَمّوا ... وَكُلُّ فعالِهِم دَنِسٌ ذَميمُ

بَنو تَيمٍ تَوارَثَها هُصَيصٌ ... وَمَخزومٌ لَها مِنّا قَسيمُ

فَلا تَنهى غُواةَ بَني هُصَيصٍ ... بَنو تَيمٍ وَكُلُّهُمُ عَديمُ

وَمَخزومٌ أَقَلُّ القَومِ حِلماً ... إِذا طاشَت مِنَ العِدَةِ الحُلومُ

أَطاعوا اِبنَ المُغيرَةِ وَاِبنَ حَربٍ ... كِلا الرَجُلَينِ مُتَّهَمٌ مُليمُ

وَقالوا خُطَّةً جَوراً وَحُمقاً ... وَبَعضُ القَولِ أَبلَجُ مُستَقيمُ

لِنُخرِجَ هاشِماً فَيَصيرَ مِنها ... بَلاقِعَ بَطنُ زَمزَمَ وَالحَطيمُ

... ...

أَرادوا قَتلَ أَحمَدَ ظالِموهُ ... وَلَيسَ بِقَتلِهِ فيهِم زَعيمُ

وَدونَ مُحَمَّدٍ مِنّا نَدِيٌّ ... هُمُ العِرنينُ وَالأَنفُ الصَميمُ[1]

---

(١) الديوان: ١٢١ – ١٢٢، بنو تيم بن مُرة بن كعب بن لؤي، وبنو هصيص بن كعب، وبنو مخزوم بن يقظة بن مُرة بن كعب، وهؤلاء من بطون قريش، ظ: جمهرة أنساب العرب: ٢/ ٤٦٤.

هجا أبو طالب البطون المتزعمة في المجتمع القرشي الذين ينتمون إلى شجرة نسبه، فرماهم بالظلم والعقوق، وسوء العاقبة، لانتهاكم حرمة رسول الله ﷺ، ففرض الحصار على بني هاشم يوجب عقاب الله عليهم، فراح أبو طالب يرشقهم بسهام الضلال والحمق بجهلهم برسالة الله تعالى، ومن هنا نسجل السبق لتأصيل الظاهرة الأدبية لهذا النمط الجديد من الهجاء الإسلامي لأبي طالب قبل غيره من شعراء الرسول ﷺ أمثال: حسان بن ثابت، وكعب بن مالك، وعبد الله بن رواحة.

ومما لايخفى أن الهجاء بالمعاني التي حُدِّدت بمفهومها الإسلامي ليس لها تأثير ذو بال على زعماء بطون قريش مثل اثر المعاني الجاهلية من ذكر عيوب المثالب والوقائع والأيام وغيرها؛ لأنهم أصحاب شرك لا يبالون بالاتهامات الحاملة للمفهوم الإسلامي الجديد.

واتهمهم أبو طالب بالطيش والخفة؛ لقلة حلمهم؛ وهذه النعوت المذمومة هي بخلاف خصائل السادات والزعماء الذين يمثلون عشائرهم، وما دامت هذه صفاتهم أراد أبو طالب أن يعطي حكما فيهم، بأن هذه الصفات لا تليق بمن يتزعم قومه، فإذاً لا يستحقون أن يكونوا زعماء، ومن ثَمَّ فهم ليسوا أهلا لإبداء الرأي بشأن رسول الله وعشيرته؛ ليصغر من شرف مكانتهم، وفي هذا ذم موجه لهم.

ولكي يزيد الشاعر من حط اقدارهم، رماهم بسهم مؤلم، فجعلهم تابعين لرأي الوليد بن المغيرة المخزومي، وأبي سفيان بن حرب اللذين كانا الممثلين لرؤوس الشرك، ويبدو أن ابن المغيرة وابن حرب هما اللذان أوحيا بفكرة الحصار والمقاطعة

ـ التي اغفلت عن ذكرها المظان التاريخية[1] ـ فقد أدركا أن الهاشميين مصرون في موقفهم على حماية رسول الله ﷺ، وان قريشا لا تدع رسول الله وشأنه؛ لأن اتباعه يزدادون، ومن يدخل الإسلام لا يخرج منه، ولذلك كله اتحدت بطون قريش على مقاطعة بني هاشم ومواليهم وعبيدهم ومحاصرتهم في الشِّعب وإلى هذا الرأي الجائر أومأ أبو طالب إلى خطة ابن المغيرة وابن حرب في إيحاء فكرة الحصار، وإلى ظلمهما وحمقهما، والظلم والحمق لا يوصف بهما اصحاب الرأي والشورى، وانما كان هذا الأمر من أبي طالب للانتقاص والتهكم والسخرية منهما، وفي الوقت نفسه ينصف أبو طالب الخصم، فبعض اقوالهما مضيئة، وقصد من ارتباط قول السلب والايجاب للشخصيتين، التوجيه إلى أثر افعال الخصم في المحافظة على القيم العربية فيهم، وإلا فقد اصاب لهيب تعييره قريش افرادا وجماعات في نعهتم بالجهل والضلال والطيش والخفة والظلم والعقوق، وكلها خصائل ذميمة تلحق الذل والعار في سادات القوم، وتهون اقدارهم.

وتغلي انفعالات أبي طالب فيلج إلى باب التهديد والوعيد بلهجة مستعلية ينقض على خصمه انقضاضا فاتكا[2] ومعلنا تجديد نصرته وحمايته لرسول الله ﷺ، وهو يومىء إلى من أراد قتل رسول الله ظلماً وجوراً فليس فيهم زعيم، ليؤكد مرة

---

(١) ظ: تمثيلا لا حصرا : السيرة النبوية لابن هشام:٢/٣، الكامل في التاريخ: ٢/ ٥٩- ٦٠، تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والاعلام:١/ ١٣١- ١٣٣، السيرة النبوية لابن كثير: ٢/٤٣- ٥٠، البداية والنهاية في التاريخ: ٣/ ٨٤- ٨٧، امتاع الاسماع بما للنبي ﷺ من الاحوال والاموال والحفدة والمتاع: ١/٤٣- ٤٥، السيرة النبوية المعروفة بانسان العيون في سيرة الأمين المأمون: ١/٣٣٦- ٣٦٧.

(٢) ظ: الديوان: ١٢٢.

أُخرى ما قرره في هجائه ببداية القصيدة، وهذا البناء الفكري المحكم للأبيات يدل على اجادته في ربط آخر أبيات القصيدة بصدرها .

وصفوة القول: إنَّ الناظر في هجاء أبي طالب لبطون قريش يجد جرأته وصرامته وقسوته عليهم، ليضعف معنوياتهم، وهو يقف بجانب الدعوة الإسلامية، فكان شعره سلاحا من أسلحة الدعوة في نصرتها.

ومن الجدير ذكره: أنَّ هجاء أبي طالب الموجّه إلى الخصم سواء أكانوا أفرادا أم جماعات اتخذ سبيلين: الأول، تعييرهم بالمعاني الجاهلية في اسقاط المهجو من منزلته الاجتماعية، فينعته بالجهل والحمق والغدر، وقد يغمز بنسبه، فيحط من شأنه أمام أنظار قومه، فيبلغ الشاعر مأربه في هجائه للخصم بالطعن فيه؛ ولهذا الهجاء أثره العظيم في نفس المهجو، لقوته ونفاذه، أما السبيل الثاني ففيه يعيّر الخصم بالكفر والضلال والعقوق والإثم التي يترتب عليها المفهوم الإسلامي لها وهذا الهجاء أقل تأثيرا وقوة على المهجو؛ لأنه لا يدرك المعاني الإسلامية مثلما يدركها المسلم.



الدراسة

ثانياً: في الفن

إنَّ لكل فن من الفنون وسائله التي توصله الى غايته، وغاية الفن هي التأثير في المتلقي سواء أكان المتلقي قارئا، أم مستمعا، أم ناقداً، ويعود تأثر الاثر الشعري الى صاحبه المبدع في اختيار المادة الأدبية: المحتوى، والصورة.

إنَّ تآزر المحتوى والصورة، أو المضمون والشكل المتآلفان مع المواقف النفسية للشاعر في لحظة انجاز عمله الأدبي تثمر ابداعا فنيا بوصفه عملا متكاملا يقوم على الهام الشاعر المبدع بفعل تأثره بالمجتمع الذي يحيا فيه[1].

وقد اختلفت آراء النقاد العرب القدامى[2] حول اللفظ والمعنى، او المحتوى والصورة، فمنهم من فصل بينهما وجعل لكل واحد منهما مزية من حيث الجودة، او الرداءة، وتفضيل احدهما على الاخر، ومنهم من جعل قيمة العمل الأدبي في الجمع بينهما.

---

(١) ظ: الاسس الفنية للنقد الأدبي: ١١٠.

(٢) ظ: الحيوان:٣/ ١٣١- ١٣٢، البيان والتبيين: ١/ ١٣٦، الشعر والشعراء:١/ ٦٤، نقد الشعر: ١٥٤- ١٦٥، كتاب الصناعتين: ١٥٢- ١٦٠، العمدة: ١/ ١٢٤، دلائل الاعجاز: ٤٥- ٤٨.

بيد ان النقاد المحدثين[1] متفقون على الصلة الوثيقة بين المحتوى والصورة فاللفظ وسيلة المبدع لنقل المعنى الشعوري الذي يصوره الشاعر في تعبيره الشعري، وينقله الى الاخرين، «فليس هناك محتوى وصورة؛ بل هما شيء واحد ووحدة واحدة، اذ تتجمع في نفس الاديب الفنان مجموعة من الاحاسيس ويأخذ في تصويرها بعبارات يتم بها عمل نموذج ادبي»[2]، لهذا يعد العمل الشعري الابداعي كياناً منتظماً يتكون من أجزاء مترابطة ومتماسكة ومتلازمة، كل جزء فيه يتعلق بما عداه من الاجزاء على وفق نظام محكم لا انفصال فيه على مستوى بنية القصيدة في هيكلها ولغتها وصورها وافكارها، والحال الشعورية التي يمر بها مبدعها التي استقطبت تجربته الشعرية المنجزة.

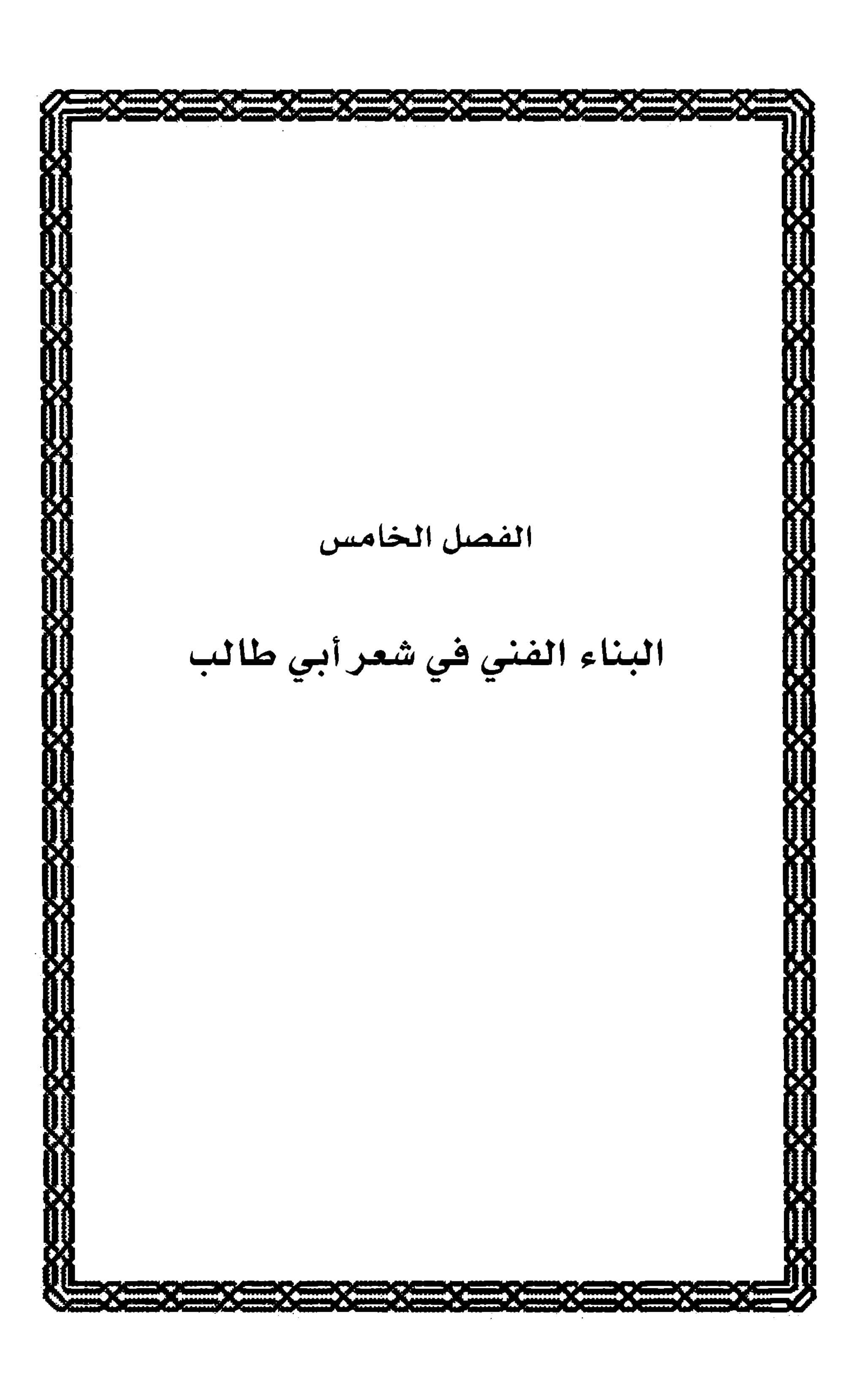
إنَّ ما يؤثر في بنية العمل الابداعي التطور والتغيير اللذين طرأى على المجتمع العربي ببزوغ فجر الإسلام، فهو لم يحدث تغييرا وتطورا على المستويين: الفكر والعمل، فحسب، وانما احدث تغييرا وتطورا على مستوى الفن أيضا، لأن الفن تعبير جمالي عن الواقع، وأضحى الإسلام ظاهرة اجتماعية لها اثرها الفاعل في الحياة اليومية، فأثرت في شعر الشعراء، وكان ممن سبقهم أبو طالب، فمثّل شعره تأصيلاً للظواهر الأدبية، فكما تأثر شعره بفعل الإسلام على مستوى الموضوع كما ذكرنا آنفا، تأثر على مستوى الفن في المستويات التقنية الفنية للعمل الشعري في أنماط بناء القصيدة ولغتها وصورها إلى آخره.

على أننا سوف ندرس هذا الكيان المتمثل في فنية القصيدة في أجزاء منفصلة بأربعة فصول، وهي تجزأة ذهنية لدراسة الظاهرة الفنية؛ لتسويغ تعليل الاحكام النقدية.



(١) ظ: اصول النقد الأدبي: ٢٤٧، النقد الأدبي: ١٠٢، التيارات المعاصرة في النقد الأدبي: ١٨٤، في النقد الأدبي: ١٦٣.

(٢) في النقد الأدبي: ١٦٣.



الفصل الخامس

البناء الفني في شعر أبي طالب

مفتتح الفصل

بناء القصيدة

بلغت القصيدة العربية نضجها في البناء الفني قبل الإسلام عبر الموروث الشعري الذي وصل الينا، فبنيت القصيدة على وفق نسق معين معروف تحدث عنه النقاد القدامى، فرسموا خطوطا لهيكل القصيدة يتألف من اجزاء بنائها، مبينين الدوافع التي من اجلها أنشئت القصيدة.

فقد أومأ ابن قتيبة (ت٢٧٦هـ) [١] الى المنهج الفني لقصيدة المديح بصورة مفصلة وبرؤية موضوعية في تحليل مكوناتها وعناصرها، وفي تبيين العلاقة بين اللوحات الثلاث وهي : المقدمة والرحلة والغرض، وفي كل لوحة من هذه اللوحات، او الاقسام اساليب متبعة، «فالشاعر المجيد مَنْ سلك هذه الاساليب، وعدَّلَ بين هذه الاقسام» [٢]، ومما لاشك فيه ان ترتيب اقسام القصيدة، وتناسق ابياتها، وحسن جوار الابيات مع بعضها، وملائمة ألفاظها لمعانيها الى

---

(١) ظ: الشعر والشعراء: ١/ ٧٤-٧٥.

(٢) م.ن: ١/ ٧٥- ٧٦.

آخره[1]، يعدُّ مقياسا لجودة الشاعر؛ لان بناء نظام القصيدة «مثلها مثل خلق الانسان في اتِّصال بعض اعضائه. ببعض فمتى انفصل واحدٌ عن الاخر، او بايَنَهُ في صحّة التركيب، غادر بالجسم عاهة تتخوّن محاسِنَه وتعفّي معالم جماله»[2].

وتابع ابنَ قتيبة في توضيح البناء الفني للقصيدة بعضُ النقاد موضحين هذا الامر بشيء غير قليل من التفصيل، ومنهم: ابن طباطبا (ت٣٢٢هـ)[3]، والعسكري (ت٣٩٥هـ)[4]، وابن رشيق(ت٤٥٦هـ)[5]، وابن الاثير (ت٦٣٧هـ)[6]، والقرطاجني(ت٦٨٤هـ)[7]، والعلوي(ت٧٤٩هـ)[8]، مقررين القواعد والمعايير التي ينبغي للشاعر المجيد اتباعها.

وتبنّى بعض الدارسين المحدثين[9] نص ابن قتيبة بوصفه مثالا فنيا للقصيدة العربية، بأن الشاعر يمهد للموضوع الذي يختاره بالمقدمة الطللية، فتتداعى له ذكرى الأحباب الظاعنين عن المنازل، ثم يستطرد الى الصحراء ورحلته التي تجشم فيها

---

(١) ظ: عيار الشعر: ١٢٤.

(٢) حلية المحاضرة: ١/ ٢١٥.

(٣) ظ: عيار الشعر: ٥- ٧

(٤) ظ: كتاب الصناعتين: ٤٨٩- ٤٩٦، ٥١٣- ٥٢٥.

(٥) ظ: العمدة: ١/ ٢١٧- ٢٤١.

(٦) ظ: المثل السائر: ٣/ ٩٦- ١٠٧، ١٢١- ١٢٧.

(٧) ظ: منهاج البلغاء وسراج الأدباء: ٣٠٣- ٣٢٤.

(٨) ظ: الطراز: ٢/ ٢٦٦- ٢٦٧، ٢٧٤- ٢٧٧، ٢٧٩ - ٢٨١، ٣٣٠- ٣٣١، ٣٤٤- ٣٤٨، ٣٥٢- ٣٥٣، ٣/ ١٢١- ١٢٧.

(٩) ظ: فجر الإسلام: ٥٨- ٥٩، تاريخ النقد الأدبي: ٩٢، في النقد الأدبي: ١٥٤.

المهاول والاخطار، وهو يصحب ناقته فيصف هجير الصحراء ، وهطول الامطار، والليل والنجوم الدالة، والصراع العنيف بين الحيوانات، او بين الصياد والحيوان، فاذا فرغ الشاعر من الوصف يلج الى غرضه الذي من اجله انشئت القصيدة.

وفي حالات نفسية وموضوعية لا يلتزم الشاعر بهذه المعايير والمقاييس، فقد يختزل المقدمة، ويدخل الى موضوعه مباشرة.

وفي ضوء هذا المفهوم الذي قرره النقاد القدامى لبناء القصيدة العربية دأب النقاد المحدثون في وضع تعريفات لبناء القصيدة من شأنها تقويم العملية الابداعية في الشعر[1]، فهي «بناء علائقي يقوم على العلاقات بين العناصر كل منها حاكم للاخر ومحكوم به»[2]، فالعلاقات التي تحكم البناء الفني للقصيدة يراد بها العلاقات على المستويات المختلفة في بناء الهيكل واللغة والصورة، والافكار والموضوع، والحالة النفسية التي تعم اطار القصيدة ساعة ابداع الشاعر لعمله المُنجز، فهذه المكونات والعناصر كلها تدخل في بنية القصيدة لتشكل بناءً حيا متكاملا معبرا عن تجربة الشاعر.

سار أبو طالب على وفق منهج الشعراء العرب في بناء القصيدة في بعض قصائده وطوَّر وجدد في بعضها الاخر، ونتبين التطور والتجديد في بناء الوحدتين: المقدمة، والغرض، والموضوع.

وسنبحث في أجزاء بناء القصيدة كأنها وحدات منفصلة؛ لبيان قيمة الاثر

---

(١) ظ: الأدب وفنونه: ٥٩، النقد المنهجي عند العرب: ٣٦، النقد الأدبي الحديث: ٢١٠، الشعر الجاهلي منهج في دراسته وتقويمه: ٢/ ٤٤٥، وحدة الموضوع في القصيدة الجاهلية: ٧- ٨.

(٢) الصورة والبناء الشعري: ١٧٩.

الفني في بنائه العام، وفي بيان عناية الشاعر بتفاصيل الوحدات البنائية، وإلا فالقصيدة لا تتجزأ؛ لانها بناء حي متكامل.

❁ أولاً: القصائد ذوات المقدمات:

ـ المقدمة:

عُنيَ النقاد العرب القدماء بالمقدمة في وصفهم منهج القصيدة العربية ـ كما ذكرنا آنفا ـ وتحدثوا عن تعدد اشكالها وانواعها على وفق مضامينها وتقاليدها الفنية.

واستأثرت مقدمات القصائد باهتمام أصحاب الدراسات النقدية الحديثة[1]، منطلقين في فهم النص وتفسيره في الاستقراء الموضوعي للشعر العربي الموروث القائم على دراسة الاثرين: بيئة الشاعر، ونفسيته واثرهما في ولادة الابداع الشعري، والاستقراء الموضوعي والتفسير الرمزي للشعر الموروث القائم على كشف جملة من الايحاءات التي تحرك انفعال الشاعر لحظة انجاز عمله الابداعي الفني في استهلاله للقصيدة، وتبقى مقدمة القصيدة ذات وشيجة بموضوعها الخاضع للدافعين النفسي والفني في قول الشعر. ومن اصناف المقدمات التي وردت في قصائد أبي طالب الطويلة بحسب أهميتها:

ـ وصف الهموم والشكوى:

إنَّ امرأ القيس[2]، والنابغة الذبياني[3] لهما السبق في هذا النمط من التقديم، فقد

---

(١) ظ: قراءة معاصرة في مقدمة القصيدة الجاهلية (بحث): ٥، جمع: د. محمود الجادِر آراء الدارسين المحدثين.

(٢) ظ: ديوان امرىء القيس: ١٠٩، ١٨٥، ١٨٩، ٧٩.

(٣) ظ: ديوان النابغة الذبياني: ٤٠ – ٤١، ٦٧، ٧٢.

يلجأ الشاعر في ادائه الشعري الى هذا اللون من التقديم بحسب تجاربه الشعرية التي يمر بها، وفيه يجد متنفسا لبث همومه ومعاناته وحزنه وقلقه وحيرته التي استوعبتها تجربته الشعرية بهذا القالب الفني، فقدم أبو طالب خمس قصائد بها[1].

وصورة الليل احدى مقومات وصف الهموم، فهو يوحي بالهموم التي تعتصر النفس الانسانية، وفي مناجاته وبث الشكوى يجد الشاعر منفذا واسعا للتعبير عن ازمته النفسية التي تعتريه لحظة ابداعه الشعري، ويبقى الباعث الموضوعي للقصيدة الدافع الى اختيار هذا النمط الفني من التقديم الذي يتناسب مع تجربته الآنية، ويطالعنا أبو طالب الذي وجد في هذا التقليد الفني طابعا لبث شكواه ومعاناته وأرقه اكثر من أي ضرب اخر من المقدمات فافصح عن مشاعره، وصرح بآلامه وهمومه، مما جعل هذه المقدمات تتصف بالتفصيل في بيان سبب معاناته، لأنَّه فقد الاستكانة والراحة،بسبب همّ ذوي القربى من قريش الملازمين العداء لابن أخيه رسول الله محمد ﷺ، ولهذا لفت الشاعر الاحزان حتى اخر الليل، فقال في قصيدته الميمية وهو يسفه احلام قومه:

{من الطويل}

ألا مَنْ لهَمٍّ آخرَ اللَّيلِ مُعتمِ ... طواني وأُخرى النجم لمَّا تقحَّمِ

طواني وقد نامتْ عيونٌ كثيرةٌ ... وسامرُ أُخرى قاعدٌ لم يُنوَّمِ

لأحلامِ أقوامٍ أرادوا محمداً ... بظُلْمٍ ومَنْ لا يَتَّقي البغيَ يَظلِمِ[2]

إنَّ الانفعال النفسي للشاعر من حزن وخوف وقلق على ابن أخيه دفعه الى

---

(١) ظ: الديوان: ٧٠- ٧٣، ٩٥، ١١٥، ١٢١، ١٢٣.

(٢) الديوان: ١٢٣.

التفصيل في ذكر مقومات هذا التقديم، فقد واكبت الشاعر الأحزان حتى اخر الليل المظلم، وحين ظل اخر نجم في السماء ولما يغب، وهو يرعاه حين كانت عيون الناس نائمة، وما يقض مضجع الشاعر ويقلقه ما يحلم به أناس من قتل محمد جهلا وظلما، وهكذا يتنامى الأداء في مقدمة وصف الهموم وبث الشكوى إلى بيان بواعثها حتى يصل الشاعر الى موضوعه في دفاعه وذوده عن رسول الله[1].

ويلحظ في المقدمة المضمون الإسلامي الجديد الذي يمتزج فيه معاني ما قبل الإسلام بالمعاني الإسلامية، وهكذا استوعبت هذه المقدمة تجربته الشعرية من همه وخوفه وقلقه على رسول الله ﷺ من عيون الأعداء المتربصين لقتله، فارتبط الموقف النفسي المتعب بالليل ووصف الهموم والشكوى، وهذا ديدن أبي طالب، فهو دائم الخوف على ابن أخيه، فقال في قصيدته الميمية الأخرى التي يخاطب بها قريشاً ويذكر ظلمهم وعقوقهم وحصارهم له ولعشيرته الاقربين في الشِّعب:

{من الوافر}

أرقْتَ وقد تَصَوَّبَتِ النُّجومُ	وبتَّ وما تُسالِكَ الهُمُومُ
لظُلْم عشيرةٍ ظَلَموا وعَقُّوا	وغبُّ عُقوقِهم كَلأٌ وَخِيْمُ
هُمُ انتهكوا المحارمَ من أخيهم	وليس لهم بغيرِ أخٍ حَرِيْمُ
إلى الرّحمن والكَرَم استذمُّوا	وكلُّ فَعَالهم دَنِسٌ ذَمِيْمُ[2]

سيطر الهم على الشاعر؛ لأن من يظلمه قومه، ولو كانوا غرباء عنه لما سيطر عليه الهم؛ لان ذلك يعني الضعف، وهو لايريد ذلك، فكأنَّ عدم النوم يحفز في

(١) ظ: م.ن: ١٢٣- ١٢٥.

(٢) ظ: الديوان: ١٢١.

نفوس قومه روابط الاخوة، فلعلهم يكفون عنه ظلمهم وعقوقهم وعدوانهم.

إنَّ همَّ الشاعر ليس هما شخصيا، وانما همه هم قضية من اجل الدين الجديد، في الحفاظ على رسول الله ودعوته الإسلامية، وهذا من جديد مضمون هذه المقدمة، وان إشارة الشاعر الى سهره حتى أفول النجوم، وبقاء همومه تحاربه دلالة واضحة على التأمل والتفكير في معالجة موضوعة، معللا سهره بسبب اضطهاد قريش لصاحب الرسالة، فتتنامى المقدمة في التعريض ببعض بطون قريش لظلمهم وعقوقهم، لأنهم انتهكوا محارم الله وعقوا في تركهم صلة الرحم، وما فعلوه يذمهم عليه الرحمن وهذه المعاني أيضاً من المضامين الإسلامية الجديدة التي استوعبت أزمة الشاعر النفسية بهذا التقديم، فكان امتدادا لموضوعه. وتعددت هذه المقدمة في المضمون نفسه في قصائد أخرى[1]، جسد أبو طالب فيها حمايته لرسول الله ونشر الدعوة، ومما يعلل كثرتها ذلك بان من يعادي أبا طالب هم قومه وهذا يستدعي الهم الذي استوعبه هذا التقديم.

ويتخذ طابع بث الهموم سبيلا إلى الشكوى إلى الاخِلاء، وبما أنَّ أبا طالب المؤيد والناصر والحامي لدين الله ورسوله ﷺ، فهو يشكو ظلم قريش في معاداتهم لنبي الله ولدينه الجديد، مخاطبا خليلين له، ليجد منفذا للترويح عن نفسه وتبديد معاناته، مبينا لصاحبيه بأنه لا يصغي لأقوال بعض قريش في محبته لرسول الله ونصرته له وتفاديه دونه، وانما يُحكِّم عقله ووجدانه، لان نفسه غير مستعدة لقبول العذل من أحد والإصغاء له، لأنه يعتقد بان الانسان الواحد ربما يكون له رأيٌ صحيح من غير مشاركة احد له، فصاحب الرأي أدرى من غيره، ومع مقاطعة قومه

---

(١) الديوان: ٩٥، ١١٥، ١٢٣.

له، وعداوتهم ومخاصمتهم بالوسائل كلها، فقد حبس نفسه عن اذيتهم صبرا، واحضر أخوته وأبناء عشيرته حول البيت مستعيذا بجميع مقدسات قريش والعرب؛ لأنه معني ببيان موقف زعماء قريش الذين تحالفوا ضده ومن اتبعه من عشيرته الاقربين، فقطعوا عرى القرابة، فلابأس أن يتعوذ بألوان التعويذات التي عهدتها قريش والعرب، فقال:

{من الطويل}

خليليَّ ما أُذني لأوَّلِ عاذلٍ ... بصغواء في حقٍّ ولاعندَ باطلِ

خليليَّ ان الرأي ليسَ بِشرْكَةٍ ... ولا نُهْبَةٍ عند الأُمورِ التَّلاتِلِ

ولَّما رأيتُ القوم لا وُدَّ فيهم ... وقد قَطَعُوا كلَّ العُرى والوسائلِ

وقد صارحونا بالعَداوَةِ والأذى ... وقد طاوعوا أمرَ العُدوِّ المزايلِ

وقد حالَفوا قوماً علينا أظنَّةً ... يَعَضُّونَ غَيْظاً خلفنا بالأناملِ

صبرتُ لهم نفسي بصفراءَ سمحةٍ ... وأبيضَ ماضٍ من تراثِ المقاوِلِ

وأحضرتُ عند البيتِ رهطي وأخوتي ... وأمسكتُ من أثوابِهِ بالوَصائلِ

قياماً معاً مُستَقبلينَ رتاجَهُ ... لدى حيثُ يَقْضي نُسكَهُ كلُّ قافِلِ

وحيثُ يُنيخُ الأشعرونَ رِكابَهم ... بمُفضي السُّيولِ من أسافِ ونائلِ

....

أعوذُ بربِّ الناسِ من كلِّ طاعنٍ ... علينا بشرٍّ أو مُلحقٍ باطلِ

ومن كاشحٍ يسعى لنا بمعيبَةٍ ... ومن مُفترٍ في الدين ما لم نُحاوِلِ

وثَورٍ ومَنْ أرسى ثَبيراً مكانَهُ ... وعَيْرٍ وراقٍ في حِراء ونازِلِ

وبالبيتِ رُكنُ البيتِ من بطنِ مَكَّةٍ ... وباللهِ إنَّ اللهَ ليس بغافلِ

وبـــالحَجَرِ المُـــسوّدِّ إذ يمـــسحونهُ إذا اكْتَنَفُــوه بالـــضُّحى والأصـــائلِ
ومــوطىء إبــراهيم في الــصَّخر وَطــأَةً عـــلى قَدَميْـــهِ حافيـــاً غـــير ناعـــلِ
وأشـــواطِ بـــينَ المــروتينِ الى الــصَّفا ومـــا فـــيهما مـــن صـــورةٍ وتَماثـــلِ
ومـا حـجَّ بيـتَ اللهِ مـن كـلِّ راكـبِ ومـن كـلِّ ذي نـذرٍ ومـن كـلِّ راجِـلِ
وبالمَـشعَرِ الاقـصى إذا عَمَـدوا لـه إلالاً الى مُفـضى الـشِّراج القوابـلِ
وتَوقـافِهم فـوقَ الجبـالِ عـشيَّةً يُقيمـونَ بالأيـدي صُـدورَ الرَّواحـلِ
وليلـةِ جمـعٍ والمنـازلِ مـن مِنـى ومـا فوقَهـا مـن حُرمـةٍ ومَنـازلِ
وجمـعٍ إذا مـا المُقرَبـاتُ أجزْنَـهُ سراعـاً كـما يَفـزَعنَ مـن وقْـعِ وابـلِ
وبـالجمرةِ الكـبرى إذا صَـمَدوا لهـا يؤمُّـون قـذفاً رأسـها بالجنـادلِ
وكِنْـدَةَ إذا ترمـي الجِـمارَ عـشيَّةً تُجـيرُ بهـا حُجَّـاجَ بكـر بـن وائـلِ
حَليفـانِ شـدَّا عَقْـدَ مـا احْتَلَفـا لـه وردَّا عليـه عاطفـاتِ الـذّلايلِ

....

فهـل فـوق هـذا مـن معـاذٍ لعائـذٍ وهـل مـن مُعيـذٍ يَتَّقـي اللهَ عـاذلِ
يُطـاعُ بنـا الأعـداءُ وَدُّوا لـو أنَّنـا يُـسَدُّ بنـا أبـوابُ تُـركٍ وكابُـلِ(1)

اخذ الشاعر حديث الشكوى عن العاذل والعذل سبيلا للولوج إلى هذا

---

(1) الديوان: ٧٠- ٧٣، المقاول: اباؤه شبههم بالملوك، الرّتاج: الباب العظيم، إساف ونائل: صنمان، الكاشح: الذي يضمر العداوة، الشراج: مفردها الشرج، وهو مسيل الماء، الجنادل: الصخور، ثور وثبير وحراء: جبال في مكة، ظ: معجم البلدان:٢/ ٧٣، ٨٦، ٢٣٣، كندة: اسم قبيلة، ظ: جمهرة انساب العرب: ٢/ ٤٧٧، بكر بن وائل من بني ربيعة من عدنان وهو جد جاهلي، ظ: م.ن: ٢/ ٣٠٠، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٧.

النمط من الأداء، ليدلف من خلاله إلى بيان معاناته تجاه زعماء قريش، وهو يعاتبهم لكف اذاهم عن رسول الله صلى الله عليه وآله[1].

بذل الشاعر في هذا الضرب من التقديم جهدا فنيا كبيرا بذكر تفاصيل المقدمة وأجزائها التي بلغت ثلاثين بيتاً وفيها مال الشاعر الى التأني في وصف جزيئاتها بعناية وإمعان شديدين، وامتزجت المعاني غير الإسلامية بالمعاني الإسلامية، فاقتبس من التعبير القرآني ﴿أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾[2] وجنح الى تعبيرات الحياة اليومية الإسلامية الجديدة: «أعوذ...من مفتر في الدين، وبالله ان الله ليس بغافل، مُعيذٍ يتقي الله»، التي تزاوجت مع المضمون الإسلامي الجديد للمقدمة، فمال الشاعر الى الحكمة؛ لانه يتروى في الامور ويتبع ما يرشده العقل والوجدان في محبته لرسول الله ونصرته، ومؤازرته، والدفاع عنه، والذود دونه، ولا تأخذه أهواء العصبية الجاهلية في محاربة أعداء الرسالة، وإنما حمل نفسه على التجمل بالصبر، فاستقطبت الشكوى الآثار النفسية لشاعر تجاه قريش المناهضين للدعوة الإسلامية وحاملها رسول الله صلى الله عليه وآله.

وقد أفضى هذا التقديم ـ بعد أن تعوذ الشاعر بحرم مكة وبمكانه منها، تودد إلى أشراف قريش يخبرهم انه غير مسلِّم رسول الله ولا تاركه أبدا حتى يهلك دونه ومن قومه من بني هاشم وعبد المطلب ليمتد المضمون في تنمية القصيدة إلى الفخر بقومه، ومديح رسول الله إلى اخره[3].

وهذا اللون من التقديم تأصيل لمضمون المقدمات الإسلامية، بمعنى تأسيس

---

(١) ظ: الديوان: ٧٦- ٨١.

(٢) الناس/ ١.

(٣) ظ: الديوان: ٧٤- ٨٥.

لمضمون أدبي لاحق سار عليه شعراء الإسلام بعد أبي طالب، وهو التزام فني بالخط المناصر لرسالة الموسومة بالطابع الديني الجديد.

ـ الطلل:

تعد المقدمة الطللية من اشهر المقدمات شيوعا في الشعر العربي قبل الإسلام وفيها يجد الشاعر متنفسا لما يختلج في خلده وبما يدور في ذاكرته من ذكريات تحمل الاسى والشجن الماضيين، يحاول الشاعر استعادتها بهذا القالب الفني في عمله الابداعي، على ان هذا التقديم له وشيجة بموضوع القصيدة الذي يكون الشاعر في صدد الحديث عنه.

وقد أرسى شعراء قبل الإسلام أصول هذا التقديم ورسومه الفنية، وحرصوا على المحافظة على مقوماته في اقدم ما آثر في مطولاتهم، فألموا بمعظم تفصيلاته، وهكذا تباينت صورة الطلل في مقدمات الشاعر الواحد؛ لأن كل افتتاح له مزاياه الخاصة التي تخالف الافتتاح الآخر.

ثم جاء الشعراء المخضرمون من بعدهم فحرصوا على ما يحاكونه من الشعر العربي الموروث، فاحتذوا حذوه، فتصدرت قصائدهم بهذا التقديم[1]، ولا فرق بين شعراء المدن وشعراء البادية في استيفائهم لمقومات المقدمة الطللية ، فشعراء المدن لم يستطيعوا التحلل من التقاليد الفنية البدوية المرسومة ، ولم يخرجوا عليها بحيث يبتدعون نظاما جديدا لمقدمات قصائدهم تغاير في نظامها مقدمات

---

(١) ظ:مقدمة القصيدة العربية في الشعر الجاهلي:١١٦– ١١٧، مقدمة القصيدة العربية في صدر الإسلام:٢٩.

شعراء البادية[1].

ومن المعروف ان أبا طالب من شعراء المدن، فقد عاش في مكة التي تتسم حياتها بالاستقرار والثبات، وهذا الاطار الفني من التقديم المرتبط بحياة التنقل والترحال من مكان الى اخر سعيا وراء الكلأ والماء، لا يتناسب مع حياة مكة المرتبطة اجتماعيا بحياة الحاضرة العربية، وحياة التمدن والاستقرار، بيد أنَّ أبا طالب لم يعزف عن وصف الأطلال والديار تقليدا ومحاكاة لمقدمات غيره من شعراء البادية من باب المجاز؛ لأنَّه «لا معنى لذكر الحضري الديار إلا مجازا»[2].

وهذا الأمر يفسر قلة هذا الإطار من التقديم في قصائده الشعرية الذي كان الدافع الى هذا اللون من التقديم محاكاة الموروث الشعري الفني المرسوم، ولهذا جاز ان نقول ان هذا التقديم يتوافر فيه الصدق الفني، وليس الصدق الواقعي، فافتتح أبو طالب قصيدته الميمية الفريدة بوصف الاطلال، وهو يفتخر ويشكو ظلم قومه[3]، فقال:

{من الطويل}

لمن أَرْبُعٌ أقوينَ بين القَدائمِ ... أَقَمْنَ بمدحاةِ الرياحِ الرّمائمِ

فكلِّفتُ عينيَّ البُكاءِ وخِلتُني ... قد انزفتُ دمعي اليومَ بين الأصارِمِ

وكيفَ بُكائي في الطُّلولِ وقد أتتْ ... لها حِقبٌ مُذ فارقَتْ أمَّ عاصمِ

غِفارِيَّةٌ حَلَّت ببولان حُلَّةً ... فينبُعَ أو حلَّتْ بهضب الرَّجائمِ

---

(١) ظ: مقدمة القصيدة العربية في الشعر الجاهلي: ١١٦- ١١٧

(٢) العمدة: ١/ ٢٢٦.

(٣)ظ: الديوان: ١٢٦- ١٢٧.

فـدعْها فقـد شـطَّتْ بهـا غُربـةُ النَّـوى وشَـعْبٌ لـشتَّ الحـيِّ غـير مُلائـمِ[(١)]

رسم أبو طالب صورة الطلل التقليدية واخضعها لاثار حديث الذكرى، ووجه عنايته الفنية ـ التي دفعته الى الاطالة ـ الى الوصف الذي اتخذ اطار الاستفهام جزءا من طوابعه؛ لأن صيغ الاستفهام احدى مستلزمات المنهج الوصفي للطلل، وهو الاداة المحركة لتنشيط الذاكرة عند الشاعر، فحركت فيه الشجون والالم، ورأى الشاعر الرياح تعصف بالديار، فغيرت من معالم آثارها ومحتها،مما بعث في نفسه الشجن لفراق ام عاصم.

والمرأة هي البعد الثاني الذي يفضي اليه حديث الطلل، لقد فارقها الشاعر منذ حقبة من الزمن محددا اماكن اقامتها ابتداءً بموضع الطلل الذي كانت تسكن فيه ام عاصم، وهو «القوائم»، ويتدرج إلى أسماء الاماكن والمواضع التي حلت بها، فتخير منها «بولان، فخلَّة، فينبع»، او حلت بهضب الرجائم؛ لانه غير متيقن من مكان صاحبته الجديد، واكتفى الشاعر بهذا الحديث عن صاحبته من أنَّها من بني غفار، وحدد الأماكن التي نزل قومها بها، بيد ان ذكرها أجهد نفس الشاعر، ولكي يتخلص من معاناته ترك أمر ذكرها؛ لأنَّ البعد حال بينهما ليتخلص بعد ذلك الى عتاب قومه والشكوى منهم، والفخر بنفسه في نصرة رسول الله ﷺ ومديحه له[(٢)].

---

(١) ظ: الديوان: ١٢٦– ١٢٧، أقوين: خلون، رمائم: تكنس كل شيء، الأصارم: مفردها الصَّرم: وهو الجماعة، والشَّعْب: القبيلة والحي العظيم، غِفار بن مُليل قبيلة من كنانة، ظ: جمهرة انساب العرب: ٢/ ٤٦٥، بولان: موضع على طريق الحاج من البصرة، ظ: معجم البلدان: ١/ ٥١١، خِلة: قرب عدن في اليمن، ظ:م.ن: ٢/ ٣٨٥، يَنْبُع: موضع على طريق من المدينة الى البحر، ظ: م.ن: ٥/ ٤٤٩– ٤٥٠، الرجائم: هضبات حمر، ظ: م.ن: ٣/ ٢٧.

(٢) ظ:الديوان: ١٢٧– ١٢٨.

إنَّ هذا اللون من التقديم استوعب تجربة الشاعر في حبه لعشيرته من بني غالب بن لؤي، وعزمه على مفارقته لهم، لأنهم اعلنوا عداءهم لرسول الله وتنحوا عن اتباعه[1] ففارقهم، وواصل مسيرته في نصرته ومؤازرته، وقد دفعته عنايته الفنية بهذا التقديم بالمامه بتفاصيل الطلل، وذكر اغلب مقوماته في الوقوف عليه، والاستفهام عن اهله الراحلين عنه، وتقادم عهد الطلل به، وتعاور الرياح عليه، وذكر صاحبته والمواضع التي كانت تسكنها مع قومها، والاماكن والمواضع التي حلت بها وانتقلت عنها؛ ليجد الشاعر متسعا من التنفيس عن معاناته التي ارتبطت بشكل وثيق مع قومه من بني غالب بن لؤي وعتابهم والشكوى منهم، وفي ذلك كله كان أبو طالب مستوعباً لتراث أسلافه.

ومن الجدير ذكره أنَّ قصائد أبي طالب ذوات المقدمات تخلو من لوحة الرحلة، وهذه الظاهرة الفنية لا يتميز بها شعر أبي طالب فحسب؛ وإنما شعر قريش[2]، ويبدو أنَّ هناك بعض العوامل تضافرت في عزوف أبي طالب عن ذكر لوحة الرحلة بعد التقديم، ومنها النفسية والبيئية والاجتماعية.

إنَّ إغفال الشاعر عن لوحة الرحلة والولوج إلى موضوعه بعد التقديم ناتج من الحالة النفسية التي يحياها الشاعر ساعة إبداعه الشعري التي جعلته يعزف عن ذكرها؛ لأنه ليس له حاجة بها، وان ذكر لوحة الرحلة تتناسب مع شعر شعراء البادية اكثر من شعر شعراء الحاضرة، ومن المعروف ان أباطالب زعيم قومه وحاكمهم في

---

(١) ظ: م.ن: ١٢٧.

(٢) ظ: شعر قريش في الجاهلية وصدر الإسلام (اطروحة): ١١٠- ١٢٤، عزوف الباحث عن دراسة هذه اللوحة بعد بحثه عن المقدمة.

مكة، فهو ليس من المادحين الذين رحلوا بشعرهم، وانما مدح من ارتبط به بصلة النسب ابن أخيه رسول الله ﷺ ومن ناصره ووقف الى جانبه وهم من أهل مكة ومن حق الشاعر ان يختار القالب الفني الذي يتناسب مع طبيعة انماط موضوعاته الشعرية المتطورة والجديدة التي هو في صدد الحديث عنها، فوجد في اختزال لوحة الناقة انجازا يخدم عمله الشعري، فلم يلتزم بهذه التقاليد الفنية المرسومة للوحة الناقة.

ـ الغرض:

يعد الغرض الركيزة الاساس لبنية القصيدة، فهو الجزء المهم من اجزائها التي استوعبت الحدث الباعث لفن قول الشعر، وفيه خلاصة تجربة الشاعر الآنية، وقد تباين الموضوعات المطروقة في شعر الشاعر الواحد لتباين تجاربه وانفعالاته.

ان قصائد أبي طالب ذوات المقدمات نهضت بمهمة الغرض غير المباشر، وفي الوقت نفسه جاءت القصائد المباشرة تتويجاً للجهد الفني المبذول في عزوفه عن التقديم للقصيدة تبعا لبواعثه النفسية وتجاربه الشعرية الذي هو في صدد الحديث عنها.

ويسلك أبو طالب انواعا مختلفة في بناء قصائده منها ما يضم موضوعا واحدا في بنائها سواء أكان تقليديا ام متطورا أم متجدداً ينصرف فيه لوجه واحد من فن القول، ويدعى بالغرض البسيط[1]، ومنها ما يضم اكثر من موضوع في القصيدة الواحدة في بنائها، لانصراف الشاعر فيها لأكثر من وجه في فن القول ويُدعى بالغرض المركب[2]، وهاتان الظاهرتان الأدبيتان للبناء الفني نجدهما في القصائد

---

(١) و (٢) استعمل هذين المصطلحين حازم القرطاجني، فقال ما نصه: «والقصائد: منها بسيط الاغراض، ومنها مركبة: والبسيطة مثل القصائد التي تكون مدحا صرفا او رثاء صرفا، والمركبة هي التي يشتمل الكلام فيها على غرضين مثل أن تكون مشتملة على نسيب ومديح» منهاج البلغاء وسراج الأدباء: ٣٠٣.

ذوات المقدمات والقصائد المباشرة في آن معا.

وتدخل ضمن القصيدة المباشرة المقطعات المستقلة بذاتها، والاراجيز، فهما يندرجان ضمن هيكل بناء القصيدة المباشرة؛ لانهما يمثلان مظهرا من مظاهر وحدة الموضوع في الاداء للمزايا التي يقومان عليها، فكلاهما من نتاج لحظة الانفعال السريع، ولنزوعهما من التقديم.

ـ بناء تعدد الموضوعات في القصيدة الواحدة :

اقترنت قصيدة المديح بنصرة رسول الله ﷺ ودعوته الإسلامية وموضوعها جزءٌ لا يتجزأ من بناء القصيدة العام بيد أنَّها ضمت في الوقت نفسه عددا من الموضوعات التقليدية المتباينة، فارتدت حلة جديدة ضمن التزام أبي طالب لنمط فني في بناء اطارها لم يكن معهودا قبله عند غيره من الشعراء.

إنَّ تعدّد الموضوعات الشعرية داخل بناء القصيدة التي اصابها التطوير والتحوير والتغيير تارة، والتجديد تارة اخرى، تشكلت في بناء القصائد ذوات المقدمات وعلى انماط مختلفة في الترتيب نتبين احدى هذه الانماط على سبيل التمثيل في إنموذج القصيدة اللامية التي تتدرج فيها الموضوعات الاتية: النصرة، والعتاب، والمديح، والفخر.

مهّد أبو طالب في قصيدته اللامية بثلاثين بيتا في الشكوى والاستعاذة بحرم بيت الله، وبمقدسات قريش والعرب جميعا، واحتلت لوحة الغرض واحدا وثمانين بيتا تقاسمتها فنون الشعر المختلفة من نصرة رسول الله والمديح، و الفخر، والعتاب.

إنَّ خشية أبي طالب من أن تعاضد العرب قريشا على قتل رسول الله ﷺ كان السبب في انشاء القصيدة أيام حصار قريش لبني هاشم وعبد المطلب المؤيدين

والمناصرين لرسول الله ودعوته في شِّعب أبي طالب، ويشمل بناء غرض القصيدة ما يأتي:

تصدرت القصيدة بعد التمهيد لها بنصرة أبي طالب وأهله وعشيرته المقربين والحماة لرسول الله ولرسالته، فهم سيبقون مقيمين في مكة يقاتلون دون نبي الله بسيوفهم ورماحهم مداومين على نصرته حتى فناء آخر فرد منهم ضد أعدائه ويتقدمهم فتى شريف وسخي وشجاع انه الأمين على الحريم والذمار محمد رسول الله ﷺ على أن الحرب لو بدأت ستدوم شهورا وأياما وسنين حتى تضع الحرب أوزارها ويفتح الله عليهم بالنصر، فقال:

{من الطويل}

كذبتم -وبيتِ الله- نترك مكةً	ونظعنُ، الا أمُركم في بلابِلِ
كذبتم -وبيتِ الله- نبرا محمداً	ولمّا نُطاعِنْ دونَه ونُناصِلِ
ونُسْلِمهُ حتّى نُصَرَّعَ حولهُ	ونَذهَلُ عن أبنائنا والحلائلِ
وينهض قومٌ في الحديد إليكم	نهوض الرّوايا تحتَ ذاتِ الصَّلاصِلِ
وحتّى يُرى ذو البغي يركبُ رَدْعَهُ	من الضِّغنِ فعل الأنْكَب المُتحامِلِ
وإنا لَعَمرُ الله إنْ جدَّ ما ارى	لَتَلْتَبسنْ أسيافُنا بالأماثلِ
بكفِّ فتىً مثل الشُّهابِ سَمَيْدَعٍ	أخي ثقةٍ حامي الحقيقةِ باسلِ
شهورا واياماً وحولاً مُجَرَّماً	علينا وثاني حجّةٍ بعد قابلِ
وما تَركُ قومٍ -لا أبا لك- سيِّداً	يحوطُ الذِّمارَ غيرَ ذربٍ مُوَاكِلِ[1]

---

(١) الديوان: ٧٤-٧٥، الروايا: الإبل التي تحمل المياه، الصلاصل: المزادة ينتقل بها الماء،الضغن: الحقد، السميدع: السيد، الذرب: الفاحش.

حشد أبو طالب كثيرا من التفصيلات التي سردها في اطار فني في حفاظه على رسول الله وتحديه لقريش، ومقاتلتهم فيما لو أُشعل فتيل الحرب بين عشيرة الرسول وبين اشراف مشركي قريش، وكان هذا التمهيد في فداء رسول الله والذود عنه سبيل أبي طالب الى بيان معجزته في مديحه ليبين صدق دعواها التي يعرفها مشركو قريش، فبوجه رسول الله يُستسقى الغمام، وهو ملاذ الفقراء والمساكين من بني هاشم فقال:

{من الطويل}

وابيضَ يُستَسْقَى الغَمامُ بوجهِهِ ... رَبيعِ اليتامى عِصْمَةً للأراملِ
يلوذُ بهِ الهُلاكُ من آل هاشمٍ ... فهم عنده في نعمةٍ وفواضلِ[1]

لم يطل أبو طالب في مديح رسول الله؛ لأنّه في صدد بيان حجته على تأييده ونصرته؛ ولأنّه مشدود بوعيه لمخاطبة اشراف قريش معاتبا لهم في استمرار عداوتهم له ولرسول الله، واصرارهم على هذا الامر، فقال :

{من الطويل}

لعمري لقد أجرى أُسيدٌ ورَهطُهُ ... إلى بُغضنا وَجزاً بأكلة آكلِ
جَزَتْ رَحِمٌ عنا أُسيْداً وخالداً ... جزاءَ مسيءٍ لا يؤَخَّرُ عاجلِ
وعثمان لم يربَعْ علينا وقُنفُذٌ ... ولكنْ أطاعا أمرَ تلك القبائلِ
أطاعا بنا الغاوينَ في كلِّ وجهةٍ ... ولم يَرقُبا فينا مقالةَ قائلِ
كما قد لَقِينا من سُبَيْعٍ ونوفلٍ ... وكُلٌّ تولّى مُعرِضا لم يُمايلِ
فإن يُقْتَلا أو يُمْكنِ اللهُ منهما ... نكِلْ لهما صاعا بكيلِ المُكايلِ

---

(١) الديوان: ٧٥.

وذاك ابـــو عمـــروٍ أُبي غـــير مغـــضبٍ ... لِيُظْعِننـــا في أهـــلِ شـــاءٍ وجامـــلِ

ينـــاجي بنـــا في كـــلِّ ممـــسىً ومـــصبحٍ ... فنـــاجِ أبـــا عَمْـــرٍو بنـــا ثـــم حامـــلِ

ويُقـــسِمُنا بـــالله مـــا إنْ يغـــشّنا ... بـــلى قـــد نـــراهُ جهـــرةً غـــير خاتـــلِ

أضـــاقَ عليـــهِ بُغـــضنا كـــلَّ تَلْعَـــةٍ ... مـــن الأرضِ بـــينَ أخْـــشَبٍ بالأجـــادِلِ

وســـائلْ أبـــا الوليـــد مـــاذا حَبَوْتَنـــا ... بـــسعيك فينـــا مُعْرضـــاً كالمخاتـــلِ

وكنـــتَ أمـــرءاً ممـــن يُعـــاش برأيـــه ... ورحمتـــه فينـــا ولـــستَ بجاهـــلِ

وعُتْبَـــةُ لا تـــسمعْ بنـــا قـــولَ كاشِـــحٍ ... حَـــسودٍ كـــذُوبٍ مُـــبْغِضٍ ذي دَغَـــاوِلِ

وقـــد خِفْـــتُ إن لم تَزدَجِـــرْهم وتَرعـــوُوا ... نُلاقـــي ونلقـــى منـــكَ إحـــدى البلابـــلِ

ومـــرَّ أبـــو ســـفيان عنّـــي مُعرِضـــاً ... كأنّـــكَ قَيْـــلٌ في كبـــار المَجَـــادِلِ

....

أمُطعِـــمُ لم أخـــذُلكَ في يـــوم نجـــدةٍ ... ولا عنـــد تلـــك المُعظَّـــماتِ الجلائـــلِ

ولا يـــومَ قـــصمٍ إذ أتـــوكَ ألـــدَّةً ... الى جـــدلٍ مـــن الخـــصومِ المـــساجِلِ

أمُطعِـــمُ أن القـــومَ ســـامُوكَ خُطَّـــةً ... وإنّي متـــى أوكَـــلْ فلـــستُ بآيـــلِ

جـــزى الله عنـــا عبـــد شـــمس ونـــوفلاً ... عقوبـــةَ شرٍّ عاجـــلٍ غـــير آجـــلِ

بميـــزانِ قـــسطٍ لا يغـــيضُ شـــعيرةً ... لـــه شـــاهدٌ مـــن نفـــسهِ حـــق عـــادِلِ[1]

اشبع ابو طالب موضوعه كثيرا من الجزئيات المفصلة لمواقف الاشخاص الفردية او الجماعية في تألبهم لعداء رسول الله، ودعوته الإسلامية في اطار فني محكم

(١) م.ن: ٧٥- ٨٠، التلعة: ما شرف من الارض، الأخاشب: وهي جبال مكة، ظ: معجم البلدان: ١/١٢٢.

ومتسلسل، فوجه خطابه الى اشراف قريش بذكر اسمائهم واحدا واحدا، متوددا ومعاتبا تارة، وداعيا عليهم بشر اعمالهم وسوء افعالهم تارة اخرى، وكان من دواعي هذا الامر ان يلج الى موضوع الفخر لئلا يظن اشراف قريش ان أبا طالب في عتابه وتودده لهم انه في حال من الضعف والانكسار، ولا سيما ان مكوثهم في الشعب قد طال أمده؛ فكان الفخر والزهو بمثابة المعادل الموضوعي لذلك؛ ولكي يحقق سلسلة الاتصال في اندماج الموضوعات التي يفضي بعضها الى البعض الاخر ضمن البناء العام للقصيدة، فخر الشاعر بأصالة نسبه الهاشمي، وبمكانتهم الاجتماعية في توليهم الوظائف الادارية فقال:

{من الطويل}

ونحنُ الصَّميمُ من ذؤابة هاشمٍ   وآل قُصَيٍّ في الخطوب الاوائلِ
وكان لنا حوضُ السِّقايةَ فيهم   ونحنُ الذُّرى منهم وفوق الكواهلِ[1]

كان أبو طالب ثقيل النفس على اشراف قريش الذين تألبوا في عدائهم لرسول الله ولناصره فبعد عتابه لاشراف قريش ومفاخرته بمكانة الهاشميين السامقة فيهم، وجد انه لم يستكمل عتابه مع بقية بطون قريش؛ ليحقق الصلة في تلاحم سلسلة موضوعات القصيدة[2]، فقال معاتبا إياهم:

{من الطويل}

وسهمٌ ومَخزومٌ تَمالوا وألَّبوا   علينا العِدا من كلِّ طفلٍ وحاملِ

---

(١) الديوان: ٨٠.

(٢) ظ: م.ن: ٨١- ٨٢.

وشـايظُ كانـت في لـؤيٍّ بـن غالـبِ نفـاهم إلينـا كـلُّ صـقرٍ حُلاحِـلِ

ورهـطُ نُفيـل شرُّ مَـنْ وَطِـىءَ الحـصى وألأم حـافٍ مـن مَعَـدٍّ وناعـلِ

فَعَبْـدَ مَنَـاف أنـتم خـيرُ قـومكم فـلا تـشركوا في أمـركم كـلَّ واغـلِ(١)

ويبدو ان القصيدة نظمت في وقت متـأخر مـن حـصار الـشعب الـذي امـده ثلاث سنين(٢)، والذي يعاضد رأينا أنَّ زهـير بـن أبي أميـة أول مـن سـعى الى نقـض الصحيفة(٣) قبل انتهاء مدة الحصار، فمدحه أبو طالب ثناءً لعمله، وليوازي بين فعـل زهير الجليل وعمل بطون قريش حين اجتمعت على المقاطعـة، وليحقـق الـصلة بـين أجزاء بناء القصيدة العام، فمدحه شكرا وعرفانا لصنيعه، فقال:

{من الطويل}

فـنَعم ابـنُ أُخـت القـومِ غـيرَ مُكَـذَّبِ زهـيرٌ حُـسَام مُفـردٌ مـن حمائـلِ

أشـمّ مـن الـشُّمّ الطـوال إذا انتمـى نفـي حَسَبٍ في حَومَـة المجـدِ فاضـلِ(٤)

ولم يستوفِ أبو طالب مديح رسول الله ﷺ في ما مضى؛ لانه كان في معـرض بيان معجزته لمشركي قريش، فوقف مادحا في بيان حبه وكلّفه ووجده بـه، والاشـادة بفضائله في حلمـه ورشـده وعدلـه وموالاتـه لله وحـده، وبـما اصـطفاه الله بالتأييـد

(١) م.ن: ٨١.

(٢) ظ: الطبقات الكبرى: ١/ ١٨٨.

(٣) ظ: السير والمغازي: ١٦٥ - ١٦٦، التبيين في انساب القرشيين: ٣٣٠، (قصة نقض الصحيفة).

(٤) الديوان: ٨٣، زهير بن أبي أمية بـن المغـيرة بـن عبـد الله بـن عمـر بـن مخـزوم، وأمـه عاتكـة بنـت عبدالمطلب، وهي أخت أبي طالب وعمة الرسول ﷺ، ظ: الـسيرة النبويـة لابـن هـشام: ١/ ٢٨١-٢٨٢، التبيين في أنساب القرشيين: ٣٣٠.

والنصرة، فقال:

{من الطويل}

لعمـري لقـد كُلِّفْـتُ وَجـداً بأحمـدٍ ... وأخوتِـه دَأبَ المُحـبِّ المواصـلِ
فـلا زال في الـدنيا جمـالاً لأهلهـا ... وزَيْنـاً عـلى رغـم العـدوِّ المُخابـلِ
فمـن مثلُـه في النـاس أومـن مُؤَمَّـلٌ ... إذا قـايسَ الحُكَّـامُ أهـل التَّفاضِـلِ
حلـيمٌ رشـيدٌ عـادلٌ غـيرُ طـائشٍ ... يُـوالي إلهـاً لـيس عنـه بـذاهلِ
فأيَّـده ربُّ العِبـادِ بِنَـصرِهِ ... وأظهـر دينـاً حَقُّـه غـير ناصـلِ(١)

ومن الاضافات التي حملتها هذه الجزئية من الغرض المعاني الدينية، فرسول الله موالي إلهٍ لا يغفل عنه، وانه مؤيد منه بالنصر في اعلاء دينه،و هذه المعاني تحمل التقريع لاسماع اهل مكة من ان رسول الله مؤيد بالنصر من عنده سواء أكانوا معه أم عليه فضلا عن أن المديح النبوي من الموضوعات الجديدة التي أدخلت في هذا الاطار الفني في القصيدة.

ومديح رسول الله يفضي الى مديح بني هاشم وعبد المطلب الذين حاموه وايدوه ونصروه من اعدائه؛ لأنهما من شجرة واحدة، ومن هنا امتزج المديح بالفخر بهم لنصرتهم رسول الله، ومن خلال هذه الصورة ينطلق صوت الشاعر بفخره الفردي في فدائه وحمايته ودفاعه بنفسه دون النبي ﷺ، وهو يتوعد اعداء الرسالة بالنصر القريب، فمما لا ريب فيه ان الله رافع امر النبي ومعليه في الدنيا ويوم الاخرة، وهذا تصديق لرؤيا جده عبد المطلب وأبيه عبد الله في بشارتيهما في رسول الله، فقال:

---

(١) الديوان: ٨٣- ٨٤.

{من الطويل}

رجــالٌ كــرامٌ غــير ميــلٍ نماهــم ... إلى العــزِّ آبــاءٌ كــرامُ المحاصِــلِ

....

شــبابٌ مــن المُطَّلِبــينَ وهاشــمٍ ... كبــيضِ الــسيوفِ بــين أيــد الــصَّياقلِ

....

ولكنَّنــا نــسلٌ كــرامٌ لــسادةٍ ... بهــم يعــتلي الاقــوامُ عنــد التَّطــاولِ

سيعلم أهــلُ الــضَّغنِ أيِّــي وأيُّهــم ... يفــوز ويعلــو في ليــالٍ قلائــلِ

وأيُّهُــمُ منّــي ومــنهم بــسيفِهِ ... يلاقــي اذا مــا حــانَ وقــتُ التَّنــازُلِ

ومــن ذا يمــلُّ الحــربَ منّــي ومــنهم ... ويحمــد في الآفــاق مــن قــول قائــلِ

فأصــبح منّــا أحمــدٌ في أرومــةٍ ... تُقَــصِّر عنهــا سَــورةُ المتطــاولِ

كــأنّي بــه فــوق الجيــاد يقودُهــا ... الى معــشرٍ زاغــوا الى كــلِّ باطــلِ

وجُــدتُ بنفــسي دونَــهُ وحميتُــهُ ... ودافعــتُ عنــه بــالطُّلى والكلاكــلِ

ولا شــكَّ أن الله رافــعُ أمــره ... ومُعْلِيــه في الــدنيا ويــوم التَّجــادلِ

كــما قــد أُرِي في اليــوم والأمــس جَــدُّهُ ... ووالــدُهُ رؤياهمــا غــير آفــلِ[1]

استوعبت وحدة الغرض المواقف النفسية للشاعر فعبر عن صدق انفعالـه فيها، فهو الناصر لدين رسول الله ﷺ، والمعاتب لاشراف قريش وبطونها؛ لتألبهم على رسول الله ودينه، وعشيرته المؤيدين له، والمفتخر بهم، والحامي والمدافع والذاب عن ابن أخيه، ثم يختم وحدة الغرض بما بُشِّر به جده عبد المطلب ووالده عبد الله، فجاءت وحدة الغرض متلاحمة في بنائها الفني العام، تتبين فيها مهارة الشاعر الابداعية في عرضه لفنون الشعر بألوانه المختلفة، فانمازت القصيدة ببراعة فن

---

(١) الديوان: ٨٤- ٨٥، الضغن: الحقد، يوم التجادل: يوم القيامة.

القول، وبلاغتها في تأدية المعنى المقصود، وجودة سبكها وقوة تلاحم نسيج بنائها، مما جعل ابن سلام يصف إبداع أبي طالب الفني بقوله: «كان أبو طالب شاعرا جيِّد الكلام، ابرع ما قاله قصيدته التي مدح فيها النبي ﷺ:.... {البيت} »[1]، وجعلها ابن الاثير أفحل من المعلقات السبع، فقال: «هذه قصيدة عظيمة بليغة جدا لايستطيع يقولها إلا من نُسِبت اليه، وهي أفحل من المعلقات السبع! وأبلغ في تأدية المعنى منها جميعا»[2].

ان ما حمل ابن سلام وابن الاثير على هذا الوصف للقصيدة اللامية هو تلاحم بنائها وترتيبها على وفق نظام متزاوج بين مضمون القصيدة والفكرة ووحدة الشعور أي بأحكامها للوحدة العضوية التي يتضح فيها جهد الشاعر الفني المتقن الذي بذله في انجاز عمله.

وسار أبو طالب على منهج بناء الأغراض المتعددة في قصيدة المديح المتزاوجة مع موضوع النصرة في بقية قصائده ذوات المقدمات[3] الذي أحكم بناءها بما حقق له الترابط في وحدة الموضوع وتناسقها مع بنائها الفني العام.

❁ ثانياً: بناء القصيدة المباشرة والمقطوعات:

اعتاد الشعراء الولوج مباشرة الى موضوع القصيدة، فهي من انماط البناء الفني حيث «يهجم {الشاعر} على مايريده مكافحة، ويتناوله مصافحة»[4].

---

(١) طبقات فحول الشعراء: ١/ ٢٤٤.

(٢) السيرة النبوية لابن الاثير: ١/ ٤٩١، البداية والنهاية في التأريخ:٣/ ٥٧.

(٣) ظ: الديوان: ٩٥- ٩٦، ١١٥- ١١٩، ١٢١- ١٢٢، ١٢٣- ١٢٥، ١٢٦- ١٢٨.

(٤) العمدة: ١/ ٢٣١.

إنَّ اختيار الشاعر للدخول المباشر الى موضوعه ناتج من الانفعال النفسي المتصاعد؛ لأن هذا الانفعال لا يسمح له بالتأمل والتأني ليضع تمهيدا يفتتح به أثره الإبداعي، ولأنه يجد في الولوج لموضوعه ارضاء لنزعته الانفعالية وهو ازاء تجربته الآنية التي لا تحتمل التقديم لها، وقد حدد ابن رشيق القيرواني الغرض بأنه يتحكم في الاتجاه الفني لبناء القصيدة، فليس «من عادة الشعراء ان يقدموا قبل الرثاء نسيبا كما يصنعون ذلك في المدح والهجاء»[1] وهذا الكلام يحمل على التجويز، فمن حق الشاعر اختيار الهيكل البنائي المناسب لاثره الفني الذي يستوعب تجربته الشعرية الذي هو في صدد الحديث عنها، فقد درج الشعراء على اختيار الهيكل الفني المنزوع التقديم في فنون الشعر المختلفة في المديح[2]، والهجاء[3]،والعتاب[4]، والحادثة المعينة[5] إلى اخره من الموضوعات التي تتطلب المعالجة السريعة في القول[6].

---

(١) العمدة: ٢/ ١٥١.

(٢) ظ: تمثيلا لا حصرا: ديوان امرىء القيس: ٢١٣- ٢١٤، ٢١٥- ٢١٩، شرح ديوان زهير بن ابي سلمى: ٣١٦- ٣١٩.

(٣) ظ: تمثيلا لا حصرا: ديوان بشر بن أبي خازم: ٤١- ٤٢، ٩٠- ٩٣، ديوان النابغة الذبياني: ٥٤- ٦٠، ١١٢- ١١٣.

(٤) ظ: تمثيلا لا حصرا: شرح ديوان زهير بن أبي سلمى: ٣١٣- ٣١٥، ديوان الأعشى الكبير: ٢٩٧-٢٩٩.

(٥) ظ: تمثيلا لا حصرا: ديوان النابغة الذبياني: ٧٥- ٧٨، ٨٢- ٨٥، ٨٦- ٨٨، ٩٨- ١٠٠، ديوان الأعشى الكبير: ٢٢٣- ٢٣٥.

(٦) اختلف العلماء العرب في عدد ابيات القصيدة والمقطوعة، ونرجح من بين آرائهم، ان ما زاد على سبعة ابيات فهو قصيدة ، وما قل فهو مقطوعة،ظ: اعجاز القرآن: ٣٩١، العمدة: ١/١٨٨- ١٨٩، لسان العرب: (قصد).

بلغ عدد القصائد المباشرة في شعر أبي طالب اثنتين وثلاثين قصيدة[1]، اخضعها للمعالجة الفنية في سرعة الاداء، ويسلك أبو طالب في هذا اللون من الأداء انماطا متباينة في بناء القصيدة المباشرة، منها ما يضم غرضا واحدا في بنائه وهو ما يسمى البناء البسيط، ومنها ما يتفرع من الغرض إلى موضوعات أخرى، ويسمى البناء المركب، اللذان سبق ان ذكرناهما آنفا، لأن هذه الموضوعات لم تعد مستقلة بذاتها، فكما ان التحوير والتغيير والتطوير والتجديد أصاب شعر أبي طالب في فنونه المختلفة، كذلك الحال في بناء هذه الفنون ضمن بناء القصيدة العام.

إنَّ الأداء المباشر في الأثر الفني هو نتاج المؤثرات النفسية والبيئية والاجتماعية والسياسية، وهو تابع لقوة هذه المؤثرات التي خضع لها الشاعر وهو ازاء تجربته الشعرية المنجزة ، فأثرت في ابداعه الفني بهذا التغيير الذي طرأ على القصيدة المباشرة.

أـ بناء الغرض البسيط:

حفل شعر أبي طالب بهذا اللون من البناء بتسع عشرة قصيدة[2]، وهو يعالج

(١)ظ:الديوان: ٨٨- ٨٩، ٩٠- ٩٢، ٩٣- ٩٤، ٩٧، ١٠٤- ١٠٥، ١٠٦- ١٠٨، ١٠٩- ١١٠، ١١٣- ١١٤، ١١٧- ١٢٠، ١٣٠- ١٣١، ١٣٢- ١٣٣، ١٣٨، ١٤٩، ١٦٤- ١٦٥، ١٦٨، ١٧١- ١٧٢، ١٧٧، ١٧٨، ١٨٠، ١٨٢، ٢٠٥- ٢٠٦، ٢١١- ٢١٣، ٢٣١، ٢٣٤- ٢٣٧، ٢٣٩- ٢٤٠، ٢٤٢- ٢٤٤، ٢٥١، ٢٥٨، ٣٣٣، ٣٣٦- ٣٣٧، ٣٤٠، ٣٤٤.

(٢) ظ: م.ن: ٨٨- ٨٩، ٩٧، ١٠٤- ١٠٥، ١٠٦- ١٠٨، ١٠٩- ١١٠، ١١٣- ١١٤، ١٣٠- ١٣١، ١٣٢- ١٣٣، ١٣٨، ١٤٩، ١٦٤- ١٦٥، ١٦٨، ١٨٠، ١٨٢، ٢٣٩- ٢٤٠، ٢٥١، ٢٥٨، ٣٣٦-٣٣٧، ٣٤٠.

فنا واحدا من فنون الشعر الذي قيل في الجاهلية، أو في صدر الإسلام، ومنها قصيدته «الحائية» التي أخضعها الشاعر الى المعالجة السريعة في بنائها الفني، فبلغت عدد أبياتها أربعة عشر بيتا تضمنت قصة عمارة بن الوليد بن المغيرة وعمرو بن العاص[1] التي فشت في مكة، فبلغت أبا طالب ، فقال:

{من الطويل}

أتاني حديثٌ عن عمارَةَ مُخزِيٌ ... وفَعْلُك يا عَمْرو الضلالةِ أقبَحُ

تَصَاحبْتُما - لا باركَ اللهُ فيكما - ... على فَجْرَةٍ تَنْثي عليكم وتُفْصِحُ

سقيتَ الفتى خمراً فأفسَدتَ عقلَهُ ... وزوجتك الحسنى اليه تُلَوِّحُ

رأتْ رجلاً من اجملِ الناسِ مُنْتَشٍ ... وأنتَ عَيَاءٌ أصفرُ اللونِ أفْلَحُ

أذنتَ لها من قُبلَةٍ من جبينها ... فطالبها جهراً بما ليس يصلحُ

(١) حدث ان عمارة وعمرو خرجا الى الحبشة تاجرين، فسارا في البحر ليلاً، أصابا من خمر معهما، فلما انتشى عمارة طلب من زوج عمرو -التي كانت مرافقة مع زوجها في الرحلة- ان تُقَبِّلَهُ، فأمرها زوجها عمرو بتقبيل عمارة، فقبلته فراودها عمارة عن نفسها، فأمتنعت منه، وكان عمرو قاعدا على منجاف السفينة، فدفعه عمارة في البحر ليقتله، فخرج عمرو من البحر، لأنه كان يعرف السباحة، وأضمر فعل عمارة الشائن في نفسه ، ولما وصلا الى ارض الحبشة تردد عمارة على امرأة النجاشي، وحدَّث بهذا الامر عمرو بن العاص، فأحتال عمرو عليه بانه غير مصدق قوله ما لم يأته من امرأة النجاشي من دهن وعطر زوجها، لكي يأتيه بشيء لايستطيع دفعه إن هو رفع شأنه الى النجاشي للايقاع بعمارة، فلما احضر عمارة الدهن والعطر اللذين اعطتهما له امرأة النجاشي، وشى عمرو الى النجاشي، فاستثبت الأخير بالأدلة المقدمة له، ودعا السواحر، فوضعن عاهة مستديمة يشنَّ بها رجولة عمارة، وخلي سبيله فخرج هائما بين الوحوش، ظ: السير والمغازي: ١٦٧-١٦٩، الأغاني: ٨/ ١٠٦-١٠٧، التبيين في انساب القرشيين: ٣١٤-٣١٥.

فلـو كنـتُ يـا ابـنَ العـاصِ حـراً قتلتَـهُ ... ولكـــن تـــداعاكَ الرجـــالُ وأقـــبحُ
وكـــان الفتـــى طبّـــاً بـــما كـــان مـــنهم ... فألقـــاكَ في التيّـــار والـــيَّمُ يطفَـــحُ
وقـــال اعتـــذاراً: مـــا أردتُ ســـلامةً ... ومـــا كنـــتُ ذا علـــمٍ بأنـــكَ تـــسبحُ
فداهنتَـــهُ فِعْـــلَ الـــذليلِ مهانـــةً ... ومـــازال للنّكـــراءِ صـــدْرُكَ أقلـــحُ
فـــدَبَّ الى عُـــرْسِ النَّجـــاشيِ بجهـــدِهِ ... فـــصادَفَها بالبُـــضْعِ للجهـــلِ تـــسمحُ
وخَـــبَّرَكَ المـــشؤومُ مـــا كـــان مـــنهما ... وجـــاءك بالـــدُّهنِ الـــذي كـــان يمـــسحُ
عـــلى عارضـــيهِ حـــينَ يـــدخل بيتَهـــا ... مـــساءً وتَجبـــوهُ بـــه حـــين يُـــصبِحُ
فأورطتَـــه عنـــد النَّجـــاشي ســـاعياً ... إلبـــه بـــه وأنـــت في ذاك مُفلِـــحُ
فَـــصَيَّرَهُ بـــين الوحـــوش بِـــسحرِهِ ... يُقَطِّـــعُ أجـــواز الفـــلاة ويكـــدَحُ[١]

إنَّ أسلوب ملامح السرد القصصي حقق تلاحما فنيا تاما في بناء القصيدة وكأن أبياتها حلقات متصلة بعضها مع البعض الآخر بشكل منسجم في هيكلها، وفيها يعبر الشاعر عن صدق إحساسه في استنكاره بشدة واستهجانه لعمل عمارة بن الوليد وعمرو بن العاص، لان فعلهما يستهجنه العُرف والعادات والتقاليد العربية، فكانت القصيدة مستوفية لعناصر بنائها ومتلاحمة الأجزاء على وفق قصائد أخرى ظفرنا بها في ديوانه[٢].

وتندرج ضمن هذا الضرب من البناء **المقطوعة**، لأنَّها وحدة مستقلة بشكلها تحتوي على وحدة موضوعية، وتعالج موضوعا واحدا لا يتفرع الى غيره من

---

(١) الديوان: ٢٥١.

(٢) ظ:م.ن: ١٣٠- ١٣١، ١٣٢- ١٣٣، ١٦٤- ١٦٥، ١٦٨، ٣٤٤.

الموضوعات الجانبية كما ذكرنا آنفا والمقطوعة هي «الأبيات القليلة التي يقولها الشاعر في مناسبة معينة»[1] ويدخل في إطارها البيت الواحد والبيتان، ويرجحان أنهما من مقاطع بقايا قصائد ضائعة.

والمقطوعة من الظواهر الأدبية في الشعر العربي التي غدت قالبا لبعض فنون الشعر ذات الصلة الأكثر من غيرها من القصيد تتطلبه السرعة في القول والسرعة في إيصاله لأذهان السامعين، والإيجاز، وعدم المبالغة والإسراف[2].

وفي نظرة فاحصة في شعر أبي طالب يتبين أن السمة الغالبة في بناء أشعاره المقطوعات التي تشكلت في فنون الشعر المختلفة في الرثاء والحماسة والفخر والمديح والتعريض والعتاب والنصيحة والحكمة والنصرة والحادثة المعينة الى غير ذلك، وبلغ عددها ثماني وخمسين مقطوعة[3]، ومنها ما يفخر الشاعر بنفسه، فقال:

{من مجزوء الرمل}

أنـــا يـــومَ الـــسِّلمِ مكفيْـــــ ـــيٌ ويـــومَ الحـــربِ فـــارِسْ

أنـــا للحمـــــسةِ أنـــــفٌ حـــين مـــا للحُمْـــسِ عـــاطِسْ[4]

---

(١) أبحاث في الشعر العربي: ٣٦.

(٢) ظ: الشعر في حرب داحس والغبراء: ٢٠٣- ٢٠٤.

(٣) ظ: الديوان: ٨٧، ٩٨، ٩٩، ١٠٠، ١٠١، ١١١، ١٢٩، ١٣٦، ١٣٩، ١٥٠، ١٥٨، ١٦٩، ١٧٠، ١٨١، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٥، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٠، ٢٢٠، ٢٢٢، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٥٣- ٢٥٤، ٢٥٩، ٢٦١ -٢٦٢، ٣٢٩، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٣، ومستدرك الأطروحة المقطوعات ذوات الأرقام: (١، ٣، ٤، ٦).

(٤) الديوان: ٢١٠، الحمس: عند قريش الشدة في الدين والصلابة، ظ: السيرة النبوية لابن كثير: ١/ ٢٨٤.

وعلق الجاحظ على هذه المقطوعة ما نصه : «وقال أبو طالب قولا هو اجمل واجمع وأرجح من قول الجميع، وذلك انه قال وفسَّر... {البيتان}، فزعم كما ترى انه إذا كان في السلم فهو لا يحتاج مع الكفاية الأعوان إلى ابتذال نفسه في حوائجه، وإذا كان في الحرب فهو فارس يبلغ جميع إرداته»[1]، وهذا يعني ان أبا طالب على الرغم من خضوعه للسرعة في القول، بالغ في عنايته لربط اجزاء الفكرة وتعليلها وانسجامها مع وحدة الشعور، وبلاغته في تأدية المعنى المقصود في قالب بنائي متماسك ومترابط ببراعة فنية استوعبت تجربته الآنية في عمله الفني.

ويلجأ أبوطالب إلى الإيجاز والسرعة في الأداء لما قعدت قريش برسول الله ﷺ في القبائل بالمواسم وزعموا انه ساحر، فقال:

{من الكامل}

زعمتْ قريشٌ أنَّ أحمدَ ساحرٌ	كذبوا ورَبِّ الراقصاتِ الى الحَرَمْ
ما زلتُ أعرِفُهُ بصدقِ حديثِهِ	وهو الأمين على الحَرائِبِ والحُرَمْ
بَهَتوهُ لا سُعِدوا بقطرٍ بعدها	ومضتْ مقالتُهم تسيرُ إلى الأُمَمْ[2]

إن انفعال الشاعر تجاه أقاويل قريش المزعومة لا تسمح له بالتأني والتأمل والإطالة وإنما أثرت فيه روح الانفعال في الرد السريع على أقاويلهم بموجز القول، لان الموقف يتطلب هذا الإطار البنائي الفني الذي استوعب تجربة الشاعر وصدق احساسيسه ومشاعره تجاه رسول الله ﷺ واستنكاره لتأويل أقاويل قريش الباطلة فيه .

---

(١) البرصان والعرجان والعميان والحولان: ٢٧-٢٨.

(٢) الديوان: ١٨٥.

ب ـ بناء الغرض المركب:

توافرت في قصائد أبي طالب وحدة موضوع القصيدة، «ووحدة المشاعر التي يثيرها الموضوع، وما يستلزم ذلك من ترتيب الصور والأفكار ترتيبا به تتقدم القصيدة شيئا فشيئا حتى تنتهي الى خاتمة يستلزمها ترتيب الأفكار والصور، على ان تكون أجزاء القصيدة كالبنية الحية، لكل جزء وظيفته فيها، ويؤدي بعضها الى بعض عن طريق التسلسل في التفكير والمشاعر»(١) اللذين يجمعها الترابط والانسجام، بيد أنَّ الموضوع الرئيس الذي من اجله انشئت القصيدة قد يتفرع إلى موضوعات أخرى، وهو ليس التعدد في الموضوع وإنما هو تفرع من أغراض الموضوع الرئيس(٢)، مما استدعت تسميته ببناء الغرض المركب.

وبلغ عدد القصائد المباشرة في شعر أبي طالب القائمة على بناء الغرض المركب ثلاث عشرة قصيدة(٣).

ومنها قصيدته الميمية التي بلغ عددها عشرة أبيات ، يحرض الشاعر فيها أخاه أبا لهب على نصرة رسول الله ﷺ حينما دافع عنه بنو مخزوم في استجارته لأبي سلمة، فطمع أبو طالب بأخيه أبي لهب أن يقوم معه في الدفاع عن رسول الله وحمايته له(٤) فقال:

---

(١) النقد الأدبي الحديث: ٣٩٤.

(٢) ظ: الشعراء الصعاليك: ٢٦٤.

(٣) ظ: الديوان: ٩٠- ٩٢، ٩٣- ٩٤، ١١٧- ١٢٠، ١٧١- ١٧٢، ١٧٧، ١٧٨، ٢٠٥- ٢٠٦، ٢١١- ٢١٣، ٢٣١، ٢٣٤- ٢٣٧، ٢٤٢- ٢٤٤، ٣٣٣، ٣٤٤.

(٤) ظ: البداية والنهاية في التاريخ: ٣/ ٩٣.

{من الطويل}

إنَّ امرءاً أبو عتيبةَ عَمُّهُ ... لفي مبذَخٍ من أن يُسَامَ المظالما

أقولُ له - وأينَ منه نصيحتي: ... أبا مَعْتبٍ ثَبِّتْ سوادَكَ قائما

ولا تَقبَلَنَّ الدهرَ ما عشتَ خُطَّةً ... تُسبُّ بها إمّا هبطتَ المواسما

وَولِّ سبيلَ العجزِ - وبيكَ - منهم ... فإنكَ لم تُخلَق على العجزِ جاثما

وحارِبْ فإنَّ الحربَ نصفٌ ولن ترى ... أخا الحربِ يُعطي الخسفَ حتى يُسالما[1]

وتفرع حديث أبي طالب في حثه لأخيه أبي لهب ونصحه له في دعوته لنصرة ابن أخيه رسول الله ﷺ فقاده الحديث بتسلسل منطقي إلى معاتبته مستنكرا عداوته لقومه، وهم لم يحاربوه، ولم يخذلوه، على أية حال سواء أكان رابحا أم خاسرا، فقال:

{من الطويل}

فكيف ولم يجنوا عليك جنايةً ... ولم يخذلوك غارماً او مُغارِماً[2]

إنَّ معاداة أبي لهب لرسول الله وأهله الناصرين له كانت بسبب ما أثارته الأحياء القريشية من معارضة وفتنة، ففرقت جماعاتهم مما أثارت حفيظة الشاعر في الدعوة عليهم لعقوقهم وآثامهم معرضا بهم فقال:

{من الطويل}

جزى اللهُ عنّا عبدَ شمس ونوفلاً ... وتيماً ومخزوماً عقوقاً ومأثما

بتفريقهم من بعد ودٍّ وألفةٍ ... جَمَاعَتَنا كيما ينالوا المحارما

---

(١) الديوان: ١٧٨، ابوعتيبة: أبولهب، سوادك: شخصك، النصف: الإنصاف والعدل، الخسف: الأذلال.

(٢) م.ن: ١٧٨.

أطـاعوا ابـن ذكـوان وقيـسا وديـسماً   فـضلُّوا ودقُّـوا للمـلا عِطْـرَ مَنْـشما[1]

إنَّ سعي بطون قريش، وعزمهم على قتل رسول الله، كان حقاً عـلى أبي طالـب أن يجهر بصوته للحفاظ عليه وحياطته متوعـدا إيـاهم بملاقـاتهم التـي لا يقـوم لهـا قائمة، فقال في الخاتمة:

{من الطويل}

كـذبتم وبيـت الله يُبـزى محمـدٌ   ولمّـا تـروا يومـاً لـدى الـشِّعبِ قـائما[2]

عالجت القصيدة المباشرة موضوعاً واحداً في الحث على نصرة رسول الله ﷺ، بيد أنَّ الموضوع الرئيس تفرع الى وحدات موضـوعية تقاسـمتها النـصيحة، والحـث على النصرة، والعتاب، والتعريض، والتوعد والنصرة في ترتيب متسلسل يخدم غايـة الشاعر وفكرته المرتبطتين بالموضوع الرئيس، والتفـرع البنـائي منـسوج ببنـاء محكـم اظهر الشاعر فيه بإتقان فني معالجة الوحدات المتفرعة ضمن بناء القصيدة العـام مـن خلال تنميته «لأقسام القصيدة تنمية عضوية بحيث ينشأ كل جزء من سـابقه نـشوءا طبيعيا مقنعا ويستدعي الذي يليـه استدعاء حتميـا حتـى تتكامـل أجـزاء القـصيدة وتشملها عاطفة واحدة»[3]، على نحو قصائد أخـرى خبرهـا أبـو طالـب بهـذا البنـاء الفني بألوانه المتعددة في الديوان[4] .

---

(١) الديوان: ١٧٨.

(٢) م.ن: ١٧٨.

(٣) الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه: ١٤٨.

(٤) ظ: الديوان: ٩٠- ٩٢، ٩٣- ٩٤، ١١٧- ١٢٠، ١٧١- ١٧٢، ١٧٧، ٢٠٥- ٢٠٦، ٢١١- ١٣، ٢٣١- ٢٣٧، ٢٤٢- ٢٤٤، ٣٣٣- ٣٤٤.

فقد انماز قسمٌ من هذه القصائد بأنَّه رسائل شعرية مرسلة إلى قومه، متخذا من التعبير المباشر في عزوفه عن التمهيد وسيلته إلى هذا الأسلوب من التبليغ بإطار متناسق في نمو أبيات القصيدة، ومنسجم من بعضها؛ لتشكل نمطاً بنائياً فنياً يؤطر به عمله الأدبي.

❁ الرجز :

الأرجوزة: هي وحدة موضوعية في بناء متلاحم تقوم على تواشج العلاقات بين الأبيات المشطورة ،وكان العربي يقول الرجز بديهة وارتجالاً في المناسبات المختلفة والمواقف المتباينة من حياته التي يحياها معبرا عن صدق انفعاله، وخلاصة تجربة معينة بأبيات موجزة ومشطورة، وبعيدة عن المبالغة، ومتماسكة في بنائها،وقد عالجت موضوعا واحدا ضمن بناء الغرض البسيط في بنائها الفني، او موضوعا يتفرع إلى موضوعات أخرى ضمن بنائها الفني العام في بناء الغرض المركب .

أ ـ بناء الغرض الواحد (البسيط) :

عالج أبو طالب موضوعا واحدا ضمن البناء الفني للأرجوزة التي بلغ عددها في شعره تسع اراجيز[1]، ومنها الأرجوزة التي تضمنت ستة أبيات مشطورة، يفخر أبو طالب فيها بإعادة بناء الكعبة، وذلك عندما اختلفت قريش في أيهم يرفع الحجر الأسود بعد بنائها، فأشار أبو أمية بن المغيرة بان يتخذوا أول من يدخل الباب حكماً يحتكمون إليه في هذا الأمر، فدخل رسول الله ﷺ ـ وكان ذلك قبل بعثته ـ

---

(١) ظ:الديوان: ١٠٢- ١٠٣، ٣٢٩، ٣٣٠- ٣٣١، ٣٣٤، ٣٣٨، وشعر أبي طالب وأخباره: ٨٩، والمستدرك في الأطروحة: الأراجيز ذوات الاقام: (١، ٢، ٤).

فرضوا به لأنه الأمين، فبسط رداءه، ثم وضع الحجر فيه، ثم أمر كل ربع من أرباع قريش أن يأتي فيرفعه، ثم وضعه بيده في موضعه[1]، والى هذه الحادثة أشار أبو طالب بقوله :

{من الرجز}

إنّا لنــــا أوّلَــــهُ وآخـــرَهْ

في الحكــم والعــدل الــذي لا نُنْكَــرَهْ

وقـــد جهَــدنا جهــدَه لنعمــرهْ

وقـــد عمرنـــا خـــيرَهُ وأكـــبرَهْ

فـــإنْ يكـــنْ حقّـــاً ففينـــا أوفَـــرَهْ

لّمـــا وضـــعنا إذْ تمـــارَوْا حَجَـــرَهْ[2]

ونلمح في بناء اجزاء الارجوزة ترابط العلاقات بين ابياتها المشطورة والمتلاحمة في تناسق فني مع مضمونها، ووحدة الشعور بالزهو والفخر في ادارة بيت الله،فهم اهل الحكم والعدل، وهم القائمون على عمارة البيت، ولهم شرف وضع الحجر الاسود، ولهذا كله، فهم اصحاب الحق الوافر فيه.

إنَّ براعة الاداء المتقن الواضح الذي جنح الشاعر فيه الى التفصيل والتفسير بهذه الوحدة المنظمة والمتكاملة في مقومات بنائها التي عبرت عن لحظة شعورية صادقة ازاء احد الاحداث التي مر بها الشاعر، تمثلت بخلاصة تجربته بهذا العمل الفني المنجز.

---

(١) ظ: أنساب الأشراف: ١/ ٩٩- ١٠٠.

(٢) الديوان: ٣٣٨.

ب ـ بناء الغرض المركب:

وتندرج ضمن هذا الإطار البنائي الأراجيز ذوات النموذج الفني الذي يحمل موضوعا واحدا متفرعا الى موضوعات جانبية تلتقي بالموضوع الرئيس، وهذا النمط من البناء اشبه بالنهر الذي يتفرع الى فروع عديدة صغيرة ليصب في مجرى النهر الواحد، ففروعه كلها لها وشائج نابعة من النهر نفسه وتعود اليه.

وعلى الرغم من قلة الأراجيز الطويلة في شعر أبي طالب لانعدم أن نجد ثلاثاً منها طويلة[1]، بلغت فيها غاية بنائها الفني المقصود في تطويرها وتطويلها، فقد بلغ عدد أرجوزته البائية ثلاثة وعشرين بيتا مشطورا التي عالج فيها أبو طالب موقفا انسانيا بعاطفة صادقة استقطبتها تجربته الشعرية ساعة رجزه عندما أراد والده عبد المطلب أن يذبح شقيقه عبد الله والد الرسول ﷺ وفاءً لنذر عليه، فقال أبو طالب ناهيا إياه:

{من الرجز}

كُـــلا وربِّ البيـــتِ ذي الأنـــصابِ
ورَبِّ مـــا أنـــضى مـــن الرِّكـــابِ
كُـــلُّ قريـــبِ الـــدارِ أو منتـــابِ
يـــــزورُ بيـــــتَ اللهِ ذا الحُجّـــابِ
مـــا قَتْـــلُ عبـــدِ اللهِ باللعـــابِ[2]

---

(١) ظ: م.ن: ١٠٢- ١٠٣، ٣٣٠- ٣٣١، والمستدرك في الأطروحة: الأرجوزة رقم: (٢).

(٢) الديوان: ٣٣٠

ويسعى الشاعر على تنمية أجزاء أرجوزته، فكلامه السابق يترتب عليه مدح أخيه لبيان منزلته فيشيد بعراقة أصله من جهة أبيه وأمه، وكأن الشاعر يريد أن يحرض أخواله على أبيه ليمنعوه من ذبح أخيه فقال:

{من الرجز}

مــن بــين رهــطٍ عــصبةٍ شــبابِ
ابــن نــساءٍ ســطةِ الأنــساب
أغــرّ بــين البــيض مــن كِــلابِ
وبــين مخــزوم ذَوي الأحــسابِ
أهــل الجيــادِ القُــبِّ والقبــابِ[1]

فهب خاله المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم مخاطبا عبد المطلب «والله لا تذبحه أبداً حتى نُعذَر فيه فإن كان فداء فديناه بأموالنا ... »[2]، ثم اهتدى أبو طالب إلى حل يخرجه من هذه الأزمة، فإذا كان أبوه عازما على أمر، فعليه بقرع القداح ليتبين له الأمر، ولكي يسقط الذنب عن الجميع :

{من الرجز}

لــستم عــلى ذلــك بالأذنــاب
حتــى تــذوقوا حمــسَ الــضرابِ
بكُــلِّ عــضبٍ ذائــبِ اللعــابِ

(١) الديوان: ٣٣٠.

(٢) السير والمغازي: ٣٤.

ذي رونـــقِ في الكـــفِّ كالـــشهابِ
تلقـــاهُ في الاقـــرانِ ذا أنـــدابِ
إن لم يُعجَّـــلْ أجَـــلُ الكِتـــابِ[1]

ويحاول الشاعر أن يقنع أباه متوسلاً سبل النصيحة في خطابه له،ومحذرا إياه ما سوف يفعله أخواله ان قتل ابنه، ولأن فعل ذلك سيكون سنَّة من بعده في أن يذبح الرجل ابنه ما بقي الناس على ذلك:

{من الرجز}

قلـــتُ ـ ومـــا قـــولي بالمُعـــابِ ـ:
يـــا شـــيبَ إنَّ الجـــورَ ذو عِقـــابِ
إنَّ لنـــا إنْ جـــرتَ في الخطـــابِ
أخـــوالُ صـــدقٍ كأســـودِ الغـــابِ
لـــن يـــسلموهُ الـــدهرَ للعـــذابِ
حتـــى يمـــصَّ القـــاعُ ذو الـــترابِ
دمـــاءُ قـــومٍ حُـــرُمِ الأســـلابِ[2]

حقق أبو طالب الانسجام بين أقسام الأرجوزة، الموزعة بين النصيحة، والمديح، والإرشاد، والتحذير التي أظلها الانفعال المحموم والعاطفة المشبوبة المتشكلان في نسيج وحدة الموضوع الرئيس، ويبدو أنَّ أبا طالب قد خطى

(١) الديوان: ٣٣٠.

(٢) الديوان: ٣٣٠- ٣٣١.

بالأرجوزة خطوة متقدمة نحو تطويلها وتطويرها اللذين بلغ فيهما النضج الفني في إتقان الأداء، وجمال الأسلوب، وجودة الصياغة،وبراعة الصور التشبيهية، وهي محاولة جادة في مسار بناء الأراجيز التي تحاكي القصيد من ناحيتي الموضوع والفن، ونهج أبو طالب المنهج نفسه في الأرجوزتين: الفائية[1] والرائية[2].

ومن هنا يمكن أن نعد أبا طالب احد الرواد الأوائل الذين سعوا الى تطويل الأرجوزة وتطويرها التي واكبت صنوها القصيد كما اومأ إلى ذلك ابن سلام بقوله: «ولم يكن لأوائل العرب من الشعر إلا الأبيات يقولها الرجل في حاجته ، وإنما قُصِّدت القصائدُ وطوِّل الشعرُ في عهد عبد المطلب وهاشم بن عبد مناف»[3]، وانما قصد ابن سلام «وطول الشعر» بالرجز لأنه خلاف القصيد ومن هنا يمكن أن نعد رجز عبد المطلب[4] وابنه أبي طالب في تطويلهما له من الرواد الأوائل لنضج هذا النمط الفني وتطويره المتأصل الجذور منذ القدم[5]، بخلاف ما ذهب إليه بعض الباحثين من «أن الرجز في الجاهلية كان قصيراً لا يتجاوز الأبيات المعدودات ... ولم يتطور الرجز في صدر الإسلام ولا ازدهر فإن الرُجاز لم يُطيلوه ولا مدَّوا في اطنابه بل ظلوا ينشدون منه البيت أو البيتين او الثلاثة»[6].

---

(١) ظ: م.ن: ١٠٢- ١٠٣.

(٢) ظ: المستدرك في الاطروحة: الارجوزة رقم: (٢).

(٣) طبقات فحول الشعراء: ١/ ٢٦.

(٤) ظ:تمثيلا لا حصرا: السير والمغازي: ٣٤، ٣٦، ٣٧، ٣٩- ٤٠، ٤٠، ٤٤، ٤٥- ٤٦، ٤٦، ٤٧.

(٥) ظ: ديوان امريء القيس: ١٣٤،٣١٢- ٣١٨، ٣٤١، ٣٥٣.

(٦) مقدمة القصيدة العربية في العصر الأموي: ١٤٤، ظ: العجاج ودوره في تطوير الأرجوزة في العصر الأموي: ١٦.

وإنَّ ما يعاضد رأينا أن أبا طالب وأباه عبد المطلب من الأوائل الذين طوَّلوا الرجز وطوروه، ما ذكره ابن رشيق القيرواني عن غيره: ان «أول من طوَّل الرجز الأغلب العِجلي، وهو قديم، وزعم الجمحي وغيره أنه أول من رجز، ولا أظن ذلك صحيحاً؛ لأنه إنما كان (الأغلب العِجلي) على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونحن نجد الرجز أقدم من ذلك»[1].

ومما تقدم يتبين: ان القصيدة الإسلامية في شعر أبي طالب تتقلص وتتسع بحسب ظرفها الذي وُلِدت فيه، فتتقلص في اسقاطها للوحتي المقدمة، والناقة في القصائد المباشرة ذات الموضوعات المركبة، وتتسع في القصائد نفسها بتعدد الموضوعات ضمن هيكلها العام في البناء، وذلك لأن القصيدة تعايش مرحلة جديدة من الحياة الجديدة، وإن كانت تسمية اتجاهات الموضوعات مشدودة الى عهد ما قبل الإسلام، بيد أن حال المجتمع الجديدة التي شهدت تغييرات في الصرع الفكري والعقائدي والاجتماعي وغيرها، أثرت في فن الشاعر فبدأ التجديد في استعماله لآيات الذكر الحكيم، والتعابير الإسلامية الذي احتوى الشكل البنائي للقصيدة الذي يعد تأصيلاً للنماذج شعرية لاحقة.

وتعد المقدمة الطللية من المقدمات التقليدية سلك فيها الشاعر منهج المحاكاة للقصيدة البدوية في قصيدة واحدة، وهذا يفسر التغيير في معايشة الشاعر للإنموذج القديم مع الجديد الذي عاشه، ولكنه مشدود بروحه الى التقليد الفني لمقدمات شعراء البادية، على حين بقيت مقدمتا: وصف الهموم والشكوى بدايةً للتحول الجديد في بناء هيكل القصيدة الإسلامية .

---

(١) العمدة: ٩٠، المزهر في علوم اللغة وأنواعها: ٢/ ٤٨٤.

وبذل أبو طالب غاية جهده الفني في تطويل الأرجوزة وتطويرها والتي بلغت غاية النضج الفني، وبراعة الإبداع، وإتقان البناء.

وانحصرت أشعار أبي طالب في التعبير عن نفسه وعواطفه بألوانها المختلفة فكثرت المقطوعات، وتعددت الأراجيز التي تتطلب الرد السريع بحسب الظرف النفسي الذي يمر به الشاعر على المستويين المضمون والشكل.

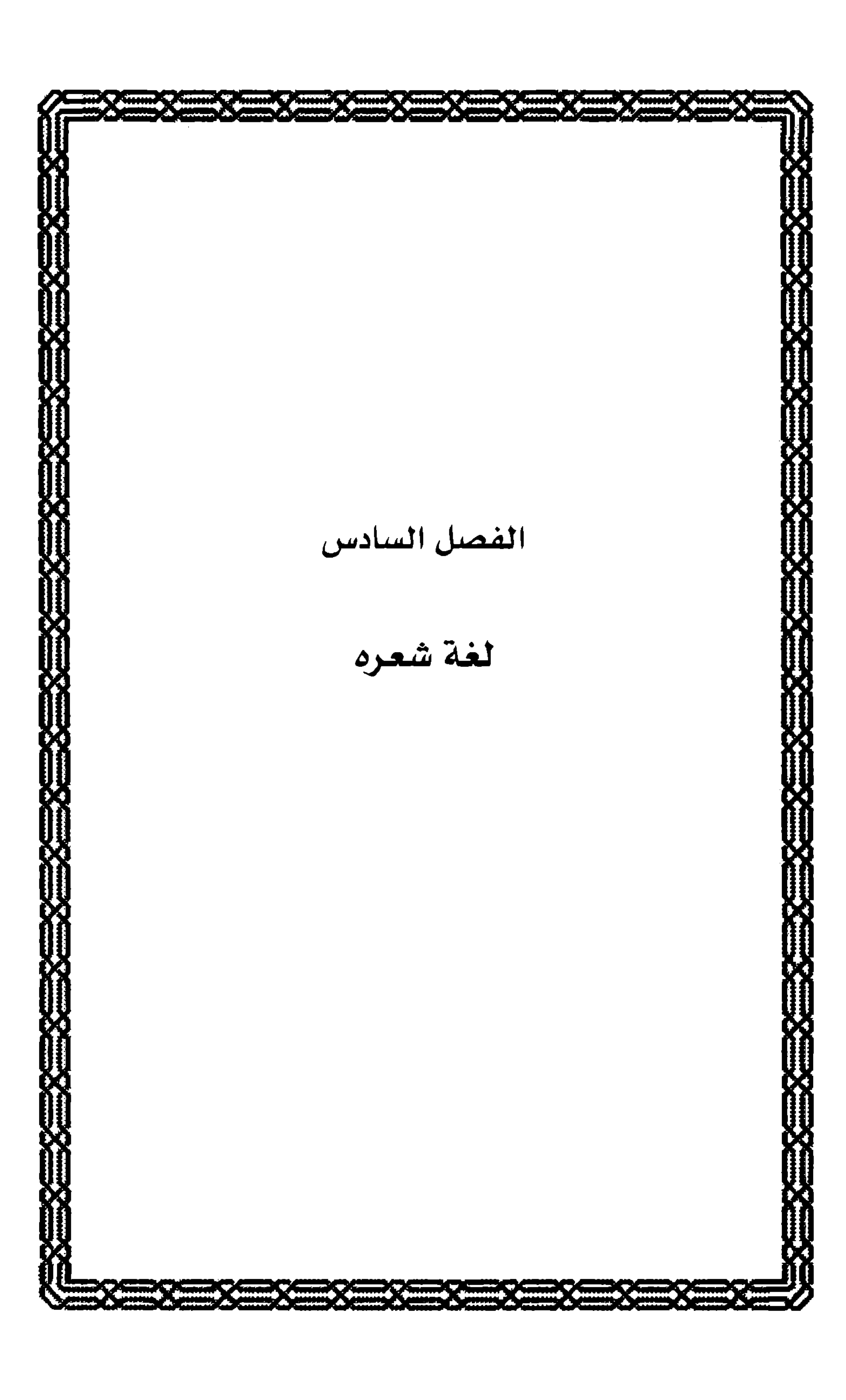
إن أبا طالب أجاد في القصيد والرجز، في تطويره لهما، وقلما يجمع الشاعر من الشعراء بين القصيد والارجاز والخطب[1]، فقد «كان أبو طالب شاعرا جيد الكلام»[2]، ومن الرواد الذين طوَّروا الأراجيز، وخطيبا مفوها كما عهدنا ذلك في خُطبَه التي ذكرناها آنفاً[3].



(١) قال: «ابو عمرو بن العلاء ... ومن الشعراء مَن يُحكم القريض ولا يُحسِن من الرّجز شيئا، ففي الجاهلية منهم: زهير، والنابغة، والاعشى، وأما من يجمعها فأمرؤ القيس وله شيءٌ من الرجز، وطرفة وله كمثل ذلك، ولبيد وقد أكثر. ومن الإسلاميين من لا يقدر على الرجز وهو في ذلك يُجيد القريض: كالفرزدق وجرير؛ ومن يجمعهما فأبو النجم، وحَميدٌ الأرقط، والعُمانيّ، وبشّار بن برد، واقل من هؤلاء يُحكم القصيد والأرجاز والخطب... »، البيان والتبيين: ٣/ ٨٤.

(٢) طبقات فحول الشعراء: ١/ ٢٤٤.

(٣) ظ: التمهيد في الأطروحة: ١٥، ٣٠- ٣١.



الفصل السادس

لغة شعره

مفتتح الفصل

بناء اللغة

إنَّ فن الأدب يختلف عن الفنون الأخرى،لأنّه يرتكز على اللغة، فاللغة المكوِّن الاساس الـذي يمـنح الـشعر سر شـاعريته المـصورة للمعـاني المختلجـة في الـنفس الانسانية، فهي بحق لغة الانفعال المضيئة لمعنى يستحضر الشاعر فيه ماضي ذكرياتـه، أو واقع حاضره، أو كيان وجوده فيـضفي عليهـا اصـداءً أو اظـلالا مـن الايحـاءات تختلف باختلاف نفسيته في التعبير عنها باللغة المتكونة من الفـاظ وتراكيـب، وايقـاع المتمثل بالوزن والقافية، والـصور المتـشكلة بالوانهـا المتباينـة، فتتـيح مجـالا رحبـا في التأويل المتعدد المداليل.

وتنتظم هذه المكونات في قالب بنائي محدد يختبـيء وراءه جمـال ابـداع العمـل الشعري بلغة فنية حيَّة مشعة بالدلالة، تتحقق فيـه قيمـة تعبيريـة مـن انتظـام التعبـير اللفظي مع موسيقى النغم، والـصورة المعنويـة، لأنَّ غايـة الـشاعر اثـارت عواطـف المتلقي بتقنيات التعبير الدقيقة، وصدق الاحساس العميق، لنقله اليه.

فلغة الشعر بناء حي متكامـل تتفجـر فيـه طاقـات ايحائيـة متمثلـة بمقومـات

القصيدة التي هي «مجموعة علاقات شكلية ومضمونية مترابطة لغة وجرسا ودلالة وايقاعا وصورة، تؤلف بنائها الفني المتمثل، من خلال نماذجها وامثلتها الشعرية المتوفرة لدينا، وفي نمط موسيقاها الشعرية ذات القافية الموحدة والوزن الواحد وفي تعدد اغراضها او تفردها بغرض واحد»[1] ، فمن هذه المكونات التعبيرية جميعها يتكون البناء الفني المتكامل للقصيدة، بيد أن هذه العناصر، أو المكونات تبقى خاضعة لطبيعة الشاعر ومنها: روافده الثقافية، وهي الثمرة المتمخضة عن اطلاعه وتدريبه على نماذج شعرية لشعراء سابقين له؛ ليثري لغته بما استثمره من نتاجهم، وليكشف ذاته واصالته في اعماله الشعرية الابداعية التي يحاكي فيها تجاربه الحياتية؛ لأن الموهبة الشعرية وحدها لا تكفي، فتبقى لغته قاصرة عن اداء وظيفتها التعبيرية ما لم يصقلها باغنائها بالروافد الثقافية.

وللبيئة اثرها في طبع الشاعر، فرقة الفاظ الشاعر الحضري وسهولتها ورشاقتها، تباين جفاف الفاظ الشاعر البدوي وخشونتها وغريبها، وقد يسهل لفظ شعر الشاعر،ويخشن اللفظ شعر شاعر اخر تبعا لاختلاف الطبع وتركيب الخُلق[2] ، وتبقى التجربة الشعورية الطابع الذي يصوره الشاعر، وهو يسكب عواطفه واحساسيه ومشاعره جاهدا في نقل خواطره التي تتدافع في نفسه عبر لغته الى المتلقي[3] ، فالثقافة والبيئة والتجربة الشعرية تؤثر في لغة أي شاعر.

---

(١) بناء القصيدة عند الشريف الرضي (بحث): ١٩٨. ظ: مكانة القصيدة العربية بين نقاد والرواة العرب: ٥، نقد الشعر في المنظور النفسي: ١٠٢.

(٢) ظ: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٧-١٨.

(٣) ظ: لغة الشاعر (بحث): ٤١.

وبما أنَّ اللغة الشعرية لغة انفعالية، فقد تتباين الانفعالات فيها بحسب التجربة الشعرية، ولهذا انمازت لغة الشعر بالمرونة والحيوية والتجديد تبعا لنوع الانفعال[1] من حب وبغض، وحزن واسف، وفرح واعجاب، وخوف وقلق، وقوة وشدة إلى غير ذلك، فتخرج بصورة ترانيم ملحنة، لتكتمل بمقوماتها الصوتية اداء انفعال الشاعر الوجداني بلغة موسيقية زاخرة بالنغم مترابطة الاحكام مع انفعالاته، ومتسعة لخياله، لتغدو لغته لغة تصويرية تتشكل فيها وسائل الصورة بألوانها المختلفة، ولهذا كله استوعبت لغة الشعر عناصرها واجزاءها من الفاظ وصياغة، وايقاع، وصور بوصفها بناءً متكاملاً لا يمكن فصل عراه إلى اوصال، بيد أن طبيعة تقنيات البحث في تحديد مداليلها، وايضاح مفاهيمها تتطلب دراسة الوحدات بشكل منفصل في ثلاثة فصول.

❁ الألفاظ :

الألفاظ؛ هي احدى الدعائم الاساس لبنية القصيدة، واحدى ادوات الشاعر التي يستعملها، ليخلق نصا ادبيا معبرا عن تجربته الشعرية، ينقلها الى المتلقي سواء أكان المتلقي مستمعا ام قارئا ام ناقدا، ولهذا كان على الشاعر ان يعنى بالفاظه في نسيجه الشعري، مما يحفزه للجنوح الى رصانة الاسلوب، وانتخاب الألفاظ التي يتحرى فيها الوضوح في تأدية المعنى المقصود، والدقة في التعبير المشحون بانفعالاته المتباينة بحسب فن القول المطروق ليزود الالفاظ بطاقات ايحائية ومداليل مجازية اضافية، فتصبح مشعة بالتأثير والحيوية، فيخلق الشاعر عملا فنيا متساوقا مع تجربته

---

(١) ظ: الأسس الجمالية في النقد العربي: ٣٤٠، الأسلوب: ٧٤.

الآنية، على ان هذه الالفاظ ضمن سياقاتها تحمل في الوقت نفسه مداليل معجمية.

والشاعر ينساب وراء الفاظه ليصوغها في تراكيب لغوية تبدأ من مرحلة انتقاء الالفاظ التي تدور في مخيلته ثم وصفها في عبارات الى ان تتكامل في جمل وانساق، ومما لا شك فيه ان الالفاظ تثمر دلالاتها من الواقع، فهي تعبير عن واقع الحياة اكتسبت قيمتها الدلالية من تشخيص طبيعة الواقع على نحو متميز في قالب شعري فني ذي بناء ايقاعي شكّل سر جمال جوهر هذا البناء الشعري بعد ان طبعت بطابع احاسيس الشاعر ومشاعره وعواطفه وافكاره.

والسمة الغالبة في ألفاظ نسيج شعر أبي طالب قبل الإسلام وبعده الوضوح الذي ينأى عن الحوشي في قول الشعر وغريبه، ذلك بأن بيئة الشاعر لها اثرها في لغته، فأبو طالب عاش في مدينة حضرية تميل إلى استعمال الالفاظ السهلة المألوفة والمأنوسة إلى أذن السامع، والبعيدة عن الحوشي من الكلام، والغريب من الالفاظ، فلغتها لينة سهلة[1]، وإن الطابع الغالب على شعر أبي طالب متسم باسلوب عصره، فطبعت الفاظه بطابع واقع الحياة المكية قبل الإسلام وفي بواكيره، فمثلت توكيدا لهذا الواقع وصورة صادقة له، مستظلة بمظلة خيال الشاعر ونبض روحه ومشاعره وصدقها في التصوير.

إن من العوامل التي جعلت شعر أبي طالب يحمل المزيتين: البساطة والوضوح، إنه عبارة عن رسائل موجهة إلى اولاده واخوته وابناء عمومته وعشيرته وقومه من زعماء قريش، لتأيید الدعوة الإسلامية ونصرة صاحبها، يتخللها النصح والتوجيه والوصية في الثبات على العقيدة واتباع المصطفى ﷺ تارة، والعتاب

---

(١) ظ: طبقات فحول الشعراء: ١/ ٢٤٥.

والتهديد والوعيد والهجاء للذين يعلنون عداءهم له ولرسول الله ﷺ وينـأون عـن تأييده ونصرته تارة اخرى، وهي تحمل اسـلوبا واضـحا، ليـسري تأثيرهـا في نفـوس رجال المجتمع المكي للانضواء تحت راية الإسلام؛ وليتوسع مداها، وليتردد ولينتشر في ارجاء الجزيرة العربيـة وخارجهـا، فهـذه الـسهولة في استعمال الالفـاظ فرضـتها طبيعة المرحلة التي يحياها الشاعر في الحقبة الزمنية التي واكبـت الإسـلام، عـلى اننـا لا نعدم من أن نجد في بعض الابيات لحظات تأملية انقاد لها الشاعر من دون تخطـيط سابق لها.

ونلحظ سمة البساطة والوضوح في شعر أبي طالب قبـل الإسـلام في حـديث القسامة في الطلب بدم عمرو بن علقمة بن عبد المطلب بن عبـد منـاف حـين ضربـه خداش بن عبد الله بن أبي قيس بعصا فقتلته، ثم جحد، فلم يعرفوا من قتلـه وطالـت المطالبة بدمه، فسألوا أبا طالب الفصل في الحكم[1]، فقال:

{من الطويل}

أفي فـضلِ حَبْـلٍ لا أبـاكَ ضَرَبْتَـهُ	بِمنـسَأةٍ قـد جـاءَ حَبْـلٌ وأحبُـلُ
قتلـتَ الفتـى، أوتُوضِـحنَّ بحجَّـةٍ	فبـيِّنَ لنـا مـا كـان إن كنـتَ تعقـلُ
حكمـتُ علـيكم فيـهِ خمـسينَ حلفَـةً	تُـبرِّئكم منـه وأنـت مرمـلُ
فيحلـف قـوم يطلبـونَ بمثلهـا	فيؤخـذُ بالـدَّم الـذي لا يُطلَّـلُ[2]

إنَّ النزعة الخطابية المباشرة في الحوار الذي دار بين أبي طالب وخداش جعلـت أبا طالب يسلك مسلك الطلب متوسلا باساليبه وهـي الاسـتفهام والـدعاء والامـر

---

(١) ظ: الديوان: ٢٦٠- ٢٦١.

(٢) م.ن: ٢٦١- ٢٦٢.

بالفاظ واضحة لا تحتاج من المتلقي اجالة فكر، أو تأمل متأنٍ؛ لكشف دلالتها.

ومن ملامح بساطة الالفاظ وسهولتها في شعر أبي طالب في الإسلام، قوله معاتبا أخاه أبا لهب عن حديث له قد اعانه عليه رجال من قومه، يفصح عن عداوتهم له:

{من الوافر}

حديثٌ عن أبي لهبٍ أتانا	وأكْنَفَه على ذاكُم رجالُ
بَغوهُ بذاكَ بعضَ القولِ حتّى	تجَلَّلَنا بلُؤمِهم جِلالُ
وقد لَهِجَ العَدوُّ بنا فقالوا	وقد كُنّا وليس لهم مَقالُ
معاشر منهم - كانوا قديماً	لئاماً - في تَوَسُّعهم قُلالُ[1]

إنَّ الالفاظ (حديث، القول،لؤمهم، لهج، قالوا، مقال) المستعملة في وصف الحديث في النص الذي وردت فيه، أُستعملت بدلالات لغوية ذات سمة تقريرية مباشرة تنأى عن الايحاء الذي يثري اللغة الشعرية بالجمال، ويبدو ان صيغة حديث العتاب رتبت على الشاعر العزوف عن المحسنات اللفظية لاثراء لغة النص الشعر بالايحاء بيد أن الالفاظ لا تفقد تأثيرها في السامع المُعاتَب، وهي تكشف عن انفعال الشاعر المُعاتِب تجاه اولئك اللئام الذين اعانوا أخاه في ازدياد أوار العدواة بينهما.

وقد تحل محل سمة الوصف بالألفاظ التقريرية المباشرة مزية أُخرى تتعلق بالتعبير عن احاسيس الشاعر الموحية من السياق، فتصور احواله النفسية في التعبير الصادق عن مشاعره ولا سيما في لحظات الحزن الشديد، وفيها يكون الشاعر أشد

(١) الديوان: ١٨١، قُلال: أي قليل.

صدقا مع ذاته، وهو يردد الحسرات على فراق رسول الله صلى الله عليه وآله فقال:

{من الكامل}

آهـــاً أُرَدِّدُ حَـــسرَةً لِفراقِـــهِ إذ لم أَراهُ وَقَـــد تَطـــاوَلَ باسِـــقُ

أَتَـــرى أراهُ وَاللِـــواءُ أَمامَـــهُ وَعَـــلِيٌّ اِبنـــي لِلِّـــواءِ مُعـــانِقُ[1]

وإلى جانب التقرير المباشر في ألفاظ شعر أبي طالب يجنح الى الخيال لتقوية الالفاظ واثرائها بجمال الصورة متمسكا بالصدق الفني والواقعي انطلاقا من روح الإسلام، فقال:

{من البسيط}

لا تَيأَسَـنَّ إذا مـا ضـقتَ مـن فـرجٍ يـأتي بـه اللهُ في الروحـاتِ والـدَّلجِ

فـما تجـرَّع كـأس الـصبرِ معتـصمٌ بـالله إلا أتـاه اللهُ بـالفرجِ[2]

إنَّ الايمان الصادق بالقيم الإسلامية التي نطقت بها الفاظ شعر أبي طالب جعلتها تدنو إلى الكمال في الأدب، فقلما نجد نصا شعريا متعمقا في النظر في الحياة، يرفع الانسان إلى الرقي فيها متبلورا في حكمة استخلصها الشاعر من تأمل فكره الناضج في الحياة الواقعية التي لها صلة وثيقة بثقافته الدينية ليخرجها بنصيحة متشكلة بالفاظ مختصرة ومركزة لها وشيجة بواقع نفس بني جنسه في الحياة، وذات تأثير في نفوس السامعين، وهو يزاوج بين الالفاظ التقريرية المباشرة والالفاظ الموحية التي أثرت اللغة الشعرية بجمال الصورة.

---

(١) الديوان: ٣٤٠.

(٢) الديوان: ٣٣١.

وبين الألفاظ التقريرية المباشرة والموحية ألفينا في شعر أبي طالب ألفاظاً تحتاج إلى الكشف عن دلالتها في المعجمات، وهذا الامر يعتمد على علم المستمع وثقافته اللغوية، فمما لا ريب فيه ان الألفاظ التي استغلق فهمها من المتلقي تعود الى ان البون الزمني الشاسع بين عصر الشاعر وعصره جعلها تشقُّ على فهمه، على نحو ما نجده في قول أبي طالب في وصف فروسيته، وهو يذب عن رسول الله ﷺ:

{من المتقارب}

بضَرْبٍ يُذَبِّبُ دونَ النِّهابِ ... حِذَارَ الوَتايرِ وَالخَنفَقيقِ

....

وَما إن أَدُبُّ لأعدائِهِ ... دَبيبَ البِكارِ حذارَ الفَنيقِ[1]

اراد الشاعر بالنهّاب: جمع «النَّهب: الغنيمة»[2]، و«الوتاير جمع وتيرة الطريقة من الارض»[3]، و«الخنفقيق... الداهية»[4]، و البكار جمع بكر وهو «الفتي من الإبل»[5]، والفنيق: الفحل المكرم عند أهله[6].

ومن قوله مفتخراً:

---

(١) الديوان: ١١١ – ١١٢.

(٢) لسان العرب: «نهب».

(٣) م.ن: «وتر».

(٤) م.ن: «حنفق».

(٥) م.ن: «بكر».

(٦) ظ: م.ن: «فنق».

{من الكامل}

وأنـــا ابـــنُ بَجْـــدتِها وفي صُـــيّابها وســـليلُ كـــلِّ مَـــسوَّدٍ مفـــضالِ

أدعُ الرَّقاحـــةَ لا أريـــدُ نماءهـــا كـــيما أُفيـــد رغائـــبَ الأنفـــالِ[1]

وقصد الشاعر بالصُيّاب: الخيار[2]، و«الرقاحة: الكسب والتجارة، وترقِيحُ المال اصلاحه والقيام عليه»[3].

إن مما يقرب المتلقي الى فهم اللفظة، لجوء الشاعر الى رصفها ضمن غيرها من الألفاظ في السياق؛ ليبين دلالتها من خلال وصفها، فلا يتعثر ذهن المتلقي في المعنى الذي قصده الشاعر على الرغم من انها تندرج ضمن سياقات جديدة كانت جزءا من بناء النص الذي يفصح عن دلالتها.

ومن خلال دراسة خصائص ألفاظ شعر أبي طالب السالفة الذكر يمكن دراستها بشيء من التفصيل؛ لمعرفة ما اسهمت به تجربة الشاعر في ايجاد لغة ملائمة لها تنسجم مع الموضوع الذي هو في صدد الحديث عنه.

- الأعلام:

أ- أسماء الرجال:

طالعنا شعر أبي طالب بمجموعة كبيرة من أسماء الرجال تلونت بدلالات

---

(١) الديوان: ٢٠٩، (انا ابن بجدتها) مثل: ظ: جمهرة امثال العرب:١/ ٣٨، فصل المقال في شرح كتاب الامثال:١/ ٢٩٧، مجمع الامثال: ١/ ٢٢، المستقصى في امثال العرب: ١/ ٣٧٦.

(٢) ظ:لسان العرب: «صيب».

(٣) م.ن: «رقح».

مختلفة بحسب الموضوع المطروق[1]، واحتلت اسماء رجال سلالة نسبه واهل بيته، والمقربين الذين تربطهم معه صلة نسب حضورا كبيرا في البناء اللفظي في شعره.

فمن الاسماء التي وردت في سلالة نسبه، واهل بيته: قصي وابنه عبد مناف، وعمرو: هاشم بن عبد مناف، وأبو الحارث، شيبة : عبد المطلب بن هاشم، والد أبي طالب ، وأخوته، عبد الله والد النبيﷺ، والزبير، والحمزة، والعباس،وأبي عتبة، عبد العُزى: أبي لهب،واولاده طالب وجعفر وعلي[2]، ذكرهم الشاعر في المديح والفخر والرثاء؛ لاثبات قيمة معنوية أو مادية جليلة، ولبيان فضائلهم، وشمائلهم، وخلائلهم، وقد يكون تكرار اسم الفقيد اثارة لشجون الشاعر والسامعين، فيجد الشاعر منفذا في التنفيس عن آلامه بالبكاء وندبه، أو يردد أسماء اشخاص؛ ليوصيهم برسول الله خيرا في حثّهم على مساندته والوقوف بجانبه والذود عنه ، والحض على نصرته، والتجمل بالصبر على الاذى، والعتاب لمن ترك مؤازرته، فذكر اسماء الاشخاص يعني ميل أبي طالب الى تقرير قضايا واقعية ترتبط بها وهذا يفصح عن سمة الوضوح التي اومأنا اليها آنفا.

ومن المفيد أن اذكر ان ما ورد من ذكر أسماء سلالة نسب أبي طالب اقترنت بلفظ «سود» ومشتقاتها، ومنها السيادة، ولا غرو في هذا الامر، فقصي الجد الاعلى

---

(١) ظ: الديوان: ٧٥، ٧٦، ٧٧، ٧٨، ٧٩، ٨٣، ٩٤، ٩٦، ٩٧، ١٠١، ١٠٤، ١٠٧، ١٢١، ١٢٦، ١٣١، ١٣٣، ١٣٧، ١٣٨، ١٤٩، ١٦٩، ١٧١، ١٧٥، ١٧٧، ١٧٨، ١٨٠، ١٨٤، ٢٠٥، ٢٢٠، ٢٤٧،٢٤٦، ٢٥١، ٢٥٣، ٢٥٩، ٣٣٠، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤١.

(٢) ظ:م.ن: ٩٤، ٩٦، ٩٧، ١٠١، ١٤٩، ١٦٩، ١٧١، ١٧٧، ١٧٨، ٢٢٠، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٥٣، ٣٣٠، ٣٤٠.

لأبي طالب هو الذي جمع قريش في مكة وسادها وتولى «الحجابة والسقاية، والرفادة، والندوة، واللواء، فحاز شرف مكة كلّه»[1]، ومن ثمَّ توارثها ابناؤه واحفاده من عبد مناف إلى ابنه هاشم ثم عبد المطلب، ثم الزبير، ثم أبي طالب، ولذلك نجد السيادة لا تنفك عن اقترانها بتلك الاسماء حية، أو ميتة في المديح والفخر والرثاء، على نحو ما نجد أبا طالب يرثي أباه ويردد اسمه شيبة تارة، وأبا الحارث تارة أُخرى استمراء في تلفظها بندبه وتأبينه في آن معا، فقال:

{من البسيط}

أَبكى العُيونَ وَأَذرى دَمعَها دِرَراً ... مُصابُ شَيبَةَ بَيتِ الدِّينِ وَالكَرَمِ
كانَ الشُجاعَ الجَوادَ الفَردَ سُؤدَدُهُ ... لَهُ فَضائِلُ تَعلو سادَةَ الأُمَمِ
مَضى أَبو الحارِثِ المَأمولُ نائِلُهُ ... وَالمُختَشى صَولُهُ في الناسِ وَالنِّقَمِ
هُوَ الرَّئِيسُ الَّذي لا خَلقَ يَقدُمُهُ ... غَداةَ يَحمي عَنِ الأَبطالِ بِالعَلَمِ
العامِرُ البَيتَ بَيتَ اللهِ يَملأُهُ ... نوراً فَيَجلو كُسوفَ القَحطِ وَالظُّلَمِ[2]

اقترن اسم أبي الحارث: عبد المطلب بتولي المناصب الادارية المهمة في المجتمع المكي، فهو سيدها ورئيسها وحاكمها[3]، والقائم على عمارة بيت الله الحرام وسدانة الكعبة[4]،«وساقي الحجيج»[5]، كانت بيده السقاية فضلا عما حباه الله بكرامة

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام: ١/ ١٢٥.

(٢) الديوان: ٩٧.

(٣) ظ: المحبر: ١٣٢، ١٦٥.

(٤) ظ: الديوان: ٩٧.

(٥) م.ن: ٨٠، ظ :م.ن: ٩٤، ٣٣٣.

الاستسقاء[1] لوجاهته ومكانته ومنزلته عند ربه.

ومن اسماء المقربين التي تربطهم مع الشاعر صلة النسب من طرف امه اخواله، وهم اولاد اعمامها: الوليد بن المغيرة، وأبو عثمان هشام بن المغيرة، وأبوالعاص اياس بن معبد[2]، وترددت اسماء هذه الشخصيات في سياق الفخر والرثاء في بيان فضائلهم وسجاياهم في شعره المتمثل بمرحلة قبل الإسلام، اما من عاش منهم في الإسلام الوليد بن المغيرة، فخاطبه أبو طالب معاتبا تارة، وهاجيا له تارة اخرى.

إنَّ هذا التلوين في القول للشخصية الواحدة المسماة ولا سيما أبو الوليد بمدحه بالفضائل والفخر ثم عتابه، وهجائه يفسره تبدل مواقف هذه الشخصية، فالوليد له مكانة سامقة في المجتمع القريشي في الجاهلية وكان عدل قريش كلها، فاذا كست قريش البيت الحرام كساه وحده[3]، لكنه في الإسلام كان واحداً من الشخصيات التي ناصبت العداء لرسول الله ﷺ واحد المستهزئين الذين آذوه[4]، ومن هنا تغيرت مواقف أبي طالب تجاهه تبعا لمواقف الوليد، فهجاه قائلاً:

{من الطويل}

وَليــدٌ ابــوهُ كــان عبــداً لجــدِّنا　　　إلى علجَــةٍ زرقــاءَ جــالَ بهـا الـسِّحْرُ[5]

---

(١) ظ:م.ن: ١٤٩.

(٢) ظ:م.ن: ٧٨، ١٠٧، ١٢١، ١٧٨، ٣٣٤- ٣٣٥.

(٣) ظ: انساب الاشراف: ١/ ١٣٣.

(٤) ظ: الكامل في التاريخ: ٢/ ٤٧- ٤٨.

(٥) الديوان: ١٠٧.

ومن اسماء المقربين أيضا، ابن خاله: أبو جهل عمرو بن هشام، وابن أخته زهير بن جعدة المخزومي، وابن أخيه أبو أروى: ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، فوردت اسماؤهم في التعزية لاحدهم في موت أبيه، لشد ساعده وعزمه في مصاب الفقيد، أو مديح شكر للشخصية المسماة التي سعت لنقض الصحيفة الجائرة، أو حث الشخصية على نصرة رسول الله ﷺ وهو يتغنى بعراقة ارومتها على نحو ما نجده في قوله لابن أخيه:

{من الكامل}

اعلمْ أبا أروى بأنك ماجدٌ   من صُلْبِ شَيْبَةَ فانصرنَّ محمَّداً[1]

ووردت اسماء رجال تربطهم بالشاعر صفة الصداقة ومنهم : مسافر بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس، وأبو عمارة الوليد بن المغيرة،وأبو قيس بن الأسلت من بني وائل[2]، وحملت هذه الاسماء دلالات مختلفة منها: ندب الشاعر صديقة وتأبينه، واخذ العزاء في رثائه، أو دعوة صديقه لنصرة رسول الله ﷺ والذود عنه، والوقوف إلى جانبه وحمايته، أو ابلاغ صديقه رسالة يمدحه فيها لأسداء معروف قد فعله صديقه في نصح قريش ونهيه عن الحرب، وكف الاذى وتحذيرهم من عصيانهم في قطع صلة الرحم، فيمدح صديقه بالشرف، والكرم، وطيب النسب، على نحو ما نجده في مخاطبة أبي طالب لأبي قيس:

{من الطويل}

أبلغْ أبا قيسٍ رسالةَ شاعرٍ   عليم بما قد قالَ جمَّ التجاربِ

---

(١) الديوان: ١٠١.

(٢) ظ: م.ن: ١٠٠، ١٠٤، ٢٠٥.

مـحـضتَ قريـشاً صَـفوَ نُـصحكَ جاهـداً وحــذَّرتهم عــصيان ربٍّ مُطالـبِ

بقطعهــم أرحــامهم بعــد وَصْــلها وتــــركهم (....) للعجائـــبِ

....

ومثـل أبي قـيس المـصفّى مـن الخنـى قَرِيـعِ النَّـدى وابـنِ الكـرام الأطائـبِ[1]

وذكر أبو طالب اعلاما تربطهم به صلة قبلية، فمما يلحظ في غـير واحـدة مـن قصائده تتحول ابياتها الى سجل اعـلام لشخـصيات سَـجَّلَ التـاريخ مـواقفهم مـن الدعوة الإسلامية فحملت شعار العداء لرسول الله ﷺ ولدينـه واتباعـه، وخلقـت الاكاذيب عليه والطعن برسالته، وهم: أُسيد (بن ابي العيص بن أُمية بن عبد شـمس بن عبد مناف)، وبكرة: (عتاب) وخالد بن أسـيد، وعـثمان (بـن عبيـد الله التيمـي)، وقنفذ (بن عمير بن جدعان بن عمر بن كعب بن سعد بن تيم)، وسبيع (بن خالـد)، ونوفل (بن خُويلد بن اسد بن عبد العزى بن قـصي)، وأبـو عمـرو (قُرظـة بـن عبـد عمرو بن نوفل بن عبد مناف، وأُبِيّ (الأخنس بن شريق الثقفي حليف بني زهـرة بـن كلاب)، و(عتبة بن ربيعة)، وأبو سفيان (بن حرب بن امية)، ومُطْعِم (بن عـدي بـن نوفل بن عبد مناف)[2].

إنَّ ذكر اسماء هذه الشخصيات يجسد حضور افعال اصحابها في ذهـن الـشاعر بحكم طبيعة الحياة الاجتماعية التي تحتم عليه ان يحتفل بها بوصـفها زعامـات بطـون قريش، أو وجهائها، أو حلفائها في المجتمع المكـي، حملـت في شـعره دلالـة العتـاب

---

(١) الديوان: ٢٠٥- ٢٠٦. ما بين القوسين بياض في الديوان.

(٢) ظ:م.ن: ٧٥، ٧٦، ٧٧، ٧٨، ٧٩، ١٢١، ١٧٨، ظ: السيرة النبوية لابن هشام: ١/ ٢٨١- ٢٨٢، مـا بين الاقواس التعريف بهذه الشخصيات.

والتودد إليهم؛ لاقناعهم بها فضل الله به نبيه بالرسالة، فكان ترديد اسمائهم وسيلة من أبي طالب يستقطبهم بها إلى صف الايمان، وكف عداوتهم عن رسول الله صلى الله عليه وآله وعنه على نحو قوله:

{من الطويل}

لَعَمري لَقَد أَجرى أُسَيدٌ وَرهطُهُ	إِلى بُغضِنا وَجَزّاً بأكلَة آكِلِ
جَزَت رَحِمٌ عَنّا أُسَيداً وَخالِداً	جَزاءَ مُسيءٍ لا يُؤَخَّرُ عاجِلِ
وَعُثمانُ لَم يَربَع عَلَينا وَقُنفُذٌ	وَلَكِن أَطاعا أَمرَ تِلكَ القَبائِلِ
أَطاعا بنا الغاوينَ في كُلِّ وجهةٍ	وَلَم يَرقُبا فينا مَقالَةَ قائِلِ
كَما قَد لَقِينا مِن سُبَيعٍ وَنَوفَلٍ	وَكُلٌّ تَوَلّى مُعرِضاً لَم يُمايِلِ
فَإِن يُقتَلا أَو يُمكِنِ اللهُ مِنهُما	نَكِل لَهُما صاعاً بِكَيلِ المكايِلِ
وَذاكَ أَبو عَمرٍو أَبى غَيرَ مُغضِبٍ	لِيُظعِننا في أَهلِ شاءٍ وَجامِلِ
يُناجي بِنا في كُلِّ مُمسىً وَمُصبحٍ	فَناجِ أَبا عَمرٍو بِنا ثُمَّ خامِلِ
وَيُقسِمُنا بِاللهَ ما إِن يَغُشَّنا	بَلى قَد نَراهُ جَهرَةً غَيرَ خاتِلِ[1]

اقترنت بعض أسماء الشخصيات المذكورة آنفا بموضوع التعريض؛ لاصرارهم على عداوتهم وبغضهم لرسول الله صلى الله عليه وآله وعمه ومن حاماه من عشيرته، فراح أبو طالب يتوعدهم ويحذرهم، فهجاهم بوسائل مختلفة منها: التصغير، والتحقير، والتعريض بعدم نقاء النسب، والنعت بالعداوة والضغن، والضعة والحمق، وقلة الحلم والعقل، والدعاء عليهم بسوء العاقبة، ونفي عنهم القيم

---

(١) الديوان: ٧٥- ٧٧.

والفضائل والخلال والشمائل الجليلة التي يتحلى بها العربي الأصيل، وما يلحظ ان هذه الاسماء وردت ـ في بعض الاحايين ـ بكنية المهجو، أو الاسم منسوب إلى أبيه، وهذا دليل على قرب مكانة المهجو من الشاعر، وعمق الرابطة التي تربط أبي طالب بالمهجو.

وبخلاف المعارضين لدعوة رسول الله في مكة، برز اسم ملك الحبشة النجاشي[1] المؤيِّد للدعوة خارج مكة، فحمل اسمه دلالة المدح في الاشادة بحسن معروفه في اجارة المسلمين الفارين من ظلم مشركي قريش وجورهم، فقال أبو طالب:

{من الطويل}

جوارَ النجاشيِّ الذي ليس مثلَهُ ... مليكٌ مجيرٌ للضعّافِ الأراملِ[2]

ونظفر ببعض الأسماء التاريخية كأسماء الانبياء: إبراهيم، وموسى، والمسيح ابن مريم، وذي النون، أو اسماء اقوام النبيين: عاد وثمود البائدة، او معجزة ناقة صالح، وهي اسماء ارتبطت بعقيدة توحيد الشاعر، واسم حرب داحس ارتبط ذكره بالتاريخ، وحرب أبي يكسوم: ابرهة الحبشي ارتبط ذكره بقدسية البيت المحرم[3]، فهذه الاشارات الاسمية التأريخية اختزلت احداثاً تاريخية قصصية غايتها في الأداء الشعري الاستبصار والتحذير والوعيد، وبيان عاقبة الأمور لاتعاظ قريش، وردت في شعر أبي طالب الإسلامي، على نحو ما نجده في قوله:

---

(١) ظ: م.ن: ٢٤٧، ٢٥٨، ٢٥٩.

(٢) م.ن: ٢٥٨.

(٣) ظ: الديوان: ٧٢، ١٣٨، ٢١١، ٢٥٥، ٢٥٩، الديوان (التونجي) : ٩٥.

{من الطويل}

ألم تعلموا ما كانَ في حربِ داحسٍ ورهطِ أبي يكْسوم إذ ملأوا الشِّعبا[1]

ووردت اسماء علماء اصحاب الديانة اليهودية والنصرانية من احبار ورهبان وهم: بحيرا، ودريس، وهمام، وزرير، أو زبير[2]، وذكرهم يرتبط بالنبوة، فشكلت هذه الأسماء وظيفة فنية في الحوار ضمن الأداء القصصي لرحلة أبي طالب إلى الشام، فقال:

{من الكامل}

وَثَنى بحيراءٌ زَبيراً فَانثَنى في القَومِ بَعدَ تَجادُلٍ وَتَعادِ
وَنَهى دَريساً فَانتَهى لَمّا نُهي عَن قَولِ حبرٍ ناطِقٍ بِسَدادِ[3]

ب ـ أسماء النساء:

لأسماء النساء حظ في التشكيل اللفظي في بناء لغة أبي طالب الشعرية، المنبثقة من تجربته الآنية، والمرتبطة بانفعالاته المتنوعة في فنون الشعر، من رثاء، وهجاء، وفخر، وشكوى[4]، وهي أسماء لها ظل في الواقع ـ ما خلا اسماً واحداً ـ سنتحدث عنه فيما بعد.

فمن اسماء النساء المقربات لأبي طالب اختاه: صفية واميمة، استمد الشاعر

(١) الديوان: ١٨٣.

(٢) ظ:م.ن: ١٣١، ١٣٢، ١٣٣.

(٣) م.ن: ١٣١.

(٤) ظ:م.ن: ٩٧، ١٢٦ ١٣٨، ١٨٠.

دلالة هذين الاسمين من دعوته لهما في البكاء على ابيهما عبد المطلب ـ والد الشاعر ـ، لبيان شدة هول المصاب، والأسى لفراقه نحو قوله :

{من البسيط}

صفيَّ بكّي وجُودي بالدموع له ... وأسعدي يا أُمَيْمَ اليومَ بالسَّجمِ[1]

وقد يرتبط اسم المرأة في شعر أبي طالب بالتعريض، فذكر اسم أم أبي لهب الخزاعية «سمحج» بغليظ القول، تنكيلا باخيه أبي لهب من أبيه الذي لجَّ في عداء رسول الله ﷺ ونابذ أخاه أبا طالب علانية وجهرا، مما أثار حفيظة أبي طالب عليه، فوجد في هذه الوسيلة من الاداء اللغوي تنفيساً للترويح عن الضغط النفسي عنه؛ وليحقق توازنه المضطرب الذي سببه اخوه له بعداوته المستمرة، فقال:

{من السريع}

يُكْنى بسمْحجَ إذ يُخالفُنا ... ويجِدُّ في النَّكراء والكفرِ

فاجعلْ سماحِجَ وابنها غَرَضا ... لكرائم الأكفاءِ والصُّهْرِ

....

صمّاءَ ضاقَ اليك عائرها ... إسلامنا لنوائب الدهرِ[2]

وبالمقابل يخضع تعريض الشاعر الى الفخر بأمه «أم الزبير» التي حملت دلالة الطهر والعفة والشرف والطيب فذكرها بكنيتها؛ للدلالة على عظم مكانتها وشرفها وعزها ومنزلتها، فقال من القصيدة ذاتها:

---

(١) الديوان: ٩٧.

(٢) م.ن: ١٨٠.

{من السريع}

إنّــا بنــو أُمِّ الـــزبير وفحلهـــا حملَـــتْ بنـــا للطيِّـــبِ والطُّهـــرِ[1]

ويجنح أبو طالـب إلى تجريـد اسـم المرأة ويخضعها لمقوماتـه الفنيـة في عملـه الشعري للوحة الطلل الذي افاد لها من الاسلوب التراثـي، وهـي اسـم وهمـي؛ لأن «للشعراء أسماء تخف على السنتهم وتحلو في افواههم، فهم كثيرا ما يأتون بهـا زورا»[2] فوظفها أبو طالب توظيفا فنيا يخدم غايـة في نفـسه مـن بـث الهمـوم والـشكوى مـن عداوة قريش له ولابن أخيه رسول الله ﷺ فاستهواه ترديـد اسـم (أم عاصـم) عـلى لسانه؛ لأنه وجد به فضاء رحبا لما يريد أن يقوله، فأنشد :

{من الطويل}

وكيـف بُكـائي في الطُّلـول وقـد أَتَـتْ لهـا حِقَـبٌ مُـذْ فارقـتْ أم عاصِـمِ[3]

جـ ـ أسماء القبائل :

بيَّنت القراءة الفاحـصة لـشعر أبي طالـب ترديـد اسـم قـريش، وهـي عـمارة انحدرت من فهر بن مالك بن النضر بن كنانة وقد تفرعت الى بطون عديدة، وكانـت متفرقـة في كنانـة إلى أن جمعهـا قـصي بـن كـلاب، الى الحـرم بعـد أن ولي امـر البيـت ومكة[4]، وتكررت أسماء بطون قريش[1]، في شـعر أبي طالـب للدلالـة عـلى الـترابط

---

(١) الديوان: ١٨٠.

(٢) العمدة: ٢/ ١٢١- ١٢٢.

(٣) الديوان: ١٢٦.

(٤) ظ: الكامل في التاريخ: ٢/ ١٧- ١٨.

الوثيق بين الشاعر وبينها، فشكلت صورة من صور انتماء الفرد بابناء مجتمعه الذي يظلهم ذلك البطن ولا سيما ان بعض هذه البطون تمثلت بكيانات صغيرة متزعمة في المجتمع المكي تربطها اواصر صلة النسب فأكثرها يعود الى عمود النسب النبوي[٢].

فمن أسماء القبائل الكبرى التي ينتسب أبو طالب إليها متشكلة في البناء اللفظي لشعره كنانة، وفهر، وقريش[٣]، وترددت في الرثاء بندب القبيلة على المرثي لعظم هول المصاب، او في الفخر للدلالة على علو مكانتها، أو في التحذير لمغبة سوء افعال من ينتسب اليها، والرد على الخصم منهم، أو التبليغ بخطاب موجه إليهم يحمل دلالة التعنيف على غرورهم وتأنيبهم لاتخاذهم قرارا في قتل محمد رسول الله ﷺ زورا وبهتانا واستنكار افعالهم، ومن ذلك ما قاله أبو طالب:

{من الوافر}

أَلا أَبلِغ قُرَيشاً حَيثُ حَلَّت ... وَكُلُّ سَرائِرٍ مِنها غُرورُ

....

أَيَأمُرُ جَمعُهُم أَفناءَ فِهرٍ ... بِقَتلِ مُحَمَّدٍ وَالأَمرُ زورُ

....

وكيف يكون ذاكم من قريشٍ ... وما منّا الضّراعةُ والفتورُ[٤]

---

(١) ظ: الديوان: ٧٥، ٨٠، ٨١، ٨٢، ٨٣، ٨٤، ٨٨، ٩١، ٩٢، ٩٥، ٩٧، ٩٨، ٩٩، ١٠٧، ١١٣، ١١٥، ١١٦، ١١٨، ١٢٠، ١٢٢، ١٢٧، ١٢٨، ١٢٩، ١٤٩، ١٧٧، ١٧٨، ١٨٣، ١٨٧، ٢٠٥، ٢٠٧، ٢١١، ٢١٤، ٢٢٢، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٦، ٣٣٠، ٣٣٣، ٣٣٦، ٣٣٨.

(٢) ظ: جمهرة انساب العرب: ٢/ ٤٦٤.

(٣) ظ: الديوان: ٩٧، ١١٣، ١٢٤، ١٧٧، ١٨٣، ٢٠٧، ٢٤٢، ٢٤٣، ٣٣٥.

(٤) م.ن: ٢٤٢- ٢٤٣.

وذكر أبو طالب أكثر بطون قريش من بني غالب، ولؤي بن غالب ، وكعب بن لؤي، وعامر، وهصيص، وكلاب بن مرة، وتيم، ومخزوم، وسهم، وجمح، وزهرة، وقصي،وعبد مناف، وعبد شمس، ونوفل[1]، فقد عارض الجزء الاوفر من بطون قريش رسول الله ﷺ ودينه، واتخذوا العداء سلاحا ضده بأساليب متنوعة منها السخرية، والافتراء، والتكذيب، والظلم، والجور، والتهديد بقتله، والطعن بدعوته، واجهاضها؛ لأنهم يمثلون كيانات سياسية في المجتمع المكي بوصفهم حماة بيت الله الحرام وجيرانه، ولهذا وردت اسماؤهم لتحمل دلالة الهجاء تارة،والعتاب تارة اخرى، فقال أبو طالب:

{من الطويل}

أَخصُّ خُصوصاً عَبدَ شَمسٍ وَنَوفَلا   هُما نَبَذانا مِثلَما يُنبَذُ الجَمرُ[2]

ومن الجدير ذكره ان اسمي: عبد شمس ونوفل متلازمان في شعر أبي طالب دائما[3] وهذا لأنهما اخوان فأبوهما عبد مناف[4].

ويستيعن أبو طالب بالله على ظلم قومه وبغيهم من بني لؤي بن غالب فقال:

---

(١) ظ: م.ن : ٨٠، ٨١، ٨٢، ٨٣، ٨٤، ٨٨، ٩٢، ٩٥، ٩٧، ١٠٧، ١١٥، ١١٧، ١٢١، ١٢٧، ١٢٩، ١٧٨، ١٨٣، ١٨٧، ٢٠٥، ٢١١، ٢١٤، ٢٢٢، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٦، ٣٣٠، ٣٣٦.

(٢) الديوان: ١٨٧.

(٣) م.ن: ٨٠، ١٠٧، ١١٧، ١٧٨، ١٨٣، ١٨٧، ٢١٤.

(٤) ظ: انساب الاشراف: ١/ ٦١.

{من الطويل}

فَقُلْتُ لَهُم: الله رَبِّي وَنَاصِري   عَلى كُلِّ باغٍ مِن لُؤَيِّ بنِ غالِبِ[1]

ويخص أبو طالب ذكر أسماء بعض بطون قريش: عبد مناف، وهاشم، وعبد المطلب[2]، في المديح، والثناء بشخصية الممدوح؛ ولبيان عراقة اصله الذي ينتمي اليه، قال أبو طالب في أبي لهب رجاءً في نصرة ابن اخيه ﷺ:

{من الطويل}

فلا تركبنَّ الدهرَ منه ذمامةً   وأنت امرؤٌ من خير عبد منافِ[3]

وأشاد أبو طالب بذكر اسم بني هاشم في مديحه لهم فقال:

{من المتقارب}

عليها المَراجِيحُ من هاشمٍ   هُمُ الأنجبونَ مع المُنتَجَبْ[4]

وفي الوقت نفسه تتشكل أسماء البطون: بني هاشم وعبد مناف وقصي[5] للدلالة على الفخر والزهو والعز والمجد والرفعة والعلو وعراقة الاصل؛ لأنهم يدخلون في عمود النسب الهاشمي فقال، أبو طالب مفتخرا بنسبه:

---

(١) الديوان: ٢٠٥.

(٢) ظ:م.ن: ٧٥، ٩١، ٩٩، ١١٣، ١١٦، ١١٨، ١٢٠، ١٢٢، ١٢٨، ١٧٧، ٢٤١، ٣٣٨.

(٣) م.ن: ١٧٧.

(٤) م.ن : ١٨٢.

(٥) ظ:الديوان: ٨٠، ٩٩، ١١٣، ١١٨، ١٧٧.

{من الطويل}

ونحـــن الـــصَّميمُ مـــن ذؤابـــةِ هاشـــمٍ   و آل قُـــصَيٍّ في الخُطـــوب الأوائـــلِ[1]

ـ الأمكنة:

لأسماء الأمكنة ظل في بنية قصيدة أبي طالب، فهي تحمل شحنات دلالية متباينة[2]، يتخيرها للتدليل على واقعيتها، وفنيتها بحسب تجربته الشعرية الآنية.

وردت أسماء أماكن في شعر أبي طالب كان لها أثرها الكبير في تاريخ حياته، فشكلت معتقدا دينيا له اهميته بوصفها اماكن مقدسة عند العرب ولا سيما عند قريش، كانت تمارس فيها شعائر دينية معظمة، فتعوذ أبو طالب بها من شرور مشركي قريش لقداستها وعظمتها بعد أن تعوذ «بربِّ الناسِ»[3]، في قصيدته اللامية التي جمع فيها قدرته الفنية، فقال:

{من الطويل}

وَثَـــورٍ وَمَـــن أَرســـى ثَبـــيراً مَكانَـــهُ   وعَـــيرٍ وراقٍ في حِـــراءٍ وَنـــازِلِ

وَبِالبَيـــتِ رُكـــن البَيـــتِ مِـــن بَطـــنِ مَكَّـــةٍ   وَبِـــاللهِ إِنَّ اللهَ لَـــيسَ بِغافِـــلِ

---

(١) الديوان : ٨٠.

(٢) ظ: م.ن: ٧٢، ٧٣، ٧٤، ٧٥، ٧٨، ٨٠، ٨١، ٩٠، ٩٤، ٩٦، ٩٧، ١٠٤، ١٠٦، ١١٢، ١١٧، ١١٨، ١٢٢، ١٢٤، ١٢٦، ١٢٧، ١٣٢، ١٣٤، ١٣٨، ١٤٩، ١٦٥،١٦٦، ١٦٦،١٦٨، ١٧٤، ١٧٨، ١٨٢، ١٨٤، ١٨٧، ١٩٠، ١٩١، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٧، ١٩٨، ٢١٢، ٢١٤، ٢١٦، ٢٢٢، ٢٢٧، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٨، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٥١، ٢٦٣، ٣٣٠، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٣٩، ٣٤٠.

(٣) م.ن : ٧١.

وَبِـــالحَجَرِ المُـــسوَدِّ إِذ يَمـــسَحونَهُ إِذا اِكتَنَفـــوهُ بِالـــضُّحى وَالأَصـــائِلِ

وَمَـــوطِئِ إِبـــراهيمَ فِي الـــصَّخرِ وطـــأَةً عَـــلى قَدَمَيـــهِ حافِيـــاً غَـــيرَ ناعِـــلِ

وَأَشـــواط بَـــينَ المَـــروَتَينِ إِلى الـــصَّفا وَمـــا فـــيهِما مِـــن صُـــورَةٍ وَتَماثِـــلِ

وَمَـــا حَـــجَّ بَيـــتَ اللهَ مِـــن كُـــلِّ راكِـــبٍ وَمِـــن كُـــلِّ ذي نَـــذرٍ وَمِـــن كُـــلِّ راجِـــلِ

وَبِالمَـــشعَرِ الأَقـــصى إِذا عَمَـــدوا لَـــهُ إِلالاً إِلى مُفـــضى الـــشِّراجِ القَوابِـــلِ

وَتَوقـــافِهِم فَـــوقَ الجِبـــالِ عَـــشيَّةً يُقيمـــونَ بِالأَيـــدي صُـــدورَ الرَواحِـــلِ

وَلَيلَـــةِ جَمـــعٍ وَالمَنـــازِل مِـــن مِنـــىً وَمـــا فَوقَهـــا مِـــن حُرمَـــةٍ وَمَنـــازِلِ

وَبِـــالجَمرَةِ الكُـــبرى إِذا صَـــمَدوا لَهَـــا يَؤُمّـــونَ قَـــذفاً رَأسَـــها بِالجَنـــادِلِ

وَكِنـــدَةَ إِذ ترمـــي الجِـــمارِ عَـــشيَّةً تُجـــيرُ بِهِـــم حُجـــاج بَكـــرِ بـــنِ وائِـــلِ[1]

حشد أبو طالب عدداً كبيراً من أسماء المواضع التي تؤدى فيها شعائر الحج، وهو يتعوذ بها، فمن أسماء مواضع الجبال التي تقع في مكة، وبقربها جبال: «ثور، وثبير، وحراء»، وأشار الى جبل حراء[2]، بعبادة النبي محمد ﷺ فيه، فتعوذ براقٍ ليستعلي عند ربه بعبادته، وبكل نازلٍ متعبدٍ من الجبل بعد رقيه للبر[3]،«وبالبيت» واخص «ركن البيت»في داخل مكة، يأمه الحجيجُ من كلِّ حدب وصوب؛ لأداء

---

(١) الديوان: ٧١- ٧٣.

(٢) يعرف اليوم بجبل النور.

(٣) «كانت قريش اذا دخل رمضان، خرج من يريد التحنث (التعبد) منها إلى حراء، فيقيم فيها شهرا، ويطعم من يأتيه من المساكين، حتى اذا رأوا هلال شوال، لم يدخل الرجل إلى أهله حتى يطوف بالبيت اسبوعا، فكان رسول الله ﷺ يفعل ذلك». أنساب الأشراف: ١/ ١٠٥.

شعائرهم الدينية، ومناسكهم العبادية من حج بيت الله الحرام، وهم يمسحون بأيديهم موضع الحجر الاسود تبركا به، وبموضع «موطىء ابراهيم» خليل الله عليه السلام، فأبقى الله اثر قدمه آية للناس عندما رفع القواعد من البيت[1]، وبالسعي ما بين موضعي الجبلين: الصفا والمروة «وما فيهما من صور وتماثيل» التي تعظمها قريش، فاستعاذ بها مجاراة لهم؛ لأنهم يعرفون فضل الكعبة بيد أنهم يعظمون اصنامهم ويعبدونها ويطوفون بمواضعها كطوافهم بالكعبة.

ويستمر الشاعر في تعوذه بالاماكن المقدسة بمن حج «بيت الله»، «وبالمشعر»: بعرفة، وبالوقوف بـ«الالى»: موضع جبل بعرفة الى منتهى «الشِّراج»: موضع سيل الماء، وافاضتهم من عرفات الى «جمع»: المُزدلفة، فهذه المواضع ما فوق حرمتها حرمة، ولا فوق هذه المنازل منازل في مكانتها ومنزلتها عند الناس، والوقوف بها ليلة المزدلفة من المواقف العظيمة، وبعدها يقصد الحجيج مكان مِنى وهو بالقرب من مكة واطرافها من الاعلى الى موضع «الجمرة الكبرى»: جمرة العقبة، لقذف الحجيج رأسها بالحصى، وبالوقوف على هذه المشاهد من مواضع، تتم شعائر الحج.

فصل أبو طالب في بيان دلالة المواضع والاماكن التي تؤدي العرب فيها طقوسها الدينية، في بيان اعمال الحجيج والوقوف بالمشاهد المذكورة التي تحمل دلالة التبجيل والتعظيم والتقديس في نفوس العرب، ونادرا ما نجد شاعرا يُعنى بهذا الحشد من التركيز عليها، وهذا يدل على حب الشاعر، وحب العرب لها، وتشبثهم الروحي والنفسي بها؛ لأنهم باجلالهم هذه المواضع يجلون الله، فهم يعرفون الله، لكنهم وثنيون يشركون بعبادته ظنا منهم أن اوثانهم تقربهم من الله منزلة.

---

(١) ظ: الرُّوض الأُنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام: ٢/ ٢١- ٢٢، خزانة الأدب: ٢/ ٦٢ .

وفي ذكر هذه الأسماء التي تدخل في معتقدات العرب يؤكد الشاعر واقعيتها؛ لأنها أماكن شعائرهم الدينية التي يعظمونها، ويعظمها أبو طالب، فقال مخاطبا قريشاً:

{من الطويل}

لقد كانَ منّي ما رأيتُم وإنني لأُعظمُ حَقَّ البيتِ والركنِ والحجرِ[1]

المواضع المستقاة من البيت الشعري وهي «البيت والركن والحجر»، وغيرها التي ذكرناها آنفا، تدل على تجاه الشاعر للديانة الحنفية وشدة معتقده بها، وتتبين من تكراره لها ومن كثرة قسمه بها، ولاسيما مكان «الكعبة»، وهو يخاطب بني قصي في حصار الشّعب فيتعجب من عدائهم لابنائهم وهم ذو حسب واحد، وأهل ديانة[2]، فأقسم بالكعبة ذات الكسوة المحيطة بها أن لا ينالوا من رسول الله ﷺ حتى تلتقي رؤوس الرماح والسيوف القاطعة: فيما بينه وبينهم فقال:

{من المتقارب}

فَأنّي وَمَن حَجَّ مِن راكِبٍ وَكَعبَةَ مَكَّةَ ذاتِ الحُجُبْ
تَنالونَ أَحمَدَ أَو تُصطَلُوا ظُباةَ الرِماحِ وَحَدَّ القُضُبْ[3]

أثرى المكان «كعبة مكة» السياق بالحيوية الواقعية، فلوّنه الشاعر بانفعاله الذي استأثر عمق عاطفته من حب واعتزاز وتقدير وتقديس، وهو يقسم بافضل

---

(١) الديوان: ٢٤٥.

(٢) ظ: م.ن: ١١٦.

(٣) م.ن: ١١٦.

القسم بكعبة مكة وما يحيط بها من حُجُب، وهذه من الزيادات الفنية؛ متحديا بقسمه من يعادي رسول الله صلى الله عليه وآله ودعوته.

ويحشد أبو طالب في قسمه كثيرا من المواضع الدينية، وهو يخاطب بني لؤي، ويكذبهم بقتل رسول الله ، واذلال بني هاشم[1]، فاكد بقسمه خيبة امالهم في أن يثلم ركن الإسلام، فقال:

{من الطويل}

كَـذَبتُم ـ وَبَيتِ الله ـ يُثلمُ رُكنُهُ ... وَمَكَّةَ وَالإِشعارِ في كُلِّ مَعمَلِ

وَبِالحَجِّ أَو بِالنيبِ تَدمى نُحورُهُ ... بِمَدماه والرُّكنِ العَتيقِ المُقَبَّلِ

تَنالونَهُ أَو تَعطِفوا دونَ قَتْلِهِ ... صَوارِمُ تَفري كُلَّ عَظمٍ وَمِفصَلِ[2]

أثمر القسم بالمواضع المذكورة في النص الشعري سياقات مجازية، جعلت النص اكثر حيوية، وهو يقسم ببيت الله وبمكة، وبمكان نحر النوق: موضع الأضاحي المرتبطة بالشعائر الدينية، فهي بمثابة الرابط الدموي بين العبد وسيده الاعلى، سواء أكان ذاك الذي يدينون له بديانة التوحيد لله، أم من يدينون بالوثنية لآلهتم المتعددة، فتقربهم الى الله، وبالحجر الاسود الذي يقبله الناس تبركا به، بأن لايثلم ركنه، وأراد الشاعر مجازاً ركن رسول الله محمد صلى الله عليه وآله، وهذه التعددية في اسماء المواضع الدينية والقسم بها بهذه التفاصيل الذي احتواها شعر أبي طالب تعدُّ من الزيادات الفنية الجديدة التي لم نعهدها في شعر غيره من الشعراء[3] وتركيز أبي طالب

---

(١) ظ: الديوان: ١١٧.

(٢) م.ن: ١١٧–١١٨، المعمل: الطريق اللحب المسلوك.

(٣) ظ: تمثيلاً: شرح ديوان زهيربن ابي سلمى:١٤ ، ديوان النابغة الذبياني: ٢٥.

أبي طالب على المواضع الدينية وأماكنها التي تحمل دلالة التمجيد قد جاءت في شعره لأنها من بقايا عهد خليل الله ـ النبي ابراهيم عليه السلام ـ الذي بنى بيت الله ومسجده، وحفر بئر زمزم، وأقام الشعائر الدينية لتعظيمها في الطواف بها، والوقوف عليها، ونحر الاضاحي تقربا إلى الله بها وغير ذلك من الشعائر والطقوس العقائدية.

وقد حملت بعض المواقع دلالة التحذير والتوعيد في شعر أبي طالب لقومه وهو يسفه احلامهم ويكذبها في قتل رسول الله محمد صلى الله عليه وآله مؤكدا بقسمه ببيت الله فقال:

{من الطويل}

يُرَجُّونَ أَن نَسخى بِقَتلِ مُحَمَّدٍ ... وَلَم تَختَضِب سُمرُ العَوالي مِنَ الدَّمِ

كَذَبتُم وَبَيتِ الله حَتّى تَعَرَّفوا ... جَماجِمَ تُلقى بِالحَطيمِ وَزَمزَمِ[1]

ساعد القسم بذكر «بيت الله» على تنشيط معاني النص في بناء الصورة واثرائها بالايحاء بما تحمل من دلالة انفعال الشاعر من تهديد لقريش فيما لو عزمت على قتل محمد رسول الله صلى الله عليه وآله فإنهم سيرون رؤوسهم تتهاوى في موضعي (الحطيم): جدار البيت، وفي بئر زمزم، للدلالة على شدة غضبه، بيد أن الحطيم وزمزم لم يذكرهما أبو طالب بدلالة دينية صرفة، وانما جنح إلى تعجيز خصومه من ان يمسوا رسول الله صلى الله عليه وآله.

ويعد أبو طالب بحق اكثر الشعراء احتفالا بالاماكن الدينية، ولا سيما «مكة» بوصفها مركزا دينيا واداريا وسياسيا، مرتبطة بسيادته، وسيادة ابائه، فهم سدنة بيت الله وحجابه، ولهم الرفادة والسقاية، وهم الرؤوساء والحكام والسادة الأعلون

---

(١) الديوان: ١٢٤.

فيها[1]، فقال مفتخرا :

{من المتقارب}

فَإِنّـــا بِمَكَّـــةَ قِـــدماً لَنـــا | بِهـــا العِـــزُّ وَالخَطَـــرُ الأَعظَـــمُ
وَمَـــن يَـــكُ فيهـــا لَـــهُ عِـــزَّةٌ | حَـــديثاً فَعِزَّتُنـــا الأَقـــدَمُ
وَنَحـــنُ بِبَطحائِهـــا الرائِـــسو | نَ وَالقائِـــدونَ وَمَـــن يَحكُـــمُ
نَـــشأنا فَكُنّـــا قَلـــيلاً بِهـــا | نُجـــيرُ وَكُنّـــا بِهـــا نُطعِـــمُ
إِذا عَـــضَّ أَزمُ الـــسنينَ الأَنـــامَ | وَحـــبَّ القُتـــارِ بِهـــا المُعـــدِمُ[2]

سجل أبو طالب مكان بطحاء مكة؛ لأنه موطن اقامته واقامة ابائـه، وعـشيرته منذ القدم، فاستحضارها في فن الفخر يثير في نفسه معاني الزهو والعلو والعز والمجد والكرم والرفعة والاجارة والمكانة السامقة بين العرب.

ووردت أسماء اماكن دينية في فـن الرثـاء بـصورة متخيلـة ومملـوءة بالايحـاء، صاغها أبو طالب باناقة فنية تجاوز فيها التعبير التقريـري المبـاشر إلى التعبـير المعنـوي الذي يكشف جانبا من جوانب نفسيته وهو يرثي خاله هشام بن المغيرة:

{من الطويل}

فقـدنا عميـدَ الحَـيِّ فـالركنُ خاشِـعٌ | لفقـد أبي عـثمان والبيـتُ والحجـرُ[3]

بث الشاعر حزنه على من يحبه، فتخطى حاجز الواقع إلى الخيـال المتـزاوج مـع

---

(١) ظ: الديوان: ٨٠، ٨٥، ٩٠، ٩٤، ٩٧، ١٠١، ١٠٧، ١١٤، ١٢٠، ١٤٩، ٢٣٥، ٣٣٣.

(٢) م.ن: ٩٤، القتار: دخان الطعام المطبوخ.

(٣) م.ن : ٣٣٥، ظ: م.ن: ٢٦٣، ٢٦٤، ٣٣٦، ٣٣٧.

العاطفة، فأثرى المكان بفاعلية الخيال في وصف عميد الحي، وخشوع الركن والبيت والحجر لوفاته، فلم يكن وصف الشاعر للمكان وصفا تقريريا مباشرا، وانما اغناه بالخيال الموحي المؤثر، فأثار ألواناً من الدلالات من التقدير والتبجيل والالم والحزن، والخسارة لفقد أبي عثمان.

وهناك أسماء ارتبطت بالصورة المتخيلة في الحديث عن ذكرى الطلل، وهي : «بولان، وخلَّة، وينبع، وهضب الرَّجائم، والحي» أثارت في نفس الشاعر الوانا من المشاعر الانسانية من حزن وبكاء وألم وحسرة لنوى الاحبة، وفراقهم، تحمل ذكريات الماضي لروابطهم الاجتماعية على نحو قول أبي طالب في الشكوى من ظلم قومه له:

{من الطويل}

فَكَلَّفتُ عَينَيَّ البُكاءَ وَخِلتُني ... قَدَ اِنزَفتُ دَمعي اليَومَ بَينَ الأَصارِمِ

... ...

غِفارِيَّةٌ حَلَّت بِبَولانَ خلَّةً ... فَيَنبُعَ أَو حَلَّت بِهَضبِ الرَجائِمِ

فَدَعها فَقَد شَطَّت بِها غُربَةُ النَوى ... وَشِعبٌ لِشَتِّ الحَيِّ غَيرُ مُلائِمِ[1]

منحت اسماء الاماكن، ولاسيما المتتابعة بحروف العطف في السياق اللغوي للنص كثافة ايحائية في اثارة نفس الشاعر وشجونه للذكرى المتخيلة التي طواها الزمن، فبعثها المكان من جديد فكانت محطة لتفريج الشاعر عن ضغطه النفسي المبثوث في المقدمة الطللية التي جاءت استجابة لطبيعة موضوع القصيدة المطروق في

---

(١) الديوان:١٢٦ - ١٢٧.

اقتران افتراق الحبيبة بافتراق قومه عنه.

وقيد أبو طالب أسماء الأمكنة في نسيج شعره منها: «أرض، عرين، دور، منازل، معقل، بلاد، فلاة، فيفاء، قبور، حي»[1]، مفردة، او مضافة إلى اسم مكان، وهي اماكن تتعلق بشؤون الشاعر العامة، أو بشؤون عشيرته و قومه، وقد وردت استجابة لطبيعة تجربته الشعرية، وتأطرت بلغة تعبيره الشعري التقريرية المباشرة، أو بمراتع خياله في التعبير المجازي.

فمما ورد من الفاظ المكان في سياقات التعبير التقريري المباشر متخذة وظيفة فنية تحمل عنصرا من عناصر ملامح السرد القصصي في حديثه عن رحلته إلى الشام قوله:

{من الطويل}

فلـمّا هبطنا أرضَ بُصرى تشوَّفوا   لنا فوق دورٍ ينظرون عظامِ[2]

وقوله أيضاً:

{من الطويل}

فرُحنا مع العير التي راح رَكْبُها   يَؤمُّونَ من غورين أرض إيادِ[3]

شكلت الأماكن في البناء اللفظي وصف رحلات الشاعر وهو في طريقه إلى الشام، فتمثلت جزءاً من معالجة قصص رحلاته متخذة حضورا واقعيا غير موحٍ،

---

(١) ظ: م.ن: ٨٠، ٩٠، ١٠٦، ١٧٤، ٢٢٢، ٢٣١، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٥١، ٣٣٩.

(٢) م.ن: ١٣٢.

(٣) م.ن : ١٣٤.

وغير مرتبط بسياقات مجازية، وقبال هذا الامر نجد أسماء أماكن ارتبطت بسياقات مجازية، وحققت حضورا واقعيا على نحو قول أبي طالب مفتخرا بصوت الجماعة في حمايتهم لأرضهم:

{من الوافر}

مَنَعنا أَرضَنا مِن كُلِّ حَيّ	كَما اِمتَنَعَت بِطائِفِها ثَقيفُ
أَتاهُم مَعشَرٌ كَي يَسلِبوهُم	فَحالَت دونَ ذلكُمُ السُيوفُ[1]

حلَّقَ خيال الشاعر الى توضيح بيان حماية قومه لارضهم،فهم حراس عليها مثلما يحمي العسيس أرض ثقيف ممن أراد الاعتداء عليهم، فحمل المكان دلالة صونه، وحفظه، ومنعته، وحمايته، والذود عنه ضد من يطمع فيه.

❁ الصياغة :

سبق أن تحدثنا عن الألفاظ ودلالاتها المعجمية، ودلالتها ضمن السياق الذي وردت فيه؛ لأن الألفاظ المجردة لا تشكل لغة أدبية ما لم تكن في انساق لغوية منظمة تقوم اساسا على الصياغة المتمثلة في تراكيب، والموافقة لفنية بناء النص الأدبي وتقنياته، وان عملية انتقاء الألفاظ وطريقة تصنيفها وانتظامها في انساق غير كفيلة بخلق نظام لغوي في قالب شعري مؤثر ما لم تنصهر بجوهر عاطفة الشاعر من احاسيسه ومشاعره وانفعالاته وتجربته التي هو في صدد الحديث عنها، فتنجز بمجموعها عملا شعريا ابداعيا له درجة من الاثارة بحسب ما يحمل من ايحاءات

(١) الديوان: ٣٣٩.

شعورية متباينة في نقل احساسه وفكرته إلى المتلقي، ولهذا وجب على الشاعر أن يحقق التوافق والانسجام بين هيأة التركيب ومحتواه؛ لكي تظهر قدرته الابداعية في عمله الذي حقق فيه الصلة بين الشكل والمحتوى.

وفيما سبق عرضنا الخصائص الفنية لألفاظ شعر أبي طالب المشاعة فيها سمتان: البساطة والسهولة، فاستقطبت حضوراً لمزايا ثلاث هي الوضوح؛ فنأت الالفاظ عن حوشي الكلام وغريبه وبما ان الالفاظ جزئيات مبعثرة رصفها الشاعر في تراكيب منسقة ومنظمة تصور تكوينه النفسي والعاطفي في منظومة شعرية، فلابد من أن تطبعَ اثارها في تراكيب لغوية تحتويها، فانمازت بمزايا الالفاظ للاسباب التي ذكرناها آنفا، فاحتفلت التراكيب بالبساطة والسهولة والوضوح المتشكلة في الخطاب الشعري، فنهض خيال الشاعر الرحب، وبطاقاته القائمة على تنويع التراكيب في النص الواحد مصوراً جانبه المسيطر الذي يمتلك السلطة الجماعية؛ لتوافر امكانات الارشاد والوعظ والنصح والتوجيه التابعة لسلطته عن طريق اكثار التراكيب الطلبية برسالة شعرية تحمل مداليل كثيرة محكومة بتجربة الشاعر المرسل.

وجنوح أبي طالب لهذه النزعة الخطابية الطاغية في اكثر شعره يعود إلى أنه سيد قريش وزعيمها وحاكمها ورئيسها، فهو معني بابلاغ خطابه الموجه إلى المجتمع القرشي لايصال فكرته التي ينادي بها في رسالة شعرية موجهة اليهم، أو إلى شخص بعينه، فيلجأ إلى هذا الأسلوب الذي يظهر فيه الجهر والانفعال والجدة التي يفصح عنه النص من خلال استعماله للوسائل الخطابية المنسجمة مع فنون القول المختلفة من هجاء وتوعد وتهديد وتحذير وعتاب والموافقة لانفعالاته صعودا وهبوطا والمتباينة سلباً وإيجاباً.

ومما ساعد على ابراز ظاهرة النزعة الخطابية في شعر أبي طالب أنه تصدَّر ساحة الشعر العربي في فجر الإسلام، فدعا إلى نصرة ابن أخيه رسول الله ﷺ وحمايته ومؤازرته بكثير من القصائد ذات الأساليب الطلبية المنشدة امام جمهور قريش في بيت الله الحرام، أو في دار الندوة، أو في مجالس قريش، فكان الانشاد وسيلة الشاعر الاقناعية في تبليغ ما يجول في ذهنه من وعظ وتوجيه وارشاد ونصيحة ووصية الى الجهة التي يرغب ايصال صوته إليها واذاعته وانتشاره؛ لاستقطابهم إلى صف الايمان، وعلى الشاعر ان يكون خطابه الموجه إلى الطرف الاخر حائزا على الرضا والقبول والتأثير، لذلك كله، فهو يُعنى بصياغة تراكيبه اللغوية المنصهرة بافكاره ونفسيته وخياله؛ ليستولي على عقول مستمعيها، ويؤثر في نفوسهم.

إن عناية أُبي طالب بلغته الشعرية، ولا سيما التراكيب الطلبية المتنوعة في خطابه الشعري الموجه، يترتب عليها اقناع الطرف الآخر بما يصبو اليه من ايصال فكرته؛ لأنه الرجل المساند لابن اخيه رسول الله، ولدعوته وكلاهما يواجه خطرا حقيقيا متمثلا بعداء زعماء الشرك من قريش المتربصين بهما، لوأد الدعوة الإسلامية، والقضاء على صاحبها ومن سانده وحاماه، وهذا ما افرزه شعر أبي طالب بقصائد ومقطعات شعرية.

اما شعر فن الرثاء فيتوجه الشاعر فيه بخطابه الى المفقودين، وهو خطاب يباين خطابه الاحياء يعبر فيه عن حرارة انفعاله وصدق عاطفته ومراراة لوعته لفراقهم؛ ليشاطر المعزين المستمعين انفعالاته من بكاء وحزن وألم وحسرة وهو نادب ومؤبن ومعزٍ، ومن هنا كان الخطاب الشعري موجها الى الاحياء والاموات.

ويتوكأ أبو طالب في خطابه الشعري بوسائل الخطاب الجهرية من استفهام

ونداء وأمر ونهي ودعاء وتحضيض وافعال الخطاب وضمائره، وقد تتلاقح أكثر من وسيلة من وسائل الخطاب لنتاج سياقات معبرة تثير انتباه السامع للخطاب.

ويعمل الخطاب الشعري على تعزيز حضور الشاعر والمتلقي أو المستمع سواء أكان الشاعر منشدا خطابه بنفسه، أم انشده راوية اخر عنه، فهذا لايقلل من اهمية الخطاب؛ لأن المرسل والمرسل اليه ركيزتان مهمتان في عملية التبليغ، وعلى نحو ذلك كان خطاب أبي طالب الشعري مباشرا أو بوساطة راوٍ اخر يحمل خطابه إلى الطرف الاخر لتبليغ ما يرغب في ايصال رسالة تتعلق بامر معين متوسلا فيها أساليب الطلب مقترنا، ـ ولاسيما ـ بفعل الامر «ابلغ»[1]، وخطابه الشعري اما ان يكون موجها إلى قريش جميعها، أو يخص بعض البطون لقرابته منها، أو إلى أفراد يسميهم ويبلغهم أمور بعينها، بحسب تجربته الشعرية التي هو في صدد الحديث عنها، على نحو قوله مخاطبا قريش في قصيدته الرائية حين افتقد رسول الله ﷺ وظن أن قريشا اغتالته:

{من الوافر}

أَلا أَبلِغ قُرَيشاً حَيثُ حَلَّت	وَكُلُّ سَرائِرٍ مِنها غُرُورُ
فَإِنّي وَالضَّوابِحُ عادِياتٍ	وَما تَتلو السَّفاسِرَةُ الشُّهورُ
لآلِ مُحَمَّدٍ راعٍ حَفيظٌ	وَوِدُّ الصَدرِ مِنّي وَالضَميرُ
ولَستُ بِقاطِعٍ رَحِمي وَوُلدي	وَلَو جَرَّت مَظالِمَها الجَرورُ

....

فَلا وَأَبيكَ ما صدقت قُرَيشٌ	وَلا أَمَّتْ رَشاداً إِذ تُشيرُ

(١) ظ: الديوان: ٨٢، ١١٧، ١٢٧، ١٨٤، ٢٠٥، ٢١١، ٢٢٧، ٢٣٩، ٢٤٢.

أَيَـــامرُ جَمعُهُـــم أَفنـــاء فِهـــرٍ ... بِقَتـــلِ مُحَمَّـــدٍ وَالأمـــرُ زورُ

ألا ضــــلّت حُلـــومهم جميعـــا ... وأُطلِـــقَ عَقـــلُ حـــربٍ لا تبـــورُ

أتـــرضى مـــنكمُ الحُلـــماءُ هـــذا ... ومـــا ذاكـــم رضىً لي أن تبـــوروا

بُنـــيَّ أخـــي ونـــوط القلـــب منّـــي ... وأبـــيضُ مـــاؤه غَـــدق كثـــيرُ

وتـــشربُ بعـــده الـــشبّانُ ريّـــا ... وأحمـــدُ قـــد تـــضمَّنَهُ القبـــورُ

وكيـــف يكـــونُ ذاكـــم مـــن قـــريشٍ ... ومـــا منّـــا الـــضراعةُ والفتـــورُ

فإمـــا تفعلـــوه فـــإنَّ قلبـــي ... أبيٌّ أمـــرَكم عنـــه نفـــورُ

....

هنالـــك يـــا بُنـــيَّ تكـــونُ منّـــي ... بـــوادرُ لا يقـــومُ لهـــا ثبـــيرُ

كدَهْدَهَـــةِ الـــصُّخورِ مـــن الـــروابي ... إذ مـــا الأرضُ زَلْزلَهـــا النـــذيرُ

فـــلا تحفـــل لقـــيلهم فـــإنّي ... ومـــا حلـــت لكَعبَتِـــهِ النُّـــذُورُ

وَقـــيٌّ دونَ نفـــسكِ إن أرادوا ... بـــكَ الـــدَّهياءَ أو ســـالتْ بحـــورُ

أيـــا ابـــنَ الأنـــفَ أنـــف بنـــي قُـــصيٍّ ... كـــأن جبينـــكَ القمـــرُ المنـــيرُ

لـــكَ اللهُ الغـــداةَ وعَهْـــدَ شـــيخٍ ... تَجَنَّبُـــه الفـــواحش والفجـــورُ

بَتحفـــاظٍ ونُـــصرةُ أرْيَحِـــي ... مـــن الأعـــمام أعـــضاءُ نُـــصُورُ[1]

تمت عملية ابلاغ الخطاب الشعري بوسيلة اداء الطلب «ألا» مع فعل الطلب

---

(١) م.ن : ٢٤٢- ٢٤٤، الضوابح: مفردها ضابحة، وهي الفرس التي ترسل صوتا حين عَـدْوها لـيس بالصهيل ولا بالحمحمة، السفاسرة: مفردها السِّفير، وهو العالم بالاصوات والقيِّم بالامر المصلح لـه، الشهور: العلماء، نصور: جمع ناصر، وصدر البيت التاسع غير مستقيم.

الأمري «أبْلِغْ» من الشاعر المخاطب المرسل برسالة تحتوي على سياقات فنية أدبية مشبعة بدلالات موحيه صورت ألواناً من انفعالات الشاعر وعواطفه من غضب وزهو وحب وحنان وشفقة منقولة الى الطرف الاخر المرسل اليه «قريش» بوساطة شخص معين تقع عليه مهمة تبليغ الرسالة، وهذا ما يفصح عنه لفظ «ابلغ»، بيد أنَّ هذه الصيغة الطلبية لا تعني عزوف الشاعر عن مخاطبة قريش مباشرة، وانما أراد أن يبلغ الحاضر منهم الغائب بما يود قوله من تحذيرهم ولهذا تزاوج في تعبير الخطاب الشعري ما يدل على الحاضر والغائب والمخاطب من خلال الافعال والضمائر الدالة عليهم، وظهرت صورة المخاطب المرسل هي الاكثر بروزا في نص الرسالة تتجلى في فخره الذاتي، وهو يسبغ على نفسه صورة الرجل الناصر الذي يتولى مهمة الذود عن محمد رسول الله ﷺ في حفظه وحمايته، مجددا العهد في تبليغ رسول الله، وقريش بأنه ماضٍ على مواصلة المسيرة في حماية ابن أخيه ونصرته.

وانساق الشاعر في عتاب قومه في خطابه الشعري، وهو يتخير من أساليب الطلب: العرض والتحضيض، اما صيغة العرض، فاستعمل «لوجرَّت» فافادت اللطف والملاينة الممزوجة بالعتاب في ترك ما عزمت عليه قريش من أذى رسول الله ﷺ ويظهر من السياق الطلب المنجر تناغم أصوات الألفاظ في صيغة العرض في بيان عزوف الشاعر عن قطيعة صلة رحمه، وانصرافه عن اولاده مهما نجم عن ذلك من حروب، وهو يخاطب قريشا عندما قررت قتل رسول الله محمد ﷺ .

وافادت الصيغة الطلبية للتحضيض «ألا ضلت» التأنيب واللوم في ضلالة حلوم قريش وعدم الاهتداء الى طريق الحق، فاستعمال اداة التحضيض حملت دلالة الطلب بالحث والشدة، والشاعر ساق هذا الاسلوب لتهديد قريش وتحذيرها من

حرب لا هوادة لها.

ويلجأ الشاعر في خطابه إلى احدى طرائق الطلب ومنها: الأستفهام بوصفه وظيفة تعبيرية عن استنكاره في تآمر افناء قريش لقتل محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وتسفيه احلامهم في «أيامر جمعهم افناء فهر... »، أو يفيد الاستفهام دلالة النفي في خطاب الشاعر «أترضى منكم الحلماء هذا»، «وكيف يكون ذاكم من قريش» أي: لا ترضى منكم الحلماء هذا، ولا يكون ذاكم من قريش.

ولكي يعقد أبو طالب موازنة نفسية بسبب ما سببته قريش من أذى نفسي له ولرسول الله كان من حكمته أن يخفف حدة انفعاله، فجنح بقدر معين إلى المعادل في تقوية النفس في التعبير عن القيم الاجتماعية والخلقية في الخطاب الموجه إلى ابن أخيه فناداه بصيغة الطلب مادحاً «يابنيَّ... » و«أيا ابن الأنف أنف بني قصي... » معاضدا نداءه بصورتين تشعان بهاء مستمدة الاولى من تشبيه ثورة انفعال الشاعر بدهدهة الصخور اذا أصابت الأرض الزلزال، والصورة الثانية من تشبيه جبين رسول الله صلى الله عليه وآله ـ بالقمر المنير، وهو يعاهده بالحفاظ عليه ونصرته.

إنَّ تلازم اساليب الطلب المتنوعة من اداة استفتاح وتنبيه، وصيغ الأمر، والعرض، والتحضيض، والاستفهام، والنداء ساعدت على علو نبرة الشاعر الخطابية في بناء نص الرسالة الموجه الى قريش وتلوين انفعالاته، فاسهمت في تدفق صور حيوية معبرة.

واختلف خطاب أبي طالب الشعري الموجه الى قريش، ولاسيما أبناء لؤي بن غالب باختلاف اساليبه، وهو يقوم بوظيفة وعظية وحكمية في قصيدته الميمية، فيشكو ظلم قومه، ويفخر بنصرة رسول الله صلى الله عليه وآله فقال:

{من الطويل}

ألا أبلغنْ عني لُؤيَّ بن غالبٍ وأفنا قريشٍ عند نصِّ العزائمِ
ألَم تَعلَموا أَنَّ القَطيعَةَ مَأثَمٌ وَأَمرٌ تلاقيتم به غَيرِ حازِمِ
فإنَّ سَبيلَ الرُشدِ يُعلَمُ في غَدٍ وَأَنَّ نَعيمَ اليومِ لَيسَ بِدائِمِ
فَلا تَسفَهَوا أَحلامَكُم في مُحَمَّدٍ وَلا تَتبَعوا أَمرَ الغُواةِ الأَشائِمِ
تَمَنَّيتُمُ أَن تَقتُلوهُ وَإِنَّما أَمانيُّكُم تلكم كَأَحلامِ حالِمِ
فَإِنَّكُم -وَالله- لا تَقتُلونَهُ وَلَمّا تَرَوا نثر الطُّلى والجماجمِ
ولمّا تَصِلْ للقومِ منّا ملاحمٌ تحومُ عليها الطيرُ بعد ملاحمِ
وَتَدعوا بِأَرحامٍ أَواصِرَ بَينَنا وَقَد قَطَعَ الأَرحامَ وَقعُ الصَّوارِمِ
وَتَسمو لَخَيلٍ نحو خَيلٍ يَحُثُّها إِلى الرَّوعِ أَبناءُ الكُهولِ القَماقِمِ
أترجونَ انا مُسْلمونَ محمداً ولَمّا نُقاذفْ دونَهُ بالمراجمِ
بكلِّ فتىً ضخمِ الدَّسيعةِ ماجدٍ تَمَكَّنَ في العلياءِ من نسلِ هاشمِ
نَبيٌّ أَتاهُ الوَحيُ مِن عِندِ رَبِّهِ فَمَن قالَ: لا، يَقرَع بِها سِنَّ نادِمِ[1]

ألزم الشاعر نفسه تبليغ رسالته لافراد قريش جميعا، ولاسيما رهطه الذين يدخلون في عمود النسب النبوي، فهم أولى من غيرهم من قريش في نصرة رسول الله ﷺ فاستفتح خطابه باداة العرض «ألا» الدالة على التنبيه لطرق الاسماع، وايصال الشاعر خطابه عبر رسالة معبرا عما يرغب تبليغه بسياقات أدبية غايتها الفهم والوعظ مصاغة باسلوب يميل إلى الحكمة بعدم قطع صلة الرحم، لأن فيها

(١) الديوان: ٢٢٧- ٢٢٨، القماقم: مفردها القمقام، وهو السيد، الدسيعة: العطية الجزيلة.

اثما عظيما؛ وان طريق الرشاد سيعلم غدا وان السعادة ليست دائمة، مستعملا صيغة الأمر المؤكدة بنون التوكيد «أبلِغْنَّ» حرصا منه لتوكيد تبليغ الرسالة، وهو يجنح إلى استعمال صيغة الأستفهام «ألم تعلموا ان القطيعة مأثم... » الدالة على كمال علم قريش بحدوث ما تسببه القطيعة من أثم، ويتضمن الأستفهام نوعا من الاستبعاد في قول الشاعر «أترجون أنا مسلمون محمدا... » الدال على استبعاد حدوث تسليم رسول الله للقتل المرتبطة بعجز امكانات قريش، وبقوة الشاعر المؤكدة بـ «إن»، ويتلو الشاعر افعال الطلب بصيغة النهي «لاتسفهوا احلاكم في محمد، ولاتتبعوا امر الغواة» الدالة على الردع وطلب الكف، معقبا بالافعال المضارعة المبدوءة بتاء المضارعة الدالة على الخطاب ومكثرا من ضمائر الخطاب نحو كاف الخطاب وتاء الفاعل في «تمنيتم أن تقتلوه، أمانيكم تلكم، إنكم، لاتقتلونه، تروا، وتدعوا، وتسموا، ترجون» على الترتيب، وختم الشاعر رسالته بخطاب وعظي في ان محمدا نبي مرسل نُزِّل عليه الوحي من عند ربه، ومن رفض، فلات ساعة مندم.

إن التنوع في اسلوب الخطاب من وعظ وحكمة وتهديد ووعيد وتحذير في آن معا يدل على سيطرة الشاعر وتمتعه بسلطة قوية منحت له امكانيات هذا التلوين الخطابي وساعدت على علو نبرته، وهو يسفه اماني قريش، ويهددهم ويتوعدهم بالحرب والقتل، راسما من خياله صورا غنية بالايحاء مما افرزته دلالات الخوف والرعب والاشمئزاز ازاء صورة قطع الرؤوس وتهاويها، وصورة حوم الطيور حول جثث القتلى جراء القتل بحدة السيوف، فرفد الشاعر لغته بخصوبة خياله، واستعمل وسائل الخطاب المتنوعة من صيغ العرض والامر والنهي والمضارع المسند الى ضمير المخاطب وضمائر الخطاب الظاهرة، بيد أن الشاعر لا يركن الى استعمال صيغ الطلب والخطاب فحسب، وانما يتحول فخره بالذات المختزلة في فخره

الجماعي إلى وسيلة وعظية تدعم خطابه لتقوم بوظيفة ايصال رسالته إلى قومه وافهامهم إياها، فنتجت منها حكمة وعظية انطلقت من بداية الرسالة وختمتها بحكمة وعظية أيضا.

حاول الشاعر في رسالة اخرى موجهة الى بني لؤي من ابناء عمومته الأقربين وهم تيم وعبد شمس ونوفل، أن يستعيض من الوعظ في افهامهم بما يود ايصاله إليهم باسلوب تعبيري اخر يظهر فيه علو صوت (الشاعر) المرسل، وحضور صوت المرسل إليه (قومه) بشكل واضح من خلال الفعل «يقولون» والضمير المخاطب «انتم» في قوله:

{من الطويل}

أَلا أَبلِغا عَنّي لُؤَيّاً رِسالَةً	بِحَقٍّ وَما تُغني رِسالَةُ مُرسِلِ
بَني عَمِّنا الأَدنَينَ تَيماً نَخُصُّهُم	وَإِخوانَنا مِن عبدِ شَمسٍ وَنَوفَلِ
أَظاهَرتُمُ قَوماً عَلَينا أَظِنَّةً	وَأَمرَ غَوِيٍّ مِن غُواةٍ وَجُهَّلِ
يَقولونَ إِنّا قد قَتَلنا مُحَمَّداً	أَقَرَّت نَواصي هاشِمٍ بِالتَذَلُّلِ
...	...
تَنالونَهُ أَو تَعطِفوا دونَ قَتلِهِ	صَوارِمُ تَفري كُلَّ عَظمٍ وَمفصَلِ
وَتَدعو بِأَرحامٍ وَأَنتُم ظَلَمتُمُ	مَصاليتَ في يَومٍ أَغَرَّ مُحَجَّلِ
فَمَهلاً وَلَمّا تُنتَجِ الحَربُ بِكرَها	بِبَيْنٍ تِمامٌ أَو بِآخَرَ مُعجَلِ
فَإِنّا مَتى ما نَمرِها بِسُيوفِنا	نُجالِح فَنَعرُك مَن نَشاءُ بِكَلكَلِ
وَتَلقَوا رَبيعَ الأَبطَحينِ مُحَمَّداً	عَلى رَبوَةٍ في رَأسِ عَيطاءَ عَيطَلِ
وَتَأوي إِلَيهِ هاشِمٌ إِنَّ هاشِماً	عَرانينُ كَعبٍ آخِراً بَعدَ أَوَّلِ

فَــإِن كُنــتُمُ تَرجــونَ قَتــلَ مُحَمَّــدٍ   فَرومــوا بِــها جَمَّعــتُمُ نَقــلَ يَــذبُلِ
فَإِنّــا سَــنَحميهِ بِكُــلِّ طمــرَّةٍ   وَذي مَيعَــةٍ نَهــدِ المَراكِــلِ هَيكَــلِ
وكــلُّ رُدينــيٍّ ظــماءٍ كعوبُــهُ   وعَــضْبٍ كــإيماضِ الغمامــةِ مقــصَلِ
وَكُــلِّ جَــرورِ الــذَّيلِ زَعــفٍ مُفاضَــةٍ   دِلاصٍ كَهَزهــازِ الغَــديرِ المُسَلــسَلِ[(١)]

تركبت الرسالة من خطاب الشاعر؛ وخطاب قومه في ابداء رأيهم حول قـضية الدعوة الإسلامية وموقفهم منها، ومن صاحبها بدلالة الفعل «يقولـون» الـدال عـلى غياب المرسل اليه، وكـان تبليـغ الرسـالة بوسـاطتين: الأولى، موجـه إلى بطـن تـيم، والثانية، موجه إلى الأخوين عبد شمس ونوفل بدلالة القرينة السياقية لـصيغة الامـر «ألا ابلغا» الدالة على التثنية، واداة الاستفتاح والتنبيه لقرع الاذهان لـسماع الخطـاب، ويبدو أن سلطة قوم الشاعر محدودة في نص الرسالة، فـسرعان مـا تنتقـل الى الـشاعر متوسلا بأدوات الخطاب المتنوعة من استعمال الفعل المضارع المبدوء بالهمزة أو التـاء، على نحو ما نجـده في «اظـاهرتم، تنالونـه أو تعطفـوا، تـدعوا»، وضـمير المخاطـب الجمعي «أنتم»، وصيغة الدعاء المفهومة من سياق النص «... أقـرَّتْ نـواصي هاشـم بالتّذلُّل»، واستعمال احدى طرائق الخطاب الطلبي ومنها: اسـم فعـل الامـر«مهـلا» وفعل الامر «فرومُوا» الذي ألزم الشاعر فيـه قومـه بعـدم القـدرة المحـددة بالعلاقـة

---

(١) الديوان: ١١٧ – ١١٩، المعُجل: صفة للناقة التي تلد قبل استكمال الحول، نمرهـا: نمـسح ضرعهـا، جالح بالشيء: جاهر به، نعرك: ندلك، الكلكل: الصدر، العيطاء: الطويلة العنق، والعيطـل: الطويـل العنق في حسن، الطَّمرة: الفرس الجواد الطويل القوائم، ميعة الفـرس: اول جريـه، المراكـل :موضـع ركل الدابة بالقدم، الهيكل: الفرس الطويل، والكعوب من الرمح قدر ما بين العقدتين، حرور الذيل: صفة للدرع الطويل، الزغف: الدرع الواسعة الطويلة، الدلاص: اللينة البّراقة.

الشرطية بين جملة الشرط وجوابها المبنية على التقابل:

«فـإن كنتـم ترجـونَ قتلَ محمـدٍ فـروموا بمـا جمعتـم نقـلَ يذبُـلِ»

فقتل محمد مرهون بتعجيز القوم في نقل جبل يذبل الى مكان اخر، أي لايستطيعون؛ لأنه في حماية حصينة، ولهذا علت نبرة الشاعر الخطابية في مديح رسول الله ﷺ في فخره الجماعي وهو يثري سياقات الخطاب بالصور المجازية من العالم الخارجي الذي ابتدعتها لغته الفنية، مما ساعدت على بيان القيمة الجمالية للخطاب الشعري وهيمنة صوت الشاعر في توضيح فكرة الابلاغ، وافهام قومه للرسالة التي شكلت بنية تعبيرية حملت فكرته وانفعالاته.

وخلاصة القول إنَّ نص الرسالة سلط الضوء في الخطاب الشعري المشترك بين الشاعر وقومه وما نتج عنه من ايصال فكرته في غواية القوم من قتل رسول الله ﷺ ثم انفصام الخطاب المشترك، واعلاء نبرة الشاعر المسيطر في الرسالة الموجهة، وجنوحه لتقديم صور من العالم الخارجي نهضت باعلام الطرف الاخر في اشعال اوار نار الحرب، وما يدور في ساحة المعترك اذا ما أصرَّ القوم على غوايتهم وهذا هو جوهر توصيل ابلاغ الرسالة، فتحول الخطاب الشعري من تنبيه بوساطة اداة الاستفتاح في بداية الخطاب الى وسيلة اقناعية في التبليغ، وعلى هذا النحو نهج أبو طالب في قصائد أخرى خبرها بهذا الأسلوب التبليغي[1].

وهناك اساليب لغوية متعددة وردت في شعر أبي طالب اتخذها سبيلا لقول الشعر استوعبت تجربته الشعرية وسنورد منها ما يأتي:

---

(١) الديوان: ٨٢، ١٢٧، ١٨٤، ٢٠٥، ٢١١، ٢٣٩.

- النفي :

النفي اسلوب اخبار سلبي يدل على النقض والانكار للاشياء المادية والمعنوية على السواء وهو ضد الايجاب يراد به ازالة ما في ذهن المخاطب من اقتناع بشيء معين، وورد تركيب النفي في شعر أبي طالب[1] بطرائق متبانية بحسب طبيعة التجربة الموضوعية التي يكون الشاعر في صدد الحديث عنها في نقض موقف معين وانكاره، يتبين في بنية السياق التعبيري من استعمال الادوات (لا، لم، ما) في رثائه لخاله أبي أمية ابن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم فقال:

{من الطويل}

تَوَلَّوا وَلا أَبو أُمَيَّة فيهِمُ ... لَقَد بَلَغَت كَظَّ النُفوسِ الحَناجِرُ

تَرى دارَهُ لا يَبرَحُ الدَهر وَسطَها ... مُكَلَّلَةٌ أَدمٌ سِمانٌ وَباقِرُ

... ...

وَإِن لَم يَكُن لَحمٌ غَريضٌ فَإِنَّهُ ... يُكَبُّ لَهُم أَفواهُهُنَّ الغَرائِرُ

فَيُصبِحُ آلُ اللهِ بيضاً كَأَنَّما ... كَسَتهُم حُبوراً رَيدَةٌ وَمَعافِرُ[2]

---

(١) الديوان: ٧١، ٧٢، ٧٣، ٧٤، ٧٥، ٧٦، ٧٧، ٧٨، ٧٩، ٨٠، ٨١، ٨٢، ٨٣، ٨٤، ٨٥، ٨٧، ٨٩، ٩١، ٩٣، ٩٦، ٩٧، ٩٨، ١٠٢، ١٠٤، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨، ١١٠، ١١٢، ١١٣، ١١٤، ١١٥، ١١٧، ١١٨، ١٢١، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٠، ١٣١، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨، ١٤٩، ١٥٠، ١٧٧، ١٧٨، ١٨١، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٥، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٢، ٢١٣، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٤٤، ٢٣١، ٢٣٥، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٥١، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٨، ٢٥٩، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٣، ٣٣٦، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٤.

(٢) الديوان: ١٣٨، الأدم: شديد البياض، الباقر: جماعة البقر، الحبير: الثياب الموشاة والناعمة الجديدة، ريدة ومعافرة: بلدان في اليمن اشتهرا بالثياب الحبيرية.

حدد الشاعر وظيفة النفي اللفظية والمعنوية، فاستعمل (لا) النافية المشبهة بـ (ليس) الدالة على معنى السلب وترتبط بمضمون الكلام في انكار فكرة رجوع أبي امية مع المسافرين العائدين من الرحلة،مما تزاحم في نفس الشاعر الغم، والحزن، والالم لموت خاله، ويبدو أنَّ النفي بـ (لا) الداخلة على الجملة الاسمية آكد وابلغ مما لو دخلت على الفعل المضارع، فتجعل زمنه شاملا للحاضر والمستقبل على نحو قول الشاعر «ترى داره لا يبرح الدهرُ وسطها» فدل سياق النفي على عدم براح الدهر، لزهو دار أبي أمية بكثرة الجمال المعدة للذبح لاكرام الضيوف فيما مضى ويمتد الى زمني: الحاضر والمستقبل في تصور الشاعر الذهني؛ لأن موت خاله يصطدم مع زمني: الحاضر والمستقبل، الحائل دون عادة الكرم.

ويجتهد الشاعر في استعمال اداة النفي (لم) الدالة على قلب دلالة زمن المستقبل الى المضي في نفي ان تكون لحوم النوق غير طرية يريد أن النوق المذبوحة للضيوف سمينة للدلالة على عظم كرم خاله، وافادت (ما) من السياق دلالة لفظية في تقوية الصورة التشبيهية وتوكيدها في «كأنما... » فقريش اهل الله بيض الوجوه كأنهم كستهم ثياب الحبيرية بكرم المرثي عليه، فارفد النفي بتوسيع دائرة توكيد التشبيه، وكان ذلك كله دافعا قويا لتأبين الشاعر لخاله بفضيلة الكرم.

واستعمل أبو طالب تركيب النفي وسيلة لدفع أقاويل قريش في اتهام رسول الله ﷺ بالزور والبهتان مخاطبا قومه:

{من الطويل}

وَأَصبَحَ ما قالوا مِنَ الأَمرِ باطِلاً	وَمَن يَختَلِق ما لَيسَ بِالحَقِّ يُكذِبِ
فَأَمسى اِبنُ عَبدِ الله فينا مُصَدَّقاً	عَلى ساخِطٍ مِن قَومِنا غَيرِ مُعتَبِ

فَـــلا تَحْــــسبونا خـــاذِلِينَ مُحَمَّـــداً لـــدى غُربَـــةٍ مِنّـــا وَلا مُتَقَـــرَّبِ

... ...

فَــلا وَالَّــذي يَحْــدي لَــهُ كُــلُّ مُــرتَمٍ طَلــيحٍ بِجَنبَــي نَخلَــةٍ فَالمُحَــصَّبِ

يَمينـــاً صَـــدَقنا الله فيهـــا وَلَم نَكُـــن لِنَحلِــفَ بُطــلاً بِــالعَتيقِ المُحَجَّــبِ[1]

حشد أبو طالب أدوات النفي من اسم وفعل وحرف وهي «غـير، لـيس، مـا، لا، لم» منفردة، ومكررة، لاثبات حقيقة ونفيها باحدى أدوات النفي ومنها أداة النفي (لا) التي افادت ازالة ما في ذهن السامع مـن قناعـة بـصدق اقـوال قـريش، المفتريـة بالكذب، فأثبت الشاعر أن ما ادعته قريش باطلٌ وهو محض افـتراء، ويـبطن الـشاعر الاثبات في موضع النفي في جملة الشرط، فأتاحت له أن يمد العبـارة في قولـه: «ومـن يختلق ما ليس بالحق يُكَذَّب» فطول التركيب سـاعد عـلى توضـيح فكـرة الـشاعر في تثبيت حقيقة تلازم اختلاق الاحاديث بدلالة الزمنين الحال والمستقبل.

ويتوحد صوت المخاطِـب بالـصيغة الجمعيـة في خطـاب الـشاعر الموجـه إلى قريش لاثبات صدق ابن عبد الله النبي محمد ﷺ فيما ذكره من فعل الأرضة لأكلهـا الصحيفة، فينفي عن قريش العتب بالاسم «غير»، وبعـد اثبـات صـدقه برسـول الله يعلو صوت الجماعة مفتخرا بنصرته ومنعته في عـدم تركـه بـلا عـون، وخذلانـه بـلا ناصر، وهذا غريب عند الشاعر لا يكون ابـدا، ويؤكـد الـشاعر بحـرف النفـي (لا) بالقسم في مقدساته وصدق الله في قسمه؛ ليؤكد نفيه بالحرف (لم) الـذي قلـب دلالـة الـزمن مـن المـستقبل الى المـضي، فيؤكـد مـرة أخـرى بالقـسم بعـدم حلفـه بالكعبـة

---

(١) م.ن : ٩٦، يحدي: يسرع، المرتمي: الساقط، الطليح: الهزيـل، جنبـا نخلـة: واديـان قـرب مكـة، ظ: معجم البلدان: ٥/ ٢٧٧، المحصب: موضع رمي الحجار،ظ: م.ن: ٥/ ٦٢.

بالباطل،وبهذا كله اتاح الشاعر بناء تركيب النفي المجال في الافادة من طاقات الانفعال المتنوعة، فشكلت ضمن تراكيب النفي تراكيب اخرى مثل: الشرط والقسم وجملة العطف، فشحنت انفعالاته في صور رفع الظلم والضيم والافتراء عن رسول الله الموجهة من قومه، ومن ثمَّ اعلان نصرته وحمايته، فيصل بهذه التراكيب إلى عنصر مكمل للعبارات الممتدة في تراكيب طويلة دالة على طول النفس الشعري عند الشاعر.

ـ التوكيد :

يورد المتكلم أحيانا حديثا خاليا من التوكيد؛ لأنه يشعر أن المستمع يتقبل كلامه بلا شك، أو انكار، وهو يسوق خبرا، أو اقرارا بحقيقة معينة، فاذا احسَّ الشاعر أنَّ كلامه سيقابل بالارتياب والانكار من الطرف الاخر، لجأ الى توكيده بأحد انواع التوكيد، بمؤكد واحد أو اكثر بحسب درجة الانكار والارتياب؛ لدفع غفلة السامع عنه، ولتقوية كلامه وتثبيته في نفس المخاطب، وأفاض أبو طالب باستعمال تركيب التوكيد بطرائقه المختلفة[1] بحسب علاقته بمضمون تجربته الشعرية

---

(١) ظ: الديوان: ٧٠، ٧١، ٧٢، ٧٣، ٧٤، ٧٥، ٧٦، ٧٧، ٧٨، ٧٩، ٨٠، ٨١، ٨٢، ٨٣، ٨٤، ٨٥، ٨٧، ٨٨، ٩٠، ٩١، ٩٢، ٩٣، ٩٥، ٩٦، ٩٧، ٩٨، ٩٩، ١٠٠، ١٠١، ١٠٢، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨، ١١٢، ١١٣، ١١٤، ١١٥، ١١٦، ١١٧، ١١٨، ١١٩، ١٢١، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٩، ١٣٠، ١٣١، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٧، ١٣٨، ١٤٩، ١٥٠، ١٧٢، ١٧٧، ١٨٠، ١٨١، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٥، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١١، ٢١٢، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٣١، ٢٣٥، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٥٤، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦١، ٢٧٤، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٣٨، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٢.

الشعرية الذي هو في صدد الحديث عنها، التي لها وشائج بمواقف حياته، ولاسيما في خطاباته الموجهة الى قريش يحثهم فيها على تصديق دعوة رسول الله ﷺ ونصرته ومؤازرته على نحو قوله مفتخرا بمقاتلة مشركي اشراف قريش إذا ما استدعيا الامر لذلك:

{من الطويل}

وإنّا لَعَمْرُ اللهِ إنْ جَدَّ ما أرى لَتَلْتَبَسَنْ أسيافُنا بالأماثِلِ[1]

أكد الشاعر باكثر من مؤكد واحد؛ لتقويه كلامه المرسل إلى مشركي قريش المعادين للإسلام، فيتباهى بانه يقاتل السادة الاشراف اكفاءَهُ، وبسط هذه المؤكدات على مساحة البيت، فأكد بـ (ان) والقسم «لعمر الله»، وبـ (ان) مرة اخرى، والفعل المضارع المسبوق بلام الطلب المؤكد بنون التوكيد «لَتَلْتَبِسَنَّ» رغبة منه في تثبيت ما قرره في اذهان مشركي اشراف قريش، وازالة الارتياب في عدم مقاتلتهم إذا اصروا على عنادهم في معاداتهم، وتمكن التركيب اللغوي في جملة النفي «ما ارى» الدالة على الحال والاستقبال على اطالة العبارة؛ لتوضيح دلالتها.

وأكد أبو طالب بالتوكيد المعنوي باللفظ «كل» الدال على التعميم والشمول، وبالجملة المرادفة التي تعبر عن معنى واحد في مديح رسول الله ﷺ فقال:

{من الطويل}

مَثابا لأفناءِ القبائلِ كلِّها تَخُبُّ اليهِ اليعملاتُ الذَّواملُ[2]

(١) الديوان: ٧٥.

(٢) م.ن : ٣٤١، اليعملات: جمع يعملة، وهي الناقة النجيبة، والدوامل: صفة لها وهي المصابة بجروح بسبب طول الطريق.

راعى أبو طالب ما اقتضاه المقام في اختيار اللفظ المؤكد في الموضع المناسب بطريقة فنية متقنة، واردف بضرب آخر في توكيد العبارة الأولى بالمعنى نفسه لازالة الارتياب في ارادة الجمع، فرسول الله مثاب «القبائل كلها» من دون استثناء للدلالة على علو مكانته وسمو شأنه بوصفه رسولا للأمة، وللدلالة على أن القبائل كلها خاضعة لامره، وتابعة له، بما اصطفاه الله لهذه المهمة، وقد اكد الشاعر المعنى نفسه في الشطر الثاني، لتثبيت المعنى في ذهن السامع لما قرره في الشطر الاول، بيد أنَّه حذف الرجال الذين يأمون الى رسو ل الله ﷺ وابقى إبلهم النجيبة التي تَخُبُّ اليه، للدلالة على انقيادهم وطاعتهم له، وكأن الإبل النجيبة تشارك اصحابها هذا السفر الميمون لما عرف من حرص العربي على مشاركة ناقته معه في مواقف الرفعة والسمو، والتعبير «تخب اليه اليعملات الدوامل» تقوية لصورة «مثابا لافناء القبائل كلها» فابرز التوكيد رغبة الشاعر في اماطة أي شك يخالج ذهن المخاطب في غير امر الطاعة والانقياد والتبعية، وليثبت عمق ايمانه بما يقول بهذا الاسلوب في ذهن السامع.

ـ الاستفهام:

الاستفهام من الأساليب اللغوية التي يراد بها طلب الافهام،وهو تركيب خاضع لقدرة الشاعر على استعماله استعمالا فنيا، وتوظيفه توظيفا ابداعيا في السياق، ويُبرز فيه تجربته الشعرية، ويثري عمله بامكاناته اللغوية في تقديم تجربة اكثر عمقا وشمولا في التعبير عن مثار انفعالاته التي تعتريه لحظة ابداع عمله الشعري، ليتعرف على حقيقة ذهنية معنوية، أو حسية مادية، فيكشف ما يخشاه من رؤية وحيرة.

وقد ينسج الشاعر تركيب الاستفهام في بناء لغته الشعرية مفتوحا ومغلقا في آن معا، أي في حال طلب الجواب على الحقيقة، أو عدمه في حال المجاز عندما يخرج

الى معانٍ مجازية يراد بها التقرير، والانكار،والتوبيخ، والتعجب، والتذكير، والافتخار، والسخرية، والتهكم،والتهويل إلى آخره، بيد أنَّ صيغ الاستفهام لا تتحدد بهذه المعاني تحديدا تاما؛ لأن دلالة تراكيب الاستفهام ترتبط بالاطار العام للموضوع الذي يتفرع منه، مما يؤدي الى تداخل المعاني واتساعها، واسلوب الاستفهام له أثره في تنغيم الكلام، وطريقة السؤال لها وقعها على السامع في تصنيف صور الاستفهام المختلفة بالوانها المذكورة، وترتبط طبيعة الاستفهام في شعر أبي طالب[1] في صوره المتعددة والمتعلقة بامور حياته العامة التي تتطلب من الشاعر نبرة عالية في التعبير ـ سواء أكان الاستفهام حقيقيا ام مجازيا ـ المتفاعل مع عناصر التراكيب الأخرى على نحو عتابه لأخيه أبي لهب فقال:

{من الكامل}

أبلغْ أبا لهبٍ مقالةَ عاتبٍ ... هل تُنْكِرَنْ عند المُقامَةِ محضري؟

أم هل أتى أني خَذَلْتُ وغالني ... عنه الغوائلُ بعد شَيبِ المَكْبرِ؟

...

أجزرتهم لحمي بمكة سادراً ... ثكلَتكَ أُمُّكَ أيَّ لحم تُجزرِ؟[2]

استفهم الشاعر بالاداتين: (هل، أي) بحسب مقتضى طبيعة كلام العتاب، ورغبة منه في توصيل ما يريد ايصاله، وهو يعبر عن ثورة انفعاله، فكرر الاستفهام

---

(١) ظ: الديوان: ٧٣، ٧٨، ٨٥، ٩٧، ١٠٤، ١٠٧، ١٠٩، ١١٠، ١١٥، ١١٦، ١٢٣، ١٢٦، ١٢٧، ١٣٢، ١٧٧، ١٨٤، ٢٠٩، ٢١١، ٢١٣، ٢٣٤،٢٤٤،٢٢٢ ، ٢٣٧، ٢٤٧، ٢٥٥، ٢٥٨، ٢٦١، ٣٣٣، ٣٣٨، ٣٤٠، ٣٤٤.

(٢) م.ن : ١٨٤.

بالحرف «هل» الذي لا يريد به معرفة شيء مجهول فحسب، وانما توقع الشاعر النفي في عدم نكران مكانته، أي اراد «لا تنكرنَّ» ومما يعزز الاستفهام المتضمن معنى النفي توكيد فعل المضارع جوازا بنون التوكيد، فهو استفهام عن فعل مؤكد، وليس مجرد عن حدوث الفعل، وانما عن حدوث اكيد له، ونلحظ ان الشاعر في الاستعمال الثاني لحرف الاستفهام «هل» نزع التوكيد من الفعل «أتى» جوازا؛ لمراعاة منظور المعنى في التعبير عن مكانه المناسب له، اذ اراد في المرة الاولى توكيد نفي عدم النكران، وفي المرة الثانية اراد استحالة ان يتلمس اخوه منه الخذلان، فاستعمل أبو طالب حرف الاستفهام «هل» في غاية الدقة في اختياره مع التركيب الاخر بطريقة فنية متقنة.

ويتضمن استفهام الشاعر بـ «أي» تفخيم شأنه وتعظيمه، وهو ازاء حال كشف ما يفعل اخوه ابو لهب مع قومه بجزرهم لحم أبي كناية عن غيبتهم له بما لا يحق لهم به.

وتتظافر قوة انفعال الشاعر مع صيغة الاستفهام التي أججت مشاعره واحاسيسه الحزينة؛ لفقدان صديقه مسافر، فلا يكتفي بصيغة استفهامية واحدة، وانما يردد بعض أدوات الاستفهام المقدرة والظاهرة متأزرة مع الوان التركيب اللغوية في قوله راثياً:

{من الخفيف}

لَيتَ شِعري مُسافِرَ بنَ أَبي عَمـ ـرِو وَلَيتٌ يَقولُها المَحزونُ؟

أَيُّ شَيءٍ دَهاكَ أَوغالَ مَرآ كَ وَهَل أَقدَمَت عَلَيهِ المَنونُ؟

...

كَم خَليلٍ بَزينُهُ وَابنُ عَمٍّ وَحَميمٌ قَضَت عَلَيهِ المَنونُ؟

كـانَ مِنـكَ اليَقـينُ لَـيسَ بِـشافٍ   كَيـفَ إذ رَجَّمَتـكَ عِنـدي الظُّنـونُ؟[1]

اظهر الشاعر حزنه وألمه وحسرته على فقدان صديقه وهو يحشد ألوانا من أدوات الاستفهام «الهمزة المقدرة، وأيُّ، وهل، وكم، وكيف» سعيا منه في تنويع التعابير الاستفهامية، فعندما يخاطب الشاعر الفقيد وهو يتعلق بكلمة (ليت) التي لاتجدي نفعا اخفى حرف الاستفهام (الهمزة) الدالة على استحالة تحقيق امنيته في الاجتماع بصديقه مسافر في يوم بعينه، لاختطاف الموت له، فبينتها دلالة السياق المقدر في الكلام: ليت شعري يا مسافر أنجتمع أم لا ؟ فتجاوز الشاعر نمط استعمال الاستفهام باحدى ادواته الظاهرة الى استعماله باحدى ادواته المقدرة، وكأنَّ غياب الاداة استوعبت الحدث في دلالة غياب الامنية في الاجتماع بصديقه، بيد أنَّ المقابلة في الاجتماع وعدمه لا تعني التضاد وانما هي نمط من التباين الذي يرتبط بالتركيب، وبهذا كله افادت الهمزة التعيين عندما كان الاستفهام بها تصورا.

والشاعر يتخير أداة الاستفهام «أيّ» في التعبير عن تعجبه بما اصاب صاحبه، فاهلكه في غفلة، ويردف باستفهام اخر بالحرف (هل) توكيدا للتعبير عن تعجبه في اختطاف المنية صديقه.

إن هذه التساؤلات المشحونة بانفعال الشاعر تحولت الى خاطره عن الموت في تغذية فكره وتعميقه باسلوب الاستفهام في الأداة «كم» الدالة على الكثرة العددية في رحيل الخليل والصديق والقريب الذين اختطفتهم المنية، ولكن في الوقت نفسه، فان الشاعر لم يمنح بعض الرؤية في استكناه حقيقة موت صاحبه باليقين استعظاما لموته،

---

(١) الديوان (التونجي): ٩٣- ٩٤.

ولهذا تولد في شعور الشاعر اضطراب الحقيقة بشأن موته، فتراه يطلق استفهاما اخر بالاداة «كيف» الدالة على الحال.

ومن انعامنا للنظر في بناء نسيج اسلوب الاستفهام يتبين أن أبا طالب تصرف تصرفا بليغا يرتفع بمستوى الاداء في التنغيم بادواته الموظفة في سياقات فنية اقتضت نبرة عالية في الاداء، انكشفت من خلال انفعالاته الحزينة وهو يخاطب الفقيد.

ـ الأمر:

احد وسائل الطلب الذي يحمل المخاطب على الالتزام بالاستجابة لفعل الامر، وتحمل صيغة الامر نزعة خطابية فيها استعلاء وظفها أبو طالب في رسائله الشعرية بكثرة، فمكانته في قريش تتيح له هذا النمط من اساليب الامر التي تُقبل منه على اية حال، فهو ممن لا يعترض على كلامهم في قبيلتهم لما تعرفه من سامق مكانته، وقد ورد هذا الاسلوب في خطابه الشعري[1] بحسب تجربته الشعرية الآنية في الموضوعات التي تقتضي منه الجهر والنبرة العالية في اصدار الاوامر إلى المخاطِب بشيء معين يتعلق به، أو بغيره، أو بالامور العامة، تبرز من خلالها انفعالاته، ويوظف أبو طالب صيغة الامر بوصفها وسيلة ابلاغية لدعوة قبيلة كنانة، ولاسيما من اتصف بمكانته السامقة، وكرمه الوافر، لقبول الدين الجديد،ولنصرة رسول الله ﷺ فقال:

---

(١) ظ: الديوان: ٧٨، ٧٩، ٨١، ٨٢، ٨٧، ٨٨، ٩٦، ٩٧، ٩٨، ١٠٠، ١٠١، ١٠٩، ١١٧، ١١٨، ١٢٢، ١٢٤ ١٢٧، ١٣٧، ١٧٧، ١٧٨، ١٨٠، ١٨٤، ٢٠٥، ٢٠٧، ٢١١، ٢١٢، ٢٢٠، ٢٣١، ٢٣٩، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٦، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٩، ٢٦١، ٣٣٤، ٣٣٩، ٣٣٥، ٣٤٠، ٣٤١.

{من الخفيف}

قُــلْ لِمــنْ كــانَ مــن كنانــةَ في العــزِّ وأهـــل النَّـــدى وأهـــلِ الفعـــالِ

قــد أتــاكم مــن المليــكِ رســولٌ فــــاقبلوه بـــــصالحِ الأعـــمالِ

وانـــصروا أحمـــداً فـــإنَّ مـــن اللّــــــــهِ رداءً عليـــه غـــيرَ مُـــدالِ[1]

تظهر صيغة الامر (قل) في السياق الواردة فيه انه طلب فيه الزامٌ في تبليغ رسالة شعرية الى قبيلة كنانة، وتفرع الخطاب التبليغي بحروف العطف إلى أهل الندى، وأهل الفعال، مما ساعد على طول النفس الشعري، وشد انتباه السامعين إلى تتبع فحوى مضمون الرسالة في انبائه ببعثة رسول الله ﷺ معززا الرسالة بالفعلين الامريين: «اقبلوه، وانصروه»، ولكي يقنع الشاعر قبيلة كنانة ببعثة النبي عضّد كلامه بتعليلات افادت بان رسول الله سيبذل لهم الاعمال الصالحة؛ ولهذا يتوجب عليهم الزام قبول دعوته. واسهم تركيب التوكيد لتعليل امر نصرته بانه يلتحف برداء رباني لا يزول عنه ابدا، ليحتم الشاعر على القوم الالتزام باوامره الصادرة عنه في القبول والنصرة.

ويوظف أبو طالب صيغة اسم فعل الامر وسيلة لطلبه المتلازم مع صيغة النهي؛ لاتمام دلالة السياق في خطابه الموجه إلى قومه، يذكرهم ظلمهم وعقوقهم وحصارهم في الشِّعب[2]، فقال:

{من الوافر}

فمهـــــلاً قومَنـــــا لا تَرْكَبونــــــا بمَظْلِمَـــــةٍ لهـــــا أمـــــرٌ عَظـــــيمُ

---

(١) الديوان: ٢٠٧.

(٢) م.ن: ١٢٢.

ألزم الشاعر أشراف قومه من هم بمنزلته بصيغة اسم فعل الامر «مهلا» في تحذيرهم من ظلمهم، وقد اسهم تركيب طبيعة النهي «لاتركبونا» في الكف وترك حدوث الظلم، ليكمل الشاعر دلالة الصيغة الامرية.

- النداء:

صيغة النداء هي إحدى طرائق الخطاب الموجه من المنادى إلى من يريد الاقبال عليه وتنبيهه، والالتفات لسماعه، وهي وسيلة لتصوير انفعاله في التعبير عن تجربته الشعرية وقد يخرج النداء من انه وسيلة لجلب الانتباه والاقبال والالتفات إلى وسيلة للمناجاة بحسب التجربة الشعرية التي يكون الشاعر في صدد الحديث عنها، وتعددت صورة المنادى في شعر أبي طالب[1] بتعدد تجارب حياته عبر اسلوب تقريري مباشر - في أكثر الاحايين - فهو لا يميل الى استعمال صيغة النداء لغرض التنبيه فحسب، وانما بوصفها وسيلة ابلاغية يبرز فيها علو النبرة، وجهارة الصوت ولا سيما مع حرف النداء «يا» ليفصح عما يعتريه من انفعال كان مدعاة الى استعمال هذا اللون من التركيب من دون غيره من التراكيب، متمثلا بندب الفقيد وتأبينه، ونصح الابناء والاهل والاقارب والعشيرة وارشادهم، وتهديد الخصم وتحذيره، وحماسة القوم وحثهم على مصاولة الاعداء، بيد أنَّ وظيفة النداء تتشكل مع واحد او اكثر من التراكيب اللغوية التي تم بها مداليل صيغة النداء المستعملة على نحو قول أبي طالب:

---

(١) ظ: الديوان: ٧٧، ٧٨، ٧٩، ٩٢، ٩٦، ٩٨، ١٠١، ١٠٩، ١١٥، ١٢٤، ١٦٩، ١٧٧، ١٧٨، ١٨٣، ٢٣١، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٥١، ٣٣٠، ٣٣٤، ٣٤٠.

{من السريع}

يـــا قـــومُ ذودوا عـــن جَمَــا هـــيركم   بكـــلِّ مِقْـــصالٍ عـــلى مُـــسْبِلِ[1]

ويلحظ أن نداء أبي طالب في هذا البيت بعيدٌ عن الانـشاء الفنـي؛ لانـه معنـي بالدلالة الصريحة التي يوصل من خلالها الى ما يريده إلى المنـادى، فاسـتعمل تركيـب النداء لقرع اذهان القوم وشد انتباههم إليه، ومن ثمَّ ابلاغهـم امـرا معينـا، فتعاضـد التركيب الطلبي للنداء مع تركيب طلبي آخر ورد بصيغة الامـر؛ للنهـوض بمـدلول النداء الذي عـبر عـن غليـان انفعالـه في اثـارة حماسـة القـوم للـذود عـن اشرافهـم واعلامهم.

إنَّ نداء الشاعر المتأزر مع طبيعة الطلب ذي النبرة العالية المسيطرة تنسجم مـع حال اعتداده بنفسه، وتدل على جليـل مكانتـه، وعلـو رئاسـته في قومـه، ولهـذا كلـه برزت سمة السلطة في النداء وهو يصدر الاوامر لقومه.

وفي صيغة النداء قد لا يقصد أبو طالب لفـت انتبـاه الـسامع للاقبـال، وانـما يجنح الى المناجاة في التعبير الذي ينأى عن التقرير، فصوت الشاعر يرجع الى داخله اذ ينادي نفسه؛ بل ينادي عينيه لتأذن له بالبكاء إلى آخر الحياة على رحيل أخيـه عبـد الله والد رسول الله صلى الله عليه وآله فقال:

{من البسيط}

عينـــي ائـــذني ببكـــاءٍ آخـــر الأبـــدِ   ولا تَمَـــلّي عـــلى قَـــرْمٍ لنـــا سَـــنَدِ[2]

حذف الشاعر حرف النداء؛ لأنه في حال لايسمح معها باظهار هـذا الحـرف؛

---

(١) الديوان : ١٠٩، مِقصَال: سيف قاطع، مُسْبِل: فرسٌ طويل الذَّنَب.

(٢) م.ن : ٩٨ .

إذ بلغ من الحزن في ندبه وتأبينه لأخيه درجةً دعته إلى حذف حرف النداء، ودعوة عينيه مباشرة لهول المصيبة، فاراد أن ينادي سريعاً ليطلب الاعانة منهما، وبرز مدلول تركيب النداء المتزاوج مع تركيب الطلب النهي في السياق، اثراء صورة المرثي الممدوح بالقيم المعنوية، فهو السيد والسند؛ ليمنح صيغة النداء دلالة قيمة فقدان أخيه الذي ترك خسارة عظيمة لذويه، وهو يغذي خيال المستمعين ويندب؛ لمشاركتهم احساسه الصادق المشحون بحرارة العاطفة.

❁ أثر الإسلام في لغة شعره:

إنَّ لغة الامة شديدة الحس والتأثر في كل ما يعتريها من تحولات على المستويات كلها: السياسية والدينية والاجتماعية، ومقدار قوة التأثر تتوقف على مقدار قوة التحولات وضعفها، فتتأثر اللغة في ذلك كله صعودا أو هبوطا.

ولاشك في أن الإسلام حدث كبير في حياة العرب غيَّر مجرى حياتهم مما ترك اثره في التحول والتغير والتطور الذي طرأ على اللغة.

وكان من نتاج هذا الأثر ان بعض الشعراء حادوا باللغة من القديم إلى الجديد فعزفوا عن الالفاظ الغريبة والحوشية، واستحدثت معانٍ والفاظ جديدة، وعُدِل عن موضوعات إلى موضوعات جديدة،والمعين الذي امدهم في هذا الشأن هو القرآن الكريم المعجز بلفظه ومعناه واسلوبه، فكان المثل الحي الذي ينهل منه الشعراء في محاكاته لما بهرهم اعجازه ببديع اسلوبه، وصياغة آياته،وتلاؤم فواصله إلى آخره، فطفقوا يقتبسون منه وظهر في كلامهم لفظاً وأسلوباً ومعاني وأغراضاً[1].

---

(١) ظ: تاريخ الادب العربي في العصر الإسلامي (السباعي): ٤- ٩.

ولغة شعر أبي طالب سارت موازية لحركة تطور الحياة الإسلامية الجديـدة في ابنيتها الشعريةالجديدة الى جانب الابنية الشعرية القديمة والمتطورة[1] التـي اسـهمت في التعبير عن متطلبات الحياة الجديدة المواكبـة للمرحلـة الانتقاليـة مـن الجاهليـة إلى الإسلام، وبالتحديد بداية الدعوة الإسلامية وانتشارها، فكـان هـذا دافعـا للوقـوف عند تأصيل الظاهرة اللغوية في بيان اثر الإسلام في شعره: الفاظـه ومعانيـه وتعـابيره الجديدة، لأن أبا طالب اول شاعر أيد الرسول ﷺ وناصره وآزره ودافع عنه، ويعـد شعره البذرة الأولى لتأصيل اثر الإسلام فيه، ورائد الشعراء الإسـلاميين في اسـتعمال الالفاظ الإسلامية ضمن سياقاتها الجديدة التـي اوجـدها التعبـير القـرآني في انتقـال دلالة بعض الالفاظ من معانيها القديمة إلى معانٍ جديدة غير معروفة قبـل الإسـلام. على أن البحث لم يغفل عن أن أبا طالب عاش في بيئة دينية قبل الإسلام، فقد كان هو ووالداه من الموحدين، ونشأ في مكة من اسرة تتمتع بمراكز دينية من سـدانة بيـت الله الحرام، وسقاية الحجيج فضلا عن ان اعلاء صوت الحق وبزوغ نور الهدى خرج مـن بيته، وقد واكب الحقبة الزمنية لنزول الوحي على ابن أخيه النبي محمد ﷺ فلاغـرو بعد ذلك كله ان يتأثر في لغة التنزيل الحكيم في شعره، فنصه الشعري قد زخر بالفـاظ القرآن ومعانيه وتعابيره بوصفه نصا لغويا معجزا يمتلك الخصائص الفنية فضلاً عـما يتمتع به من الجوانب الاخلاقية والتربوية والارشادية التي أولاها أبـو طالـب عنايـة كبيرة في استعمالها، واستثمار الافكار التي جاء بها القرآن في قصائده الشعرية.

ومن خلال القراءة الفاحصة لشعر أبي طالـب يتبـين أن أثـر الإسـلام في لغـة شعره الملتزم بقصائده الإسلامية الجهادية لنصرة رسـول الله يختلـف مـن قـصيدة إلى

---

(١) ظ: الفصل الخامس: البناء الفني في شعره من الاطروحة: ١٦٢- ١٨٨.

أُخرى بحسب تعدد طبيعة الموضوعات في القصيدة الواحدة من حث على النصرة، والمجاهدة في سبيل الله، ودعوة رسوله، والعتاب، والتعريض، والانذار، والتوعد والتحذير، فنجد اقتباسه من آيات الذكر الحكيم لفظا ومعنى تارة، واستثماره القصص القرآني تارة ثانية، وتزيين شعره بالألفاظ القدسية لاسم الجلالة وتعظيم صفات رسول الله ﷺ تارة ثالثة، إلى جانب استعمال الالفاظ الإسلامية التي فرضتها طبيعة الحياة الجديدة في ظل الدين الجديد[1] التي سنتطرق إليها بالتفصيل.

إن الكم الكبير الذي نزل من السور القرآنية المكية[2] على رسول الله ﷺ كان لها بالغ الأثر في الثقافة الدينية للشاعر فصقلت موهبته وأثرت في اسلوبه، فكانت الفاظ التنزيل العزيز وتعابيره تزين شعره في أغلب قصائده قبل غيره من الشعراء.

ويلجأ أبو طالب ـ في بعض الأحايين ـ الى تغيير صوغ المفردات والتعابير القرآنية المستعملة في نصه الشعري مراعاة للوزن، أو رغبة بالافادة من صور التمثيل

---

(١) ظ: الديوان: ٧١، ٧٢، ٧٣، ٧٤، ٧٦، ٧٧،، ٨٠، ٨١، ٨٤، ٨٥،٨٧، ٨٨،٩٠، ٩١، ٩٣، ٩٥، ٩٦، ١٠٠، ١٠٢، ١٠٧،١٠٨، ١١١، ١١٢، ١١٣، ١١٥، ١١٧، ١١٨، ١٢٠،١٢١، ١٢٤، ١٢٧، ١٢٨، ١٣٠، ١٣١، ١٣٣، ١٣٧، ١٤٩،١٥٠، ١٥٨، ١٥٩، ١٦٧، ١٧١، ١٧٢، ١٧٥، ١٧٧، ١٧٨، ١٨٠، ١٨٣، ١٨٥، ١٨٩، ١٩٠، ١٩١، ١٩٢، ١٩٣،١٩٨،٢٠٥،٢٠٦، ٢٠٧، ٢١١، ٢١٢، ٢١٤، ٢١٥، ٢٢٨، ٢٣٠،٢٣١، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٩، ٢٤١، ٢٤٢،٢٤٤،٢٤٦،٢٥١، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٥،٢٥٦، ٢٥٨، ٢٥٩،٣٢٩، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٨،٣٣٩،٣٤٠، ٣٤٣، ٣٤٤.

(٢) ظ: القرآن الكريم: الفهرس باسماء السور فقد بلغ عددها ستاً وثمانين سورة مكية من مجموع مائة واربع عشرة سورة من القرآن والرسول ﷺ هاجر الى المدينة بعد وفاة عمه بثلاث سنين، تخللت هذه المدة خروجه الى الطائف وعرضه نفسه على القبائل ،ظ: السيرة النبوية لابن هشام: ٢/ ٤٦- ٥٣.

القرآني في الانتفاع من دلالة الالفاظ التي تبرز من خلالها خبرته وثقافته الدينية.

ومن اثار اقتباساته القرآنية في القصيدة البائية التي حذر فيها بطون قريش عندما اجتمعت على خلافه بشأن دعوة رسول الله ﷺ حذرهم من ويلات الحرب المسعرة مذكرا إياهم بحرب داحس والغبراء، وحرب ابرهة الاشرم وما جرت فيها من ويلات[1]، بيد أن رحمة الله الذي لا أحد غيره تداركتهم فأنشد:

{من الطويل}

فوالله لولا اللهُ لا شيءَ غيرُهُ لاصبحتُمُ لا تملكونَ لنا سربا[2]

استمد أبو طالب دعوة قريش إلى الإسلام وعبادة الله الذي «لاشيء غيره» من قول الحق: ﴿...مَا لَكُم مِّنْ إِلهٍ غَيْرُهُ...﴾[3] معللا ذلك بالبراهين العقلية بما انفرد به الله من الملك والقدرة، فهو مالك الملك مليك الناس، ومالك السماوات والارض وما بينهما وكلٌّ عبيدٌ تابع له،وهو الوهاب، والمبديء الخلق، والذي يعيدهم بعد نشأتهم الاولى فقال:

{من الوافر}

مليكُ النّاسِ ليس له شريكٌ هو الوَهّابُ والمُبْدي المُعِيْدُ
ومَنْ فوقَ السَّماءِ له لَحقٌّ ومَنْ تحتَ السماءِ له عَبِيْدُ[4]

---

(١) ظ: الديون: ١٨٣.

(٢) الذيوان: ١٨٣، السرب: الطريق.

(٣) هود/ ٥٠، ٦١.

(٤) الديوان: ١٥٨.

زين أبو طالب ابياته الشعرية من تعبير التنزيل العزيز من قولـه: ﴿...وَلَمْ يَكُـنْ لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ...﴾[1]، وقوله تبارك وتعالى ﴿إِنَّـهُ هُـوَ يُبْـدِئُ وَيُعِيـدُ﴾[2]، وقولـه تبارك وتقدس ﴿وَللهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ...﴾[3].

إنَّ هذا الاقتباس لفظا، أو معنى في شعره يدل على مقدرته الفنية في اجادتـه في التعبير عن فن قول الشعر المذهّب بكلام الله، وعلى تـشرب نفـسه بالحـب الـصادق، والايمان العميق بما انزل الحق تبارك وتعالى، فضلا عـن ان الـشعراء مـن بعـده كـانوا يقتبسون شيئا من آي الذكر الحكيم في قصائدهم؛ «ليكسبوا معانيهـا قـوة، ويـضيفوا على الفاظها حلاوة ورونقا، ويبرزوا بذلك مقدرتهم على التفنن في التعبير»[4].

ويصدق أبو طالب ابـن أخيـه النبـي محمـد ﷺ ويتحـدى مـشركي قـريش، ومخاطبا أبا جهل بنشر دعوة ابن أخيه بما امره الله به[5]، فقال:

{من الكامل}

صـــدقَ ابـــنُ آمنـــة النبـــيُّ محمـــدٌ ... فتميّـــزوا غيظـــا بـــه وتقطّعـــوا

إن ابـــن آمنـــةَ النبـــيَّ محمـــداً ... ســـيقومُ بـــالحقِّ الجـــليِّ ويـــصدعُ[6]

استثمر أبو طالب دلالة «فتميزوا غيظا» من التعبـير القـرآني وهـو يـومىء إلى

---

(١) الفرقان/ ٢.

(٢) البروج/ ١٣، ظ: يونس/ ٤.

(٣) الجاثية/ ٢٧.

(٤) اقتباس الآي القرآني في الشعر العربي (بحث) : ١٢٣.

(٥) ظ: الديوان: ٣٣٩.

(٦) الديوان: ٣٣٩.

الآية ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ ...﴾ [1] التي تصف حال غضب جهنم على المشركين، وكأنه يشير إلى ما ينتظر المشركين من عذاب يوم القيامة، فجاء استثمار هذا التعبير لغايتين:الاولى:فنية، والثانية : وعظية دينية، وهو يومىء إلى حقيقة صدق النبي، فمن آمن بالصادق فهو المنى، ومن لايؤمن، فليتميز بغيظه كتميز جهنم يوم الحشر.

وبعد مرور ثلاث سنين من نشر الدعوة السرية امر الحق تبارك وتعالى نبيه الكريم بأن يصدع بأمره وينشر دعوته جهارا [2]، وهذا ما توقعه أبو طالب بيقين في قوله: «سيقوم بالحق الجلي ويصدع»، فأعان ابن أخيه وايده وناصره وحاماه وشد من ازره، وطلب منه أن يصدع بما امره الله به، فقال:

{من الكامل}

فانفَذْ لأمرك ما عليكَ غضاضةٌ   فكفى بنا دُنْياً لديك ودينا [3]

تمثلا لما امر الله به نبيه في معنى قوله المجيد ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ [4]، كأنَّ شعر أبي طالب صدى للآيات القرآنية، إذ حرص على تصوير معاني هذه الآيات؛ لأن الدعوة الإسلامية لها حاجة إلى من يقف مع رسول الله ﷺ في وجه طغاة قريش بشعره، فكان له ذلك.

ومن هنا فإنَّ ترجيح الدوافع الدينية لاستثمار الفاظ القرآن ومعانيه أقوى من الدوافع الفنية كما يبدو.

---

(١) المُلك/ ٨.

(٢) ظ: السير والمغازي: ١٤٥.

(٣) الديوان: ٨٧.

(٤) الحِجر/ ٩٣.

ومن الأبيات التي وشحها أبو طالب من آي التنزيل العزيز في القصيدة اللامية التي انشدها في الشِّعب ايام الحصار الذي فرضه مشركو قريش على رسول الله ﷺ ومن اتبعه وحاماه، فتعوذ أبو طالب من شروروهم، فقال:

{من الطويل}

أعوذُ بِربِّ الناس من كلّ طاعنٍ علينا بشَرٍّ أو مُلحِّقِ باطلِ[1]

استمد أبو طالب من النبع القرآني ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾[2] فنلحظ أنَّ استعمال أبي طالب الالفاظ والتعابير القرآنية امر واضح في شعره يصور حسه الممزوج بالشعر الديني النابع من صدق وجدانه، وادراكه ان لغة التنزيل المجيد تمتلك قيمة فنية تترك اثارها العميقة في معاني النص الشعري.

وربما وجد الشاعر بهذه الوسيلة لفت انتباه المشركين إلى لغة القرآن، وهي لغة تستهوي من يسمعها، فإذا كان المشرك مكابرا ولا يريد أن يسمعها من القرآن فليسمعها من أبي طالب من خلال شعره، ومن هنا أدّى أبو طالب خدمة كبيرة للإسلام بهذا المفهوم.

ونستطيع أن نلحظ التأثير القرآني في قصيدة أبي طالب النونية التي اومأ فيها إلى أن كتاب الله المنزل على نبيه محمد ﷺ يماثل ما أنزل على النبيين موسى وذي النون، فلا انحراف فيه ولا اعوجاج، وقد افادت في بيان هذا الكلام سورة ياسين فقال في قصيدته التي ناصر بها صاحب رسول الله ﷺ عثمان بن مظعون (رضي الله

---

(١) الديوان: ٧١.

(٢) الناس/ ١.

عنه) حين عذبته قريش فغضب عليهم وهددهم[1] مستنكرا عدم ايمانهم وتصديقهم برسول الله صلى الله عليه وآله

{من البسيط}

أَو يُؤمِنوا بِكتابٍ مُنزَلٍ عَجَبٍ عَلى نَبِيٍّ كَموسى أَو كَذي النُّونِ
يَأتي بِأَمرٍ جَلِيٍّ غَيرِ ذي عِوَجٍ كَما تَبَيَّنَ في آياتِ ياسينِ[2]

نعت أبو طالب كتاب الله المنزل على نبيه بالعجب مستأنسا بمعانٍ من قول الحق حكاية عن انكار المشركين لكتاب الله[3]، واصفا إياه بالاستقامة الذي لا يأتيه الباطل مثلما وصفه الجليل، فهو ﴿قُرآناً عَرَبِيّاً غَيْرَ ذِي عِوَجٍ...﴾[4] قد جاء به النبي محمد صلى الله عليه وآله على منهج قويم وشرع مستقيم، كما بيَّنته آيات ياسين في قوله تعالى: ﴿يس وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[5].

إنَّ خطاب أبي طالب الشعري موجه الى من أسلم ومن لم يسلم، فمن أسلم فيمكن أن يقرأ سورة ياسين من خلال هذه الاشارة؛ ليقف على استقامة الدين من خلال الدليل المتين، ومن لم يسلم يمكنه الاطلاع على هذه السورة لعله يهتدي بهدي القرآن.

اطلع أبو طالب على كتاب الله المتضمن للسور المكية التي واكبت زمن البعثة

---

(١) ظ: الديوان (التونجي): ٩٥.

(٢) الديوان: ٩٥.

(٣) ظ: الاعراف/ ٦٣، ق/ ١-٢.

(٤) الزمر/ ٢٨.

(٥) يس/ ١-٤.

ومنها ماورد ذكرها في قصيدته الميمية التي يحث فيها على نصرة رسول الله ﷺ فقال:
{من البسيط}

وقـــد أتانـــا بحـــقٍّ غـــير ذي عـــوجٍ مُنَـــــزَّلٍ في كتـــــاب الله معلــــــومِ
فيـــه عجائـــبُ يرتـــاحُ الفـــؤادُ لهـــا ممّـــا تنَـــزَّلَ في صـــادٍ وحـــاميمِ
مـــن العزيـــزِ الـــذي لاشيءَ يُدركُـــهُ فيـــه بـــصائرُ مـــن حـــقٍّ وتعظـــيمِ[1]

ومن عجيب نظم القرآن المجيد حسنه وبديع تأليفه، فلا نقص، ولا تفاوت في نظمه، فهو بحق غير ذي عوج، وقد استمد أبو طالب هذا المعنى من اكثر الايات المكية[2] التي تضمنته.

إنَّ حصول ثبات القلب والاطمئنان يؤديان الى اليقين الصادق بمعجزة الله (القرآن المجيد) فهو المعجز بنظمه ومن بديع نظمه حروف الهجاء[3] في فواتح السور التي تدل على براعة الاستهلال[4]، ليعرف العرب «ان هذا الكلام منتظم من الحروف التي ينظمون بها كلامهم»[5]، ولكنهم في الوقت نفسه عاجزون عن الاتيان بمثله، ويومىء أبو طالب الى السور القرآنية المرتبطة إلى بعض حروف الهجاء، ومنها حرف الـ (صاد» الذي يفتتح به سورة «صاد» نفسها، والحرفان «حاء» و«ميم» اللذان تفتتح بهما السور الآتية على الترتيب القرآني: غافر وفصلت والشورى والزخرف والدخان والأحقاف.

---

(١) الديوان: ٢٤١.

(٢) ظ: الأعراف/ ٤٥،٨٦، هود/ ١٩، إبراهيم/ ٣، الكهف/ ١، طه/ ١٠٧،١٠٨، الزمر/ ٢٨.

(٣) ظ: تفسير ابن كثير: ١/ ٦٤– ٦٩، اختلاف آراء المفسرين في الحروف المقطعة في اوائل السور.

(٤) ظ: الإتقان في علوم القرآن: ٢/ ٢٠٦.

(٥) اعجاز القرآن: ٦٦.

وتأتي اهمية توظيف القصص القرآني في شعر أبي طالب من اتخاذهما حجة قوية لدعم ارائه وافكاره التي يراد بها أن تعم في عقول مشركي قريش وانذارهم؛ لبيان حقيقة مغبة طغيانهم واصرارهم على الكفر، والهدف من هذه القصص القرآني موعظتهم وتوجيههم ونصحهم،وهذا ما يتناسب مع موضوع القصيدة المطروق، ففي القصيدة القافية حذر فيها مشركي قريش عندما رأوا من العبرة ما كان مقنعاً بنبوة رسول الله صلى الله عليه وآله ، فكان حسدهم قد أضلهم من الاهتداء إلى سبيل الرشاد، فحذرهم من عنادهم على الكفر، واصرارهم في معاداة رسول الله مؤكدا بقسمه ﴿... بِرَبِّ الْـمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ...﴾[1] المستمد من التعبير القرآني؛ خشية ان يحل بهم العذاب مثلما حلَّ بقومي: عاد وثمود، الذين ذكرهم الله تعالى في محكم كتابه: ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَاداً الأولَى وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى﴾[2] وأومأ أبو طالب إلى هذه الدلالة في شعره، وذكر القصتين فقال:

{من المتقارب}

أَفيقوا بَني غالِبٍ وَانتَهوا — عَنِ البَغيِ في بَعضِ ذا المَنطِقِ

وَإِلا فَإِنّي -إِذَنْ- خائِفٌ — بَوائِقَ في دارِكُم تَلتَقي

تَكونُ لِغابِرِكُمُ عِبرَةً — وَرَبِّ المَغارِبِ وَالمَشرِقِ

كَما نالَ مَن كانَ مِن قَبلِكُم — ثَموداً وَعاداً فَمَن ذا بَقي

غَداةَ أَتاهُم بِها صَرصَراً — وَناقَةُ ذي العَرشِ إِذ تَستَقي

فَحَلَّتْ عَلَيهِم بِها سَخطَةٌ — مِنَ اللهِ في ضَربَةِ الأَزرَقِ

(١) المعارج/ ٤٠.

(٢) النجم/ ٥٠- ٥١.

غَـــداةَ يُعَـــضُّ بِعُرقوبِهـــا حُـساماً مِـنَ الهِنـدِ ذا رَونَـقِ[1]

استلهم أبو طالب قصص هلاك قوم عاد وثمود الذين كذبوا انبياءهم فاصابهم عذاب الله، فتمثلت قصة عاد ـ وهم قوم نبي الله هود عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُوماً فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ﴾[2]، واستشهدنا بهذه الآيات من دون غيرها من الآيات؛ لأنها أكثر الصاقا بدلالة الابيات الشعرية، وكذلك قصة ثمود أيضا[3].

وتتمثل قصة ثمود ـ وهم قوم نبي الله صالح عليه السلام في قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ فَقَالُوا أَبَشَراً مِنَّا وَاحِداً نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذاً لَفِي ضَلالٍ وَسُعُرٍ أَأُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ سَيَعْلَمُونَ غَداً مَنِ الْكَذَّابُ الأَشِرُ إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ فِتْنَةً

---

(١) الديوان: ٢٥٥، البوائق: الدواهي والخصومات، مفردها بائقة، الأزرق: هو قِدار الأزرق الذي عقر ناقة صالح، عاد ولد من إرم، و«ثمود بن عاثر بن سام بن نوح... كانوا احياء من العرب العارب قبل إبراهيم عليه السلام وكانت ثمود بعد عاد ومساكنهم مشهورة فيما بين الحجاز والشام إلى وادي القرى وما حوله» تفسير ابن كثير: ٣/ ١٨٩، ظ: قصص الانبياء: ١١٢.

(٢) الحاقة/ ٦-٨.

(٣) ظ: تمثيلاً: الأعراف/ ٦٥- ٧٢، هود/ ٥٠- ٦٠، الشعراء/ ١٢٣- ١٣٩، فصلت/ ١٣- ١٦، الاحقاف/ ٢١- ٢٦، الذاريات/ ٤١- ٤٤، النجم/ ٥٠، القمر/ ١٨- ٢١، الحاقة/ ٤، ٦-٨، على الترتيب القرآني قصة نبي الله هود عليه السلام مع قوم عاد، ظ: تمثيلاً: الاعراف/ ٧٣- ٧٩، هود/ ٦١- ٦٨، الشعراء/ ١٤١- ١٥٨، النمل/ ٤٥- ٤٧، فصلت/ ١٧- ١٨، الذاريات/ ٤٣- ٤٥، النجم/ ٥١، القمر/ ٢٣- ٣١، الحاقة/ ٤- ٥، الفجر/ ٩، على الترتيب القرآني قصة نبي الله صالح عليه السلام مع قوم ثمود.

لَهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرٌ فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ﴾ (1) .

أشار أبو طالب بايجاز الى ما فصله التعبير القرآني للقصتين معتمدا على معرفة المستمع المسلم تفاصيلهما، وعلى معرفة المستمع المشرك الشكل العام لهما، ولهذا اوجز القول في هذا المعنى، وان الاستثمار لهاتين القصتين في شعره تبينان ان الأفكار التي تحكم اذهان قريش هي الأفكار نفسها التي تحكم اذهان قومي النبيين: هود وصالح عليهما السلام حول رفض فكرة تمثيل النبوة بالبشر، ومواجهة النبي محمد صلى الله عليه وآله بالكذب والافتراء، فلغة شعر أبي طالب في هذا المقام توجهت توجها : ترهيبيا يتحدد في موقف المشركين من معاداة رسول الله، وترغيبيا في الدعوة إلى الاستفادة من تاريخ الامم السابقة التي ورد ذكرها في التنزيل الحكيم، وبهذا كله توجهت لغة الأبيات إلى النصح والإرشاد والعظمة.

وترد ظاهرة الأسماء كثيرا في الالفاظ الإسلامية في القصائد التي نظمت بعد بزوغ فجر الإسلام، ومنها الالفاظ القدسية للفظ الجلالة (الله) تبارك وتعالى، وأسماء نبي الهدى المرسل الى الناس كافة رسول الله محمد صلى الله عليه وآله .

فقد وردت بعض الصفات القدسية التي تتعلق بالله تبارك وتقدس تبين عظمة جلالته، وتدل على ايمان الشاعر الصادق وحبه وتقديسه للذات الالهية بوصفه رب الناس، الله ليس بغافل، الهاً، رب العباد، رب المغارب والمشرق، رب الورى، الحق، الله وحده ، الرب، الملك، ذو العرش، ربٌّ قاهرٍ، الله ناصراً، الله اوحد، ربِّي،

---

(1) القمر/ ٢٣- ٣١.

مليك الناس، ليس له شريك، الوهاب، المبدي، المعيد، العزيز، ذو العزة[1]. فهذه الصفات تقوم مقام اسم(الله) تبارك وتعالى، بيد أنَّ اسم الله مستولٍ على الأسماء كلها وإليه تنسب الأسماء جميعها[2]، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا ...﴾[3].

وقد اقتضت طبيعة الموضوع الشعري والتزام أبي طالب بقضية نصرة رسول الله وحبه له، وإيمانه بصدق قضيته، في كونه حامي حماة الإسلام، دفعه إلى ذكر صفات ابن أخيه نبي الهدى في مدائحه النبوية، فنجدها مسجلة في الديوان، ماثلة عبر أسمائه ونعوته،وهي: محمد، صاحب الله، أمين، النبي محمد، الرسول، رسول المليك، أحمد، رسول الله، المصطفى، خير من وطأ الترابا، ابيض يستسقى الغمام بوجهه، فلا زال في الدنيا جمالا لاهلها، يوالي الإله، حبيبا، مسوما بخاتم، برهانا عليه وهيبة، صادق القول، ابن عبد الله، لا يعاب لقوله كوحي الكتاب، يدعو الى الهدى، تنزل عليه من ذي العزة الكتب، أنف بني قصي، أمين الله، المتقي، المؤيد، وزير، إمام العالمين، مسوَّد، رسول الاله ... إلى آخره[4].

---

(١) ظ: الديوان: ٧١، ٧٢، ٨٤،٨٨، ٩١، ٩٣، ٩٥، ٩٦، ١١١، ١١٢، ١٢٧،١٢٨،١٣٧،، ١٥٠، ١٥٨، ١٦٠، ١٧١، ١٧٤، ١٨٣، ١٩١، ١٩٢، ١٩٨، ٢٠٥، ٢٠٧ ، ٢١٧، ٢٢٤، ٢٢٨، ٢٣٥، ٢٤١، ٢٥٥، ٢٥٦، ٣٢٩، ٣٣٢، ٣٣٤، ٣٣٨.

(٢) ظ: الزينة في الكلمات الإسلامية العربية: ٢/ ١٢.

(٣) الأعراف/ ١٨٠.

(٤) ظ: الديوان: ١٥٠، ١٥٩، ١٦٠، ١٦٤، ١٦٨، ١٧٠، ١٧١، ١٧٤،١٧٢، ١٧٥، ١٧٧، ١٧٨، ١٨٥،١٨٣، ١٨٩، ١٩٧،١٩٣، ١٩٨، ٢٠٥، ٢١١،٢٠٧، ٢١٤،٢١٢، ٢١٦، ٢١٧، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٤١، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٦، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٨، ٣٢٩،٢٥٩، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٩،٣٣٨، ٣٤٢.

وتقترب لغة أبي طالب الشعرية من ألفاظ الحياة الإسلامية اليومية الجديدة من لغة المخاطبين، وهي مفردات تنحى منحى النصح والارشاد، والدعوة للدين الحنيف، والتحذير والانذار والتوعد، واعلان نصرته لمؤازرة رسول الله ﷺ والذود عنه، مفردات تتكرر في لغة شعره الإسلامي، فقد قرر اللغويون الى ان معاني إسلامية سميت بأسماء كانت في الجاهلية لمعانٍ اخر مثل: المسلم، والمؤمن،والكافر، والصلاة، والسجود،والهدى، والتقوى والجهاد إلى آخره من المفردات التي لم تعرفها العرب قبل الإسلام بدلالتها الجديدة[1]، وذكرها أبو طالب في شعره[2].

وهذه الحصيلة اللغوية في التحول الدلالي للالفاظ ناتجة من تأثر أبي طالب في ألفاظ الكتاب المجيد التي اعطاها التعبير القرآني سمة دينية متطورة لها اثرها في لغته الشعرية، فمن الألفاظ القديمة التي ارتدت حلة جديدة في ظل الحياة الإسلامية الجديدة ومتطلباتها، اللفظ المشتق من مادة «سجد» الذي ورد في شعر أبي طالب بدلالته القديمة والمتطورة.

---

(١) ظ: الزينة في الكلمات الإسلامية العربية: ١/ ١٤٠- ١٤١، ١٤٦- ١٤٧، فقه اللغة وسنن العربية في كلامها: ٤٥، المزهر في علوم اللغة وانواعها: ١/ ٢٩٥.

(٢) ظ: الديوان: ٧١، ٧٢، ٧٣، ٧٤، ٧٦، ٧٧،، ٨٠، ٨١، ٨٤، ٨٥،٨٧، ٨٨، ٩٠، ٩١، ٩٣، ٩٥، ٩٦، ١٠٠، ١٠٢، ١٠٧،١٠٨، ١١١، ١١٢، ١١٣، ١١٥، ١١٧، ١١٨، ١٢٠،١٢١، ١٢٤ ، ١٢٧،١٢٨ ، ١٣٠ ، ١٣١، ١٣٣، ١٣٧،١٤٧، ١٥٠، ١٥٨، ١٥٩ ١٦٧، ١٧١، ١٧٢، ١٧٥، ١٧٧، ١٧٨ ، ١٨٠ ، ١٨٣ ،١٨٥، ١٨٩، ١٩٠، ١٩١، ١٩٢، ٢٠٦،٢٠٥،١٩٨،١٩٣، ٢٠٧، ٢١١، ٢١٢، ٢١٤، ٢١٥، ٢٢٨، ٢٣٠، ٢٣١،٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٩، ٢٤١، ٢٤٤،٢٤٢، ٢٤٦، ٢٥١، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٥،٢٥٦، ٢٥٨،٢٥٩،٣٢٩، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤٣، ٣٤٤.

فمما جاء في دلالته القديمة ما نتأمله في قصيدته الميمية التي تصف حال الراهب بحيرا عندما رأى احدى علامات النبوة في ابن أخيه فخر الراهب ساجدا له تصديقا به فقال أبو طالب :

{من الطويل}

حَنى رأسه شِبْهَ السجودِ وضَمَّهُ إلى نحرِهِ والصدرِ أيَّ ضُمامِ[1]

والأصل في «سجد» تطلق على كل من طأطأ رأسه وانحنى[2]، وبهذه الدلالة القديمة قصد بها الشاعر الاحترام والتقديس لمكانة النبي المرتقب، ولا يخفى ـ في البيت ـ ان السجود يعني التعظيم لقدر النبي لما عرف الراهب بحيرا انه سوف يكون النبي المنتظر المبعوث اخر الزمان، فقد «كان من سنة التعظيم في ذلك الوقت ان يسجد للمعظم»[3]، قبل أن ينهي المشرع الإسلامي عن هذا الاداء، فلم يجوز السجود لغير الله تبارك وتقدس، فسجود الراهب سجود تعظيم لا سجود عبادة.

ثم تحولت دلالة «السجود» إلى دلالة تحمل معنى آخر، فالمسجد هو المكان الذي يؤدي فيه شعائر تعبدية، ومدح أبو طالب نبي الله محمد ﷺ، وفي مديحه[4] تطرق إلى فخره بتولي بني هاشم منصبي: سقاية الحجيج وسدانة بيت الله الحرام: فقال:

(١) الديوان: ١٦٦ ،ظ: م.ن: ١٦٨.

(٢) ظ: مقاييس اللغة: «سجد».

(٣) لسان العرب: «سجد».

(٤) ظ: الديوان: ٣٣٣.

{من مجزوء الكامل}

وَلَنَا السِّقَايَةُ لِلحَجِيـ ج بِهَا يُمَاثُ العُنجُدُ

وَالمَأزمَانِ وَمَا حَوَت عَرَفَاتُهَا وَالمَسجِدُ[1]

على الرغم من أن بيت الله الحرام كان يأمه الحجاج العرب جميعا؛ لاداء شعائرهم الدينية وان الصلاة لم تكن على الشكل الذي يمكن ان يتصور، كانت دلالة المسجد ـ فيما بعد ـ اطلقت على بيت الله الحرام، ومكان مصلى الجماعات[2]، وعلى هذا يكون أبو طالب ـ هنا ـ قصد مكان التعبد لله تعالى والخضوع له، ولاسيما ان الصلاة فرضت ـ في الحقبة التي عاشها ـ ركعتين ركعتين في العشي والا بكار[3] فيحتمل أنها كانت تؤدى هذه الشعيرة التعبدية في المسجد، ومن هنا فلفظ المسجد، دلالة متطورة لم تكن شائعة وقت ذاك .

ومن الألفاظ التي تحمل الدلالة القديمة والجديدة في شعر أبي طالب كلمة «شفع» في القصيدة الرائية التي أَبَّنَ بها والده عبد المطلب، فذكر فضائله فيها، فقد كان وجيها عند الله مستجاب الدعاء[4]، فبشفاعته كان يستسقي أهل مكة أيام نضوب الماء، فمدح أبو طالب والده بهذه الفضيلة فقال:

{من الطويل}

أبونا شفيعُ الناسِ حتّى سُقوا بهِ من الغيثِ رَجّاسُ العَشِيِّ بكُورُ

(١) ظ: الديوان : ٣٣٣، يماث: يذاب، العنجد: الزبيب.

(٢) ظ: لسان العرب: «سجد».

(٣) ظ: السيرة النبوية لابن هشام (الهامش): ١/ ٢٤٣- ٢٤٤.

(٤) ظ: الديوان: ١٤٩.

ونُحــنُ ســنينَ المَحْــلِ قــامَ شَــفيعُنا بمكَّـــة يــدعو والميــاهُ تَغُــورُ[1]

فالأصل في لفظ «الشَّفْع» خلاف الوتر،ويقال شفع فلان لفلان اذا جاء ثانية ملتمسا مطلبه ومعينا له[2]، وقد تكون «الشفاعة: كلام الشفيع للملك في حاجة يسألها لغيره»[3]، وقد كان عبد المطلب حاكم مكة ورئيسها، ومن الموحدين وله منزلة عظيمة عند الله تعالى، ولذلك كان يسأله أهل مكة أيام المحل في نزول المطر عليهم.

ثم تحولت دلالة لفظ الشفاعة في العهد النبوي إلى دلالة أخرى مستمدة معناها من الخطاب القرآني[4]، فالنبي محمد ﷺ الشفيع عند الله يوم يقوم الحساب، فيسأل الله الغفور التجاوز عن ذنوب عباده[5]،فالجديد في لفظ الشفاعة ان رسول الله ﷺ يكون شفيعا لأمته في الدنيا والاخرة، وإلى هذا المعنى الجديد تمنى أبو طالب أن يشفع له ابن أخيه يوم المحشر فقال:

{من الطويل}

أتــراهُ يــشفعُ لي ويــرحمُ عــبرتي؟ هيهـــاتَ إنّي لا محالـــةَ راهـــقُ[6]

ولا يخفى من دلالة جديدة في طلب رسول الله محمدﷺ الشفاعة لأمته يوم الحساب، وهذه الدلالة الجديدة المستمدة من التنزيل الحكيم غير معروفة عند

---

(١) ظ: الديوان : ١٤٩، غيث رجاس: ذو رعد شديد وصوت، بكور: مُبكِّر في وقته.

(٢) ظ: مقاييس اللغة: «شفع»، اساس البلاغة: «شفع».

(٣) لسان العرب: «شفع».

(٤) ظ: يونس/ ٣، مريم/ ٨٧، طه/ ١٠٩، الأنبياء/ ٢٨.

(٥) ظ: تفسير ابن كثير: ٤/ ٥٣٩، ٥/ ٥٤٩.

(٦) الديوان: ٣٤٠.

الشعراء الموحدين قبل الإسلام[1].

ومن الألفاظ الجديدة غير المعهودة في الاستعمال اللغوي عند العرب التي أوجدها الإسلام[2]، لفظ الإسلام: وتعني دلالة اصل المادة اللغوية «سَلِم»: براءة الناس من العاهة والاذى[3]، ثم انتقلت دلالة الاسم المشتق منه «الإسلام» الى الانقياد والخضوع لاوامر الشريعة الإسلامية والزام اتباعها[4].

وقد تعارف الناس عليه بوصفه لفظا دينيا إسلاميا معروفا ومتداولا في عهد النبوة، فاطلق اسم الإسلام على الدين الجديد الذي اتى به النبي محمد ﷺ وذكره التعبير القرآني[5] واستعمله أبو طالب في شعره، فورد الاسم «مسلم»[6]، والفعل «اسلموا»[7] و«إسلام» مضاف الى النبي، فقال أبو طالب في الذود عن النبي ﷺ:

{من الطويل}

نفارقه حتّى نُقَتَّلَ حولهُ   وما نالَ إسلام النبيِّ المُقَرَّبِ[8]

---

(١) أمثال زهير بن أبي سلمى، وزيد بن عمرو بن نُفيل، وورقة بن نوفل، ظ: شرح ديوان زهير ابن ابي سلمى، زيد بن عمرو بن نفيل حياته وما تبقى من شعره، ورقة بن نوفل حياته وشعره.

(٢) ظ: الزينة في الكلمات الإسلامية العربية: ١/ ١٤٠، فقه اللغة وسنن العربية في كلامها: ٤٥، المزهر في علوم اللغة وانواعها: ١/ ٢٩٥.

(٣) ظ: مقاييس اللغة: «سَلِم»، اساس البلاغة: «سَلِم».

(٤) ظ: لسان العرب: «سَلِم».

(٥) ظ: الانعام/ ١٢٥ ، الزمر/ ٢٢.

(٦) الديوان: ٢٥٤.

(٧) م.ن: ٢٥٩.

(٨) الديوان : ٢٣٠.

والمؤمن من الالفاظ الإسلامية التي تحمل دلالة جديدة غير معروفة عند العرب قبل الإسلام، «وان العرب انما عرفت المؤمن من الامان والايمان وهو التصديق، ثم زادت الشريعة شرائط واوصافا سمي المؤمن بالاطلاق مؤمنا»[1] ومن شرائط الايمان واوصافه «اظهار الخضوع والقبول للشريعة ولما اتى بعد النبي ﷺ واعتقاده وتصديقه بالقلب، فمن كان على هذه الصفة فهو مؤمن»[2].

وبهذه الدلالة الإسلامية الجديدة المستلهمة من الكتاب المجيد[3] استعملها أبو طالب في شعره بصيغ متعددة فمن المادة «أَمِنَ» اشتق الاسم:

«الايمان»[4]، و«الامين»[5]، و«المؤمن»[6]،والفعل «آمن»[7]، و«آمنوا»[8]، و«تؤمنون»[9]، فقال في قصيدته اللامية في وصف مناصري رسول الله ﷺ من بني هاشم:

---

(١) فقه اللغة وسنن العرب في كلامها: ٤٥.

(٢) لسان العرب: مادة «أَمِنَ».

(٣) ظ: الانعام/ ١٥٨، الأعراف/ ٧٥، إبراهيم/ ١١، النحل/ ١٠٦، طه/ ١١٢، الانبياء/ ٩٤، غافر/ ١٠، الشورى/ ٥٢، الطور/ ٢١.

(٤) الديوان: ٢١٥.

(٥) م.ن: ١٥٠، ١٦٠، ١٨٥، ١٨٩، ٢٤٦، ٣٢٩.

(٦) م.ن: ١٦٠، ٢٥٣.

(٧) م.ن: ٣٣٤.

(٨) م.ن: ٢٤١.

(٩) م.ن: ٣٤٤.

{من الطويل}

بـــأيمانِ شُـــمٍّ مـــن ذؤابـــةِ هاشـــمٍ   مَغـــاويرَ بالأبطـــالِ في كـــلِّ جَحْفَـــلِ[1]

إنَّ لغة أبي طالب الشعرية التي نظم القصائد فيها بـروح الإسـلام الناتجـة مـن تأثره في التعابير القرآنية، ابرزت ظاهرة أدبية ولغوية بالغة الأهمية في التحول الـدلالي للألفاظ التي استعملها بدلالة إسلامية تتناسب والحياة الدينية التي اسـتحدثت فيهـا تطورات في المستويات جميعها، ومنها اللغة الشعرية.

وفي ضوء ما تقدم يتبين: أنَّ لغـة شـعر أبي طالـب جـاءت اسـتجابة لـشمولية الحياة، واتساع ميدان الشعر بالوانه المختلفة المتمثلة بمرحلتين قبـل الإسـلام،وبعده، فغلب على شعره السهولة والوضوح والسلاسة المتناسبة مع طبيعة حياة المدينـة التـي يحياها الشاعر البعيدة عن حوشي الكـلام، والغريـب، والـصنعة، والقريبـة مـن لغـة الحياة الإسلامية اليومية الجديدة، وذلك لان موضوعات شعره تنطوي عـلى اهـداف تدعو إلى قيم اجتماعية ودينية وعاطفية، ولهذا كله برزت السهولة والوضوح لـيس في الالفاظ فحسب؛ وانما في الصياغة والاساليب الظاهرة في الخطاب الشعري المنـسجم مع التوجيه والوعظ والحث والتحذير والتهديد إلى آخره.

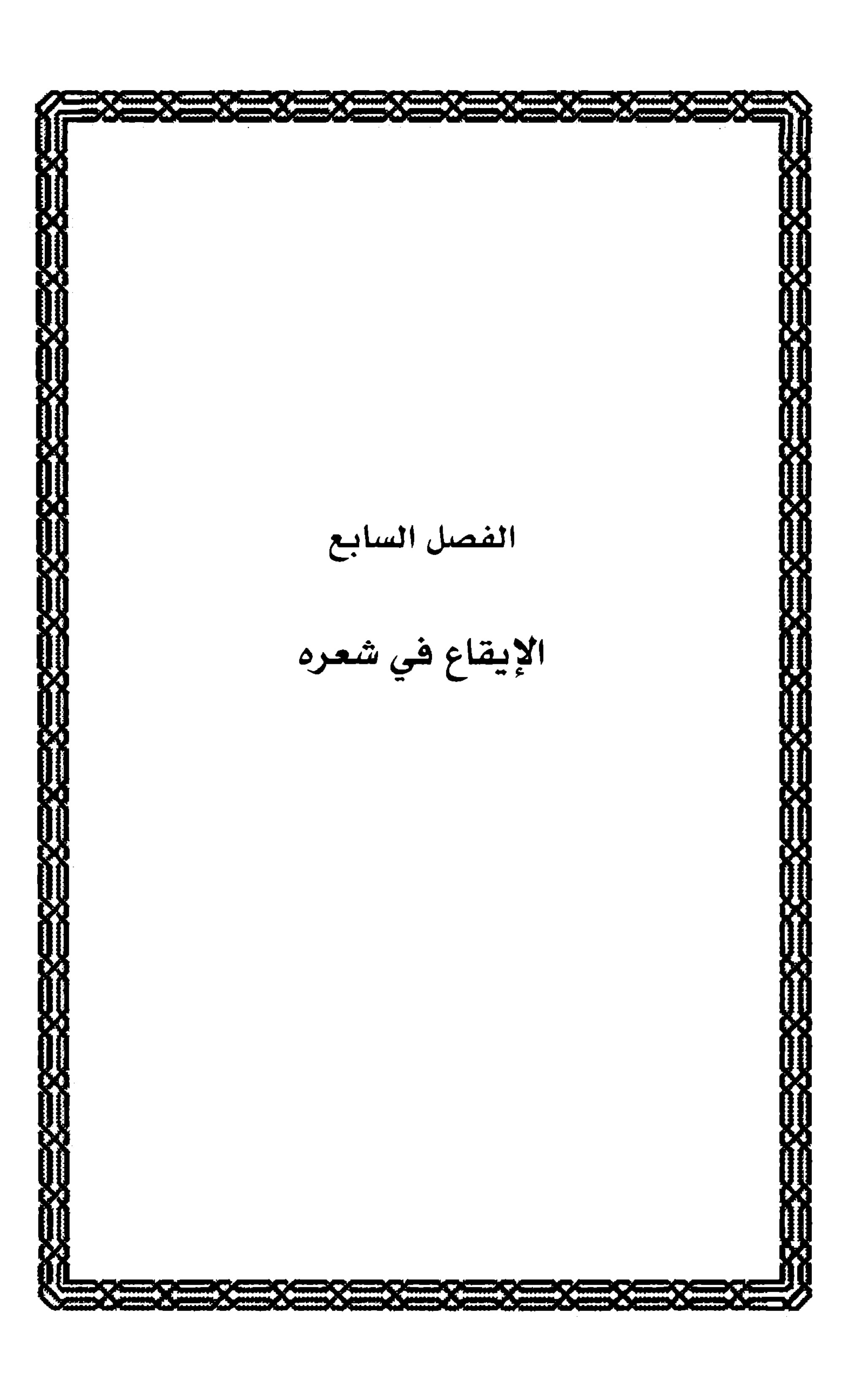
ورفد شعر أبي طالب بالفاظ ومعـانٍ مـستمدة مـن الـنص القـرآني في قـصائد سهلة الاسلوب متقاربة المعاني تبرز فيها ظاهرة التأثر بالـدين الحنيـف الـذي يفـصح عنها سياق النص الشعري، واخذت بعض مفردات أبي طالب الشعرية بعدا جديـدا في تحولها الدلالي المستوحى من الذكر الحكيم المعجز ومـن تطـور الحيـاة الإسـلامية،

---

(١) الديوان: ٢١٥.

فازدهرت ألفاظه بدلالتها المتغيرة في قصائده الإسلامية بشكل واسع توضح من خلالها ما يحويه المعجم الشعري الإسلامي من الفاظ وظفت توظيفا حيا في شعره قبل غيره من شعراء الإسلام بحكم مواكبته للحقبة المبكرة لظهور الإسلام.





الفصل السابع

الإيقاع في شعره

مفتتح الفصل

اللغة الإيقاعية

إنَّ لغة الشعر لغة موسيقية زاخرة بالنغم الذي يعد جزءاً من مكوناتها المتـآزرة مع التعبير اللغوي، فالألفاظ تتواكب في وحدات ترنيميـة ملحنـة في سياق إيقـاعي يعمل على اشباع رغبات وحاجات وجدانية عميقة تجذب الآخرين إليـه، والأبيـات الشعرية تتعاقب وتشع منها أصوات موسيقية تطرب لها الأذن، وصدور الأبيـات في عدد وحداتها الصوتية متساوقة مع اعجازها في عدد وحداتها الصوتية بطريقة مرتبة، اما المقطع الصوتي المتمثل بالقافية، فهو القرار الأخير لنغم البيت .

ومن هذا كله تتكون عملية بناء هيكل هندسـة القـصيدة العربيـة مـن الـوزن والقافية التي يحتويها البيت، ويتمثل الإيقاع فيها بـضربات منظمـة ومتناسـقة لـوزن التفعيلة الداخلية ذات الذبذبات المتوافقة لانفعالات الشاعر التي يمر بها وهـو يقـوم ببناء فكرته بانتقاء ألفاظ دقيقة تعبر عن مشاعره واحاسيسه وخلجاتـه المتوائمـة مـع موسيقى الألفاظ والمتشكلة مع الأبيات الأخرى، فتقوم الموسيقى التعبيرية الـشعرية «بـدور المـساعد للعبـارة اللغويـة عـلى تحقيـق الغايـة مـن التـأثير ونقـل المـشاعر

والاحاسيس»[1] بطريقة موحية إلى المتلقي، فالإيقاع بناء كيان متلاحم متكامل يقوم على جمع صياغة الألفاظ والعبارات المتلونة بالايحاء النفسي من ارتفاع وانخفاض، فيصدر لحنا فنيا متناسقا له اثره الخلاب في شد المتلقي بسبب تدفقات النغم الشعري المتولد من الترانيم الملحنة المتساوقة مع موقف الحياة، والمصور للشعور والاحساس منظمة في عمل فني متقن.

على اننا لا نغفل عن أن اختيار الشاعر الموسيقى من الوزن والقافية يبقى اختيارا عفويا منضبطا مبنيا على ما يمتلكه من خزين ثقافي يتيح له تلك الاختيارات التلقائية، وإحساس الشاعر بها لحظة انجاز عمله الابداعي الشعري تعتمده الأذن الموسيقية في اختيارها، ومقتضى طبيعة التجربة الشعرية.

- **أولاً: الوزن:**

الوزن: هو تردد الوحدات الصوتية المتشكلة في التفعيلة التي يرمز لها بالمتحرك والساكن (/ ٥)، وتمنح التفعلية القصيدة جمال نظام هيكلها في كل بيت من أبياتها المتكررة، ويعزف الشاعر على اوتار أصوات انغام التفعيلة في البناء الصوتي الداخلي للقصيدة في الحروف المتناغمة والمؤلفة بوسائل فنية محاولة منه لتطبيق هندسة عقلية متولدة من انفعالاته المحدودة بقالب الوزن الذي تصدح منه حدَّة نبرته الصوتية، فتكاد تعلو على الوزن العروضي، ولا ندركها إلا بقراءة الشعر بصورة مسموعة، فهو إيقاع باطني سحري يستوعب تجربته الشاعر ايا كان نوعها، وفي الوقت نفسه تكون تفعيلة الوزن خاضعة لسيطرته فتنتظم بأنغام موسيقية محكمة

---

(١) قضايا النقد الادبي: ١٦٩.

الترتيب في البيت تستثير عناية المتلقي بهذا النظام المتناسق للجمل الموسيقية

وتعد أوزان الشعر الستة عشر الذي ضمها الشعر العربي في قوالب هيكلية شعرية بحرا دافقا يغترف منه الشاعر ما يريده بحسب التصاق تجربته الشعرية، ليمنحها ذاتها الفنية، ولايخفى أن انتقاء الشاعر هذا البحر الشعري، أو ذلك يأتي بصورة عفوية؛ لأن الشاعر القديم لا يعرف طبيعة البحور؛ وأوزانها وقوافيها، لأنَّ ملاذه في هذه العملية الاختيارية الموهبة الشعرية الفطرية، والأُذن الموسيقية[1]، وانتقى أبو طالب من الدوائر الوهمية لأوزان الشعر العربي بفطرته ما يتلاءم مع عاطفته وحالته الشعورية والنفسية المستوعبة لتجربته الآنية وذوقه الفطري الذي ينأى عن تحديد الإيقاع، والقوالب التي تنظم الشعر، وكما هو مبين في الجدول رقم(١) بحسب الكم.

(١) ظ: ميزان الذهب في صناعة شعر العرب: ٤.

جدول احصائي رقم.(١)

لعدد الأوزان، وعدد القصائد، والمقطوعات، والاراجيز، والنسبة المئوية

التسلسل	البحر	عدد القصائد والمقطوعات	النسبة المئوية
١	الطويل	٤٥	٤٢/٨٥
٢	الكامل	١٥	١٤/٢٨
٣	البسيط	١٠	٩/٥٢
٤	الرجز	١٠	٩/٥٢
٥	الوافر	٨	٧/٦١
٦	المتقارب	٦	٥/٧١
٧	الخفيف	٦	٥/٧١
٨	السريع	٢	١/٩٠
٩	الرمل	١	٠/٩٥
١٠	المنسرح	١	٠/٩٥
	المجموع	١٠٥	

أفرز الاحصاء نتائج استثمار أبي طالب لبحور الشعر العربي، فقد نظم في أكثرها بمختلف فنونه الشعرية الدالة على جودة طبعه وقوته، فإحساسه الفني الدقيق دفعه إلى براعة النظم بها، فكان من نتاج هذا الامر تنوع الإيقاع بمختلف طبقاته ونغماته الموسيقية التي اتاحت له اثراء تجاربه الشعرية المتباينة والمتوائمة مع الألفاظ ضمن تراكيبها السياقية التي احتوتها الاطر الفنية بجمل موسيقية تتدفق

منها انفعالات نفسية بالوان مختلفة، وقد احتل البحر الطويل الصدارة في نظم قصائد أبي طالب ومقطوعاته الشعرية، فبلغت نسبتها (٨٥، ٤٢ ٪) من بقية البحور المستعملة، وبحر الطويل بحر شائع، فقد نظم فيه ما يقارب ثلث الشعر العربي[١]، ويعود ذلك إلى أنه ينماز بانه ذو «بهاء وقوة»[٢] في ذبذباته الموسيقية، وذو امكانات متسعة تتيح للشاعر ان ينظم في شتى الموضوعات التي تحتاج الى طول النفس؛ لأنّه سخي النغم يضم ثمانية واربعين صوتا، يعطي الشاعر الحرية في التصرف بالتعبير عما يجول في ذهنه بهذا القالب الإيقاعي، واستثمر أبو طالب البحر الطويل الذي منح إحساساً موسيقياً للقصيدة المتظافرة مع عناصر المحتوى: الألفاظ والتراكيب التي تكون الشكل، والمتلاحمة مع عناصر الصورة: المعاني والافكار التي تكون المضمون، فمنحت الامكانات الفنية في تشكيل إيقاع مكثف، وهو يتوقد فيه صوت الفخر، والحماسة،والعتاب، والرثاء، والمديح وموضوعات أُخرى تتعلق بالنصرة الى اخره[٣].

ويحتل البحر الكامل المرتبة الثانية في ترتيب القصائد والمقطوعات في شعر أبي طالب، اذ بلغت نسبته (٢٨، ١٤٪) وللبحر الكامل «جزالة وحسن اطراد»[٤] في نغماته الإيقاعية المنسابة بدفق، لابانة مواقف الحياة التي يمر أبو طالب بها موجها

---

(١) ظ:موسيقى الشعر (انيس): ٥٩.

(٢) منهاج البلغاء وسراج الادباء: ٢٦٩.

(٣) ظ: الديوان: ٧١- ٨٥، ٩٠- ٩٢، ٩٥- ٩٦، ١٠٦- ١٠٨، ١١٣- ١١٤، ١١٧- ١٢٠، ١٢٣- ١٢٥، ١٢٦- ١٢٨، ١٢٩، ١٣٦، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٩، ١٥٠، ١٦٨، ١٧٧، ١٧٨، ١٨٣، ٢٠٥، ٢١١- ٢١٣، ٢٢٢، ٢٣١، ٢٣٤- ٢٣٧، ٢٤٥، ٢٤٧، ٢٥١، ٢٥٣- ٢٥٤، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦١- ٢٦٢، ٣٣٢، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٢.

(٤) منهاج البلغاء وسراج الادباء: ٢٦٩.

وناصحا، أو باديا لرأي في قضية معينة[1] .

واحتلت الأبحر «البسيط، والرجز، والوافر، والمتقارب، والخفيف، والسريع، والرمل، والمنسرح» المرتبة الثالثة، فقد بلغت نسبتها (٩،٥٢٪) ولكل بحر منها مزاياه الخاصة حيث يعزف الشاعر انغام تجربته الشعرية المصورة للنسيج اللغوي في موجات صوتية هادئة، أو عالية تبعا لتلون انفعالاته الخاصة بظرفها الذي يعتري الشاعر ساعة نظم ابداع عمله الشعري، وقد انتقينا من هذه المجموعة للابحر الشعرية، البحرين: الرجز والمنسرح، فالرجز هو الذي يرتجل ارتجالا مباشرا في مواقف الحياة اليومية وملابستها المختلفة[2]، ويبدو أن هذا اللون من الإيقاع يتناسب مع مناسبات الحياة المتباينة لتوافر النغم المقترن بالجمل الموسيقية التي تشكل التفعيلة المتدفقة باثر انفعالات الشاعر المصورة للحركة الدائبة للحياة في تلوين اجزائه، وصقل محتوياته،واثرائه بالصور في محاكاة الاحداث اليومية.

وقدم أبو طالب انجازا صعبا في استعماله البحر المنسرح الذي «عليه بعض اضطراب وتقلقل، وان كان الكلام فيه جزلا»[3] فتفعيلاته مركبة، فقد استوعب بحر المنسرح تجربة الشاعر في بث ما ينشده في عرض موضوعه من الحث على النصرة وتهديد الخصم وتوعيده[4] .

---

(١) ظ: الديوان: ٨٧، ٩٨، ١٠١، ١٣٠- ١٣١، ١٦٤- ١٦٥، ١٧٠، ١٨٤، ١٨٥، ٢٠٩، ٣٣٣، ٣٣٩، ٣٤٠، المستدرك في ملحق الاطروحة نفسها الرقمانِ (٥،٦).

(٢) ظ: الديوان : ١٠٢- ١٠٣، ٣٢٩، ٣٣٠-٣٣١، ٣٣٤، ٣٣٨، الديوان (التونجي) : ٢٥، وشعر أبي طالب وأخباره (مؤسسة البعثة): ٨٩، والمستدرك في الاطروحة نفسها الارقام (١، ٢، ٤).

(٣) منهاج البلغاء وسراج الادباء: ٢٦٨.

(٤) ظ: الديوان: ١٧١ - ١٧٢.

ونـأى أبـو طالـب عـن اسـتعمال البحـور: المـضارع والمقتـضب والمجتـث والمتدارك، فلم ينظم فيها، وهي من البحور المهملة، لم يقل بها الـشعراء القـدامى[1]، وبهذا كله ارتسم أبو طالب طريقا موازيا لشعراء قبلـه ومعاصريـه، فلـم يخـرج عـلى المعايير الوزنية لموسيقى الشعر العـربي، وانتقـاء أبي طالـب هـذا الـوزن أو ذاك كـان بدافع الحال الشعورية التي حددت اختيار الوزن في احداث الفعـل المـؤثر ليـصل الى العقول والقلوب على السواء، وهذا لا يتم إلا إذا كان الإيقاع عـلى درجـة قويـة مـن التأثير والنفاذ وهـو يحـشد فيـه كثـيراً مـن التفاصـيل والجزئيـات في اسـتثمار التلـون الصوتي المؤثر والتصوير الفني الدقيق ومكونات اللغـة الفنيـة التـي تـستلزم الاتقـان المتأني إلى جانب صدق العاطفة وقوتها المنسكبة في بنية الإيقاع.

- **ثانيا: القافية:**

هي الجزء المكمل لإيقاع البيت الشعري،وهي الدفقة التي تمنحه وظيفة جمالية بترديدها في آخر الأبيات بوصفها اخر مظهر من مظاهر الإيقاع في البيت الـشعري إذ يصل الإيقاع إلى مداه فيها بما توفره من انسجام صوتي بـين حروفهـا تلـك الحـروف التي يشكل الروي والردف والتأسيس أبـرز مظاهرهـا، فتـشترك مـع إيقـاع البيـت وتتجاوب معه في النسق العـام، والإيقـاع الـشعري لا يمكـن أن يحـصر الـشحنات الوجدانية للشاعر ما لم تتفق القافية معه، فهما المنظمان لانفعالاته ولاسيما القافية، بيـد أنَّها لا تحـول دون انطـلاق الاحاسـيس والعواطـف ضـمن المعـاني والافكـار التـي تنتظمها، والألفاظ والتراكيب الفنية عنـدما تـشكل مقومـات العمـل الـشعري، أو تقيدها، وانما هي الضابط الذي يحصر الشاعر ساعيا في تنظيم المكونـات الـشعرية إلى

---

(١) ظ: موسيقى الشعر العربي (عياد) : ١٧.

آخر وحدة موسيقية في البيت، ثم يعود لتنظيمها، في البيت الآتي بعده وهلم جرّا؛ لأن هذه المقومات الشعرية ممتدة إلى آخر القصيدة، أو المقطوعة بنظام فني متلاحم ينساق الشاعر وراءه ليشكل خطا لابداعه الشعري لا خيار له في سواه.

ومن هنا طبعت القافية بطابع الدلالة والنغم في بناء العمل الشعري[1]، فترديد موسيقى القافية في نهاية العمل الابداعي الشعري تمنح قوة للإيقاع وتخلق شعورا ذا وقع طيب في أذن السامع إذا كان المعنى المطروق في البيت يدل عليه،وبخلافه إذا كان المعنى ينبو عن ذوق السامع[2].

ومن أبرز مظاهر القافية واوضحها حرف الروي، و«هو النبرة أو النغمة التي ينتهي بها البيت ويلتزم الشاعر تكراره في أبيات القصيدة؛ ليكون الرباط بين هذه الأبيات يساعد على حبكة القصيدة وتكوين وحدتها، وموقعه اخر البيت وإليه تنسب القصيدة»[3]، أي أنه تردد صوتي واحد في أواخر الأبيات ذو جرس موسيقي ناشيء من انفعال الشاعر ساعة ابداع عمله الشعري، يحدث رنينا موسيقيا متناغما يشد انتباه السامع اليه، ويثبته في ذهنه عند قراءة القصيدة بصوت مسموع، فهو أهم عناصر مقومات الأصوات في القافية، فلولا وجوده لعمت الفوضى والاضطراب والتبعثر والتشتت في نظام بناء القصيدة.

---

(١) ظ: عيار الشعر: ٥، كتاب الصناعتين: ١٥٧، ١٦٠، منهاج البلغاء وسراج الادباء: ٢٧٥- ٢٧٦، تنبه النقاد العرب القدامى إلى الوشيجة الوثيقة في ارتباط بناء القصيدة بالقافية على المستويين المعنى والمبنى.

(٢) ظ: لزوم ما لايلزم (المقدمة): ١/ ٣٧.

(٣) شرح تحفة الخليل: ٣٠٧.

استثمر أبو طالب اربعة عشر حرفا من حروف المعجم العـربي خدمـة للقافيـة بوصفها قيمة تعبيرية موسيقية يرمز لهـا بالـصوت كـما مبـين في الجـدول الاحـصائي رقم(٢) بحسب الكم .

جدول احصائي رقم (٢) لحرف الروي، وعدد القصائد، والمقطوعات، والاراجيز، والنسبة المئوية

التسلسل	حرف الروي	عدد القصائد والمقطوعات والاراجيز	النسبة المئوية
١	الباء	١٧	١٦/١٩
٢	الدال	١٧	١٦/١٩
٣	الراء	١٥	١٤/٢٨
٤	اللام	١٥	١٤/٢٨
٥	الميم	١٥	١٤/٢٨
٦	القاف	٦	٥/٧١
٧	الفاء	٥	٤/٧٦
٨	النون	٤	٣/٨٠
٩	التاء	٣	٢/٨٥
١٠	السين	٣	٢/٨٥
١١	الهاء	٢	١/٩٠
١٢	الجيم	١	٠/٩٥
١٣	الحاء	١	٠/٩٥
١٤	العين	١	٠/٩٥
	المجموع	١٠٥	

وأفرزت نتائج الاحصاء استعمال أبي طالب لحروف الروي التي يمكن تصنيفها إلى صنفين: الأول: يضم حروف الروي: «الباء، والدال،والراء، واللام، والميم»، ويحتل نسبة عالية في شعره، والثاني: يضم حروف الروي: «القاف، والفاء، والنون،والتاء،والسين، والهاء، والجيم، والحاء،والعين»،ويحتل نسبة متوسطة، أو قليلة في شعره.

وعند موازنة هذين الصنفين بالإحصاء التقريبي لاحد الدارسين للشعر العربي[1] يتبين أن الصنف الأول من حروف الروي التي وظفها أبو طالب في شعره تحتل الصدارة في نظم الشعراء، اما الصنف الثاني منها، فهو متوسط الاستعمال، أو قليل في نظم الشعراء.

ومن هنا نتوصل إلى أنَّ أبا طالب درج على منهج سابقيه من الشعراء، ومعاصريه في البناء الصوتي لحروف الروي في نظام القصيدة، أو المقطوعة، أو الارجوزة، فهو متمكن من صناعته الشعرية بما يمتلك من امكانات عالية وواسعة تؤهله لانجاز عمله الفني، ومتمتعاً بمادة لغوية كثيفة تمكنه من التصرف بها كيفما شاء، وأنى شاء في أفانين الكلام بأية وسيلة يختارها من دون ان يشعر بعوائق القافية الموحدة في جميع أبيات العمل الشعري، ولاسيما وهو يطيل في أراجيزه التي تدل على طول نفسه الشعري.

ولهذا كله أتاحت حروف الروي للشاعر التنوع في استعمالها بحسب التجارب التي عالجت موضوعاته الشعرية.

قسمت أصوات حروف الروي في شعر أبي طالب بحسب اهميتها في ضوء

---

(١) ظ: موسيقى الشعر (انيس): ٢٤٨.

شدتها إلى: أصوات متوسطة أو مائعة[1]، فاظهرت نتائج الاحصاء إلى شيوع حروف الروي: «الراء، والعين ، واللام،والميم، والنون» في شعر أبي طالب من بين الأصوات المرتبطة بالبناء الموسيقي، فقد بلغ تردد مجموعها في الاستعمال خمسين مرة، أي بنسبة (٤٧،٦١٪) من عدد القصائد والمقطوعات والاراجيز، فاحتلت الصدارة في استعمال حرف الروي.

وحروف الروي: «الراء، واللام، والميم، والنون» من حروف الذلاقة، فمن خصائصها قدرتها على الانطلاق من دون تعثر في تلفظها، ولمرونتها وسهولة النطق بها «كثرة في ابنية الكلام»[2]، ومما يسوغ كثرة استعمالها انها من الأصوات المجهورة[3]،«اذ لولا ذلك لفقدت اللغة اهم عنصرفيها وهو تنغيمها وموسيقيتها ورنينها الخاص الذي يميز به الكلام من الصمت»[4] وهذا الأمر يفسر وجود الائتلاف بين هذه الأصوات وطبيعة التكوين الشعري، أو التجارب الشعرية المعبر عنها، وارتباطها بالفاصلة الموسيقية للقافية المتلاحمة مع الحال النفسية للشاعر وهو يعزف على انغام بنائه الموسيقي في الموضوعات: الرثاء والنصرة والعتاب والفخر

---

(١) من خصائصها ان الهواء ينساب بين اعضاء النطق عند التلفظ بها، فهي ليست من الأصوات الانفجارية ولا من الاحتكاكية الرخوة، وهي اللام والنون والميم والراء، ويضيف اللغويون المحدثون صوت العين إليها، ظ: الأصوات اللغوية: ٢٤- ٢٥، فقه اللغة العربية: ٤٤٩- ٤٥٠.

(٢) العين: ١/ ٥٨.

(٣) الأصوات المجهورة: «هي تلك الأصوات التي تنقبض ـ عند النطق بها ـ فتحة المزمار، فيقترب الوتران الصوتيان أحدهما من الآخر... هي: أ، ب، ج، د، ذ، ر، ز، ض، ظ، غ ، ل، م، ن، ي ، و»، فقه اللغة العربية: ٤٤١، ظ: الأصوات اللغوية: ٢٠، فقه اللغة وخصائص العربية: ٥٠.

(٤) فقه اللغة العربية: ٢٤٤.

والحماسة والتعريض والمعاناة الذاتية[1] التي تحتاج إلى النغم والرنين العاليين لتشكل جزءا من الوحدة الموسيقية الشعرية التي يتوقع السامع تكرارها، وهي أصوات ذات قيمة تعبيرية تحقق التأثير المطلوب في السامع، ومنها ما قاله أبو طالب في شأن الرهط الذين نقضوا الصحيفة في مديحه لهم:

{من المتقارب}

سَقى اللهُ رَهطاً هُمُ بِالحُجونِ قِيامٌ وَقَد هَجَعَ النُوَّمُ

قَضَوا ما قَضَوا في دُجى لَيلِهِم وَمُستَوسِنُ الناسِ لا يَعلَمُ

بَهاليلُ غُرٌّ لَهُم سَورَةٌ يُداوى بِها الأَبلَخُ المُجرِمُ

كَشِبهِ المُقاوِلِ عِندَ الحُجو نِ بَل هُم أَعَزُّ وَهُم أَعظَمُ

لَدى رَجُلٍ مُرشِدٍ أَمرُهُ إِلى الحَقِّ يَدعو وَيَستَعصِمُ

فَلَولا حِذاري نَثا سُبَّةٍ يُشيدُ بِها الحاسِدُ المُفعَمُ

وَرَهبَةَ عارٍ عَلى أُسرَتي إذا ما أتى أرضَنا المَوسِمُ

لَتابَعتُهُ غَيرَ ذي مِريَةٍ وَلَو سيءَ ذو الرَغمِ وَالمُحرِمُ

كَقَولِ قُصَيٍّ أَلا أَقصِروا وَلا تَركَبوا ما بِهِ المَأثَمُ[2]

منح الشاعر حرف الروي «الميم» قيمة موسيقية ضمن الوحدة الإيقاعية

---

(١) ظ: الديوان: ٧٠، ٨٧، ٩٣، ٩٧، ١٠٤،١٠٠، ١٠٦، ١٠٩، ١١٣، ١١٧، ١٢١، ١٢٣، ١٢٦، ١٣٢، ١٣٦، ١٣٨، ١٤٩، ١٧٨، ١٨٠، ١٨١، ١٨٤، ١٨٥، ٢٠٧، ٢٠٩، ٢٢٤، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٥، ٣٣٧،٣٣٥، ٣٣٩، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٣، المستدرك آخر الاطروحة: (٢، ٦).

(٢) الديوان: ٩٣ – ٩٤، البهاليل: السيد الجامع لكل خير، السّورة: السطوة، المقاول: مفردها مِقول: وهو الملك في اليمن.

الكامنة لدلالة الانغلاق في الوحدات التعبيرية اللغوية «النومُ، لايعلمُ، المجرمُ، أعظمُ، يستعصمُ، المفعمُ، الموسمُ، المُحرمُ، المأثمُ» .

وصوت «الميم» مجهور فطريقة التلفظ به تتراوح بين انضمام الشفتين وانفراجها التي تتناسب مع حالات انغلاق النوم والعلم والاجرام، والتعظيم والاستعصام إلى آخره، التي استقصيت تجربة الشاعر الفنية.

ووظف أبو طالب الأصوات الشديدة «الانفجارية»[1] ومنها «الباء، والتاء، والجيم، والدال، والقاف» في ثلاث وأربعين قصيدة ومقطوعة وارجوزة، أي بنسبة (٤٠،٩٥٪) عالجت موضوعات: الرثاء والنصرة والمديح، والعتاب، والتحذير والنصيحة[2]، وقد نجح أبو طالب في خلق تجربة شعرية معادلة لتجربته الحياتية، وهو يقف سدا منيعا بوجه المعارضين لدعوة ابن أخيه ﷺ، وينذرهم عاقبة عداوتهم منتقيا حرف الروي المناسب مع البحر الطويل المستعمل، فحرف الروي «الباء» غني بالرنين لمزاياه التي يتمتع بها في أنه شديد الانفجار يجد الشاعر فيه متنفسا للموقف النفسي العنيف في الحال التي يرغب فيها ايصال صوته إلى بطون بني لؤي بن غالب، فقال:

---

(١) وهي عند النطق بها «يضيق معها مجرى النفس» الأصوات اللغوية: ٢٣، والأصوات الشديدة هي: «الهمزة، والقاف، والكاف، والجيم، والطاء، والتاء، والدال، والباء» الكتاب: ٤/ ٤٣٤.

(٢) ظ: الديوان: ٨٨، ٩٠، ٩٥، ٩٨، ٩٩، ١٠١، ١١١، ١١٥، ١٢٩، ١٣٠، ١٣٤، ١٣٧، ١٣٩، ١٥٠، ١٥٨، ١٦٩، ١٨٣، ٢٠٥، ٢٠٨، ٢١١، ٢٢٠، ٢٣١، ٢٣٩، ٢٤٧، ٢٧٤،٣٢٣، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٤٠، الديوان (التونجي): ٢٥، شعر أبي طالب واخباره (مؤسسة البعثة): ٨٩، والمستدرك في نهاية الاطروحة:(١، ٢).

{من الطويل}

أَلا أَبلِغــا عَنّــي عَــلى ذاتِ بَينِنــا ... لُؤَيّــاً وَخُــصّا مِــن لُــؤَيٍّ بَنــي كَعــبِ
أَلَم تَعلَمــوا أَنّــا وَجَــدنا مُحَمَّــداً ... نَبِيّــاً كَموســى خُــطَّ في أَوَّلِ الكُتــبِ
وَأَنَّ عَلَيـــهِ فِي العِبـــادِ مَحَبَّــــةً ... وَلا خَــيرَ مِمَّــن خَــصَّهُ اللهُ بِالحُــبِّ
وأَنَّ الَّــذي نَمَّقْــتُم في كِتــابِكُم ... لَكُــم كــائِنٌ نَحــساً كَراغِيَــةِ الــسَّقبِ
أَفِيقــوا أَفِيقــوا قَبــلَ أَنْ يُحفَــرَ الثَّــرى ... وَيُـصبِحَ مَـن لَم يَجـنِ ذَنبـاً كَـذي الـذَّنبِ
وَلا تَتبَعــوا أَمــرَ الغُــواةِ وَتَقطَعــوا ... أَواصِرَنــا بَعــدَ المَــوَدَّةِ وَالقُــربِ
وَتَــستَجلِبوا حَربــاً عَوانــاً وَرُبَّــما ... أَمَــرَّ عَــلى مَــن ذاقَــهُ حَلَــبُ الحَــربِ
فَلَــسنا ـ وبيــتِ اللهِ ـ نُــسلِمُ أَحمَــداً ... لِعَــزّاءَ مِــن نَكْــبِ الزَمــانِ وَلا كَــربِ
وَلَمّــا تَــبِن مِنّــا وَمِــنكُم سَــوالِفٌ ... وَأَيــدٍ أُتِــرَّت بِالقُــساسِيَّةِ الــشُهبِ
بِمُعــتَرَكٍ ضَــنكٍ تُــرى كِــسرُ القَنــا ... بِــهِ وَالنُّــسورُ الطُّهْــمَ يَعكُفــنَ كَالــشَّربِ
كَــأَنَّ مُجــالَ الخَيــلِ في حجَراتِــهِ ... وَمَعمَعَــةَ الأَبطــالِ مَعرَكَــةُ الحَــربِ
أَلَــيسَ أَبونــا هاشِــمٌ شَــدَّ أَزرَهُ ... وَأَوصى بَنيــهِ بِالطِعــانِ وَبِالــضَّربِ
وَلَــسنا نَمَــلُّ الحَــربَ حَتّــى تَمَلَّنــا ... وَلا نَــشتَكي مِمّــا نلاقــي مِــنَ النَكــبِ
وَلَكِنَّنــا أَهــلُ الحَفــائِظِ وَالنُّهــى ... إِذا طــارَ أَرواحُ الكُــماةِ مِــنَ الرُّعــبِ [1]

ورد حرف الروي «الباء» في القافية منساقا في خدمة البناء الموسيقي للقـصيدة المطبوعة بطابع انفعال الشاعر المتلون، وهو يبلِّغ ويحذر ويهدد ويتوعد ويفخر، فعنـد النطق به تنطبق الشفتان انطباقا محكماً، وبعد انفصالها فجائيا ينفجر النفس المحبـوس

---

(١) الديوان: ٢١١ – ٢١٣، الراغية: الناقة التي ترسل رغاءها، السقب: ولـد الناقـة، الكـماة: الابطـال المدججون بالسلاح.

محدثا صوتا انفجاريا مدويا[1]، وهذه الأمر يتفق مع طبيعة تجربة الشاعر الآنية، وهو ازاء تحدي معارضي بطون قريش من لؤي بن غالب.

ومن الاضاءة بالجدول الاحصائي رقم «٢» يتبين أنَّ أبا طالب استعمل في شعره الأصوات الرخوة والاحتكاكية[2]، فقد ترددت أربع مرات في مقطوعات شعرية، بلغت نسبتها (٨٠، ٣٪) من مجموع عدد القصائد والمقطوعات والأراجيز، ويتضح أن أبا طالب لم يتكأ إلى استعمال أصوات الأطباق[3]، وهي من اصناف الأصوات الرخوة والاحتكاكية التي انمازت بالفخامة، و«لها رنة قوية في الاذان، مما يلائم طباع البدو وخشونتهم»[4] ويبدو أنَّ عيش الشاعر في بيئة حضرية مثل مكة استدعت ان يكون لها اثرها في هذه الموسيقى وذوقه الفني وهو ينتقي الروي الذي يتناسب وذوقه الحضري، وهو ذوق الشعراء السابقين والمعاصرين له، وربما عزف الشعراء عن هذه الحروف؛ لأنَّها قليلة الدلالة لاتتناسب مع ذوق المستمع، ولذلك استعملها أبو طالب في قصيدة ومقطوعتين وبيت يتيم[5]، فما ورد في شعره حرف الروي «الحاء» في قصة عمار بن الوليد وعمرو بن العاص البعيدة عن الخلق العربي،

---

(١) ظ: الأصوات اللغوية: ٢٣.

(٢) «وهي تلك الأصوات التي لا ينحبس الهواء عند النطق بها انحباسا كاملا محكما... {وهي} السين والصاد والضاد والشين والذال والثاء والظاء والفاء والهاء والحاء والخاء والعين والغين» فقه اللغة العربية: ٤٤٨.

(٣) وهي اذا نطق بها رفع مؤخر اللسان الى الاعلى، وحروف الاطباق هي : الصاد والضاد والطاء والظاء، ظ: دراسة الصوت اللغوي: ٢٧٩.

(٤) في اللهجات العربية: ١١٥.

(٥) ظ: الديوان: ٢١٠، ٢٤٦، ٢٥١، المستدرك في اخر الاطروحة : الرقم (٣).

فقال:

{من الطويل}

تَــصاحَبتُما ـ لا بــاركَ اللهُ فــيكما ـ عــلى فَجْــرَةٍ تَنْثــي علــيكم وتُفْــصِحُ

سـقيتَ الفتــى خمـراً فأفـسدتَ عقلَـهُ وزوجتـــكَ الحـــسنى إليـــه تُلَـــوِّحُ

رأت رجـلاً مــن اجمـلِ النـاسِ منـتشٍ وأنــت عيــاءٌ أصــفرُ اللــون افْلَــحُ

أذنــتَ لهــا في قبلــةٍ مــن جبِينهــا فطالبهــا جهــراً بــما لــيس يــصلحُ(١)

لم يرفل حرف الروي «الحاء» بالإيقاع النغمي ذي الجرس الموسيقي الذي يساعد على اثارة المتلقي، فهو من الحروف المهموسة(٢)، فمن خصائصه عند التلفظ به يسمع منه نوعٌ من الحفيف في الحلق، ويرتبط ببنية القافية بنغم موسيقي هادىء يعبر عن تجربة الشاعر في استنكار قبح العمل المخزي الذي تنأى عنه العادات والتقاليد العربية الاصيلة، فعبر الشاعر عن همسه في بنية الوحدات اللفظية والتعبيرية «تُفْصِحُ، تُلَوِّحُ، أفلَحُ،يُصْلِحُ» المتوائمة مع الوحدات الإيقاعية في خلق تجربة شعرية .

ومن مظاهر القافية الأصوات الساكنة والردف والتأسيس المعتمدة على ما تقدمه أصوات المد للشاعر من نغمات موسيقية منتظمة في إيقاع القافية، وهي تضيء نفس الشاعر ببطء الحركة المتساوقة مع احاسيسه ومشاعره، والمتناسقة مع

---

(١) ظ: الديوان : ٢٥١، نثيه: اشاعته واظهاره.

(٢)«وهي تلك الأصوات التي ينفرج معها الوتران الصوتيان، مفسحين مجالا للهواء بأن يمر خلالهما... ويمكن جمعها بعبارة حثه شخص سكت فقط»، فقه اللغة العربية: ٤٤٣ – ٤٤٤، ظ: فقه اللغة وخصائص العربية: ٥٠.

المعنى الشعري في ايحاءات قوية وضعيفة لتتحد في بناء موسيقى القافية، وقد استعمل أبو طالب الحروف الساكنة ومنها حروف الروي الموصولة بالف الاطلاق المترددة عشر مرات بنسبة (٥٢، ٩٪) من عدد القصائد والمقطوعات والأراجيز[١]، على نحو ما انشد أبو طالب عندما اجتمعت قريش على خلافه في متابعة رسول الله ﷺ، فخاطبهم معاتبا ومحذرا ومادحا لابن أخيه :

{من الطويل}

ومــا إنْ جنينــا في قــريشٍ عظيمــةً ... سوى أنْ مَنَعْنا خَيرَ مَنْ وطَىءَ التُّربا[٢]

تعامل أبو طالب مع القافية المطلقة التي حركها الروي بحركة مد طويلة في تموجات القافية المتشكلة بتفعيلة الوحدة الموسيقية المتكونة في الضرب؛ ليصبح حرف المد جزءا من بنية القافية فهو يحمل الدلالة الشعورية التي منحت احساس الشاعر بالضيق الخفي، فاطلق حرف الالف محاولة منه للتفريج عن نفسه وهو يوقع الوحدات اللفظية «التُّربا، ذربا، حربا، النكبا، الشعبا، سربا» في المقطوعة نفسها، مادحا رسول الله ﷺ ومحذرا قومه مغبة عنادهم في معاداته[٣].

واستعمل أبو طالب الردف[٤] بالالف في ثلاث عشرة قصيدة ومقطوعة بنسبة (٣٨، ١٢٪) والردف بالياء في خمس قصائد ومقطوعة بنسة (٧٦، ٤٪)، والردف

---

(١) ظ: الديوان: ٨٧، ١٠٠، ١٠١، ١٠٢-١٠٣، ١١٣-١١٤، ١٥٠، ١٦٩، ١٧٨، ١٨٣، ٢٧٤.

(٢) م.ن: ١٨٣.

(٣) ظ: م.ن: ١٨٣.

(٤) يتشكل من أحد حروف المد الساكنة الألف، أو الياء، أو الواو التي تسبق حرف الروي، ظ: مختصر القوافي: ٢٤.

والـردف بـالواو في قـصيدة واحـدة بنسبة (٠.٩٠٪) مـن القـصائد والمقطوعـات والاراجيز[١] ، على نحو يذكر ما جرى في سفره إلى الشام مع النبي ﷺ :

{من الطويل}

أَلَمْ تَــرَني مِــن بَعــدِ هَــمٍّ هَمَمتُــهُ بِفُرقَــةِ حُــرٍّ مِــن أَبــينَ كِــرامِ[٢]

فالالف ردف، والميم روي، ويكرر الشاعر القافية المردفة بـالالف «بـسلام، زمام، سجام، لثامِ، شآمي، عظامِ، طعامِ، غـلام، امـام الى اخـر القـصيدة»، فيـضفي الشاعر ظلالا ايحائياً في جرس القافية المرسوم فيها نغـم الـروي ، وهـو يحـاول شـد المستمع الى معنى اللفظة ضمن بنيـة القافيـة، فيتوقـع معـه ترديـد الوحـدة اللفظيـة المتضمنة لردف القافية .

وقد تتناوب الحروف المردفة (الواو مع الياء) في بنية قافية القصيدة الواحـدة، وبها التزم أبو طالب ثماني قصائد ومقطوعة ورجـز[٣] بـنسبة (٦١، ٧٪) عـلى نحـو خطابه لبطون قريش يذكر ظلمهم وعقوقهم وحصارهم في الشِّعب:

{من الوافر}

أَرِقــتَ وَقَــد تَــصَوَّبتِ النُجــومُ وَبِــتَّ وَمــا تُــسالِمُكَ الهُمــومُ

---

(١) ظ: الديوان: ٨٧، ٩٩، ١٠٠، ١٠٤، ١٣٢ - ١٣٣، ١٣٤، ١٥٨، ١٧٧، ١٨١، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢٤٦، ٣٣٠- ٣٣١، ٣٤٠، ٣٤٣، المستدرك في آخر الاطروحة: الارقام (٣، ٤، ٦).

(٢) الديوان: ١٣٢.

(٣) ظ: م.ن : ١١١- ١١٢، ١٢١- ١٢٢، ١٤٩، ٢٢٠- ٢٢١، ٢٤١، ٢٤٢- ٢٤٤، المستدرك في آخر الاطروحة: الرقم (٢).

لِظُلْمِ عَشيرَةٍ ظَلَموا وَعَقّوا	وَغِبُّ عُقوقِهِم كَلأٌ وَخيمُ[1]

فالياء والواو ردف والميم روي، ويتردد الواو والياء في بنية القافية «حريمُ، ذميمُ، قسيمُ، عديمُ، الحلوم، مليمُ، الحطيمُ، عظيمُ، ظلومُ، تريمُ، الخصومُ، العمومُ الى نهاية القصيدة».

إنَّ موسيقى القافية المردفة بالواو تارة، وبالياء تارة اخرى تتيح لشاعر اثراء تجربته بالانغام الموسيقية المتوافرة، وهو يلون اوتارها النغمية بهذا التباين الصوتي بحسب احوال حركة النفس المقننة باطار فني مراعيا فيه النبرة ضمن الوحدة اللغوية في القافية، والردف المتناوب لا ضير منه؛ لوجود تشابه في الطبيعة الصوتية ودرجة الوضوح السمعي[2]، فكلا الصوتين له فاعليته الموسيقية ضمن تقنيات الإيقاع.

والتزم أبو طالب التأسيس في ثلاث عشرة قصيدة ومقطوعة[3] بنسبة (٣٨، ١٢٪) نحو عتابه لقومه في ظلمهم لرسول الله ﷺ فقال:

{من الطويل}

ألا يا لقومٍ للأمور العجائبِ	وصرفِ زمانٍ بالأحبّةِ ذاهبِ[4]

فالالف تأسيس، والهاء دخيل والباء روي، ويردد الشاعر التأسيس في بنية القافية : «ضرائبِ، عاتبِ،كاذبِ، واجبِ، اطائبِ، اقاربِ إلى آخر القصيدة»، وقد

(١) الديوان: ١٢١.

(٢) ظ: موسيقى الشعر (انيس): ٢٩٤.

(٣) ظ: الديوان: ٧٠- ٨٥، ١٣٦،١٧٧، ٢٠٥- ٢٠٦، ٢٢٤، ٢٣١، ٢٤٧، ٢٥٣- ٢٥٨، ٢٥٤، ٢٧٤، ٣٢٩، ٣٤٢، ٣٣٩.

(٤) الديوان: ٢٣١.

عُني أبو طالب بموسيقى القافية وهو يؤسس لها بجرس نغمي متناسق في بنائها، ذي قيمة إيقاعية مكثفة فكان للنغم أثره في اذهان قومه؛ لأنَّه يتناغم مع صوت الـروي في ترديد الوحدة الموسيقية للقافية.

ويحاول الشاعر انجاز عمله الفني في توفير عدد من الأصوات المطلوبـة بنظـام متقن، فإذا اختل عدد الأصوات، أو تغـير شـكلها، أو ترتيبهـا عـد ذلـك عيبـا عـلى صناعته الشعرية، فالشاعر القديم تمرد على قواعـد العروضـيين قبـل وضـعها؛ لأنـه يـستمد أصـول عملـه الفنـي مـن استماعه لـتراث اسـلافه الـذي تحاشـى الميـل إلى التجاوزات العروضية إلا عند الضرورة الـشعرية لأنَّهـا رخـصة منحـت لـه فيجـوز بموجبها خرق القواعد العروضية خدمة لعمله الفني ، ومن هذه التجاوزات:

أ ـ التجميع، ويطلق على القصائد غير المصرَّعة بالتجميع «وهو أن تكون قافية المصراع الاول من البيت الاول على روي مُتهِّيء لأن تكون قافيـة آخـر البيـت فتـأتي بخلافه»[1]، وهذا التنوع الإيقاعي فيه نبوٍ عن النغم الموسيقي المرتقب، ولهذا عد مـن عيوب القافية بسبب ما يخالف ظن المتلقـي في متابعـة إيقـاع البيـت، ومنـه قـول أبي طالب في رسالته الموجهة إلى أبي وهب فقال:

{من الوافر}

ألا بَلِّـــغْ أبـــا وَهْـــبٍ رســـولاً فانـــك قـــد دأبـــتَ لمـــا تُريـــدُ[2]

عزف الشاعر عن التصريع في مطلع قصيدته؛ لأن طبيعـة الولـوج المبـاشر إلى

---

(١) نقد الشعر: ١٨١، ظ: العمدة: ١/ ١٧٧، منهاج البلغاء وسراج الادباء: ٢٨٣.

(٢) الديوان: ٢٣٩، ابو وهب بن عمرو بن عائذ بن عبد عمران بن مخزوم خال أبي طالب، وعبد الله والـد رسول الله ﷺ، كان شريفا ممدَّحاً، لم تذكر سنة وفاته، ظ: السيرة النبوية لابن كثير: ١/ ٢٧٧.

موضوعه اقتضت السرعة في الاداء، وهو ازاء تبليغ خطابي لأبي وهب، فحتَّم عليه ترك التصريع، وهذا ما يلحظ في شعره بشكل عام، ومن هنا يمكن ان نقول ان ظاهرة التجميع لا تعد عيبا على إيقاع الشاعر، فالشاعر له الحرية في استعمال الطريقة التي تتناسب مع معالجة موضوعه، ولاسيما أن اكثر شعر أبي طالب يعالج موضوعات الحياة اليومية الجديدة المواكبة لعصر الرسالة.

ب ـ **الإقواء**، وهو العدول عن حركة بحركة أُخرى في حرف الروي، على نحو عدول الشاعر بالضمة عن الكسرة[1]، وربما حمل الشاعر على هذا الامر ليشد انتباه المستمع الى جرس موسيقي جديد لم يألفه المستمع؛ ليكسر الرتابة الموسيقية التي اعتاد سماعها في بنية القافية، ويطالعنا أبو طالب في شعره وهو متألم من افعال قومه في معاداة صاحب الرسالة ﷺ فقال:

{من الطويل}

أَلا مَنْ لِهَمٍّ آخِرَ اللَّيلِ مُنْصِبِ	وَشعبِ العَصا مِن قَومِكِ المُتَشَعِّبِ
وَجَربى أَراها مِن لُؤَيِّ بنِ غالِبِ	مَتى ما تُزاحِمُها الصَّحيحَةُ تَجْرَبِ
إِذا قائِمٌ في القَومِ قامَ بِخُطَّةٍ	أَقاموا جَميعاً ثُمَّ صاحوا وَأَجلَبوا
وَما ذَنبُ مَن يَدعو إِلى اللهِ وَحدَهُ	وَدينٍ قَديمٍ أَهلُهُ غَيرُ خُيَّبِ[2]

لجأ الشاعرإلى تنويع الإيقاع الموسيقي لنغم حرف الروي، فحركة روي البيت الاول والثاني بالكسرة، ثم عدل في البيت الثالث إلى الضمة، وعاد في البيت الرابع

(١) ظ: الكافي في العروض والقوافي: ١٦٠.

(٢) الديوان: ٩٥، رأب: اصلاح الفساد.

وبقية أبيات القصيدة إلى الكسرة.

فمن الملاحظ أن الشاعر لم يخالف الاستعمال المطرد للغة، وانما خالف المعايير الوضعية والقواعد الموسيقية رغبة منه في تنويع الإيقاع الذي يستدعي انتباه المتلقي وهو في غفلة عن المعنى، ونغم الإيقاع، فيأتي المعنى بخلاف النغم؛ ليقصر انتباه المستمع إليه.

جـ ـ **الايطاء**، وهو ترديد الكلمة خطاً ومعنىً في القصيدة الواحدة [1]، ولايعد هذا الترديد عيبا إذا جاءت الكلمة المكررة نفسها لفظاً ومعنىً بعد سبعة أبيات؛ لأنها عندئذ تعد كما لو أنَّها مفتتح قصيدة جديدة [2]، على رأي من يعد القصيدة سبعة أبيات [3]، على نحو ما روى أبوطالب قصة عمارة بن الوليد وعمرو بن العاص فقال:

{من الطويل}

أتاني حديثٌ عن عمّارةَ مُخْزيٌ ... وفِعْلُك يا عَمْرَو الضلالةِ أقبحُ

وبعد اربعة أبيات قال:

فلو كنتَ يا ابن العاصِ حُرّاً قَتَلْتُهُ ... ولكنْ تداعاكَ الرجالُ وأقبحُ [4]

إنَّ لفظ «اقبح» تكرر لفظا ومعنى في القصيدة؛ لأن الشاعر أراد أن يروي قصة حدث لشخصيتين معينتين اقترنت بقبح عملهما؛ ليبينه إلى المتلقي، فلما سرد

---

(١) ظ: الكافي في العروض والقوافي: ١٦٢.

(٢) ظ: فن التقطيع الشعري والقافية: ٢٧٨.

(٣) ظ: العمدة: ١/ ١٨٨.

(٤) الديوان: ٢٥١.

ملامح القصة استدعى منه أن يُذكِّر المستمع بشناعة عملهـا، فكـرر اللفـظ تأكيـدا لاستنكاره بهذا الإيقاع المفعم بالدلالة والنغم، وهذه مخالفة فنية مقصودة الغاية منهـا تكثيف النغم الموسيقي، والدلالة الشعرية.

وهناك ظواهر إيقاعية تتعلق بالوزن والقافية على السواء لها اهميتهـا في تحقيـق الانسجام الموسيقي، وتحقيق كثافة موسيقية ودلالية في الألفاظ والعبارات.

● التكرار:

إنَّ من مظاهر جمال التناسق الموسيقي، التـواؤم في الوحـدات الموسـيقية التـي تتكرر في البيت، ثم تمام الأبيات ضمن التكـوين البنـائي العـام للقـصيدة، وان تـردد الوزن والقافية اللذانِ يشكلانِ وحـدة بنائيـة للقـصيدة المتولـدة عـن التكـرار يمـنح جِرسا نغميا تطرب إليه النفس عند سماعه [1]، وهذا التكرار للوحدة الصوتية لايتولد عن التكرار الموجود في الـوزن والقافيـة فحسب، وانـما يتولـد مـن تكـرار الألفـاظ والعبـارات التـي يتخيرهـا الـشاعر ليـؤدي وظيفـة إيقاعيـة خاصـة في بقيـة اجـزاء القصيدة، فضلا عن الحلاوة في الأسلوب، والسمو في المعاني، والعذوبـة في الإنـشاد، فالتكرار «هو تناوب الألفاظ {والتراكيب والمعاني} واعادتها في سياق التعبير بحيـث تشكل نغما موسيقيا يتقصَّده الناظم»[2].

وترجيع الوحدة الصوتية المتمثلة بـالتكرار سـواء أكانـت لفظـا، أم عبـارة، أم معنى «يسلط الضوء على نقطة حساسة في العبارة ويكشف عن اهتمام المتكلم بها» [3]،

---

(١) ظ: التفسير النفسي للادب: ٧٧ - ٧٨.

(٢) جرس الألفاظ ودلالالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب: ٢٣٩.

(٣) قضايا الشعر المعاصر: ٢٧٦.

وتفصح عن نفسيته، ويلفت سمع المتلقي له، وهذا يرتبط بالدلالة.

وتكون الغاية من التكرار زيادة القيمة الإيقاعية للفظ، أو للعبارة، أو للمعنى من خلال تردده، فيعطي نغما مضافا للبيت ومن ثم للقصيدة، وهذا يرتبط بالإيقاع، ومن هذين الأمرين يحقق التكرار وظيفتين دلالية وإيقاعية.

ويلجأ أبو طالب في شعره إلى التكرار ويلح عليه ـ في بعض الأحايين ـ رغبة منه في ابراز الفكرة التي هو في صدد الحديث عنها، ومنها التأبين لفقيد عزيز عليه، أو الافتخار بنفسه أو بقومه، أو التأكيد على حقيقة مهمة لبعض الناس فيحثهم عليها، أو الاشادة بذكر الممدوحين، أو التوعد والتهديد والتعريض بخصومه إلى آخره، على أننا لا نغفل عن أن ظاهرة التكرار بألوانها المختلفة ظاهرة أدبية اعتمدها أبو طالب بوصفها اسلوبا احتذاه شعراء العرب قبل الإسلام[1].

إنَّ قراءة فاحصة في شعر أبي طالب الذي بين ايدينا؛ تكشف شيوع ظاهرة تكرار الألفاظ، والتراكيب و المعاني[2] وعلى النحو الآتي:

---

(١) ظ: تمثيلا لا حصرا: ديوان قيس بن الخطيم: ٧١، ٨١، ١٣٠، ديوان الحارث بن حلزة : ١٣، ١٤، ديوان شعر الحادرة: ٦٢، ديوان الخنساء: ٣١٣- ٣١٤، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٥١، ٣٦٥، ٣٧١، ٤١٣، ٤١٦.

(٢) ظ: الديوان: ٧٢، ٧٤، ٧٦، ٧٧، ٧٩، ٨٢، ٨٧، ٩١، ٩٢، ٩٤، ٩٥، ٩٩، ١٠٤، ١٠٧، ١٠٨، ١١٢، ١١٣، ١١٥، ١١٧، ١٢١، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٦، ١٢٧، ١٣٢، ١٣٤، ١٥٠، ١٦٧، ١٧١، ١٧٨، ١٨٠، ١٨٤، ١٨٧، ١٨٩، ١٩٠، ١٩٢، ١٩٤، ٢٠٥، ٢١١، ٢١٥، ٢١٦، ٢٢٠- ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٧، ٢٢٩، ٢٣١، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٧، ٢٥٣، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٩، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٤، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤٢.

أ ـ التكرار اللفظي:

إنَّ ترديد اللفظ يحمل معنىً معيناً يحاول الشاعر التركيز عليه في سياق النظم؛ لايصال قوة النغم الإيقاعي إلى السامع فيحظى بانتباهه،ويشد سمعه إلى هذه اللفظة التي لـمّعها الشاعر أكثر من غيرها.

ويطالعنا أبو طالب في شعره الجاهلي بتكرار لفظي يشد من وقع الكلمة في النفس الانسانية «وأوْلى ما تكرر فيه الكلام باب الرثاء، لمكان الفجيعة وشدة القرحة التي يجدها المتفجع وهو كثير حيث ألتمس من شعر وجد»[1]، فندب أبو طالب أخاه الزبير الذي كان أحد حكام مكة ورئيسها[2]، بتكرار صفة من صفات منزلته الجليلة وهي السيادة، ليترجم عن حزنه وفداحة خسارته بفقده، فقال بعد ندبه بذرف الدموع، وسكب العبرة، ونفث الحسرة[3]، مؤبناً:

{من الخفيف}

لأخٍ سَيِّدٍ نَجيبٍ لِقَرْمٍ ... سيّدٍ في الذُرى مِنَ الساداتِ

سَيِّدٌ وَابنُ سادةٍ أَحرَزوا المَجـ ... ـدَ قَديماً وَشَيَّدوا المَكرُماتِ

....

حَيُّهُم سَيِّدٌ لأحياءِ ذا الخَلـ ... ـقِ وَمَن ماتَ سَيِّدُ الأَمواتِ[4]

---

(١) العمدة: ٢/ ٧٦.

(٢) ظ: تاريخ اليعقوبي: ١/ ٢٢٠.

(٣) ظ: الديوان: ٩٩.

(٤)الديوان: ٩٩.

استعان أبو طالب بترديد لفظ «سيد» وتصريفاته سبع مرات، فأسهم هذا التكرار المتتابع في الأبيات اسهاما فاعلا في تصوير فداحة غياب أخيه؛ فراح يكرر بعناية صفته المتوغلة في نسب الأجداد، فهو سيد كريم من أب سيد في ذروة السادات، وأبناء سادة احرزوا المجد، والمنزلة الرفيعة في قومهم.

وكشف التكرار اللفظي جانبا من جوانب شعيرة الحزن على الفقيد، فليس على القلب اقسى من فراق الأحباب فراقا ابديا، فجاء التكرار تعبيرا عن لوعة نفس الشاعر التي لاتتبدد؛ أنه عندما يرثي أخاه إنما يرثي صفاته بنغم إيقاعي يستثير أذهان السامعين، وتؤجج نفوسهم حسرة ولوعة على الفقيد بصدق الاحساس ذي الدلالة المكثفة في التعبير الذي أفاده التكرار من ترجيع الوحدة اللفظية «سيد» ومشتقاتها.

وقد عنيَّ الشاعر بنتاج القيمة الصوتية والدلالية للفظ «سيد» لأن هذا السبيل، هو الأداة الحسية الوحيدة التي يمتلكها الشاعر للفت الاسماع إلى المضامين التي يريد التركيز عليها، فالمخالفة الصوتية هنا بين لفظ «سيد» التي ركز عليها بالتكرار وغيرها من الألفاظ التي لم تتكرر هي التي تشد الانتباه الى اللفظ اكثر من غيره، وهنا يقدم التكرار للشاعر زيادة على ما ذكره تقنية فنية للدلالة التي سيتم التركيز عليها أيضاً من خلال تصور فقدان المرثي.

إنَّ تكرار الألفاظ ظاهرة شاخصة في قصائد أبي طالب في فنونه الشعرية المختلفة، فلم تبرز في الرثاء فحسب، وانما في قصائد الفخر والمديح والهجاء وغيرها.

ففي فن الفخر نجد للتكرار حضورا واضحا، فقد افتخر بخاليه هشام والوليد على أبي سفيان بن حرب، فجعلهم سادة القوم وصدارتهم في الشجاعة والكرم، فقال من شعره قبل الإسلام:

{من الطويل}

وخـالي هِـشامُ بـنُ المُغـيرَةِ ثاقِـب   إذا هَـمَّ يومـاً كالحُـسامِ المُهَنَّـدِ
وَخـالي الوَليـدُ العِـدلُ عـالٍ مَكانُـهُ   وَخـالُ أَبي سُـفيانَ عَمـرُو بـنُ مَرثَـدِ [1]

ردد الشاعر لفظ «خالي»؛ لبيان شمائل خاليه التي اقتضتها طبيعة الفخر الذاتي فقد اضفى خصالاً وخلالاً رفيعة ومحمودة لهما. فخاله الاول، هشام بن المغيرة المخزومي «من سادات قريش وأشرافها، وهو سيد بني مخزوم في حروب الفجار وغيرها، وكان يقال له فارس البطحاء» [2] والاخر هو الوليد بن المغيرة من قضاة العرب في الجاهلية، ومن زعماء قريش كان يدعى العِدل في الجاهلية؛ لانه كان عِدل قريش كلها، فإذا كست قريشا البيت كساه وحده، وإذا ترافدت قريش بالماء والزبيب رفد وحده[3].

وعلى الرغم من أن خال أبي سفيان عمر بن مرثد الضبعي من قيس بن ثعلبة كان سيدا في قومه [4]، لم يبلغ مبلغ هشام والوليد في علو السيادة والشجاعة والكرم. فكانت القيمة التعبيرية للتكرار كفيلة بالاستحواذ على مسامع المتلقي في احياء ذكرهما في الذاكرة، وهو ينعتهما بالمعاني السامية التي بها اشراف قوم أمه من بني مخزوم؛ ليرسخ اعمالهم الجليلة في أذهان الناس.

إن تكرار الشاعر للفظ في أوائل الأبيات والأشطار في تشكيل عمودي في

(١) الديوان: ٣٣٤.

(٢) التبيين في أنساب القرشيين: ٣١٦.

(٣) ظ: أنساب الأشراف: ١/ ١٣٣.

(٤) ظ: جمهرة أنساب العرب: ٢/ ٣١٩- ٣٢٠.

البيت الأول والثاني، وتشكل أفقي في البيت الثاني، يكشف عن تقنية كان الشاعر يتقصدها في تكراره، وهذا يرتبط بالإنشاد، فاللسان يسبق النطق بهذا اللفظ بعد السكوت عند انتهاء البيت، والشاعر كان قادرا على ذكر لفظة «أخوالي» ثم يذكر من ذكره منهم، ولكن آثر هذه الصياغة، وكأنه يستعذب تكرار هذا اللفظ ويريد أن يدفع المتلقي لمشاركته في هذا الامر. وبذلك كله منح التكرار قوة دلالية، ونغما موسيقيا مساير لتفعيلة الوزن في صدري البيتين، وأول عجز البيت الثاني، وحقق غاية طموح الشاعر بالمفاخرة التي اكتسبت قيمتها التعبيرية من تناوب اللفظ.

وفي المديح يطالعنا أبو طالب في قصيدته اللامية التي يخاطب فيها بني لؤي بن غالب من ابناء عمومته الادنيين، يعرض بهم[1]، ويمدح بني هاشم المناصرين لرسول الله ﷺ والذائدين عنه فقال :

{من الطويل}

بِأَيمانِ شُمٍّ مِن ذؤابةِ هاشِمٍ ... مَغاويرَ بِالأَبطالِ في كُلِّ جَحْفَلِ

وَتَأوي إِلَيهِ هاشِمٌ إِنَّ هاشِماً ... عَرانينُ فَهرٍ آخِراً بَعدَ أَوَّلِ[2]

عبَّر أبو طالب في ترجيح الوحدة اللفظية «هاشم» تعبيرا عن اعجابه بالقيم البطولية من شجاعة، ومقارعة الأعداء التي من سماتها: القوة والحماية، فبنو هاشم حماة رسول الله ﷺ وأبطال كرماء ذو أنفه، وسادة شرفاء ذو مجد عالٍ . فانبهار أبي طالب بسجاياهم جعلهم مثالاً رفيعاً في شعره، فالقيمة التعبيرية للتكرار سلطت الضوء في المعنى النفسي لمنشئه، ومنحت كثافة دلالية في تعظيم شأن بني هاشم في

---

(١) ظ: الديوان: ٢١٤.

(٢) م.ن : ٢١٥، العرانين: السادات والأشراف.

نفوس اعدائهم المناوئين للرسالة المحمدية، وهو يطرق اسماعهم بجليل صفات بني هاشم؛ وليأنس أذهان الممدوحين بذكر شمائلهم.

وينبغي أن يلحظ أن مايذكره الشاعر أبو طالب معروفاً عند المتلقي من فضائل آبائه بوصفهم ذروة الشرف من قريش، فسعى إلى التفرد بها ينظم ليس من خلال المعاني التي يعرفها غيره، وانما من خلال الطريقة التي يعبر بها عن هذه المعاني، فالتكرار يهيء له مايريده من الوضوح الإيقاعي أو لنقل الصوتي يتناسب مع وضوح المضامين الدلالية التي يتحدث عنها ومن هنا كانت عناية الشاعر أبي طالب بالتكرار.

وعمد الشاعر أبو طالب إلى التكرار في الهجاء وهو يخاطب عشيرته قريشا، ويذكر ظلمهم وعقوقهم وحصارهم في الشِّعب[1]، ولاسيما أبناء عمومته الأقربين من بني تيم وهصيص، وأخواله من بني مخزوم فقال:

{من الوافر}

بَنو تَيمٍ توارثَها هُصيصٌ ... وَمَخزومٌ لَها منّا قَسيمُ

فَلا تَنهى غُواةَ بَني هُصيصٍ ... بَنو تَيمٍ وَكُلُّهُمُ عَديمُ

وَمَخزومٌ أَقَلُّ القَومِ حِلماً ... إِذا طاشَت مِنَ العَدَةِ الحُلومُ [2]

ردد الشاعر أسماء بعض بطون قريش، ومنها: «بني تيم» في صدر البيت الأول، وأول عجز البيت الثاني، و«هُصَيص» في اخر صدر البيتين: الأول والثاني، و«مخزوم» في أول عجز البيت الأول، وصدر البيت الثالث.

---

(١) ظ: الديوان: ١٢١.

(٢) م.ن : ١٢١، العديم: الاحمق الذي لاعقل له.

أراد الشاعر في المرة الأولى من ذكر أسماء بطون قريش أن يُعدد القبائل التي اجتمعت على ظلم بني هاشم الذين ناصروا النبي ﷺ، وحاصروهم في شِّعب أبي طالب بدلالة لفظ «قسيم»: نصيب. وعندما كرر الشاعر في المرة الثانية أراد أن يفصح عن صفاتهم المذمومة في كل بطن منهم، فنعت بني تَيم، وبني هُصَيص بالضلالة والحمق، وبني مخزوم بالطيش وخفة العقل، واشتركت هذه البطون الثلاث بصفات نفسية هي النزق وانعدام العقل، وقلة الحلم، والضلال، فحقق التكرار قيمة تعبيرية في زيادة المعنى بتوضيع المهجو، والازدراء منه، وبغضه، والتشهير به، أي أن الترجيح اللفظي اكسب الكلمة كثافة دلالة، ومنح نغما إيقاعيا مكثفا مؤذيا في مسامع المهجو.

ومما يحسن الايماء إليه أن الشاعر أبا طالب لجأ إلى التكرار الحرفي ضمن التكرار اللفظي فلَوَّنَ المقطع بصوت «الميم» عشر مرات بنغم إيقاعي مؤلم لمسامع خصمه، فمنح التكرار اللفظي مع التكرار الحرفي كثافة دلالية؛ لأن تردد الحرف وجد لتقوية المعنى كما لو كان لفظا مكررا. وهو في الوقت نفسه يزيد من دلالة الألفاظ المكررة، فاستعمال الشاعر المزاوجة في تكرار اللفظ والحرف في آن معا كان استعمالا موفقا يدل على قوة طبعه وادراكه لاسرار صناعته بهذا التلوين النغمي في الإيقاع، وقد ساعد صوت الميم الذي انماز بخفته على ذلك؛ لأنه من حروف الذلاقة [1] التي يسهل النطق بها دون التعثر في الكلام، وهو من الحروف المجهورة يقع بين الشدة والرخاوة [2]، ويعبر عن الضيق، فحركه الشاعر في اكثر من بيت خدمة

---

(١) ظ: فقه اللغة: ١٦٢.

(٢) ظ: فقه اللغة وخصائص العربية: ٤٩، الأصوات اللغوية: ٢٤.

لموضوع فن الهجاء.

ومن الجدير قوله : إنَّ الشاعر القديم كان يحتفي بالأصوات اللغوية احتفاءً يصوِّر ولعه العنيف بلغته وما تقدمه له من امكانات صوتية، فهو يتلذذ بهذه الوحدات الصوتية في اثناء الانشاد وتكرارها يهيء له ما يحتاج إليه من دفع شبح الوهن والضعف في نفسه.

فأكثر شعر أبي طالب هو دفاع عن الرسالة واحتفاؤه بالتكرار يعطيه دفعا قويا ليبدو قويا متماسكا أمام الخصم من خلال نشوة التكرار، ولا سيما ان اللغة وسيلته، ووسيلة غيره للتباهي أمام الأخرين بقدرته على مسك زمامها في وقت نزول القرآن بها، وتحدى الحق تبارك وتعالى ان يأتوا بمثله وهو مُنزِل بهذه اللغة محط التفاخر بين العرب.

وثمة تكرار آخر للفظ «حلم» وقع في آخر صدر البيت الثالث وآخر عجزه، وهذا النوع من التكرار أحد انواع رد الأعجاز على الصدور [1]، ويلازم ترجيح لفظ القافية وعلى النحو الاتي:

فقد يكون أحد اللفظين المكررين في أول صدر البيت، والثاني في آخر عجزه، ويجمعهما الاشتقاق، نحو قول أبي طالب:

---

(١) اختلف النقاد في تسمية المصطلح، فقد سمّاه قدامة بن جعفر التوشيح،ظ: نقد الشعر: ١٦٧، وسمّاه أبو هلال العسكري رد الاعجاز على الصدور،ظ: كتاب الصناعتين: ٤٢٩، وسمّاه ابن رشيق القيرواني التصدير، ظ: العمدة: ٢/ ٣، واخترنا التسمية التي في المتن لمناسبة ترديد اللفظ في حشو البيت وقافيته، أي « أن يكون أحدهما في آخر البيت، والآخر في صدر المصراع الأول، أو حشوه، أو آخره،أو صدر الثاني»، الإيضاح في علوم البلاغة: ٢/ ٥٤٣.

{من الطويل}

وجربى أتتنا من لُويٍّ بن غالبِ ... متى ما تُزاحمها الصحيحةُ تجْرَبِ [1]

أو يكون أحد اللفظين المكررين في حشو البيت، والثاني في آخر عجزه، نحو قول أبي طالب :

{من الطويل}

نقولُ لعمروٍ : انت منه، وأنّنا ... لنرجوك في جلِّ الملمّات ياعُمرو [2]

او يكون احد اللفظين المكررين في اخر صدر البيت، والثاني في اخر عجزه نحو قول أبي طالب :

{من الطويل}

فَثارَ إلَيهِم خَيفَةً لِعُرامِهِم ... وَكانوا ذَوي دهيٍ مَعاً وَعُرامِ [3]

أو يكون احد اللفظين المكررين في حشو عجز البيت، والثاني في آخره ويجمعهما الاشتقاق،على نحو قول أبي طالب:

{من الوافر}

عليَّ دماءُ بُدْنٍ عاطلاتٍ ... لئنْ هَدَرَتْ لذلكم الهُدورُ [4]

---

(١) الديوان: ٢٢٩، ظ:م.ن: ١٨٤، ٢٢٩.

(٢) م.ن: ٣٣٥، ظ:م.ن: ٨٧، ٩٥، ١٢٣، ٢٢٩، ٣٣٩.

(٣) م.ن: ١٦٧، العرام: الشدة والقوة والشراسة، ظ: م.ن: ١١٧، ١٢١، ١٩٢، ٢٣٥.

(٤) م.ن : ٢٤٣، ظ: م.ن: ١٨٧، ١٨٩، ٢٠٥، ٢٢٩.

إنَّ الترجيع اللفظي في القافية «تجرّب، عمرو، عرام، الهدور» يعود إلى رغبة الشاعر في اشتراك المتلقي بتوقع الفاصلة التي يرمز لها بالمقطع الأخير من البيت في كونها تحرك نفس المستمع وتستثير نشاطه في متابعة بقية اجزاء القصيدة، وان الكلمة المكررة تمنح كثافة إيقاعية ودلالية في تأكد المعنى مما يزيد من جمال الجرس الإيقاعي في موسيقى القافية.

ثمة نوع آخر من التناوب اللفظي يقع في نهاية بيت سابق وفي بداية بيت لاحق، نحو قول أبي طالب في مديحه النبوي:

{من مجزوء الكامل}

أَنــتَ النَبِــيُّ مُحَمَّــد   قــرمٌ أَغَــزُّ مُــسَوَّدُ

لِمُــسَوّدين أَكَــارِمٍ   طَــابوا وَطَــابَ المولــدُ

حقق التردد اللفظي لـ «مسود» وصيغة جمعه انسجاما موسيقيا مترابطا بين البيتين، ليؤكد الشاعر موسيقى القافية في البيت الأول وهو يمدها بموسيقى صدر البيت الثاني، فأفاد الترجيع اللفظي كثافة في المعنى المطروق، وزيادة في الإيقاع الموسيقى، ليخلف تأثيرا نفسيا طيبا، واستجابة حسنة في مسامع النبيﷺ وهو يعدد فضائله وفضائل آبائه.

وفي المقطع المذكور نمطٌ آخر من التكرار يسمى الترصيع «يتوخى فيه {الشاعر} تصيير مقاطع الاجزاء في البيت على سجع أو شبيه به أو من جنس واحد في التصريف» [٢]، يتمثل في تكرار القوالب المتماثلة لبعض الكلمات، وهو لون من

---

(١) الديوان: ٣٣٣.

(٢) نقد الشعر: ٨٠.

ألوان التقسيم يراعي الشاعر فيه التصريف اللفظي في السجع دون مراعاة التقسيم الوزني، فتقسيم الشاعر الجزء «محمد ـ مَفعّل» و«مسوَّد ـ مَفعّل» يخالف تقطيع طبيعة مجزوء الكامل: «متفاعلن متفاعلن» مرتين، بيد أنَّ هذه المخالفة الوزنية أثرت نغمات الأصوات داخل الوحدات التقسيمية بإيقاع جميل ومؤثر في مسامع الممدوح .

ولا نغفل أن التقسيم لا يبتعد ـ في كثير من الأحايين ـ عن التكرار، فكل تقسيم وزني من حيث التقطيع الكمي للأصوات التعبيرية هو تكرار، ولكن الاختلاف يكمن في تغيير الدلالة في التقسيم للوحدات الصوتية؛ لأن التكرار تردد الوحدات الصوتية نفسها.

وقد يقع هذا النوع من التكرار في بداية عجز بيت سابق، وصدر بيت لاحق، في لفظ قوي الدلالة، على نحو قول أبي طالب في نصرة رسول الله ﷺ ومديحه له:

{من الخفيف}

قد بذلناكَ والبلاءُ عسَيرٌ ـ لفداء النَّجيب وابن النَّجيبِ

لفداء الأغر ذي الحسب الثا قبِ والباعِ والفناءِ الرَّحيبِ[1]

إنَّ تناوب لفظ «لفداء» يؤكد زيادة المعنى في تأييد النبي ونصرته، والذود من دونه، والدفاع عنه؛ ليواصل الشاعر تأكيده وحدة الشعور مع موضوعه في ذكر صفات النبي ﷺ ؛ ليخلق جوا نفسيا مفعما باريج صفاته وهو يعددها على مسامعه.

ب ـ التكرار التركيبي :

ينهض التكرار التركيبي بفكرة القصيدة، وفيها يحتاج الشاعر، الى فكرة

---

(١) الديوان: ٢٢٠– ٢٢١.

واضحة، فيلجأ إلى التمهيد بعبارة ثانية مكررة؛ ليخلق تأثيرا نفسيا تلقائيا للمستمع، ويزيد من القيمة الإيقاعية للعبارة فيتيح نغما مضافا لسياق البيت والقصيدة في آن معاً.

وتظهر أهمية هذا التكرار في شعر أبي طالب في النصوص الشعرية [1] التي وظف فيها الجمل الاسمية، أو الفعلية، أو اساليب الطلب من استفهام ونداء وتراكيب أُخرى مختلفة، تتعلق بارادة تعبير الشاعر في نصرة رسول الله ﷺ وتأييده وحمايته ومديحه، أو في المفاخرة، أو في التعريض والرد على الخصم، وما يتصل بابراز معاني الشجاعة والحرب على نحو قول أبي طالب في قصيدته اللامية في الرد على مشركي قريش الذين تحالفوا على محاصرة بني هاشم في شعب أبي طالب فقال:

{من الطويل}

كَذَبتُم ـ وَبَيتِ الله ـ نَترُكُ مَكَّةً وَنَظعَنُ إلا أَمرُكُم في بَلابِلِ

كَذَبتُم ـ وَبَيتِ الله ـ نبرى مُحَمَّداً وَلَمّا نُطاعِن دونَهُ وَنُناضِلِ [2]

ردد أبو طالب التعبير التركيبي «كذبتم ـ وبيتِ الله ـ» المتكون من الجملة الفعلية المتبوعة بجملة القسم في الخطاب الشعري الموجة لمشركي قريش بعدم التخلي عن النبي ﷺ لتأكيد المعنى في أذهانهم وهو يطرق أذهانهم بنغمة التحدي، فأفادت الوحدة التركيبية للتكرار زيادة في المعنى الذي أدى إلى زيادة في نغم الإيقاع المساير للوزن.

---

(١) ظ: الديوان: ٧٤، ٧٩، ٨٢، ٩١، ٩٢، ٩٥، ١٢٤، ١٥٠، ١٨٧، ١٩٤، ٢٢٧، ٢٣٢، ٢٤٧، ٣٣٩.

(٢) م.ن: ٧٤، البلابل: الوساوس.

ونشهد في القصيدة نفسها التكرار بعبارة أطول في صدر البيت وعجزه، وهـو تكرار لا يخل في المعنى وانما يؤكده ويعبر عن ارادة الشاعر في التعبير الخطابي الهجائي لبني كعب بن لؤي، فقال أبو طالب:

{من الطويل}

فَـإِن تَـكُ كَعـبٌ مِـن لُـؤَيٍّ تَجَمَّعَـت ... فَـلا بُـدَّ يَومـاً مَـرَّةً مِـن تَزايُـلِ

فَـإِن تَـكُ كَعـبٌ مِـن كُعـوبٍ كَبـيرَةٍ ... فَـلا بُـدَّ يَومـاً أَنَّهـا في مَجاهِـلِ [1]

ردد الشاعر التركيب «إن تكُ كعبٌ...فلا بدّ يوماً» بكثافة دلالية تفصح عن نغمة المأساة المؤلمة، والخسارة الكبيرة التي ستحل يوما ببني كعب الذين اعتمدوا كثرة نفوسهم، وعلو شرفهم، فلابد من وقوعهم في شدائد لا يهتدون إلى الخروج منها ، ولابد من أنهم في جهل ان حاربوا نبي الله وعشيرته التابعين له ، فالتكرار هنا ضرب مؤثر يضفي ظلاله نغماً إيقاعياً شاحباً في نفوس بني كعب ، إذا ما استحضر معناه في أذهانهم، وتعبيرا انفعاليا وجد فيه الشاعر متنفساً عما يجيش بخلده من ثورة نفسية تجاه المعاندين لرسالة السماء، وإيذاءهم رسول الله، بمعنى آخر ان هذا الترجيع التركيبي قدساير الوزن ورسّخ موسيقى الإيقاع الشعري بنغم مؤثر في أُذن السامع.

ويمنح تكرار الاسم في الصيغة الطلبية لاسلوب النداء قوة دلالية في التعبير عن العتاب في طلب الانصاف من الاكفاء على نحو ما يعاتب أبو طالب مطعِم ابن عدي الذي تخلى عن نصرة النبي وعشيرته، فقال أبو طالب من القصيدة نفسها:

---

(١) ظ: الديوان : ٨٢، كعوبِ: مفردها كعب وهو الشرف مجازا.

{من الطويل}

أَمُطعِـــمُ لَمْ أَخـــذُلكَ في يَـــومِ نَجـــدَةٍ ولا عِنـــدَ تِلـــكَ المُعظـــماتِ الجَلائِـــلِ

....

أَمُطعِـــمُ إِنَّ القَـــومَ ســـاموكَ خُطَّـــةً وَإِنّي مَتـــى أُوكَـــل فَلَـــستُ بآبِـــلِ [1]

دأب أبو طالب في الترجيع التركيبي لاسلوب النداء «أمطعِـم»؛ ليؤكـد شـدة عتابه لمطعم بن عدي من أبناء عمومته الأقربين.

فعندما تحالفت قريش عـلى اخـراج النبـي وعـشيرته مـن مكـة إلى شِّـعب أبي طالب عنوة، كان على مطعم وهو من اشراف رجال قـريش وأبطالهـا أن يـرد رجـال قريش عن غيهم، فعاتبه أبو طالب عتابا قاسيا: انا لم أخذلك في جلِّ شدائدك، ولكـن خذلتني حيث لا اجدك عند الأمور الجلائل.

فترديد الخطاب باسلوب النداء له وقع مؤثر في نفـس الـسامع، ولكـي يحقـق الشاعر تواصلا في الكلام في البيت اللاحق أكـد التكـرار زيـادة في المعنـى وترسـيخا لنغم الإيقاع التركيبي المـساير للـوزن، وهـو اسـلوب معـروف في الـتراث الـشعري الجاهلي[2].

وكرر أبو طالب الجملة الاسـمية إلى جانـب اسـلوب الاسـتفهام في قـصيدته الدالية التي يفخر بقومه فقال :

---

(١) الديوان: ٧٩.

(٢) ظ: تمثيلا لا حصرا: ديوان أوس بن حجر: ٢١، ديوان الخنساء: ٣١٣- ٣١٤، ٤١٦، ديوان عـدي بـن زيد العبادي: ١٠٢، ١٠٣- ١٠٤.

{من الطويل}

مَتـى شركَ الأَقـوامُ في جُـلِّ أَمرِنـا ... وَكُنّـا قَـديماً قَبلَهـا نُتَـوَدَّدُ

وَكُنّـا قَـديماً لا نُقِـرُّ ظُلامَـةً ... وَنُـدرِكُ مـا شِـئنا وَلا نَتَـشَدَّدُ

فَيـا لَقُـصَيٍّ هَـل لَكُـم في نُفوسِـكم ... وَهَـل لَكُـمُ فـيما يَجـيءُ بِـهِ الغَـدُ [1]

وقع التكرار التركيبي «وكنا قديما» في أول عجز البيت الاول وصدر البيت الثاني؛ ليقوي نغمة الافتخار في عدم مشاركة الناس لهم في امورهم العظيمة، ورفضهم للظلم، وازالته من غير عنف.

إنَّ تناوب الوحدة الصوتية «نا» ضمن التركيب منحت الخطاب الشعري رنة موسيقية موحية، كثيفة الدلالة في مسامع بني قصي، فعاد الشاعر مرة أُخرى وردد باسلوب الاستفهام في حشو البيت الثالث وأول عجزه «هل لكم في» تأكيدا في اثراء الجملة بالنغم الإيقاعي الذي كانت له فاعلية في تصنيفها إلى العرض الطلبي بشدة: ألا ترغبونَ بالحفاظ على نفوسِكم وارواحكم؟ وألا تسعون إلى اتباعِ محمد حفاظاً لغدكم؟

فلوّن الشاعر موسيقى الخطاب بجرس إيقاعي مساير للوزن ومؤثر في آذان السامع. ويلجأ أبو طالب الى التكرار لتأكيد حقيقة نبوة ابن اخيه في خطابه لأبي جهل فقال:

{من الكامل}

صـدق ابـنُ آمنـةَ النبـيُّ محمَّـدٌ ... فتميّـزوا غيظـا بـه وتقطّعـوا

---

(١) الديوان: ٩٢.

إن ابـــنَ آمنـــةَ النبـــيَّ محمّـــداً ... ســـيقومُ بـــالحقِّ الجـــليِّ ويـــصدعُ [1]

تناوب في صدري البيتينِ عبارة «ابن آمنةَ النبي محمد» تناوبا متقصداً؛ لاثبات صدق نبوة محمد ﷺ التي كانت سبباً لملء نفوس الكافرين غيضا، وهي تكاد تنفصل بعضها عن بعضٍ، فأكسب التكرار قيمة تعبيرية في تكثيف صورة شدة الغيض من خلال تسليط الضوء على الوحدة التركيبية التي شغلت تفعيلات الشطر، وان الإيقاع المتولد منه ذا وقع في أذن السامع لتوالي الحركات والسكنات على نحو منتظم في كل تفعيلة من الشطر التي تمثل وحدة الإيقاع في البيت مما أدى إلى زيادة في نغم الإيقاع المساير للوزن.

ويحسن بنا أن نومئ إلى أن تكرار اسم السيدة آمنة يكشف عن الباعث النفسي في عناية الشاعر في التعبير عنها؛ لبيان مكانتها؛ وهذا لا ريب فيه، اذ منها خرج نور النبوة.

جـ ـ تكرار المعنى:

ورد تكرار المعنى أقل من الألفاظ، «فاكثر ما يقع التكرار في الألفاظ دون المعاني» [2]؛ لأن الشاعر يلجأ إليه بحسب الرخصة الممنوحة له، ويقع في المقطع الأخير الذي يرمز إليه بالقافية [3]، ليحقق قوة في جرسها الإيقاعي في ذهن السامع،

---

(١) الديوان: ٣٣٩.

(٢) العمدة: ٢/ ٧٣.

(٣) ظ: المثل السائر : ٣/ ٣٦، الطراز: ٢/ ١٨٢، ١٨٨ – ١٩٠، يعاب الناظم على استعمال تكرار المعاني في صدور الأبيات الشعرية وما والاها، ولا يعاب على استعماله في الاعجاز؛ لأنه مضطر إليها، والمضطر يحل له ما يحرم على غيره، ظ: المثل السائر : ٣/ ٣٦، ، اسرار التكرار في لغة القرآن الكريم: ١٧ – ٢٠.

وكثافة في دلالتها، ويلجأ الشاعر إلى استعمال اللفظ المرادف، لتأكيد المعنى المقصود، وكأنه استعمل معنى اللفظ المرادف بالوظيفة نفسها التي أفادها اللفظ المكرر، وقد ورد هذا الاستعمال في القرآن الكريم [1]، والشعر العربي [2] على السواء، ومما جاء في شعر أبي طالب في قصيدته اللامية بعد أن تعوذ بالله، وبحق البيتِ الحرامِ وبالحجر الأسودِ [3] قال:

{من الطويل}

ومَوْطِىء إبراهيمَ في الصَّخرَ وطْأةً   على قَدَميهِ حافياً غيرَ ناعلِ [4]

تعوذ أبو طالب بمحل اقدام النبي إبراهيم عليه السلام في الصخر، وأكد بتكرار الوحدة الترجيعية اللفظية بالمُشتَق «المفعول المطلق»، «وطأةً»؛ ولتوضيح صورة موطىء النبي إبراهيم، فقال : «حافياً» فجردهما من النعال، ثم أردف بوحدة لفظية مرادفة فقال«غير ناعل»؛ لبيان الحال التي كانت عليها قدماه واثرهما في الصخر، فأفاد تناوب لفظ المعنى المرادف كثافة دلالية في كلام الشاعر المقصود؛ ليستثير اسماع مشركي قريش باستعاذته بموطىء إبراهيم الخليل عليه السلام ؛ ليتعاظم في نفوسهم أمر مقاطعتهم لبني هاشم في الحصار المفروض عليهم في شِّعب أبي طالب، مبالغة منه في هذا الأمر، ومن ثمَّ أفاد تكرار المعنى المرادف تقوية جرس القافية؛ لوقوعه من البيت مكان القافية.

---

(١) ظ: المثل السائر: ٣/ ١٥، ١٩ – ٢٠، اسرار التكرار في لغة القرآن الكريم: ١٤ – ١٨.

(٢) ظ: العمدة: ٢/ ٧٧ – ٨٠.

(٣) ظ: الديوان: ٧١ – ٧٢.

(٤) م.ن: ٧٢.

وقال أبو طالب في القصيدة نفسها، منذرا آل قصي الذين تحالفوا على المقاطعة بالخذلان والذل:

{من الطويل}

فَأبلِّغ قُصَيّاً أَن تَنَشَّرَ أَمرُنا ... وَبَشِّر قُصَيّاً بَعدَنا بِالتَّخاذُلِ [1]

ذكر الشاعر اللفظين «أبلغ، وبشر» وهما معنيان متقاربان يدلان على الابلاغ، وابلاغ الخبر اما أن يكون خيرا أو شرا، فلما كان آل قصي من المناهضين لبني هاشم فقد طلب أبو طالب من المرسل ابلاغهم بالشر في طلب الدم، وابشرهم بالخذلان والذل بدلالة اللفظ الواقع مكان القافية «بالتخاذل» فكان تكرار لفظ المعنى الثاني من باب التهكم؛ ليستثير الشاعر أذهان آل قصي بهذا المعنى المقصود مبالغة منه، فيهز نفوسهم بهذا التهديد، وهو يردد «قُصياً» زيادة لتأكيد المعنى.

إن تناسب الألفاظ واستواء دلالاتها أفادت زيادة في المعنى المطروق، وأدت الوظيفة نفسها فيما لو كرر الشاعر اللفظ بعينه أو بأحد مشتقاته، ومن ثمَّ ان هذا النوع من التكرار يزيد النغم الإيقاعي لتفعيلة الوزن، فضلا عن أنَّه يبرز مقدرة الشاعر الابداعية في صناعة فن الشعر.

- **التدوير:**

يعد التدوير أحد عناصر البناء الموسيقي للغة العمل الشعري في محاولة من الشاعر على فتح صدر البيت على عجزه، فهو «ما كان قسيمه متصلا بالآخر، غير

---

(١) ظ: الديوان: ٨٢.

منفصل منه، قد جمعتها كلمة واحدة»[1] ، فامتداد البيت واندماجه خرق لاستقلالية الشطرين على المستويين: الصوتي والدلالي ، على حين يبقى كل شطر محتفظا بقيمته الوزنية بما يحتويه من عدد التفعيلات التي اقتضتها طبيعة البحر المنجز[2].

ويلجأ الشاعر إلى التداخل بين شطري البيت؛ ليتيح مجالا موسيقيا أرحب يمكن من خلاله تكرار الوحدة الموسيقية سواء أكانت ذات تفعيلة واحدة (مفردة)، أو ذات تفعيلتين (مركبة)، فيتيح امتداد البيت تلاحما دلاليا على مستوى الفكرة التي بصدد الحديث عنها، فيكون دمج الشطرين معا معينا في التعبير عما يجول في خياله من دون ان يقف شطر البيت وعجزه حائلا بينه وبين ما يريد، فلا يقف في انشاده آخر صدر البيت، وانما ينشده بنفس واحد حتى يقف على القافية؛ لأنّه يلاحق الدلالة الموزعة بين الشطرين، فيحدث هذان زخما إيقاعيا لا يتوافر عند انشاد البيت غير المدور، فيكون الدمج بين الشطرين قد استوعب المعنى المراد ذكره، فيمنح هذا الاندماج النص ثراءً موسيقيا ودلاليا في آن معا، ومن هنا تظهر أهمية التدوير بوصفها انجازا إيقاعيا للشاعر لايقل عن كونه انجازاً دلالياً. وتعتمد الفاعلية الشعرية لظاهرة التدوير على احاسيس الشاعر أزاء تجربته الشعرية، وعلى امكاناته الاسلوبية في التعبير، وهي مرهونة بـ«ضرورات موضوعية وفنية»[3] .

وردت ظاهرة التدوير في شعر أبي طالب في جزء من مقطع، أو قصيدة كاملة[4]

---

(١) العمدة: ١/ ١٧٧.

(٢) ظ: لغة شعر ديوان الحماسة لابي تمام (اطروحة): ١٥٨.

(٣) دير الملاك: ٣٣٠.

(٤) ظ: الديوان: ٩٤، ٩٩، ١٠٠، ١٠٤، ٢٠٧، ٢١٠، ٢٢٣، ٢٣٨، ٣٣٣.

بحسب تجربته الشعرية المنجزة، ونجد هذه الظاهرة الأدبية في البحور ذات التفعيلتين أكثر منها في البحور ذات التفعيلة الواحدة.

فقد سُجلت حالتان لهذه الظاهرة الإيقاعية في البحور الصافية، تشكلت في مجزوء البحرين: الرمل والكامل، على حين سجلت في القصائد والمقطوعات ذات التفعيلة المركبة سبع مرات منظومة في البحرين: الخفيف والمتقارب، ويبدو أنَّ الوحدة الموسيقية في البحور ذات التفعيلتين تتطلب من الشاعر تكرارهما معا بوصفها وحدة موسيقية، فهي لا تتيح للشاعر الحرية الكافية والمرونة اللازمة في التعبير عما يجول في خاطره، فيلجأ إلى دمج الشطرين معا ومدهما بنفس واحد ليقف في آخر البيت، وليمنح الأبيات ما تحتاجه من عمق وتلاحم دلالي، وتلوين موسيقي في بناء النص.

إن نظرة متأملة في شعر أبي طالب تكشف عن قدرته وبراعته التي تتماشى والتشكيل الإيقاعي المدور، وافصاحه عن المضمون الذي ينشده، ليبرز التدوير شكلا متجانسا مع الدلالة المرادة، وموسيقى البيت، على نحو ما نجده في المقطع الآتي من فخره بذاته:

{من مجزوء الرمل}

أنـــا يـــومَ الـــسِّلمِ مُكْفِــــ ـــيٌ ويـــومَ الحـــربِ فـــارِسْ

انـــا للحمـــــسةِ أنـــــفٌ حـين مـا للحُمْسِ عاطـــــسْ [1]

---

(١)الديوان: ٢١٠، الأنف المقدم، والعاطس: الأنف، الحمس: ابتدعت قريش في تسمينهم الحُمْس، وهو الشدة في الدين والصلابة في تعظيم حرمة البيت، ظ: السيرة النبوية لابن هشام: ١/ ٣٤٨، الروض الأُنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام: ١/ ٣٤٨، ظ: السيرة النبوية لابن كثير: ١/ ٢٨٤.

اتاح التدوير للشاعر المرونة في استعماله في البيت الاول، وان عزوفه عن دمج الشطرين في البيت الثاني لايعني أنه لم يحقق اندماجا صوتيا ودلاليا للبيت، وانما يتحقق من خلال الانشاد، أو بفعل قراءة القاريء بنفس واحد ليقف عند القافية، فيتضح التواصل بين الشطرين، ووجد الشاعر في مجزوء الرمل ذي التفيعلة الواحدة الحرية الكافية في احكام الصلة في البيت لخفته؛ وذلك بقطع عروض البيت وضربه، ودمج الشطرين معا، ليزيد من تلاحم البيت موسيقياً ودلالياً.

وإن افساح امكانات الضرورات العروضية أباحت للشاعر استعمال «الخبن» في تفعيلة «فاعلاتن» وهو حذف الالف لتصبح «فعلاتن»، وهو أمر «مستحسن» [1] فحقق تمايزا موسيقيا فضلا عن التمايز التعبيري الذي افصح عن قوة انفعال الشاعر التي تبرز مع حركة النفس «أنا...فارس»، «أنا...أنفٌ» وهو يفخر باقدامه في الحرب في شجاعته وفروسيته.

ويقتضي أن نوضح أن استعمال مجزوء بحر الرمل الذي انماز بالسهولة والليونة [2]، وبما يمتلك من مقومات الخفة في الاستعمال، اقترن بظاهرة التشكيل الإيقاعي المدور، فالشعراء كانوا يستخفونه في البحور القصيرة والمجزوءة [3].

وتظهر واقعية التشكيل الإيقاعي المدور في كسر رتابة الشطرين واثراء الإيقاع بالقيمة الصوتية والدلالية المتولدة من الأبيات التي يخاطب فيها أبو طالب أخاه أبا لهب وبني هاشم جميعا، فقال:

---

(١) ميزان الذهب في صناعة شعر العرب: ٦٨، الهامش.

(٢) ظ: منهاج البلغاء وسراج الأدباء: ٢٦٩.

(٣) ظ: العمدة: ١/ ١٧٨.

{من الخفيف}

قُــلْ لِعَبـدِ العُــزّى أَخــي وَشَــقيقي وَبَنــــي هاشِــــمٍ جَميعـــاً عِزينــــا

وَصَـــديقي أَبي عِـــمارَةَ وَالإِخـــ وانِ طُــــــــرّاً وَأُسرَتي أَجمَعينــــــا

إنْ يكــن مــا أتــى بــه أحمــدُ اليــو مَ ســناءً وكــان في الحــشرِ ديْنــا

فَــاِعلَموا أَنَّنــي لَــهُ نــاصِرٌ دهـــ ر وَمُجِـــــرٌّ بِقَـــوْلَتي الخاذِلينــــا

فَانــــصُروهُ لِلـــرحمِ وَالنَّـــسَبِ الأَد نــى وَكونــوا لَــهُ يَــداً مُــصلِتيــنا [1]

استعمل أبو طالب في هذه القطعة ظاهرة التدوير أكثر من سابقتها، فقد ارتبط التدوير بحاجات نفسية ملحة في الاداء الشعري ذات الصلة القوية بالتقنيات الفنية والموضوعية،وعمق احساس الشاعر أزاء تجربته الشعرية.

فمن الناحية الفنية استعمل الشاعر في البناء الموسيقي بحر الخفيف، وفيه «جزالة ورشاقة»[2].

وتوظيف ظاهرة التدوير فيه «دليل على القوة»[3] وهو يتكون من تفعيلتين «مركبة» فاعلاتن مستفعلن... وقد اتاحت له كثرة استعمال الزحافات السيطرة على البحر، واضفت على النص مزيداً من النغمِ الموسيقي المؤثر.

واستعمل الشاعر الوانا من تقنيات اللغة الفنية التي لوَّنت امتداد الأبيات بمزيد من الحركة والحيوية، فكثرة ورود حرفي العطف: الواو الذي يفيد الترتيب

---

(١) الديوان: ١٠٠.

(٢) منهاج البلغاء وسراج الأدباء: ٢٦٩.

(٣)العمدة: ١/ ١٧٨.

والجمع، والفاء التي تفيد الترتيب والتعقيب مع التراخي [1]، أي أن تكون هناك مهلة زمنية بين المتعاطفين لتمنح القارئ فسحة من الزمن ليستريح بهذه الوقفات الخفيفة وراء كل جملة بعد التدافع العروضي المتشابك فيها.

ولجأ الشاعر أبو طالب إلى التضمين ليحكم الصلة بين الأبيات «إن يكن...فاعملوا... »؛ ليوفر تلاحما منسجما وعميقا في المعنى، وهو يستتبعها بحركة الأصوات الممتدة إلى آخر القافية .

اما من الناحية الموضوعية فقد ارتبطت بالحركة النفسية وبرزت فيها انفعالات الشاعر في الخطاب الذاتي «أخي، شقيقي، صديقي، أسرتي، إنني، ناصر، دهري، ومجرٍ بقولتي» بإيقاعات متساوقة مع موضوع النص في الطلب من أخيه وخاله وأُسرته، وبني هاشم جميعا، أن يكونوا يدا واحدة في نصرة رسول الله ﷺ فالكلمتان «ناصر» و«أنصروا» المحور الذي يدور عليهما مضمون النص الشعري المطروح؛ لأن الحياة العربية فرضت على الواقع الاجتماعي الحماية والنصرة، لصلة الرحم أو لقرابة النسب، أو لاعتبارات أُخرى.

إن بثّ هذه الفكرة التي ينشدها الشاعر بنفس واحد، والوقوف عند آخر البيت تتواءم مع خرق رتابة إيقاع البيت.

وقدم أبو طالب من خلال هذا التمايز الإيقاعي والتعبير الفني انجازا شعريا غنيا في لغته الإيقاعية والتعبيرية التي استوعب تجربته الآنية .

---

(١) ظ: شرح ابن عقيل: ٢/ ٢٢٦- ٢٢٧، معاني النحو: ٣/ ٢١١- ٢١٢، ٢٢٥- ٢٢٦.

• **الضرائر :**

الضرائر الشعرية، هي عملية خرم رتابة القواعد والمعايير اللغوية والنحوية والعروضية وغيرها التي تواضع عليها اللغويون والنحويون والعروضيون في آخر القرن الأول الهجري، وبداية القرن الثاني الهجري، فقد تشكلت طبقة من العلماء المهتمين بلغة التنزيل، فعملوا جاهدين فيما بعد على تخريج ما يخرق نظام قواعدهم ومعاييرهم التي تواضعوا عليها، ولحل اشكالية هذه الخروقات قالوا بالرخصة والجواز والضرورة.

وعلى الرغم من اختلاف مواقف ارائهم من الضرائر الشعرية [1]، إنهم يتفقون على أن الشعراء يلتجأون إلى استعمال الضرائر لما كان الشعر «كلاما موزونا يخرجه الزيادة فيه والنقص منه عن صحة الوزن، ويحيله عن طريق الشعر، أجازت العرب فيه ما لايجوز في الكلام، اضطروا إلى ذلك أم لم يضطروا إليه؛ لأنه موضع ألفت فيه الضرائر» [2]، ويفسر هذا الكلام ان الشعر نفسه ضرورة. وان الشعراء الجاهليين والذين أتوا من بعدهم لم يكونوا مضطرين لاستعمالها، وانما قصدوها قصدا؛ لأنهم لم يعرفوا القواعد والمعايير التي تقنن اللغة، فالشاعر يستعمل حقاً من حقوقه عند نظم الشعر في اتمام المعاني التي اقتضتها طبيعة التجربة الشعرية المنجزة، وفي اقامة الوزن والقافية والموجَّه في ذلك كله حالته النفسية ساعة ابداعه الشعري.

وحمل الشعراء على استعمال حقوقهم هذه في لغتهم الشعرية بسبب «المضايق

---

(١) ظ: النقد اللغوي عند العرب حتى نهاية القرن السابع الهجري: ١٥٥ - ١٧١، فضاء البيت الشعري: ١٤٣ - ١٤٨. (آراء علماء العربية)

(٢) ضرائر الشعر: ٧.

التي يدفعون إليها عند حصرة المعاني الكثيرة في بيوت ضيقة المساحة، والاحراج الذي يلحقهم عند اقامة القوافي التي لا محيد لهم عند تنسيق الحروف المتشابهة في أواخرها، فلابد من ان يدفعهم استيفاء حقوق الصنعة الى عسف اللغة بفنون الحيلة»[1] فصناعة الشعر تقتضي التغير والتبديل والحذف والزيادة في ابنية الكلمات.

وبما أن الشاعر مبدع يريد لابداع فنَّه الشعري الذروة في أفانين القول، فانه يوجه عنايته باغناء لغته الشعرية بالمعاني والصور والأخيلة، واثرائها بكل ما هو جميل ومبدع ليصل بعمله الشعري القرب إلى الكمال، فيلجأ إلى ممارسة حقه في انجازه؛ لأنه يجد أن قوانين اللغة تعوقه عن ايراد هدفه في استيفاء المداليل؛ لأن «غرضه ايراد المعنى الحسن في اللفظ الحسن»[2] المتساوقة مع وزن موسيقى نظام القصيدة، أو المقطع، وهذا دليل على عدم التعارض بين حقوق الشاعر وبين التعبير الشعري الذي يراها بعض الباحثين[3] المهتمين بشؤون اللغة خلاف القواعد، انه دليل على ضعف موهبة الشاعر في مقدرته اللغوية.

إن ما يسمى بالضرائر هي من خصائص اللغة الشعرية الفنية الخاصة التي انمازت بها العربية[4]، واحدى مكونات بنية لغة الشعر، وكل ما ورد من كسر لقيود

---

(١) التنبيه على حدوث التصحيف: ١٥٧ - ١٥٨.

(٢) المثل السائر: ١/ ٥٥.

(٣) ظ: الخصائص: ١/ ٣٢٩، فقه اللغة وسنن العربية في كلامها: ١٥٧ - ١٥٨، المزهر في علوم اللغة وانواعها: ٢/ ٤٩٨ - ٥٠٤، واتبع رأيهم أحد المحدثين، ظ: البناء الفني للملحمات في جمهرة اشعار العرب: ١٢٥.

(٤) ظ: الضرورة الشعرية: ٦٤.

القواعد والمعايير اللغوية والنحوية والعروضية هو حق من حقوق الشاعر الذي يتمتع به في استعماله للغته الخاصة من ألفاظ وتراكيب ومعانٍ، يتصرف في أفانين الكلام كيفما شاء على وفق قوانين النظم الشعرية؛ لأن «الشعراء أُمراء الكلام يُصرّفونه أنى شاءوا، ويجوز لهم ما لايجوز لغيرهم من اطلاق المعنى وتقييده ومن تصريف اللفظ وتعقيده ومد المقصور وقصر الممدود والجمع بين لغاته والتفريق بين صفاته واستخراج ما كلّت الالسن عن وصفه ونعته والاذهان عن فهمه وايضاحه، فيقرّبون البعيد ويبعدون القريب ويُحْتَجّ بهم ولا يُحتج عليهم»[1].

وفي ضوء ذلك لم تسلم دواوين الشعر الجاهلي والإسلامي في قصيدة من بيت أو أكثر من لفظ أو معنى أو نظم أو ترتيب أو تقسيم أو إعراب وغيرها، من قدح، ولكن أهل الجاهلية جدوا بالتقديم، واعتقد الناس فيهم انهم القدوة والاعلام والحجة، وان الاعتقاد الحسن في الحمل على التجويز ستر عليهم، ونفي الظنة عنهم [2]، ومن الضرائر الشعرية التي وردت في شعر أبي طالب الخاضعة لسلطة الوزن والقافية التي اعتمدها الشاعر بوصفها حقا من حقوقه خاضعة لقانونه الشعري على وفق النظم المرسومة لعمله الشعري ضمن المستويات المختلفة: الصوتية، والتركيبية، والدلالية، والخطية وغيرها التي لاتخلو منها قصيدة في شعره.

ومنها «ترخيم الاسم في غير النداء، إجراء له مجرى النداء عند الاضطرار إلى ذلك. وهو جائز باتفاق من النحويين على لغة من لا ينوي رد المحذوف، بل يجعل ما بقي من الاسم كاسم غير مرخم... واختلفوا في الترخيم على لغة من نوى رد

---

(١) منهاج البلغاء وسراج الأدباء: ١٤٣- ١٤٤، القول للخليل بن أحمد الفراهيدي.

(٢) ظ: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ٤.

المحذوف»[1] وليس ذلك خاصا بالنداء، وكان عليهم ان يبينوا ان الشعر لغة فنية خاصة، وان الشاعر يلجأ إلى الترخيم في حذف حرف أو اكثر من اسم العلم لمقتضيات نفسية وفنية تتطلبها المستويات الالسنية ساعة ابداعه الشعري، نحو قول أبي طالب:

{من الطويل}

وَحَيثُ يُنيخُ الأَشعَرونَ ركابَهُم بِمُفضى السُيولِ مِن إِسافٍ وَنائِلِ [2]

رخَّم الشاعر «نائلة» فاسقط الحرف الأخير؛ لأنه واقع تحت سلطة قافية القصيدة اللامية؛ لمناسبة حرف روي القصيدة التي تم له نظم القافية للبحر الطويل ذي الضرب المقبوض «مفاعلن //٥//٥» بحرف اللام، فاستغنى عن الحرف الأخير؛ ليوازي بين عروض الشطر الأول من البيت، وضرب الشطر الثاني منه، فهذه المرونة في الاستعمال من بنية لغة الشعر وخصائصه، ونحو ذلك من القصيدة نفسها الاجتزاء بالكسر عن الياء، فقال أبو طالب في وصف الإبل:

{من الطويل}

تَرى الوَدعَ فيها وَالرُخامَ وَزينَةً بأَعناقِها مَعقودَةً كَالعَثاكِلِ [3]

ذكر الشاعر «العثاكل: أراد العثاكيل فحذف الياء ضرورة»[4]، وهو جمع

(١) ضرائر الشعر: ١٠٦-١٠٧.

(٢) الديوان: ٧١، الأشعرون: الحجاج الذين لم يحلقوا رؤوسهم، إساف ونائلة: صنمان.

(٣) م.ن: ٧١.

(٤) الروض الأُنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام: ٢/ ١٩.

«عِثْكال وعَثْكول...:العِذْق»[1]، وانما اجتزأ الشاعر بالكسر عن الياء للمجانسة، وحذف الياء ليستوي وزن تفعيلة الضرب الثاني من البحر الطويل ذي الضرب المقبوض التي نظم بها الشاعر القصيدة، فلو قال: العثاكيل، لكان الضرب على وزن مفاعيلن وليس بالجائز أن يأتي الشاعر في قصيدة واحدة من ضربين: «مفاعلن//٥//٥، ومفاعيلن//٥/٥/٥» فحذف الياء لتكون الأبيات كلها على ضرب واحد «مفاعلن» وهذه الضرورة من لوازم بنية اللغة الشعرية.

ومنه اضمار الجازم وابقاء عمله، نحو قول أبي طالب في مدح الرسول:

{من الوافر}

مُحَمَّدُ تَفْدِ نَفْسَكَ كُلُّ نَفْسٍ　　　إِذا ما خِفْتَ مِنْ شَيْءٍ تَبالا[2]

أراد الشاعر «لتفدِ» فاضمر لام الأمر وهذا قبيح عند النحاة[3] وليس لي ان اقول بالرخصة في الذهاب إلى التأويل؛ لازالة ما مرَّ في وصف النحاة من تقبيح هذا اللون من الحذف؛ لأنَّه لم يمر في خلد الشاعر هذا الأمر، فعندما نذهب إلى التأويل نريد الوصول إلى حلِّ هذه القضية، انما لجأ الشاعر إلى الحذف؛ لانه أمن اللبس في المعنى، ولقبول الأُذن العربية لهذا النوع من الخروج في موسيقى الشعر وهو ما ينبغي أن يُسمح للشاعر به، ويهم الشاعر مطابقة كلامه للاستعمال المطَّرد للغته إلا في المواطن التي يقرر ان يخرج عليها بالرخصة الممنوحة له، فهو يخاطب رسول الله

---

(١) ظ: لسان العرب: (عثك).

(٢) الديوان (التونجي): ٦١، غاية المطالب في شرح ديوان أبي طالب: ١٧٧، وينسب البيت في خزانة الادب: ٩/ ١١ له وللأعشى أو لحسان، والشاهد المذكور ليس في ديوانهما.

(٣) ظ: ضرائر الشعر: ١١٧.

محمد ﷺ «تَفدِ نَفسَكَ كُلُّ نَفسٍ... » فكأن الشاعر صانع للغته الشعرية يقوم ببنائها كما بدا له من الأجود والأصوب والأفضل، وهذا ما لم ينتبه إليه النحوي؛ لأنَّه معنى بقواعد النحو ومعاييرها، والتمسك بها من دون التفكير بالخروج عنها حتى لو أقتضت الضرورة لذلك.

ويلجأ الشاعر بادراكه الفني إلى ابدال حرف من حرف آخر، ليحرك ساكناً، أو يسكن متحركاً [1] مسايرة لتفعيلة الوزن، أو القافية، ومنه ابدال الألف من الهمزة نحو قول أبي طالب في منعه لرسول الله ﷺ :

{من المتقارب}

ولكن اسيرُ لهم سامتاً كما زارَ ليثٌ بغيلُ مَضِيقِ [2]

أراد الشاعر «زأر» فابدل الالف من الهمزة؛ لأن الهمزة متحركة والألف ساكن مراعاة لسلامة الوزن «فعولن/ / ٥/ ٥» «كما زا» للبحر المتقارب من دون الاخلال بوزن أول عجز البيت.

وتسهيل الهمزة من خصائص لغة قريش، وهي من الأصوات الشديدة؛ لأن مخرجها المزمار نفسه ولا عمل للوترين الصوتيين معها، فأهل البادية يخففونها في النطق ليجعلونها واضحة تتناسب مع سماع الاذن على مسافة قد تختفي فيها الأصوات المهموسة،وأهل الحضر يسهلونها لتتناسب مع خفض الصوت وانسجامها مع طبيعة تحضر البيئة[3].

---

(١) ظ: م.ن: ١٧٣، وما يجوز للشاعر في الضرورة: ٩٠.

(٢) الديوان: ١٧٤، سامت: القاصد المتعمد، الغيل: عرين الأسد وموضعه.

(٣) ظ: في اللهجات العربية: ٦٥- ٩٦، ٩٩- ١٠٠.

وعلى الرغم من أن لغة قريش لغة حضرية تمتلك خصائص اللغة الأدبية المشتركة التي نزل بها التنزيل الحكيم، كان تسهيل الهمزة من خصائص لغتها التي مال الشاعر أبو طالب إلى النطق بها؛ لأنها من مزايا لغته القرشية التي تنسجم مع بيئته وطبيعته اللهجية. ولا يخفى أن الهمزة اشد في الميزان الصوتي من الالف، وهي رخصة منحت للشاعر سواء أكان قرشيا أم غير قرشي.

ومنه أيضاً ابدال الياء من الهمزة، فقال أبو طالب في القصيدة الرائية عندما افتقد رسول الله ﷺ وظن أن قريشا اغتالته:

{من الوافر}

كأن الأُفُقَ محفوفٌ بنارٍ وحولَ النّار آسادٌ تزيرُ [1]

أراد «تزأر» وانما ابدل الهمزة ياء؛ ليسوغ تحريك الراء وتسكين الياء لسلامة وزن قافية البحر الوافر ذي الضرب «فعولن/ / ٥/ ٥» في القصيدة الرائية التي يتناوب فيها الردف الواو تارة، والياء تارة أُخرى؛ لتوافق قوافي القصيدة كلها.

وقد يعمد الشاعر على ابدال حركة من حركة أخرى على نحو تسكين الحرف المتحرك «الميم» الذي من حقه الضم، نحو قول أبي طالب:

{من الطويل}

وَحَطمهمْ سُمْرَ الرِّماحِ مَعَ الظُّبا وَإِنفاذُهُم ما يَنتقي كلُّ نابِلِ [2]

---

(١) الديوان: ٢٤٤.

(٢) م.ن: ٧٣، الضبا: مفردها ظبة، وهي حد السيف أو السنان، إنفاذهم: إفناؤهم، النابل: الضارب بالنبل.

أراد الشاعر «سُمُر» وانما لجأ إلى تسكين حرف الميم لاقامة وزن البحر الطويل في صدر البيت «فَعُوْلُ//٥ ـ مَفَاعِلُنْ//٥/٥/٥...»، «حطمـ/هموسُـمْرَ ر/...» فضلا عن استعمال الشاعر حق من حقوقه في اقامة الوزن، فاشبع حرف الميم بالحركة في لفظ «وَحَطْمِهمُ» فهذا الوعي الحسي لأذن الشاعر بحسن صحة الوزن لموسيقى البيت شيء من تمام لوازم لغة الشعر.

ويدخل ضمن حقوق الشاعر في ابدال حركة من حركة أخرى، ابدال الكسر من السكون: أي تحريك الساكن، نحو قول أبي طالب:

{من الطويل}

وكَــلا لَعَمْــرُ اللهِ لا تُخْرِجُوننــا ونخـرُجُ مـن حَقَّاتهـا لم نُقاتِـلِ [1]

عمد الشاعر إلى ابدال حركة الاعراب السكون بالكسر في لفظ «نقاتل» ومن خصائص حرف «لم» اذا دخل على الفعل المضارع احدث في حركة آخره القطع فيجزم الفعل وعلامة جزمه السكون، وقد لجأ الشاعر إلى كسر آخر الفعل «اللام» لمناسبة حركة الروي في القصيدة اللامية المكسورة، ولمناسبة تفعيلة وزن ضرب البيت «مفاعلن//٥//٥» في بناء القافية للبحر الطويل، فسلامة القافية كانت وراء هذا الابدال الذي هو من ضرائر القافية. ويعني الشاعر بإبدال حركة من حركة لمناسبة معايير حركة روي القصيدة، نحو قول أبي طالب:

{من الكامل}

آهـاً أُرَدِّدُ حَسـرَةً لِفراقِـهِ إذ لم أَراهُ وَقَـد تَطـاوَلَ باسِـقُ [2]

---

(١) الديوان: ١٩٣، ٣٣٢.

(٢) م.ن: ٣٤٠.

اراد الشاعر «باسقا»، لانه حال، وانما رفع اخر اللفظ؛ لأن حركة الروي في القصيدة «القافية» مرفوعة، فمراعاة منه لمعايير الشكل البنائي المنجز لجأ إلى هذا التغيير في بنية حركة الحرف، وهذا ما يلحظ في قصيدته البائية الساكنة[1] أيضاً.

وحملا على خصوصية اللغة الشعرية التي انمازت بها من غيرها من أصناف الكلام، فقدم الشاعر ما حقَّه التاخير؛ لإقامة الوزن والقافية، نحو قول أبي طالب:

{من الطويل}

بَكَيتُ أَخا لأواءَ يُحمَدُ يَومُهُ ... كَريمٌ رُؤوسَ الدَّارِعينَ ضَروبُ [2]

الشاهد في قوله «رُؤوسَ الدَّارِعينَ ضَروبُ» حيث أعمل صيغة المبالغة «ضروب» فنصب بها «رُؤوسَ الدارِعينَ» فقدم المعمول على العامل، ولو قال: ضروب رؤوس الدارعين؛ لاختل وزن بيت البحر الطويل، فلجأ الشاعر إلى تأخير ما حقَّه التقديم؛ لإقامة الوزن والقافية.

وفي ضوء عرض الظواهر الإيقاعية يتبين ما يأتي:

شكلت الوحدات الترجيعية سواء أكانت لفظاً أم عبارة أم معنى في موسيقى الخطاب الشعري تأكيداً لوحدة احساس الشاعر الذي تعتريه ساعة ابداعه للعمل الشعري، وهو يلجأ إليها بحسه الفني لاقامة الوزن، أو لتقوية الجرس الإيقاعي للقافية التي يشترك المتلقي في توقيعها، أو لايضاح الدلالة وزيادتها، أو لتأكيد وحدة الصورة، على أن هذا الترجيع اللفظي، أو التركيبي، أو المترادف خاضع لطبيعة

---

(١) الديوان: ١١٥ - ١١٦.

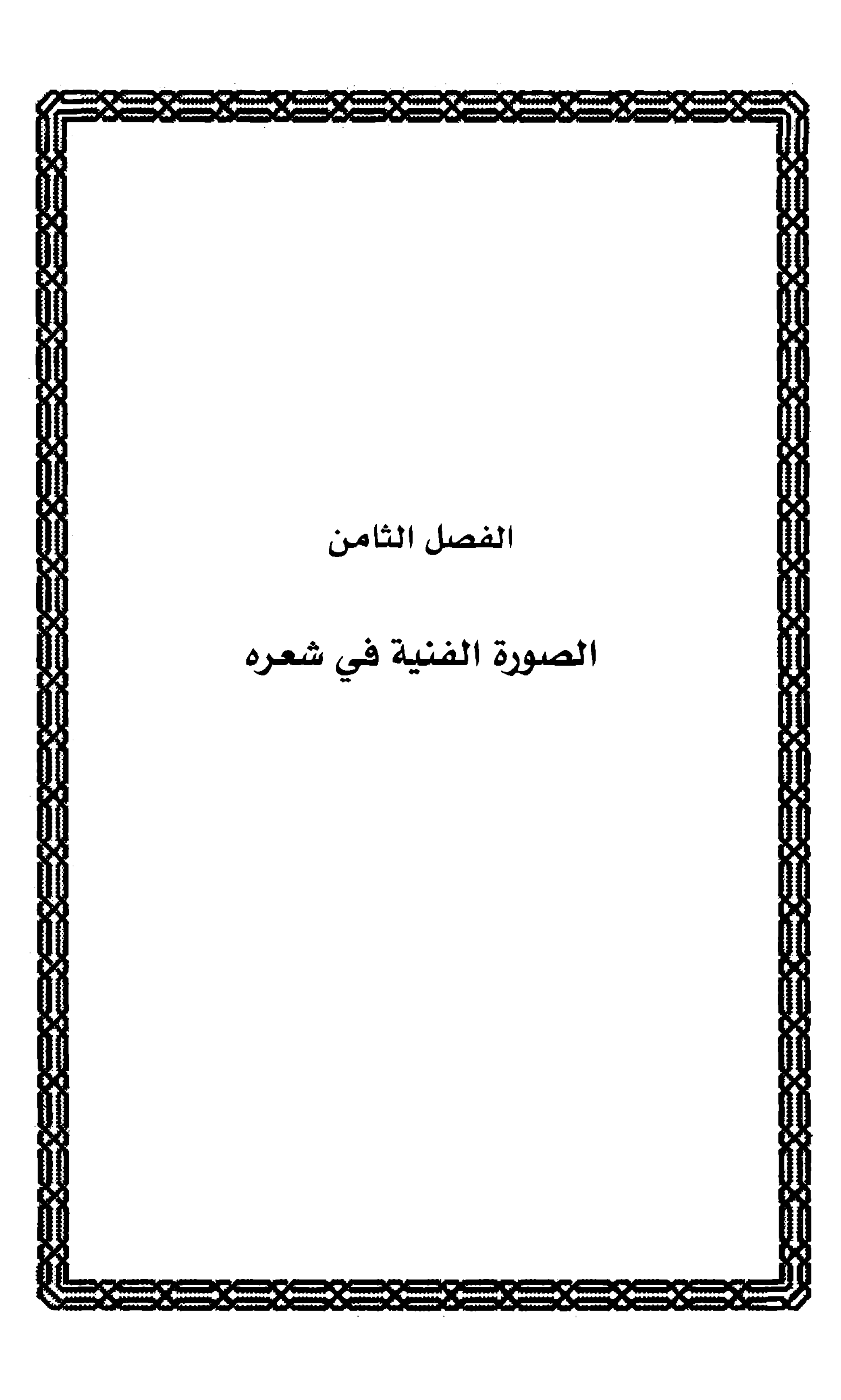
(٢) الديوان (التونجي): ٢١، اللأواء: الشدَّة.

السياق في النص الشعري.

وتوجب طبيعة التجربة الآنية للشاعر ـ في بعض الأحايين ـ نظمها بالطريقة المدورة، وهي محاولة منه في الخروج عن اطار الإيقاع المحدد، ويعد التدوير جزءا من الحركة النفسية للشاعر التي تثري النص بالدلالة الوجدانية في وقت انخراط الشاعر مع مديات الإيقاع الواسعة والمنفتحة والشديدة المرونة، فيلغي فيها نظام الشطرين ويمد البيت بتشكيل صوتي متتابع وسريع الى آخره، فيحقق غنىً في الإيقاع، وان مد البيت بنفس واحد والوقوف على قافيته وهو ينشد بث الفكرة التي يعالجها الموضوع ضمن الإيقاع المنجز فيحقق غنىً دلالياً أيضا.

وان انخراط الشاعر وراء ما يسمى بالضرورة الشعرية؛ انما هو حق من حقوقه الممنوحة له في بناء صناعته الشعرية، وهي ناشئة من ضغط البناء الشعري المقيَّد بقيود الوزن والقافية وطرح الافكار التي لا يستوعبها القالب الشعري المحدد.





الفصل الثامن

الصورة الفنية في شعره

مفتتح الفصل

بناء الصورة

يصور الأدب ولاسيما الشعر تجارب حياة الوجود الانساني في ماضيه وحاضره ومستقبله بموضوعات متنوعة، وهو يوحي باللحظة النفسية الاشبه بنافذة تفضي إلى آفاق بعيدة تطوف في الخيال، فيكتسب الشعر اصداءً من الحقيقة والخيال، فيكون مزيجا منهما على نحو فريد.

وقد يتسع الخيال عند الشاعر فينقل سرائر روح الكون إلى خياله عبر انفعالاته النفسية محلقا في آفاق خيالية يتحرر فيها قليلا أو كثيرا عن حياته المادية واغلالها الثقيلة، فتضحي لغته لغة ساحرة معبرة عن صدق احساسه بما تحتوي من تعبيرات مجازية وتشبيهية واستعارية وكنائية، ومن هنا تتضح العلاقة بين بناء اللغة الشعرية والصورة.

فالصورة الشعرية وسيلة الأديب، لإيقاظ النفس وتهيج العاطفة بتجربة شعورية ذات نمط فني ابداعي يجمع الشاعر فيها حقائق الكون الخارجية المختلفة يوحدها ويعيد خلقها على وفق رؤيا نفسية عميقة تعبر عن منطلقه الفكري

والوجداني، فتنبض بالحياة والحركة بالوانهـا الاسـلوبية وباشـكالها الفنيـة المشخـصة بالألفاظ وصياغة العبارات التي فيها قدر من الخيال، وهو القوة النفسية التي تـنهض برسم الصورة، فتمنحها قوة ايحائية مؤثرة تجعلها قابلة لتعدد التأويلات عند المتلقي.

والصورة الشعرية هي التي تبرز مدى تمكّن الشاعر من صـناعته الـشعرية بـما يمتلكه من قوة الملكة اللغوية التي تنفذ إلى معان جمالية، أو انـسانية، فيفـيض الـشاعر خياله عليها، ويلصق احاسيسه بها، فيصور الاشياء المادية والمعنويـة عـلى الـسواء بـما يحقق التناسب بين اتحاد الألفاظ بالمعاني التي تـتجلى فيهـا قـدرة الـشاعر عـلى صـوغ صوره ضمن تجربته الآنية، فالصورة تقوم بوظيفـة جزئيـة داخـل التجربـة الـشعرية الكليـة، فتـشترك في الحركـة العامـة للـنص بـشكل متنـامٍ ينـأى عـن الاضـطراب والاخـتلال، أو تنـافر الفكـرة، أو العاطفـة بـين مكونـات عنـاصر الـنص الـشعري فالصورة مليئة بالحيوية والنمو، ولهذا لايمكن بترها، أو تحديد قالب فنـي معـين لهـا؛ لأنَّها قد تتشكّل في نص، أو بيت، أو عبارة، أو مفردة، بحسب روافد الطاقة الايحائيـة التي انشأها مبدعها ووسائل تصويره لها ضمن بناء النص الشعري العام .

ومن هنا لابد من أن نتعامل مع الصورة في بناء الأثر الأدبي على وفق التحامها اللغوي والموضوعي والفكري والشعوري بكـمال انـسجامها وتناسـقها وتماسـكها؛ لأنها بمجموعها تمثل بنية واحدة لايمكن فصل عراها؛ لأنها جزء مـن مبنـى الـنص، ولكـن طبيعـة الدراسـة تتطلـب التجزئـة بوصـفها وحـدة منفـصلة؛ لبيـان القيمـة التصويرية للأثر الفني بقصد اظهار براعة الشاعر، وإلا فهي لاتتجزأ عن بنائها العـام في النص .

وانطلاقاً من هذا المفهـوم يمكـن دراسـة الـصورة الفنيـة في شـعر أبي طالـب

الخاضعة لملكاته اللغوية والبيانية وبواعثه النفسية وتجربته الشعرية، المختومة بافكاره وخياله، والمنطبعة باحاسيسه ومشاعره.

ـ مصادر الصورة في شعره:

تنوعت الينابيع التي استقى أبو طالب منها صوره الفنية بوصف شعره مظهرا من مظاهر الحياة الانسانية في تسجيل احداثها، ولا سيما الحياة الإسلامية الجديدة، فعبر عما يعتمل في نفسه من عواطف واخيلة وافكار على وفق الحياة التي تشتمل مرحلة الانتقال من الجاهلية إلى الإسلام ومواكبة حركة الصراع والمعارضة للدين الحنيف في زمن البعثة الشريفة، فاكثر صوره الشعرية ـ اذا استثنينا شعره في فن الرثاء وبعض المقطوعات في الفخر والحماسة الجاهلية ـ تمثل المرحلة الجديدة لبواكير الظاهرة الأدبية الإسلامية، بيد أنَّه في بعضها يحذو حذو التقليد لصور سابقيه من الشعراء ضمن شعره الإسلامي؛ لأنَّ الظاهرة الادبية الإسلامية لم تكن قد تبلورت وتكاملت مقوماتها الفنية الجديدة بعد، وانما غرسها أبو طالب في شعره واينعت وقطف ثمارها شعراء الرسول ﷺ بعد هجرته إلى المدينة أمثال: حسان بن ثابت، وكعب بن مالك، وعبد الله بن رواحة، فبعض صوره الشعرية في المرحلة الإسلامية وان كانت جاهلية في ظاهرها بيد أنَّها تختلف في الفكرة والموضوع الإسلاميين المطروقين، فنظام الحياة الجديد: الفكري والاجتماعي والسياسي والاخلاقي غذى خيال الشاعر وذوقه في انتقاء صوره الحسية والمعنوية معاً.

وثقافة أبي طالب الدينية في اعتناقه للدين الحنيف بما يتصل به من اخلاق ومعتقدات لها اثر كبير في ترقية عقله وتقوية شعوره العقائدي في خلق موضوعات إسلامية يتردد صداها في صوره الشعرية، ولاسيما المستمدة من التعبير القرآني،

فالتعبير الجديد عن الحياة الإسلامية اليومية جعل أبا طالب يصدح بصوته الصريح الصادق باساليب تعبيرية وموضوعية؛ لاستقطاب قريش إلى صف الإسلام، فكانت صوره ثمرة فنية تعبر عنها القصيدة التي تشكل الصورة احدى مرتكزاتها الأدبية.

وأبو طالب ذو ثقافة عالية ناشئة من تحصيله الأدبي من ثقافة معاصريه من الأدباء: شعراء وخطباء، فقد كانت اسواق مكة: عكاظ، والمجنة، وذو المجاز، ميدانا فسيحا يتبارى الشعراء والخطباء في انشاد فنهما، فهذه الأسواق احدى وسائل نشر الأدب التي نهضت بالوحدة اللغوية بين قبائل العرب التي نزل بها القرآن مؤيدا ومذيعا للغة قريش[1]، وكان لأدباء قريش الحظ الأوفر من نهل هذا المنبع الثقافي الصافي؛ لأن هذه الأسواق كانت معرضا للأدب: الشعر والنثر، ومما لا ريب فيه أن أبا طالب قد تأثر في هذا التحصيل الأدبي فاثرى صوره من شعر الشعراء السابقين له والمعاصرين في آن معا، ويبدو أنَّ طبيعة مكة التجارية جعلها ساحة واسعة لعرض الاراء والافكاروالمفاخر، وناديا لالقاء الشعر في انديتها، وأبو طالب كان له حظ من التجارة سواء أكان في مكة أم في خارجها، وهذا الأمر اتاح له ولغيره من شعراء مكة أن يتبادلوا ثمار العقل والفن في هذا التلاقح الثقافي بينهما، فكثير من الشعراء من داخل مكة وخارجها مدحوا النسب الهاشمي ولاسيما عبد المطلب واولاده[2] بوصفهم رؤوساء قريش وزعماءها والقائمين على بيت الله الحرام، ولهم السقاية والرفادة فهذا له اثره في بناء صور أبي طالب الشعرية.

بقي ان اقول ان البيئة احد روافد صور أبي طالب الشعرية التي لها الأثر العميق

(١) ظ: الشعر الجاهلي: ٨٤- ٨٦.

(٢) ظ: انساب الاشراف: ١/ ٥٨، ٥٩، ٦٠، ٦١، ٧٣- ٧٤، ٧٥، ٨٣، ٨٩.

في ذوقه، فالصورة المتشكلة في لغة الشاعر الحضري قد انمازت أحيانا من الصورة المتشكلة في لغة الشاعر البدوي، ومن هنا جاءت صوره عذبة رقيقة في استقصائها للبيئة الحضرية قاصدا فيها الوضوح والافهام للنهوض الحثيث في الصورة الفنية الانيقة. فصور أبي طالب الشعرية قد تكون مستمدة من الموروث الثقافي للشعراء السابقين له أو مستثمرة من شعراء عصره، أو من أثر الحياة الفكرية الإسلامية الجديدة، أو من أثر تجارب الحياة الواقعية في وقت واحد، ومن هنا لايمكن القطع بشكل دقيق بين هذه الصورة، أو تلك في بيان الأثر الفني.

فمن صور أبي طالب البيئية التراثية صور جثث القتلى طعاما للطيور[1] التي اثارت مخيلته، فشرع يرسمها في سياق التهديد والوعيد، خالعا عليها تجربته الشعرية في تسفيه احلام قريش بقتل رسول الله ﷺ فقال في القصيدة الميمية:

{من الطويل}

يُمنُّونكم أَن يقتُلوهُ وَإِنَّما	أَمانيُّهم تلكم كَأَحلامِ نائِمِ
فَإِنَّكُم -وَاللهِ- لا تَقتُلونَهُ	وَلَمّا تَروا قَطفَ اللِّحى وَالغَلاصِمِ
وَلَم تُبصِروا الأَحياءُ مِنكُم مَلاحِماً	تَحومُ عَلَيها الطَيرُ بَعدَ مَلاحِمِ
وَتَدعوا بِأَرحامٍ أَواصِرَ بَينَنا	وَقَد قَطَعَ الأَرحامَ وَقعُ الصَوارِمِ
وَنَسمُو بِخَيلٍ بَعدَ خَيلٍ يَحُثُّها	إِلى الرَّوعِ أَبناءُ الكُهولِ القَماقِمِ[2]

(١) ظ:ديوان امرىء القيس: ٢٠٠، استعمل امرؤ القيس هذه الصورة في رثاء جماعة من قومه قد اصيبوا على يد اتباع الملك المنذر حسدا لهم، ظ: ديوان النابغة الذبياني: ٤٢-٤٣، استعمل النابغة هذه الصورة في مديح قوم عمرو بن الحارث بن الاعرج.

(٢) الديوان: ١٢٧، الكهول: الرجال، القماقم: مفردها القمقام وهو السيد.

عندما يزمع المرء على شن الحرب على الأعداء والايقاع بهم، يصف ساحة المعترك بالقسوة والشدة، فجثث قتلى الأعداء ستصبح طعاما للطيور الضارية، من هنا ساق أبو طالب هذا المشهد مصورا الملاحم بصيغة الجمع للمبالغة في التهويل لمشهد قطع الرؤوس، وصك السيوف بالسيوف وتدافع الخيل، وهي صورة توحي بشدة الفتك والبطش بالأعداء، وقد زج أبو طالب هذه الصورة؛ لبيان حقيقة آمال قريش في قتل رسول الله فهي كأحلام نائم، فلم ولن يتمكنوا من تحقيقها، فاخضع الصورة البيئية التراثية إلى تجربته الآنية بعد أن ادخل فيها التغيير والتحوير في تصوير واقعة الحرب في معرض التهديد والوعيد، فهو لم يستعملها في واقعة حربية فعلاً.

ويرينا أبو طالب بوضوح الجهد الفني المبذول في انجاز صورة شعرية متنامية في بناء قصيدته التي تماثل نظيرتها في الشعر الجاهلي بيد أنها تباينها في رسم تفاصيلها.

ويرسم أبو طالب صورة فنية أُخرى تضارعها في التصوير في مكان آخر، فهو يستعمل الصورة التراثية مع اضافة في ملامحها ومظهرها العام، وكأنها صورة تباين أختها، فيحدث فيها تغيرا وتحويرا بألفاظها الدالة على معانيها الملونة، بحسب قدرته الابداعية لصناعته الشعرية على نحو ما نجده في قصيدته البائية، وهو يهدد قومه ويتوعدهم عاقبة قتل رسول الله صلى الله عليه وآله[1] فقال:

{من الطويل}

بِمُعْتَرِكٍ ضنكٍ تَرى قِصَدَ القَنا ... بِهِ وَالنُسورُ الطُّهْمَ يَعكُفْنَ كَالشَّرْبِ[2]

---

(١) ظ: الديوان: ٢١٢.

(٢) م.ن: ٢١٢.

قابل أبو طالب صورة الطيور العاكفة على جثث القتلى ـ بعد ان بين ملامحها المرئية فهي، نسور ذات رؤوس سوداء ـ بصورة عكوف الجماعة لشرب الماء، فصورة المشبه والمشبه به متناسقتان في تشكيلهما الفني ومطابقان في هيأة الوصف بمعالجة فنية متقنة .

ومن صور التراث صورة الفارس الشجاع المأخوذة من صورة الأسد، أو الليث فاستعملها أبو طالب للدلالة على الإقدام والمصاولة والغضب والزهو والشموخ، على نحو ما يذكر في منعه لرسول الله ﷺ :

{من التقارب}

وَلَكِن أَزيرُ لَهُم سامِتاً   كَما زارَ لَيثٌ بِغيلٍ مَضيقِ[1]

على الرغم من تقريرية صورة الأسد، مَنح أبو طالب الصورة الحيوية من خلال الموازنة بين زئيره وزئير الأسد، فزأر أبو طالب على اعدائه بشموخ كما يزأر الليث في عرينة الضيق، كناية عن غضبه عليهم، ولوح أبو طالب بهذه الصورة في فخره الذاتي في الذود عن رسول الله ﷺ والجامع بين صورة زئير الشاعر، وصورة زئير الليث هو الحالة النفسية لكليهما الدالة على الغضب والقوة والشموخ.

إنَّ استعمال أبي طالب لهذه الصورة لايخلو من التغيير والتطوير، فقد طرقها بحسب تجاربه الشعرية المختلفة، وبألفاظ متباينة؛ ليمنح صورا متنوعة لشيء واحد، متجنبا اعادة الصور بعينها على نحو ما نجده في مديحه لقومه، فموقف قومه في الحرب اشرف موقفٍ، فهم كأُسْد يُهزُّ جبل الصفا من زئيرها، فقال:

---

(١) الديوان: ١١٢.

{من الرجز}

وَمَوقِفٌ في الحَربِ أَسنى مَوقِفا
أُسدٌ تَهُدُّ بِالزَئيراتِ الصَّفا[1]

تتجلى الموافقة بين الصورتين بانسجامها، فصورة أبطال القوم في الحرب الذين يتطلب منهم الاقدام والمصاولة والشجاعة تهزُّ قوة العدو، وهي صورة تضارع صورة زئير الأسد الذي يهزُ قوة جبل الصفا، والجامع بين الصورتين القوة والشدة والبأس والشموخ.

ويعالج أبو طالب صورته الشعرية المستمدة من صورة الأسد في اطارها العام معالجة تقنية فنية وهو يلجأ إلى اساليب التعبير المتنوعة، فقال من القصيدة الميمية مفاخرا بعشيرته:

{من الطويل}

هُمُ الأُسدُ أُسدُ الزَّارَتَينِ إِذا غَدَت عَلى حَنَقٍ لَم تَخشَ إِعلامَ مُعلِمِ[2]

فأبناء قوم أبي طالب اسود الزأرتين لايخشون الأبطال المعلّمين الذين يعرفون باقدامهم في حالة الغضب.

وتنوعت صورة الفارس المشبه بالأسد واختلفت بعض ملامحها في صور شعر أبي طالب[3] على الرغم من ان رافد الصورة التراثية واحد، فحوّر وطوّر وغيّر في

---

(١) الديوان : ١٠٣.

(٢) م.ن: ١٢٤.

(٣) ظ: م.ن: ١٩٨، ٣٣١، ٣٣٣.

تشكيلها، فجعلها تشارك الرافد نفسه وتباينه في اطار الشكل، وهو مستعين بقدراته الفنية ووسائله التقنية في صناعة صوره الشعرية.

ومن صور المشاهدات اليومية صورة الحاضرة والتمدن التي اقيمت فيها مظاهر العمران قبل الإسلام وبعده، فكانت مكة مركزا دينيا حضريا قديما، والكعبة كانت بناءً قديما فيها أيضا.

ومن دواعي فخر أبي طالب أن والده عبد المطلب، كان قائما على اعمار البيت، فكانت نفس أبي طالب تبرق من حين إلى آخر، لتحلق في الخيال فتضيء الزوايا المظلمة من الكون بصورة فنية تمنح الادراك العمق في النفس البشرية؛ لترفع الانسان الاعتيادي إلى درجة عالية من الجمال الروحي وهو يرثي والده، فصوَّره عندما عمَر الكعبة، وكأنَّه ملأها نورا يجلو الجدب والظلم عن الناس، فقال:

{من البسيط}

العامِرُ البَيتِ بَيتَ اللهِ يَملأهُ نوراً فَيَجلو كُسوفَ القَحطِ وَالظُلَمِ
رَبُّ الفِراشِ بِصَحنِ البَيتِ تَكرِمَةً بِذاكَ فُضِّلَ أَهلُ الفَخرِ وَالقِدَمِ[1]

في الصورة الاستعارية شبّه أبو طالب دعاء عبد المطلب بالنور الذي يملأ بيت الله الحرام الذي يوحي بالسمو الروحي، والايمان الخالص، فيكشف شدة الفقر والظلم عن الناس، لما عرف عنه انه من الموحدين وأنه مستجاب الدعاء، واغفل الشاعر ذكر المشبه (المستعار عنه) وهو الدعاء، واثبت المشبه به (المستعار له) وهو النور، وكلا الطرفين حسي، فالدعاء صورة سمعية، والنور صورة مرئية، ولكنهما

(١) الديوان: ٩٧، كسوف القحط: شدته.

يتجازوان عوالم الحس إلى عالم الروح.

وجليل قدر عبد المطلب كان يوضع له فراش في فناء الكعبة يجلس فيه اكراما له، واستقصى أبو طالب هاتين الصورتين؛ لبيان عظم مكانة أبيه، وكأنَّه أراد أن يصور هذه المعاني التي هي موضع فخره، واعجاب السامعين، فيهز القلوب لفقده، بوصفه قيمة انسانية تتجمع فيها المباديء السامية، ففقدانه صورة لفقدان تلك القيم، ولهذا كان لهذه الصور اثرها البالغ في التهاب مشاعر السامعين حزنا عليه، فشاركوا احساس الشاعر نفسه وهو يؤبن فقيده بصور متنوعة بعاطفة حب الشاعر لأبيه.

ومن نشاطات الحياة الحضرية: الحياة الاقتصادية والتجارية التي وفرت حياة الاستقرار في المجتمع القرشي في مكة ، والدالة على مخالطة البلدان المتحضرة والمتمدنة، فقد كان بعض رجال قريش يأتون بالبضائع المتنوعة من الشام، ومن التّجار أبو أمية بن المغيرة المخزومي، فالتقط أبو طالب صورة عودة خاله أبي أُمية من رحلته التجارية من الشام، فاخضعها لتجربته الشعرية، وهو في صدد رثاء له، فقال قصيدته الرائية:

{من الطويل}

وَكانَ إذا يَأتي مِنَ الشامِ قافِلاً تَقَدَّمهُ تَسعى إِلَينا البَشائِرُ

فَيُصبِحُ أَهلُ اللهِ بيضاً كَأَنَّما كَستهُم حَبيراً ريدَةٌ وَمَعافِرُ[1]

رسم أبو طالب صورة مجازية في تفاؤل أهل مكة بعودة القافلة من السفر، بلفظ «البشائر» بما تحمل من دلالة الحبور برجوع أبي أمية من رحلته فتشيع الاخبار

---

(١) خزانة الأدب: ٤/ ٢٤٥.

السارة، ويصبح اهل الله بيضا، والمراد بقريش؛ لأنهم بجوار بيته، يخدمونه ويخدمون حجيجه، واستعار أبو طالب البياض لهم لحسن حالهم الذي يماثل كسوتهم بالثياب الموشاة الجديدة من ثياب الحبيرية والمعافرية المصنوعة في اليمن، وهي صورة تدل على الرفاهية والسعادة.

وعلى الرغم مما يشيع من الوان البهجة والسرور في نفوس قريش بمقدم القافلة التجارية، كان أبو طالب قد استثمر هذه الصورة في رثاء خاله نفسه لتأجيج نفوس السامعين في مشاركته حزنه، فبالامس طالما اسعدهم بمقدمه واليوم احزنهم برحيله، وقد منح أبو طالب بناء صورته المنجزة الدقة والتأني في ذكر تفاصيلها وهو يبرِّز جوانب النمو والحيوية والرؤية الواضحة في اظهارها إلى المتلقي مستعملا الوانا من الاداء التصويري: الحسي والمعنوي متلمسا بعض الصور من المجاز البياني من استعارة وتشبيه باداء فني أنيق. اما الصورة المستمدة من طبيعة الثقافة الدينية الإسلامية المستثمرة من التعبير القرآني، صورة ﴿... الْمِيْزَانَ بِالْقِسْطَ ...﴾ [1]، فورد في توبيخ أبي طالب لبني عبد شمس وبني نوفل الذين وافقوا قريشا على قطيعة عشيرة الرسول ﷺ فقال في قصيدته اللامية[2]:

{من الطويل}

جَـزى اللهُ عَنّـا عَبـدَ شَـمسٍ وَنَـوفَلاً	عُقوبَـةَ شَرٍّ عاجِـلٍ غَـيرَ آجِـلِ
بِميـزانِ قِسـطٍ لا يَغيـضُ شَـعيرَةً	لَـهُ شاهِدٌ مِـن نَفسِـهِ حـقّ عـادِلِ[3]

---

(١) الانعام/ ١٥٢.

(٢) ظ: الديوان: ٧٣- ٧٥.

(٣) م.ن: ٨٠، يغيض: ينقص، الشاهد: اللسان.

شبّه أبو طالب الصورة المعنوية «عقوبة شرٍ» بشيء موزون، فحذف المشبه به (أي المستعار منه)، الشيء الموزون، وأومأ الى (المستعار له) : الميزان، فعقوبة الشر غدت مجسدة بالوزن تكال في الميزان لا تزيد ولا تنقص مقدار شعرة، وبهذا كله جسد أبو طالب الصورة المعنوية بالصور المادية، فأفعم الصورة بجمال الخيال، وإثراء الايحاء الدال على الغضب والسخط والاستياء من ظلم بعض بطون قريش المعارضين للإسلام.

واستثمر أبو طالب من التعبير القرآني الصورة الحسية: ﴿ ... لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ ...﴾[1]، وهو يتوعد قريشا ويذكرهم ظلمهم وعقوقهم وحصارهم في الشِّعب[2]، فقال:

{من الوافر}

وإنّا سوف نورِدُهم حياضاً يكونُ شرابهُم منها الحميمُ[3]

نهضت الصورة الذوقية في تحذير قريش بالنقمة، فسيشربون من حوض الحميم جزاء اعراضهم عن الإسلام، وتماديهم في غيهم للنيل من رسول الله ﷺ ، والصورة توحي بالعذاب الاليم لأولئك المشركين وقد التقط أبو طالب هذه الصورة من الذكر الحكيم، واخضعها لتجربته الشعرية مانحا اياها الرؤية الجلية للتعبير عن حسيتها باطار فني مرسوم في التعبير القرآني.

---

(١) الانعام/ ٧٠، يونس/ ٤.

(٢) ظ: الديوان: ٢١٨- ٢١٩.

(٣) م.ن ٣٤٣، البيت في المستدرك تابع للقصيدة الميمية ظ: م.ن: ٢١٨- ٢١٩.

وللمثل اثر واضح في صور شعر أبي طالب وتتجلى قيمة المثل في لفت انتباه السامع إليه مباشرة بما يحتوي من صورة مكثفة دلاليا غنية بالايحاء على نحو تسفيه أبي طالب رأي قريش حين عرضت عليه عمارة بن الوليد بدلا من ابن أخيه رسول الله ﷺ؛ ليكون له ولدا وسندا[1].

فقال أبو طالب في القصيدة الرائية:

{من الطويل}

فَقَد سَفِهَت أَحلامُهُم وَعُقولُهم　　وَكانوا كَجَفرٍ بِئسَ ما ضغطت جَفرُ[2]

احسن أبو طالب في تشويه صورة المشبه من رجال قريش الممثلين عشائرهم، والصاق صفات شائنة بهم، تحط من منزلتهم، ليضارعهم بصورة ولد المعزى الذي «بال فأدر فبال جفره»[3] في سلوكهم المتوارث في العداء، والجامع بين الصورتين الجهل، للدلالة على التحقير، ولا يخفى ما لقول أبي طالب المستمد من المثل «وكانوا كجفرٍ شرِ ما ضَغُطَتْ جَفْرُ»، من كثافة دلالية في أذن السامع وترسيخها، وايضاح الصورة وتوكيدها.

وفي شعر أبي طالب تحفل القصيدة الدالية بصورة مثل أُخرى عندما يفخر أبوطالب على بني قصي[4]، فقال:

---

(١) ظ: الديوان: ١٨٦.

(٢) م.ن: ١٨٧.

(٣) مجمع الامثال: ١/ ٩٩.

(٤) ظ: الديوان: ٩٢.

{من الطويل}

فَـــإِنّي وَإِيّــــاكُم كَـــما قـــالَ قائِـــلٌ   لَـدَيكَ البَيــانُ لَــو تَكَلَّمــتَ أَســـوَدُ[1]

أسهمت الصورة المستمدة من المثـل «لـديك البيـان لـو تكلمـت اسـودُ» ، في تحديد طبيعة الصورة السمعية بدلالة «قال قائلٌ»، في فخره، فلو تكلم «أسود» لأخبر بني قصي بفضل بني هاشم فيهم، ولا شك في ان اصداء الصورة السمعية لقول المثـل لها اثرها في آذان مستمعي بني قصي الموحية بعراقة أرومة بني هاشم عليهم.

ومما تقدم يتبين: أن أبا طالب استمد معظم مكونات صوره مـن ينـابيع ثقافتـه الأدبية والدينية المعبرة عن وعيـة الـذاتي لمتطلبـات تجربتـه الـشعرية، فباينـت أصـل الصورة التراثية بتحويرها وتطويرها.

و عني أبو طالب برصد المشاهدات الواسعة من الحياة اليوميـة عـلى المـستوى الفكري والاخلاقي والأدبي، والحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية، فتـضمنت صورا متنوعة شكلت جزءاً من بناء اثره الفني بعد أن اخضعها لانفعالاته المتباينة بـما يتناسب مع الموضوع الشعري الذي هو في صدد الحديث عنه مانحا صوره الوانا مـن ابداعه ومهارته الفنية.

---

(١) الديوان : ٩٢، قال أبو هفان: «قالوا أراد الأسود بـن عبـد العُـزى، وقـالوا أراد اللّيـل، وقـالوا: أراد الحَجَر الأسود، أي لو تكلم لأنْبَأ بفَضلِنا»، م.ن: ٩٢، وقال السُّهيلي: «أسود: اسم جبل كان قـد قتـل فيه قتيل، فلم يعرف قاتله، فقال أولياء المقتول هذه المقالة، فذهبت مثلا»، الـرُّوض الأُنـف في تفـسير السيرة النبوية لابن هشام: ٢/ ١٦٦، لم نعثر على المثـل في كتـب الأمثـال، ظ: جمهـرة الأمثـال، فـصل المقال في شرح كتب الأمثال، مجمع الأمثال، المستقصى في أمثال العرب.

ـ وسائل الصورة البيانية:

ضمت اساليب البيان العربي أهم وسائل الصور الفنية غير المباشرة في التعبير عن المعنى الواحد بدلالات مجازية متنوعة، فالفكرة الواحدة يمكن اداؤها باساليب متباينة، وبطرق ادائية مختلفة تتبعها تغييرات ـ زيادة أو نقصان ـ في المعنى بحسب بناء الألفاظ؛ لأنَّ الألفاظ صور المعاني، فإذا تغير تشكيل الألفاظ تغيرت المعاني المصورة.

ومن الأساليب البيانية التي يتوسلها المبدع في رسم صوره الفنية: المجاز، والتشبيه والاستعارة والكناية، ومن جمال هذ الوسائل البيانية ، انها تمنح النص الشعري الاثارة، وبعد المرمى الذي تهدف إليه، وهي أكثر جمالا من الأساليب الحقيقية[1]؛ لامتلاكها الامكانات الايحائية المؤثرة في جلب انتباه السامع، فتهز مشاعره ووجدانه بعد أن نبضت باحاسيس مبدعها، وتضمنت افكاره وانفعالاته.

والصورة البيانية لغة مجازية ضمن بناء تشكيل لغة القصيدة مرتبطة باجزائها، تحمل مضامين متنوعة يحلق الشاعر فيها على اجنحة من الخيال فيطلقها حرة نامية في صور حسية، او عقلية بنوعيها: الوهمي والوجداني، وهي خاضعة لمهارة منشئها، في قدرته على رسم صوره وبها يتفجر ابداعه، وتضيء موهبته وملكاته الشعرية بروعة التعبير في صناعة صوره.

---

(١) لانعدم في الصورة الحقيقية من وجود تعابير فنية ذات قيمة جمالية بدرجة تقترب من جمال الصورة المجازية، في الوقت نفسه قد تفتقر الصور المجازية الى التأثير كما نلحظ في الصور التشبيهية التقريرية في شعر أبي طالب، ظ: الديوان: ٧١، ٧٣، ٧٥، ٨٠، ٨٣، ١٠٩، ١٠١، ١١١، ١٢٤، ٢٤٤، ٣٣١، ٣٣٣، ٣٣٤.

ونظرة فاحصة في آثار أبي طالب الشعرية تكشف عن صدارة التشبيه والكناية على الاستعارة، ويعود تقدم الكناية على الاستعارة إلى الخاصية الفنية لشعر أبي طالب في تنشيط الثروة الثقافية التراثية للوسيلة الكنائية ووضعها بقلب تجربته الشعرية؛ ولأنها تتعلق بالحقائق المختلفة من فكرة معينة، أو موقف شعوري، أو تجربة انسانية، أو حالة نفسية، على الرغم من ان الاستعارة من الفنون البيانية الرفيعة المستوى، والعميقة في النفس، كانت الكناية ايسر سبيلا، واسهل مولجا، فاعتمدها أبو طالب في شعره أكثر من الاستعارة، وسنقف على الوسائل البيانية لكشف المعاني وإبانتها والخواطر الكامنة في النفس ضمن تشكيل الصورة التعبيرية في شعر أبي طالب.

- **التشبيه :**

التشبيه ضرب من المجاز تأتي الصورة فيه لابرازه، وتوضيحه، وجلاء هيأته، وهو عماد الصورة البيانية؛ لكثرة توسل الأديب صوره له؛ ولاتساع اساليب التعبير به،فيتردد في مستويات التعبير المختلفة، ويراد به «الدلالة على مشاركة أمر لآخر في معنى»[1] أو اكثر، أو وجه أو أكثر من وجه، وتعقد به مماثلة لوجود صفة مشتركة بين طرفي التشبيه: المشبه والمشبه به، باداة ملفوظة أو محذوفة، لغرض يقصده الأديب.

والمماثلة بين طرفي التشبيه تتفاوت بين الزيادة والنقصان، أو بين الوضوح والغموض بحسب المعنى المستعمل سواء أكانت الصفة التشبيهية مفرده أم متعددة، ويرمي المبدع إلى رسم ابعاد الموازنة بين طرفي التشبيه إلى الربط بينهما في حال يكشف فيه عن جوهر الجمال الذاتي الذي استحوذ عليه، يدلك على تشكيل صورة المعنى

---

(١) الايضاح في علوم البلاغة: ٢/ ٣٢٨.

التي هي لوحة تشكلت من المعاني الجزئية بصياغة فنية دقيقة لتشكل المعنى الكلي بشكل متساوق ضمن جزيئات اقامة البناء الاساس للقصيدة، وتمنح النص بعدا جماليا يظهر مهارة الشاعر، وقدرته الابداعية في رسم صوره، فتبرز انفعالاته بكلمات معبرة يحاول فيها تصوير مشاعره بانتقاء الألفاظ والتعابير الموحية التي تنقل عاطفته، لتتم المشاركة بين المنشيء والمتلقي ـ سواء أكان مستمعا أم قارئا ـ فيحس انفعالاته المتباينة، ويفهم افكاره المتنوعة، ويدرك خياله الواسع، فالصورة التشبيهية أكثر تناغما بين المبدع والمستمع لما تحمله من روابط نفسية تكسبها تلك المزية، وتكتسب أهميتها من أنها تقرب المعاني إلى افهام المتلقي وتوضحه، وتتوسع في ادائها اللغوي وفي احداث معانٍ جديدة تعطي الألفاظ الوضعية دلالات جديدة نستشفها من علاقات استعمال المفردات في سياقاتها الأدبية.

ورفدت صور أبي طالب التشبيهية بالقديم والجديد المنسجمة مع واقع الحياة المعاش في مرحلتين: قبل الإسلام، وبعده[1]، وأفادت من معطيات هاتين المرحلتينِ من الزمان؛ لأن الشاعر عاشهما بابعادهما الحضارية والروحية والمعنوية، فكانت صوره متناغمة مع حركة الحياة الصادرة عن فهمه لها، فهي نتاج الواقع والثقافة والاحساس، تتجلى في هذا النتاج حقيقة الحال الشعورية والفنية الذي عاناه الشاعر في اثناء انجاز عمله الابداعي، فشكلت انماطا اسلوبية مختلفة، تختلف باختلاف تجاربه الشعرية، وبتباين أدوات الصورة التشبيهية التعبيرية، ولذلك وردت الصور

---

(١) ظ: الديوان: ٧١، ٧٢، ٧٣، ٧٤، ٧٥، ٧٨، ٧٩، ٨٠، ٨١، ٨٣، ٨٤، ٨٨، ٩٠، ٩١، ٩٢، ٩٣، ٩٥، ٩٨، ١٠٢، ١٠٤، ١٠٧، ١٠٨، ١٠٩، ١٠١، ١١٢، ١١٥، ١١٦، ١١٩، ١٢١، ١٢٤، ١٢٧، ١٣٠، ١٣٣، ١٥٠، ١٧٢، ١٨٤، ٢٢٣، ٢٣٥، ٢٤١، ٢٤٤، ٢٤٦، ٢٥٩، ٣٣١، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٤٤.

التشبيهية متنوعة فمنها: **الصورة الحسية التقريرية**، وهي صور تحاكي عالم المحسوسات المدركة في الخارج، بسيطة في تركيبها، تنأى عن الخيال، لانصرافها عن الأمور العقلية في تقريرها، ومنها الصورة البصرية التي التقطها أبو طالب لرواحل الحجيج إلى بيت الله العتيق، فقال يصف زينتها في قصيدته اللامية:

{من الطويل}

تَرى الوَدعَ فيها وَالرُّخامَ وَزينَةً بِأَعناقِها مَعقودَةً كَالعَثاكِلِ[1]

ضارع الشاعر بين صورة الإبل المتزينة بالخرز والرخام وانواع أُخرى منتظمة برباط في اعناقها، بحبات التمر المنتظمة بعنق شجر النخيل، لبيان هيأة شكلها، والجامع بينهما شيء منظم ومرتب ومنسق مقلد في العنق، فهذه الصورة المرئية دقيقة في فنيتها انيقة في رسمها، بيد أنها غير نامية لا تحقق استجابة في اثارة المتلقي.

والصورة الحسية على الرغم من انها تجنح الى وضوح الحقيقة المدركة ادراكا حسيا التي تقتضيها طبيعة الماديات في الوجود الانساني، فتجلوها للمتلقي، هي مرهونة بالحالة النفسية للشاعر وهو يصور شعوره واحاسيسه في عقد مشاركة بين امرين حسِّيّين على نحو ما نجده في قول أبي طالب وهو يصف رحلته إلى الشام، وقد تعلق ابن أخيه محمد ﷺ ـ عندما كان صبيا ـ بركابه حين ازمع على السفر، فقال من القصيدة الدالية:

{من الكامل}

فَارفَضَّ مِن عَينَيَّ دَمعٌ ذارِفٌ مِثلُ الجُمانِ مُفَرَّقٌ ببَدادِ[2]

---

(١) الديوان: ٧١.

(٢) م.ن: ١٣٠.

رصد أبو طالب الصورة الحسية للجمان المتلألئ في الواقع، فاخضعها لتجربته الشعرية، فشاكل بين دموعه المتلألئة والمتتابعة في عينيه وحبات اللؤلؤ المتساقطة على مفارق الجواد، فتشبيه دموعه بالجمان لشيء يفخر بنفسه، فبكاؤه عزيز، وإذا بكى فهذا بكاؤه، فالباكي والمبكى عليه يستحقان هذه الصورة مثلما يرى الشاعر، وانمازت الصورة بالاتقان في بيان تفاصيل هيأتها وشكلها التي افضت إلى الوضوح في التعبير عن مشاعر مبدعها.

والشاعر يكرر الصورة نفسها بيد أنها أكثر ارتباطا بحالته النفسية وأكثر تميزاً من سابقتها في رسم مشاعره وهو يشكو همومه في القصيدة البائية التي يخاطب بها بني قصي في حصار الشِّعب فقال :

{من المتقارب}

تَطاوَلَ لَيلي بِهَمٍّ وَصِبْ ... وَدَمعٍ كَسَحِّ السِّقاءِ السَّرِبْ

لِلعِبِ قُصَيٍّ بِأَحلامِها ... وَهَل يَرجِعُ الحلمُ بَعدَ اللَّعِبْ[1]

قابل الشاعر بين صورة انحدار دموعه، بانصباب الماء من القِربة وكشفت الصورة التعبير عن احاسيس الشاعر المتوغلة في اعماقه من هموم واحزان متواكبة عليه، فاخرجت صورة تشبيهية ذاتية مستمدة ابعاد طرفيها من العالم المادي؛ لبيان حقيقة نفسية في المبالغة في المعنى الحسي المرسوم بطريقة فنية انيقة متلونة بنقاء السريرة، وشفافية الروح لتصوير غاية نفسية.

والتشبيه الخيالي مستمد جذوره من الصورة الحسية فطرفا كل منها يدرك بالحس، وله اثر في الواقع، بيد أن تركيبه ليس له مثيل حقيقي واقعي، وانما هو

(١) م.ن: ١١٥.

مستوحى من الخيال، ومن امثلة هذا اللون من التصوير ما رسمه أبو طالب من صورة خيالية استمد مقوماتها مما بصره من مناظر حقيقية، فكانت وسيلة لنقل تجربته وهو في صدد تهديد قريش عندما افتقد ابن أخيه رسول الله ﷺ وظن أن قريشا قتلته، فقال متوعدا وبالحرب مهددا في القصيدة الرائية:

{من الوافر}

مُجَمَّعة الصفوفِ أُسودُ نهرٍ ... وكان النَّقْعَ فوقهم يثورُ

كأنّ الأفقَ محفوفٌ بنارٍ ... وحول النارِ آسادٌ تزيرُ

بمَعتَرَكِ المنايا في مَكَرٍّ ... تخال دماءها قِدراً تفورُ[1]

رسم أبو طالب في المشهد التصويري العام للمصاولة والقتال صورة بسيطة تولدت منها صور خيالية مركبة، فقد شبه الشاعر قومه بالاسود، وذوبان الفوارق بين طرفي التشبيه جعل الشاعر يحذف الأداة، ومن هذه الصورة البسيطة في تركيبها تولدت صورة أُخرى فتخيل الشاعر أنهم جالوا في المعركة ومن نتاجها تصاعد الغبار حتى اضحى بهيأة العجاج، فتناثرت الاتربة فوق رؤوس المقاتلين للدلالة على اثر احتدام القتال وسرعة الحركة التي تثير الغبار من الارض بحركة اقدام المتحاربين، ولهذا التفصيل حظ وافر من الدقة التي افادت الحقيقة في وصف المعركة المتخيلة، بيد أنَّ هذه الهيأة المرسومة لم توضح معالمها بصورة متخيلة اكثر لتشوِّق المتلقي إليها، فانتزع الشاعر من هذا المشهد صورة أُخرى ليضارع فيه صورة اجتماع القوم على هيأة وشكل صفوف بصورة مركبة لمشهد الأسود المتجمعة حول النار تملأ آفاق الأرض بجموعها وزئيرها الذي يوحي على الغضب في الانقضاض على العدو.

---

(١) الديوان: ٢٤٤.

ومن صورة القتال والانقضاض على العدو تولدت صورة أُخرى في تشبيه دماء القتلى بالماء في القدر والجامع بينهما الغليان والفوران في بيان الحركة والاضطراب، والصورة بسرعة القتل وكثرة عدد القتلى وبشدة القتال وقسوة المقاتلين على اعدائهم في ساحة المعترك .

فالصورة الفنية الكلية التي ابدع الشاعر في رسمها وهو يهدد قريشاً مستمدة عناصرها من العالم المادي وهي الاسود، والغبار، والنار، والماء، والقدر، فجمع خيال الشاعر بينها بعلاقات تعبيرية تقوي الصورة الواقعية فتنصهر معها، وتقربها من الواقع بجمال التعبير التصويري.

ومن أنماط الصورة التشبيهية **الصورة العقلية، أو الذهنية**، وهي ما لا يدرك طرفاها بالحس، وانما بالعقل، وان كانت الحواس وسيلة الذهن في الادراك، وجمال هذا النمط من التصوير يرجع إلى قدرة الشاعر الابداعية على تقديمه المعنى وتقريبه من الأذهان باخراجه من خفي إلى جلي[1]، بنقله من المعنوي إلى الحسي، وما يتبع ذلك من متعة الخيال في ادراك الحقائق الأدبية التي تعبر عن فكرة تحمل موقف من مواقف الحياة والكون مثل: الموت والخلود، أو تعبر عن موقف نفسي متخيل مثل: اللذة والالم والحب والبغض والفرح والحزن، يستعملها الشاعر استعمالا فنيا تنم عن تجربته الشعورية في الحياة، فيتفاعل معها تفاعلا تاما في احداث التخيل التي تتولد منه ألفاظ موحية مثيرة للوجدان، فينقاد المتلقي وراءها في متابعة استحكام الاثر التخيلي لمشاعر مبدعها الخاضعة لمعالجته الفنية، ومن امثلة هذا النمط من التصوير ما نجده في رثاء أبي طالب لصديقه مسافر بن أبي عمرو، في قوله:

---

(١) ظ: اسرار البلاغة في علم البيان: ١٠٢- ١٠٣.

{من الخفيف}

بُــــورِكَ المَيِّـــتُ الغَريـــبُ كَـــما بــو رِكَ نَـــضحُ الرُّمّـــانِ وَالزَّيتُــونُ[1]

إنَّ بركة الله لاتدرك بالحس، وانما تـدرك بالعقـل، فتـشعر بهـا الـنفس ويحـس معانيها الوجدان ، وقد عقد أبو طالب وهو يدعو لـصديقه مـسافر مماثلـة في احـلال بركته في الأرض التي دُفِن فيها، ببركة رشح الرمان والزيتون، فابعاد الصورة المعنوية تتحد وتنكشف من معرفة البركة في ابسط صورها الدالة على الكثرة في كل خير عائـد على بني الانسان بالنفع في الحياة، فنتج من هذه الـصورة متعـة حيـة نابـضة، تـوحي بالنماء والزيادة في الخير على الرغم من أن الشاعر في صدد رثاء الفقيد.

ومن الأمثلة التي تظهر فيهـا براعـة الخيـال الـصورة الذهنيـة التـي سـفه بهـا أبوطالب أحلام قريش لتمنيهم قتل رسول الله ﷺ فقال في القصيدة الميمية:

{من الطويل}

يُمَنُّـــــونكم أَن يقتُلـــــوهُ وَإِنَّـــــما أَمـــانيُّهم تلكـــم كَـــأَحلامِ نـــائِمِ[2]

ضارع الشاعر بين «الأماني»، وهو لفظ لايدرك معناه بالحس وانما بالوجـدان، بامر اخر وهو «الاحـلام» الـذي لايـدرك معنـاه إلا بالـذهن المتخيـل، وكـلا طـرفي التشبيه يدل على أنَّ الأماني غير مجدية والاضغاث احلام غـير نافعـة، وقـد اسـتندت الصورة إلى الشعور والعقل في استعمال فني انيق ضمن سياق التـشبيه الـذي اكـسب المفردات الوانا وظلالا تمد الصورة بتلك الفنية البيانية التي تظهر فيها قـدرة الـشاعر

(١) الديوان: ١٠٤.

(٢) م.ن : ١٢٧.

الخيالية ازاء تجربته الشعرية في معالجة موضوعه الذي يحمل دلالة السخرية والاستهزاء في تسفيه أحلام قريش بقتل رسول الله صلى الله عليه وآله.

وقد تتألف الصورتان الحسية والعقلية بصورة واحدة في خلق صورة كلية تنسجم مع بصيرة أبي طالب في فهم الاشياء وربطها بالذهن والفكر، معبرا عنها في رثاء أخيه عبد الله والد النبي صلى الله عليه وآله فقال:

{من البسيط}

لَو عاشَ كانَ لِفِهرٍ كُلِّها عَلَماً إِذ كانَ مِنها مكانَ الروحِ في الجَسَدِ[1]

وآلف الشاعر بين صورة عالم الحس في وجود أخيه عبد الله في قومه قريش وشيء ليس مدركا في عالم الحس، وانما بالوهم[2]، وهو «الروح»، فلا وجود لها في نظر الانسان؛ لأنَّه لايعرف ماهيتها وشكلها فهي شيء وهمي، ولكن حركة نشاط الانسان توحي بوجودها في الجسد.

وتكمن أهمية هذه الصورة في تمثيل المعاني المحسوسة بالمعقولة، فعدم استغناء قريش عن عبد الله ، بعدم استغناء الجسد عن الروح في بيان اهميتها ومكانتها؛ لتقوم الصورة بوظيفة تحريك النفس في تأجيج مشاعر السامع بطيب الكلام في التعبير الصوري المؤثر؛ ليدلل الشاعر على حجم الخسارة الكبيرة في فقدان أخيه وهو يصور علو منزلته في قريش كلها .

---

(١) الديوان : ٩٨.

(٢) الفرق بين التشبيه الخيالي والتشبيه الوهمي «هو ان الخيال أكثر ما يكون في الأمور المحسوسة فأما الأمور الوهمية فانها تكون في المحسوسة وغير المحسوسة مما يكون حاصلا في التوهم وداخلا فيه»، الطراز: ١/ ٢٧٣.

● الكناية:

الكناية احدى اساليب البيان العربي ووسيلة من وسائل تصوير المعنى فنيا، ومظهر من مظاهر الابداع التعبيري في تجسيد المعنويات ونقلها الى المحسوسات[1]، وهذه طبيعة التصوير البلاغي التي تكشف عن جمال التعبير الذي يتمثل في طبيعة الوسائل التي تشخص المجردات فتجعلها محسوسة، والمراد بالكناية «ان يريد المتكلم اثبات معنى من المعاني، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه ورِدُفه في الوجود، فيومىء به إليه، ويجعله دليلا عليه»[2]، وتكمن مزية الكناية في طريق اثبات المعنى وتقريره، وليس في المعنى نفسه الذي يقصد إليه المتكلم، فزيادة اثبات المعنى يجعله ابلغ وآكد واشد، وبهذا كله جاءت الكناية ابلغ من التصريح[3]، وهي تمتاز بالدقة والغموض فتبعث المرء على التفكير واجالة الذهن في معرفة شأنها، بيد أنها تحقق جمال التعبير، وعمق التأثير في نفس المتلقي الذي لايدركها إلا بفحص المعاني والتعرف على ماهيتها في أثرها الايحائي الذي يقدمه المعنى في اطار فني حسن تنم عن ذوق مبدعها،وصفاء قريحته، فتخرج باشكالها المتنوعة من تعريض وتلويح واشارة ورمز بحسب السياق الذي ترد فيه.

واعتمد أبو طالب الصورة الكنائية في شعره لتأليف حقائق تحمل تجربته الشعرية المستوعبة لنظام الحياة في مستوياتها المختلفة ولاسيما النظام الاجتماعي، فحملت طابع ابداعه الفني في موضوعات متبانية تدل معانيها على الوقوف على

---

(١) ظ: التصوير البياني: ٢٣٨- ٢٣٩.

(٢) دلائل الاعجاز: ٦٦.

(٣) ظ:م.ن : ٧١.

المحمود والمذموم منها في تعابير ابدع في عرضها، وتفنن في ادائها بحسب انماط كنائية متنوعة[1]، فمن ذلك الصورة الكنائية للقيمة الاجتماعية لظاهرة الكرم التي لها وشيجة قوية بالسيادة وشرف صاحبها فأتحفنا أبوطالب بكناية صفة رسول الله ﷺ السيد الكريم في قومه، فقال مادحا له في القصيدة الدالية:

{من الطويل}

عظيمُ الرَّماد سيِّدٌ وابن سيد يحضُّ على مقرى الضُّيوف ويَحْشِدُ[2]

لوّح أبو طالب عن كرم ابن أخيه «عظيم الرماد» ويتطلب عظم الرماد كثرة احراق الحطب، بيد أن ما ورد في عجز البيت يعزز الكناية في صدره فحشد الضيوف يدل على كثرة الطبخ، وأهم ما انمازت به الصورة اثبات المعنى وتقريره في تكراره، فقد أردف الشاعر ان رسول الله ﷺ كان يحث على اقراء الضيوف، الذي يحقق لوناً من الارتياح في نفوسهم، فتلون كرم الرسول بالمعنى المادي والمعنوي في آنٍ معاً.

وفي شاهد آخر يذكر الشاعر الموصوف بالكرم وصفته، بيد أنه لا يصرح بالنسبة المراد ذكرها على نحو ما نجده في مديحه لأبي قيس بن الأسلت الشاعر المعروف، فقال من القصيدة البائية:

---

(١) ظ: الديوان: ٧٠، ٧١، ٧٢، ٧٣، ٧٥، ٧٧، ٧٨، ٧٩، ٨١،٨٢، ٨٣، ٨٩،٨٧، ٩٠، ٩١، ٩٥، ٩٦، ٩٧، ١٠١، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٧، ١١٣،١١٤، ١١٥، ١١٦،١١٧، ١١٨، ١٢٢، ١٢٦،١٢٤، ١٣١، ١٤٩،١٣٤، ١٦٤، ١٦٩، ١٧٧، ١٨٠، ١٨٤، ٢٠٥، ١٠٦، ٢٢١، ٢٣١، ٢٣٥، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٦، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٥.

(٢) م.ن: ٩٠، وصدر البيت غير مستقيم.

{من الطويل}

ومثـلُ أبي قـيسِ المـصَفَّى مـن الخنـى   قريـع النَّـدى وابـنِ الكـرام الأطائـبِ[1]

لم ينسب أبو طالب الى الممدوح أبي قيس صفة الكرم بصريح العبارة وانما كنـى عن نسبة الكرم إليه فهو «قريع الندى»: سيد الكرم، فحملت القيمـة المعنويـة للكـرم دلالة السيادة والشرف، فهو «المصفى من الخنى»، ومما يقوي نسبة الكرم إلى أبي قيس نعته بابن الكرام،وهذا التوكيد في المعنى أثره في تشديده في ذهن السامع وترسيخه.

وأصَّلَ أبو طالب لزمن القيمة المعنوية للكـرم؛ فلـوّح إلى كـرم قومـه للفقـراء والمعوزين بعد الميسر، فقال في القصيدة الدالية:

{من الطويل}

ونُطعِـم حتّـى ينـزلَ النـاسُ سـورَنا   إذا جعلـتْ أيـدي المُفِيْـضِينَ تُرْعَـدُ[2]

لايكنّى أبو طالب عن اطعام النـاس، وانـما اكـد هـذه القيمـة بـشدة، بدلالـة العبارة «أيدي المُفِيْضِينَ تُرْعَدُ»، ويعني الشاعر «ايـدي المفيـضين بالقـداح في الميـسر، وكان لا يفيض معهم في الميسر إلا السخي {...} يريد أبو طالب: إنهـم يطعمـون اذا بخل الناس»[3] فنلحظ المزج بين اللعب بالميسر والكرم، ومن هنا رسم الشاعر البعـد الزمني لتأصيل ظاهرة الكرم التي هي موضع فخـره في التعبـير الكنـائي ضـمن بنـاء قصيدته.

---

(١) الديوان: ٢٠٦.

(٢) م.ن: ١٣٩.

(٣) الرُّوض الأُنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام: ٢/ ١٦٥.

وترد ظاهرة الكرم مرتبطة بشدة الحال لتكون دليلا على كرم صاحبها، فقال أبو طالب في رثاء خاله أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله المخزومي، وهو يعدد فضائله ذاكرا أهم مستلزمات الكرم:

{من الطويل}

تَرى دارَه لا يبرحُ الدَّهر عِندَها ... مُجعجِعَةٌ كومٌ سِمانٌ وَباقِرُ

إِذا أُكِلَت يَوماً أَتى الغَدَ مثلَها ... زَواهِقُ زُهمٌ أَو مَخاضٌ بَهازِرُ

ضَروبٌ بِنَصلِ السَيفِ سوق سِمانِها ... إِذا عَدِموا زاداً فَإِنَّكَ عاقِرُ[1]

أخفى الشاعر المنعوت بصفة الكرم، وذكر ما يدل على صفته، فأنت ترى في داره «مجعجعة» كناية عن كثرة الأصوات العالية المتألفة من أصوات النوق السمينة وجماعة البقر، وهذه اذا ما اطعمت للضيوف ذبح في اليوم القادم مثلها من الإبل السمينة الكثيرة الشحم والحوامل، وخص أبو طالب «النوق المخاض»: الحوامل؛ لأنها نواتج تعوض الكريم ما فقده، بيد أن أبا أمية يقدم أفضل ما يملك من النياق الدالة على عزه ومكانته لإقراء الضيف، وهذه غاية الكرم المتمثلة بدعائمه القائمة به.

ويكون الكرم في أي وقت ولكن تزداد الحاجة إليه في انعدام الزاد أي وقت العسرة، «اذا عدموازادا» لتكون شاهدا آخر عن كرم صاحبها في تأصيل القيمة المعنوية لسجية الكرم الموحية بفقدانها برحيل أبي أمية، ليحقق الشاعر إثارة شجون السامعين، فيندبونه بحرارة المشاعر، وقد منح الشاعر الصورة الكنائية بعداً قوياً في بنائها.

---

(١) خزانة الأدب: ٤/ ٢٤٥، الزواهق: مفردها زاهقة وهي السمينة، زُهم: كثيرات الشحم، البهازر: مفردها البُهْزُرة، وهي الناقة العظيمة، سوق: مفردها ساق.

وهكذا اتسمت القيمة المعنوية للكرم في شعر أبي طالب بصورة مشهودة يمكن رؤية اثارها للعيان متوسما دقة العبارة ولطفها وانسجامها في بناء القصيدة المستوعبة لتجربته الشعرية.

وكان لقيمة الشجاعة نصيبها في شعر أبي طالب في الصور الكنائية، ومنها الصورة التي تستتر فيها صفة الشجاعة المراد ذكرها والمكملة لصورة الكرم في مديح رسول الله صلى الله عليه وآله فقال أبو طالب في قصيدته الدالية :

{من الطويل}

طَوِيلُ النِّجادِ خارِجٌ نِصفُ ساقِهِ عَلى وَجهِهِ يَسقى الغَمامُ وَيُسعِدُ[1]

شمل البيت وصف رسول الله صلى الله عليه وآله بقوله: «طويل النجاد» كناية عن طول قامته، فالنجاد يعني حمائل السيف، وطول النجاد يلزم طول صاحبه القوي القادر على القتال، وهي من مستلزمات المقاتل الشجاع.

ولكي يؤكد الشاعر طول قامة ممدوحه الرسول الكريم، وصفه بانه «خارج نصف ساقه» للدلالة على همته، فطول الثوب يعوق حركة صاحبه في اثناء المصاولة بسرعة.

وتأتي صفة الكرم مقترنة بالشجاعة ومتضافرة معها لتكوين شخصية مثالية عالية، وأهم ما انمازت دلالة هذه الصورة من غيرها من صور الشعراء الآخرين[2]، ان أبا طالب جمع صورتين كنائيتين بدلالة مكثفة في نصف بيت .

---

(١) الديوان: ٩٠، صدر البيت غير مستقيم.

(٢) ظ: الاصمعيات: (ديد بن الصمة):١٠٨، ديوان الاعشى الكبير: ٧٥، ١٤٧، ديوان الخنساء:٣٥١.

ومن سمات الشجاعة الملازمة: السيادة والقيادة في المعركة، فقال أبو طالب في مديح الرسول الكريم في القصيدة ذاتها:

{من الطويل}

هـو القائـدُ المُهْـدى بـهِ كـلُّ مِنْـسَرٍ   عظـيمُ اللِّـواء أمْـرُهُ الـدَّهرَ يُحْمَـدُ[1]

وصـف أبـو طالـب تـولي الرسـول الكـريم ﷺ أمـر قيـادة الجـيش في المعركة،ولكي يؤكد الصورة ويقويها، أردفها بصفة كنائية لـه، فالرسـول «عظـيم اللواء» كناية عن امرته وسيادته وشجاعته، ومن محاسن التعبير الكنـائي انـه اسـتثمر لتوكيد المعنى وترسيخه في ذهن السامع.

ويجد أبو طالب في الصورة الكنائية اسلوبا فنيا واضحا للتعبير عن التحدي في مواجهة مشركي قـريش في دفاعـه عـن النبـي ﷺ وحمايتـه لـه، في فخـره الـذاتي في القصيدة اللامية، فقال:

{من الطويل}

وَجُـدتُ بِنَفْـسي دَونَـهُ وَحَمَيْتُـهُ   وَدافَعـتُ عَنـهُ بِـالطُّلى وَالكَلاكِـلِ[2]

اوحـت الـصورة التعبيريـة بدلالـة «الطـلى والكلاكـل» المـراد بهـما الاعنـاق والـصدور في مواجهـة العـدو وجهـا لوجـه عـلى الكـرّ والاقـدام والفروسـية والمصاولة،وهذا لا يتم إلا بقلب شجاع جسور.

---

(١) الديوان: ٩١.

(٢) م.ن: ٨٥.

وعبر الشاعر في هذا الأسلوب الرائق الموحي عن زهوه في محاماة رسول الله صلى الله عليه وآله في معالجة فنية متساوقة مع اجزاء بناء قصيدته.

ومن موجبات الشجاعة القوة، فوصف أبو طالب بني هاشم وعبد المطلب اللذينِ شدّا أزره وازر رسول الله صلى الله عليه وآله وأعاناهما لقوتهما، فقال في قصيدته البائية:

{من المتقارب}

هُمــا أَخَــوانِ كَعَظــمِ اليَمــين ... أَمــرّا عَلَينــا بِعقــدِ الكَــربْ[1]

استعمل أبو طالب التعبير الكنائي «عظم اليمين» كناية عن القوة، فبنو هاشم وعبد المطلب في مؤازرتهم لرسول الله بمثابة عظم اليمين في القوة للدلالة على محبتهم له. إنَّ جمال الصورة الكنائية تكمن في شدة مبالغتها، وبراعة ادائها، وقوة بلاغتها؛ لانها تنأى عن التصريح بلفظ التعبير اللطيف، المكثف الدلالة، الغني بالايحاء.

وتأتي سمة السيادة تتويجا لقيمتي: الكرم والشجاعة، فالسيادة في المجتمع العربي لها مؤهلاتها التي تجعل المرء زعيما ورئيسا في قومه، وتعطي الكناية صورة لحياة أولئك السادة في اعمالهم، ومنها الصورة التي حفل بها شعر أبي طالب، فتصور عبد المطلب عماد بيت الله الحرام، فقال في القصيدة الميمية يرثيه:

{من البسيط}

بَكَــت قُــرَيشٌ أَباهــا كُلّهــا وَعَــلى ... أَيّامِهــا وَحِماهــا الثابِــتِ الــدِعَمِ[2]

اشاد أبو طالب بصفة الموصوف بعبد المطلب، فهو «الثابت الدِّعم» كناية عن

(١) الديوان: ١١٥، أمرّا: أحكما وشدّا، الكرب: حُبيل يصل رشاء الدلو بالخشبة المعترضة عليها.

(٢) م.ن: ٩٧.

البناء الراسخ في حماية بيت الله الحرام؛ لأنه صاحب سدانة البيت والقائم على استقبال الحجيج الوافدين إلى مكة لاداء مناسكهم على اختلاف الوانهم واصولهم، ومن كانت بيده الرفادة والسقاية والسدانة، فهو الرئيس، ولهذا كله وصفه عماد البيت؛ لسماقة مكانته، وسموه ورفعته باعماله الجليلة المشرفة.

وتآزر صفة السيادة مع الشجاعة فحماة رسول الله ﷺ والذائدون عنه هم من سادات بني هاشم، فقال أبو طالب من القصيدة الميمية:

{من الوافر}

وَدونَ مُحَمَّـدٍ مِنّا نَدِيٌّ هُمُ العِرنينُ وَالأَنفُ الصَّميمُ[1]

كنّى أبو طالب التعبير «الأنفُ الصّميمُ» عن السادة الخُلَّص في اصلهم، توكيدا لدلالة «العرانين» وهم السادة الأشراف؛ لتقوية المعنى في ذهن السامع في تزيين أورمتهم، ولبيان قدر رسول الله ﷺ فيهم، فلا يذود عنه إلا السادة الأشراف الخلص الأصل، فكنّى الشاعر باللفظ الانيق الذي يتناسب وحال فخره وتحديه لقريش بحماية رسول الله ﷺ ومساندته والذود عنه.

واذا كانت هذه الصورة مرتبطة بأصل السيادة في صميم الأرومة فان صورة القباب تومىء إلى الزعامة والرئاسة لبني مخزوم، فقال أبو طالب في بيان مكانتهم لأبيه عندما ازمع على ذبح ابنه عبد الله وفاء لنذوره، لعل تهديد أبي طالب[2] بمكانة أخولَه ترد عزم أبيه عبد المطلب عن ذبح أخيه :

---

(١) الديوان: ١٢٢.

(٢) ظ:م.ن : ٣٣١

{من الرجز}

وبين مخـــزوم ذوي الأحســـاب

أهـــل الجيـــاد القُبِّ والقباب[1]

أراد أبو طالب أن يبين مكانة بني مخزوم فصوّر ان القباب الجيدة كانت تضرب لهم تمييزا من غيرهم في الزعامة، وساق أبو طالب هذه الصورة الكنائية رغبة منه في استنهاض همم أخواله من بني مخزوم، ليعترضوا سبيل فعل عبد المطلب في ذبح ابن أختهم، فلا يُرد طلبهم لمكانتهم وعلو شأنهم وسيادتهم بين العرب.

ومن جمال الكناية انها تُصَوَّر المعاني بوصفها جزءاً من معطيات العقل في صورة محسوسة تثير اعجاب المتلقي بروعة ادائها، لامتلاكها الخيال الذي هو من ابرز وسائلها فقد يرد الأسلوب الكنائي في تهجين شيء معين من اعمال البشر التي ترفضها الأعراف الأخلاقية والدينية والاجتماعية ومنها: الغيبة الصفة المذمومة، فصوّر أبو طالب المعارضين من قريش للدعوة الإسلامية والمناهضين لقوم رسول الله ﷺ لمساندته إياه، بصورة جزر قريش للحوم قوم الرسول بالسكين والسيف بالقول الشائن، فقال ابو طالب في قصيدته اللامية:

{من الطويل}

وكُنّـــا بخـــيرٍ قبـــل تـــسويد معـــشرٍ ... هُـــمُ ذبحونـــا بالمُـــدى والمَغَـــاوِلِ[2]

---

(١) الديوان: ٣٣٠.

(٢) الديوان: ٨٢، نظمت القصيدة في حصار الشِّعب، في السنة السادسة من البعثة ولابد من ان أباطالب تشرب بالتعاليم الإسلامية، إذ ورد مفهوم الغيبة على وفق تلك التعاليم.

رسم أبو طالب صورة ايذاء مشركي قريش بالكلام الشائن والفعل الهجين بصورة جزر لحم الانسان، ولا يخفى ما لهذه الصورة من تنفير نفس السامع، ووقعها المؤثر في الصورة المتخيلة من فعل ذبح الانسان لأخيه الانسان.

وساعد أبو لهب في حديث مغرض مع بعض الرجال في مكة عن أبي طالب، فقال أبو طالب معاتبا له ومستهجنا فعله بصورة كنائية مؤثرة:

{من الكامل}

أَجْـــزَرْتَهم لحمـــي بمكَّـــة ســـادراً ثَكلَتْـــك أُمُّـــكَ أيّ لحـــمٍ تُجْـــزِرِ؟[1]

كنّى أبو طالب في التعبير «أجْزَرْتَهُم لحمي ...أي لحم تجزِرِ» عن القيل والقال بالكلام المُريب الذي صوره خيال الشاعر بمشهد جزر الانسان لحم أخيه الانسان بما فيه من فعل التخيل بأدوات الذبح القاطعة التي تثير في النفس المقت والكره لبشاعة هذا الفعل الهجين الذي يتجرد فيه الانسان من انسانيته والمنفر للأعراف الانسانية كلها.

وتأتي بشاعة هذه الصورة بشكل أكثر تميزاً، لترسيخها في ذهن المتلقي، عند اسراع أُسيد بن أبي العاص بن أمية، وبكره خالد، ورهطهما في سعيهم بقطع لحوم قوم رسول الله صلى الله عليه وآله إلى أجزاء وأكلها، فقال أبو طالب في القصيدة اللامية:

{من الطويل}

لَعَمـري لَقَـد أَجـرى أُسَـيدٌ وَرهطُـهُ إِلى بُغْـضِنا وَجَـزاً بأكْلَـه آكِـلِ[2]

---

(١) الديوان : ١٨٤.

(٢) م.ن: ٧٥.

ساق أبو طالب التعبير «وجَزاً بأكلِهِ آكِلِ» كناية عن غيبة أُسيد وخالد وقومهما لقوم الرسول صلى الله عليه وآله فجعلوهم طعمة في افواههم.

إنَّ التصوير الكنائي لمشهد قطع لحم الانسان من مثله من بني البشر ومضغه بصورة الطعام في الأكل تضاعف من بشاعة الصورة، بما تثيره من الاشمئزاز والتقزز، لهول فعل القائم بهذا العمل البغيض.

وصورة الغيبة والنميمة التي اثارها خيال أبي طالب توحي بآثم مشركي قريش بمعاداتهم للإسلام، وارتكابهم الخطأ الشنيع بحقه، ويعلل ابو طالب هذا الأمر إلى ضعف عقولهم الذي ابعدهم عن الصواب، فاتحفنا بصورة كنائية أُخرى في القصيدة نفسها:

{من الطويل}

لَعَمري لَقَد أُوهِنتُمُ وَعَجِزتُمُ وَجِئتُم بِأَمرٍ مُخطِىءٍ لِلمَفاصِلِ[1]

كنّى أبو طالب بموجز العبارة «وجئتُم بأمرٍ مُخطِيءٍ للمفاصلِ» لمن اخطأ الرشد، وهو يصور مشهد قاطع اللحم الذي يبدأ بالمفصل فإن لم يصب أخطأ وافسد؛ لأن حزَّ المفصل يحتاج الى معرفة ودراية بالجزر، ولذلك ضرب العرب المثل بمن لا يجيد معالجة الأمور «انك لتخطىء الحز وتخطئ المفصل»[2]، فدلالة الصورة الكنائية بليغة؛ لبعدها عن التصريح في استتار المعنى الذي لايستساغ في الآذان بعبارة مكثفة متساوقة مع الذوق الرفيع.

---

(١) الديوان: ٨١.

(٢) مجمع الامثال: ١/ ٥٧.

وقد تجنح الصورة الكنائية الى بيان حركات معينة لتدل على موقف نفسي مثل كنايات الندم والحسرة والغيظ والحقد، فيلمح بها إلى عضو الوجه؛ للتعبير عن الانفعال النفسي ايا كان نوعه، وقد يشاركه اعضاء الجسم الأخرى مثل: اليد والاسنان والقلب في الايحاء؛ لتعبر عن حالات الانفعال الانساني على نحو ما وجد أبو طالب سبيله في الكناية عن الندم في الصورة التي يُرغّب بها قريش؛ لاعتناق الدين الإسلامي، فقال في القصيدة الميمية :

{من الطويل}

نَبِيٌّ أَتى بالوَحيِ مِن عِندِ رَبِّهِ فمَنْ قالَ: لا، يَقرَعْ بِها سِنَّ نادِمِ[1]

استعمل أبو طالب التعبير «سن نادم» كناية عن الحسرة التي تملأ نفوس قريش اسفا إذا هم رفضوا دعوة رسول الله ﷺ بعد تقديمه دليل نبوته، فهو نبي نزل الوحي عليه من عند ربه، ومن دواعي الندم عض الأصابع بالأسنان، ويلجأ المرء إلى هذا التصرف عندما يكون في حال صراع مع نفسه.

وقد يعطي الأسلوب الكنائي صورة فنية تدل على الحقد والبغض على نحو ما نجده في خطاب أبي طالب لقريش عندما تحالفوا مع المتهمين في عداوتهم للإسلام ضد من ساند رسول الله ﷺ من قومه، فهم حاقدون عليهم، ولكنهم عاجزون عن حربهم، فقال أبو طالب في القصيدة اللامية:

{من الطويل}

وَقَد حالَفوا قَوماً عَلَينا أَظِنَّةً يَعَضّونَ غَيظاً خَلفَنا بِالأَنامِلِ[2]

---

(١) الديوان: ٢٢٨

(٢) الديوان: ٧٠.

الصورة مفعمة في الدلالة النفسية لتصوير مشهد عض الأنامل كناية عن الحقد والعداوة المستوحاة من التعبير القرآني، وقد اكسب الشاعر اللفظ «غيظاً» الكناية فعل قوة، وآزرها تكرار المعنى، فالصورة تخرج من أنها اسلوب كنائي عن الحقد والغيض إلى معنى آخر، وهو شدة الحقد والغيظ في توكيد المعنى الذي عبر عنه بعض الأصابع وما يتبعه من حالة الغيظ احتقان الوجه وتغيير لونه في الكيفية التي يتخيلها المتلقي.

وتبرز صورة الحالة النفسية لمعارضي الدعوة الإسلامية بشكل واضح أكثر من سابقتها في الصورة الكنائية التي خاطب فيها أبو طالب أبا جهل فقال:

{من الكامل}

صدق ابنُ آمنة النبيُّ محمدٌ فتميَّزوا غيظاً به وتقطَّعوا[1]

يجد أبو طالب في الصورة الكنائية «تميزوا غيظاً» اسلوبا فنيا مستثمرا من التعبير القرآني ﴿**تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ**...﴾[2] فكنّى عن حقد الذين لم يؤمنوا بصدق رسول الله ﷺ وبغضهم له، فيشتد حقدهم في نفوسهم، ويعاضد المعنى لفظ «تقطَّعُوا» للدلالة على امتلاء النفس بالحقد والبغض الكبيرين، وكأنّهما يقطعانهم أوصالاً، لشدة توترهم النفسي وهذه صورة جديدة تكشف طوايا النفس الذميمة.

وينقل أبو طالب صور نفسية تحمل شعور الحقد الذي يكنه المرء بداخله في عرقة العظم، فرسم المنظر الكنائي النفسي وهو يعاتب مطعِم بن عدي في القصيدة

---

(١) الديوان: ٣٣٩.

(٢) الملك/ ٨.

اللامية، فقال:

{من الطويل}

تُخبِّرُنـــا فِعـــلَ المُناصِـــحِ أنَّـــهُ شَـفيقٌ وتُخفـي عارِقـاتِ الـدَّواخِلِ[1]

أورد الشاعر عبارة «عارقات الدواخل» كناية عن نسبة النيات الخبيثات المضمرة في القلب، ليجعلها دليلاً على حقد صاحبها الذي لا مناص له من مفارقتها؛ لأن الحقد متأصل في صميم عرقة العظم، وهو يقوي خبر كذب مطعِم في ادعائه النصح والرأفة، والصورة توحي بسخرية الشاعر واستهزائه بالتناقض النفسي الذي يتحلى به مطعِم؛ لأن ظاهره غير باطنه، فحققت الصورة الكنائية للمتلقي متعة كشف المعنى المستتر، فشارك الشاعر في متعته بتجربته الشعرية .

● الاستعارة:

وتعمل الاستعارة على تجسيم الاشياء وتشخيصها، وخلق صورة خيالية باستعارة شيء لشيء آخر ليس من طبعه؛ لتقرب المعنى إلى ذهن السامع وتثير خياله، فيأنس بها، والاستعارة «ما اكتفى فيها بالاسم المستعار في الأصل، ونقلت العبارة فجعلت في مكان غيرها، وملاكها تقريب الشبه ومناسبة المستعار له للمستعار منه، وامتزاج اللفظ بالمعنى حتى لايوجد بينهما منافرة، ولايتبين في أحدهما اعراض عن الآخر»[2] فتكتسب الاستعارة النص قوة وفاعلية من خلال السياق العام الذي

---

(١) الديوان: ٧٩.

(٢) الوساطة بين المتنبي وخصومه: ٤١، اخترنا هذا التعريف من كتاب الوساطة من دون غيره من كتب البلاغة، لانه جامع لتقنيات التعبير الاستعاري.

ولدت فيه حيث تتآزر العلاقات اللغوية.

ويقوم التعبير الاستعاري على التشبيه؛ ولذلك عد التشبيه هو الاساس والاستعارة فرع له، فأنت «تُريد تشبيه الشيء بالشيء، فتَدَعَ أن تفصحَ بالتشبيه وتظهره، وتجيءَ إلى اسم المشبه به فتعيرَهُ المشبه وتُجريَهُ عليه»[1].

والاستعارة قائمة على خرق النظام اللغوي المألوف، فتخرج الألفاظ من دلالاتها الوضعية، أو المعجيمة إلى دلالات ايحائية تتسم بالجمال الفني، والابتكار الصوري، وتستوعب افكار مبدعها ومشاعره وانفعاله، فتحدث أثرا في نفوس سامعيها بشتى المشاعر، وبمختلف الانفعالات، فتحرك وجدانهم بروعة ابداعها؛ لأنها تُنسيهم واقعية الاشياء ببراعة التصوير الذي يعتمد على قدرة المبدع في اظهار القيمة الجمالية لها، بخلق وجود جديد للعبارة يثمر دلالة جديدة تتجاوز المدلول اللغوي الوضعي الأول لها، وبتوسع مداليلها، وبسحر عالم الخيال فيها.

وفي نظرة فاحصة في شعر أبي طالب[2] نجده يرتقي بالصورة التي رسمها؛ ليمنحها الحياة والحركة المتجددة وهو يعبر عن المعنى الحسي المتخيل، أو المعنى الذهني، أو الحال النفسية، فيضحى المعنى الحسي مشهدا منظورا، والمعنى الذهني هيأة وحركة، والحالة النفسية لوحة فنية متخيلة، تبعا لتجربته الشعرية، ولخصوبة خياله، وتمكنه من ملكاته اللغوية التي توحي مداليلها بطاقات ايحائية تشد المتلقي

---

(١) دلائل الاعجاز: ٦٧.

(٢) ظ: الديوان: ٧٠، ٧٥، ٨٧، ٩٤، ٩٦، ٩٧، ١٠٠، ١٠١، ١٠٢، ١٠٣، ١١٣، ١١٤، ١١٧، ١١٨، ١١٩، ١٢٦، ١٣٦، ١٧٥، ١٧٧، ٢٠٨، ٢٣٥، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤١، ٣٣١، ٣٣٣، ٣٣٥، ٣٣٨، ٣٤١، ٣٤٣.

للصورة وتثير انفعاله في تجاوبه معها.

ومن انواع الصورة الاستعارية، الصورة الحسية التي يخاطب النبي صلى الله عليه وآله ويسكن جأشه، ويطلب منه اظهار دعوته، فقال:

{من البسيط}

لايَمْنَعَنَّك من حقٍّ تقوم به　　إبراقُ أيدٍ ولا إرعادُ أصوات[1]

حث أبو طالب في هذه الصورة الاستعارية ابن أخيه بان لا يتورع عن بذل الحق الذي يناصره، ولا يعبأ بمن يعارضه بيده وبقوله، فرسم خياله صورتين: الأولى، «إبراقُ ايدٍ»، والثانية، «إرعادُ أصوات» وفي كلتا الصورتين حذف الشاعر صورة المشبه: الرعد، وصرح بلازمتين من لوازمه وهما: البرق وصوته، وكلاهما محقق تحقيقا حسيا، اتحدتا فيهما دلالة جامعة،وهي عدم الفائدة لفراغهما؛ لأن البرق لايعقبه المطر مثلما حركة اليد التي لا تعقبها صولة، وكذا الرعد الذي لايعقبه صاعقة مثل الصوت الذي لايعقبه عمل، فجميعهم لاطائل من ورائهم، والقرينة المانعة لإيراد المعنى الحقيقي في الصورة الاولى اليد، وفي الصورة الثانية القول، فالبرق لايكون يدا كما ان الرعد لايكون قولا، وقد اجتاز اللفظان: (إبراق وإرعاد) الواقع الحقيقي وارتقيا إلى طباع الانسان في الحركة والهيأة، بصورة مؤثرة توحي بالغضب والضجيج من فعل انواء الجو وتمثلها الواضح لموقف المعارضين لدعوة رسول الله صلى الله عليه وآله .

ونظير هذا النوع من الصور الاستعارية ما ورد في سياق الفخر فقال أبوطالب:

---

(١) الديوان: ٢٠٨.

{من الطويل}

وَنَحمــي حِماهــا كُــلَّ يَــومِ كَريهَــةٍ وَنَـضرِبُ عَـن أَحجارِهـا مَـن يَرومُهـا[1]

صوّر أبوطالـب فخـره الجماعـي في الحـرب بـدفاعهم عـن مكـة بحـصونها، ومعاقلها، واحجارها: أراد بيوتها ومساكنها، فقد طوى الشاعر صـورة المشبه وهـي البيوت وترك شيئا يدل عليها وهي الاحجار فصرح بها، وكلا الطرفين محقـقٌ تحقيقـاً حسياً، اتحدتا فيهما دلالة جامعة وهي الحمايـة والـدفاع، فأتـت الـصورة الاسـتعارية متفاعلة مع زهو الشاعر في فخره الجماعي.

وقد تشترك الصورة الحسية مع الصورة العقلية في آن معا، على نحو ما تتمثلـه الحكمة في احتمال الانسان الـصبر احتـسابا لله، فيكـون عملـه هـذا سـبيلا لفـرج الله تعالى، فقال أبو طالب:

{من البسيط}

فــما تجــرَّع كــأسَ الــصبرِ معتــصمٌ بــاللهِ إلا أتــاهُ اللهُ بــالفَرَجِ[2]

إنَّ صورة من يتجرّع الدواء انما تماثل صورة من يتجرّع الالم صبرا حيـث يجـد المرء مرارة في قبول الاثنين، وقد اختزل الشاعر صورة المشبه وهو الانسان وترك أثـرا من اثاره يدل عليه، وهو الكأس الذي يشرب به الدواء، والقرينة الجامعـة حـال مـن يشرب الدواء بالكاس بدلالة لفـظ «تجرّع» الـذي يحتقن في البلعـوم وهلـة، بحـال الصابر الذي يتجرّع الألم ايا كان نوعه وهلة، وقد أخذ الشاعر المـستعار منـه إحـدى

(١) الديوان: ١١٤.

(٢) م.ن: ٣٣١.

أدواته واضاف الصبر إليه رعاية لمزيد من البيان، وافراطا في تحصيل البلاغة، وجعل ما ليس محسوسا بمحسوس فشبّه المحسوس بشيء آخر معنوي حتى غدا المعنوي جزءا من عوالم الحس يذوقه اللسان ويحس طعمه ببراعة خيال الشاعر التي زين الصورة وقوى ايحائها.

وتضارع هذه الصورة صورة وصف أبي طالب للأيام المجدبة على الناس في سياق الفخر بكرم قومه، فقال في القصيدة الميمية:

{من المتقارب}

نَشأنا فكُنّا قَليلاً بِها ... نُجيرُ وَكُنّا بِها نُطعِمُ

إذا عَضَّ أَزمُ السنين الأَنامَ ... وَحبَّ القُتار بِها المُعدِمُ[1]

استعار الشاعر لفظ «عض» وهو أمر محقق تحقيقا حسيا، من مستلزمات الانسان والحيوان إلى شدائد السنين وهو أمر محقق تحقيقا عقليا،والقرينة الجامعة لهما تدل على الانقضاض بالغم والفقر في تصوير بليغ يشد انتباه السامع بتخيل الصورة فيجعله يتغافل عما يتضمنه الكلام من تشبيه مستتر بقوة تأثيرها.

ومما تقدم يتبين: ان الصورة البيانية في شعر أبي طالب اقتضتها الموهبة الأدبية، والفكر العميق والخيال الواسع، والقدرة الابداعية على توليد المعاني وتوليفها واتساعها التي لها اثرها البليغ في التصوير.

فالتشبيه وسيلة الشاعر لتوضيح معالم الصورة، وتقريبها إلى الأذهان، وامتاع نفوس السامعين بارتقائها إلى الخيال.

---

(١) الديوان: ٩٤، القتار: ريح الشواء والطبيخ.

والكناية لغة التعبير غير المباشرة التي تمنح الصورة التهذيب واللطافة والياقة في تصوير الاشياء.

والاستعارة فرع على التشبيه بيد أنَّها أشد وقعا في النفس؛ لاثارتها الخيال الجامح بما توحيه من قوة التمثيل المتأتية من اللفظ في اغفال المشبّه، وتخيل صورة جديدة، وابتكار المعاني في القدرة على تجسيد الافكار، والمشاعر بصورة مألوفة حسية.



الخاتمة

يمكن تلخيص أهم النتائج التي توصلنا إليها بما يأتي:

• كانت الدعوة الإسلامية ممثلة بنبوة الرسول الكريم ﷺ داعيا من دواعي قول الشعر عند أبي طالب، فقد شغلته الدعوة وصاحبها، فدافع عنها بشعره، وكان شعره في الإسلام يفوق شعره في الجاهلية في عدد القصائد والمقطعات، فبزوغ نور الإسلام أتاح لنجم أبي طالب الظهور بحكم الظروف الجديدة التي رافقت الجهر بالدعوة، التي تصدى لها المعارضون من مشركي قريش، فزودته بقوة شاعرية، وانفجرت قريحته الشعرية مع مجريات الحوادث اليومية الملازمة لنشر الدعوة.

• إنَّ اندماج مرحلتي قبل الإسلام وبعده جعلت ابن سلام يشعر بعدم وجود فوارق ملموسة بين المرحليتن، فصنّف ابن سلام أبا طالب مع شعراء مكة ضمن طبقة الشعراء الجاهليين، ولابن سلام عذره؛ لأن زمن البعثة كان مرحلة انتقالية لم تتبلور الظواهر الأدبية الإسلامية الجديدة فيها.

• كان شعر أبي طالب يمثل روح الإسلام حقا على الرغم من حداثة الدعوة،

وهذا ينم عن ايمان عميق تجسد في هذا الشعر في قصائد أُسست على نصرة رسول الله ﷺ وانبثت منها قيم اخلاقية من وعظ وارشاد وتوجيه ونصح إلى آخره، في ابداع فني حمل مبدأ الالتزام، وهدفه اصلاح افكار مشركي قريش من الدعوة الإسلامية، فحركة شعره لها وشيجة قوية بالمجتمع الإسلامي الجديد الذي ينشد فيه قيماً خيرة اكسبت شعره الإسلامي صفة الالتزام الذي يتبين في التمهيد.

- في توثيق شعره استدركتُ على الديوان بواحد وستين بيتاً ومشطوراً في اثناء بحثي وتنقيبي عن أشعاره من مصادر شعره التي حفلت بها المظان.

- في ظاهرة الوضع التي أثارها ابن هشام وابن سلام في اشاراتهما لم تكن في شعره، وانما في مطولته اللامية فحسب، اما في شأن ظاهرة الوضع والنحل فيما ردده بلاشير وبروكلمان وشايعهما بعض الكتاب العرب أمثال: محمد كيلاني ، والنجار، فقد كشف البحث النقاب عن ضعف ارائهم لاستنادهم الى افتراضات عقلية، وليس الى دليل نقلي.

- حفل شعر أبي طالب بالفنون الشعرية: الرثاء، والفخر، والمديح، فالرثاء من الفنون الشعرية التي طرقها أبو طالب قبل الإسلام، وتحمل معاني موروثة، ومعاني جديدة غير معهودة عند غيره من الشعراء التي هي من نتاج البيئة الدينية للشاعر منها: معاني الاستسقاء بعبد المطلب، وبكاء بيت الله الحرام والحجر والمدار لأبي أمية بن المغيرة ـ خاله ـ إلى آخره مما افصح عنه البحث.

- شمل التطور في موضوعي: شعر الفخر والحماسة الدالين على تأثرهما في الدعوة الإسلامية وإن كان اصلاهما واضحين في الشعر العربي قبل الإسلام، فأشاد أبوطالب ببلائه وجهاده بنفسه وأولاده وأخوته وأبناء عشيرته من بني هاشم،

وعبدالمطلب فداءً لرسول الله ﷺ ولدعوته الدينية، فاكتسى فخر أبي طالب صبغة إسلامية تتجلى في فكرة الجهاد في سبيل رسول الله ودعوته التي تفترق عن فكرة الشاعر قبل الإسلام الذي يفخر بالثأر والانتقام للقبيلة، فنشوء فكرة الجهاد وجدت جذورها في شعر أبي طالب؛ لأنه أول ناصر لرسول الله ﷺ.

• المديح من الموضوعات التي أصابها التطور فاكسبها الإسلام معاني جديدة فمديح أبي طالب ملازم لشخصية الرسول الكريم الممثل للدين الإسلامي، لا يتجزأ عن الدعوة التي جاء بها، و هو جزء من اعلام التزام الشاعر بالعقيدة الإسلامية، فيعد شعره في الرسول ﷺ اللبنة الأولى في بناء المدائح النبوية التي ظهرت فيما بعد، فقد نظمها في زمن البعثة الشريفة، قبل الهجرة أي قبل غيره من شعراء الرسول ﷺ ومن ثمة يمثل مديحه في قصائد النصرة الجذور الاولى لنشوء المديح الإسلامي السياسي في مديح امام المسلمين بوصفه خليفة رسول الله والقائم على تولّي أُمور المسلمين.

• يعد أبوطالب أول من نظم في شعر العقيدة الإسلامية، فكان شعره البداية الحقيقية لنشأته فيما بعد، فاحتل هذا النمط الموضوعي مكانا كبيرا في شعره وقد برز فيه التأثر الإسلامي في الفاظه ومعانيه وافكاره ومضامينه، فحفل بما هو جديد في ظل الحياة الدينية الإسلامية الجديدة، وكان ايمانه اضافة معنوية جعلته رجلا حاميا ومؤازرا لرسول الله ﷺ واعلاميا معبّراً عن عقيدة الإسلام في شعره؛ لاستقطاب عشيرته وأخوانه وأبنائه، ودعوتهم للوقوف إلى جانب صاحب الرسالة وتأييده ونصرته، متوسلا اساليب الكلام في الدعوة إلى التوحيد والتصديق، وما يتبعه من التصديق إلى بيان معاجز الرسول الكريم ونصرته، وما ينصرف من النصرة إلى الحث على الصبر والنصيحة والوصية، والموضوعات المتفرعة من شعر العقيدة جميعها تدل

على عطاء أبي طالب الايماني المتدفق في رعاية الإسلام.

• وفي موضوعات العتاب والتحذير والتهديد والوعيد يمكن تأصيل ظاهرة العتاب الأخواني في شعر أبي طالب لأخيه أبي لهب وللشخصيات المتزعمة في المجتمع القريشي الذين هم اكفاؤه، فقد استند أبو طالب في عتابه إلى القيم الاجتماعية المتآزرة مع القيم الإسلامية في مخالفة المعارضين من قريش وتطبيق قانون الحماية، واجهد أبو طالب نفسه وهو يسعى إلى ادامة الود وصلة الرحم بينه وبين ابناء قبيلته ونبذ الخلاف والجنوح تحت راية الإسلام، وهذه الروابط التي تربط الشاعر بقبيلته لم تطفُ من خلال الصراع الفكري فحسب؛ بل في حالات العتب أيضاً.

• ومن جديد موضوعي: التهديد والوعيد انهما يحملان قيماً اجتماعيةً إسلامية لحماية رسول الله والتصدي للمناهضين للدعوة الإسلامية من قبيلة أبي طالب في تهديدهم ووعيدهم، وهذا الأمر لم يكن يصدر من عربي يرى الولاء للقبيلة أهم شيء، لولا التحول الفكري الذي جعل ولاء الشاعر للإسلام يفيض بهذه المواقف في شعره.

• وكان أبو طالب يهجو قومه من دون ان يعبأ برابطة النسب، فكان مدفوعا بايمانه للإسلام، فتغلب الإسلام في هجائه على وشيجة النسب، وهذا يتنافى مع قوانين القبيلة في الاتحاد والاخلاص والتعاون، ولكن ما كان أبو طالب يشن هجومه في شعره على قومه إلا لإنثلام اتحاد القوم مع بني عمومتهم من بني هاشم وعبد المطلب، فنعتهم بالخصال الذميمة، وفي هجائه يعيرهم ببعض المعاني الإسلامية من كفر وضلال وعقوق وأثم وهذا ما افرزته الدعوة من معاني الهجاء الإسلامي.

• من المحقق أن شعر أبي طالب أصابه التطوير والتغيير، فاذا انصرف جزء

منه إلى معاني ومباني قبل الإسلام فإن كثيرا من المعاني والمباني الإسلامية استطاعت أن تقفز بالقصيدة العربية إلى طور جديد يمكن ان يعد ظاهرة أدبية في تأصيل فن شعري لاحق.

• سعى أبو طالب في البناء الفني للقصيدة ـ بجانب التقليد ـ الى التطوير، فقد كانت المقدمة ثمرة نتاج المضامين الإسلامية بزياداتها الفنية ، ولاسيما في مقدمتي وصف الهموم والشكوى.

• التزم أبو طالب نمطا فنيا جديدا في بناء القصائد ذوات المقدمات والقصائد المباشرة لم يكن معهوداً من قبله في قصيدة المديح المتزاوجة مع موضوع نصرة رسول الله ﷺ في بناء القصيدة الإسلامية، فقد تشكلت في موضوعات مركبة متفرعة من الموضوع الرئيس في بناء محكم ومتلاحم، عالجت موضوعات إسلامية.

• أبو طالب من الرّجاز الذين سعوا الى تطويل اراجيزه التي بلغ فيها النضج الفني في اتقان الاداء، وجمال الاسلوب، وجودة الصياغة، وبراعة الصور في محاولة فنية جادة لتطوير بنائها، وفي الاعمام يعد بناء قصائد أبي طالب نهضة فنية في تطوير القصيدة من الجاهلية إلى الإسلام.

• كانت لغة أبي طالب الشعرية صافية خالية من حوشي الكلام وغريبه، شأنها شأن الشعر القرشي، وقد كانت موضوعات الشعر الإسلامي سببا في وضوح هذه اللغة.

• انمازت قصائده بنزعة خطابية في رسائل شعرية، شُكِّلت في سياقات فنية تسعى لإيصال فكرة موجزة هدفها الاقناع والقبول لتؤدي وظيفة اخلاقية اجتماعية في حماية رسول الله ﷺ ونصرته.

• برز أثر الإسلام في شعره في الاقتباس من آيات التنزيل، واستعماله سيلاً من المفردات الدينية التي جاء بها الإسلام والمواكبة لحركة تطور الحياة الجديدة، فأعطى اللغة سمة بارزة في البنية الشعرية، فاكسبها طابعاً إسلامياً.

• وفي الإيقاع تتكون عملية بناء هندسة القصيدة من الوزن والقافية اللذين يحتويها البيت الشعري، فقد ساير أبو طالب الشعراء السابقين له والمعاصرين في هذا الجانب، فلم يتميز عنهم في شيء.

• وفي الصورة الشعرية، تابع أبو طالب اسلافه في رسم صورة، واستمد بعضها من الحياة الدينية الجديدة التي رسمت صورا حية لواقع حياة الإسلام المتشكلة في صور بيانية: التشبيه والكناية والاستعارة.

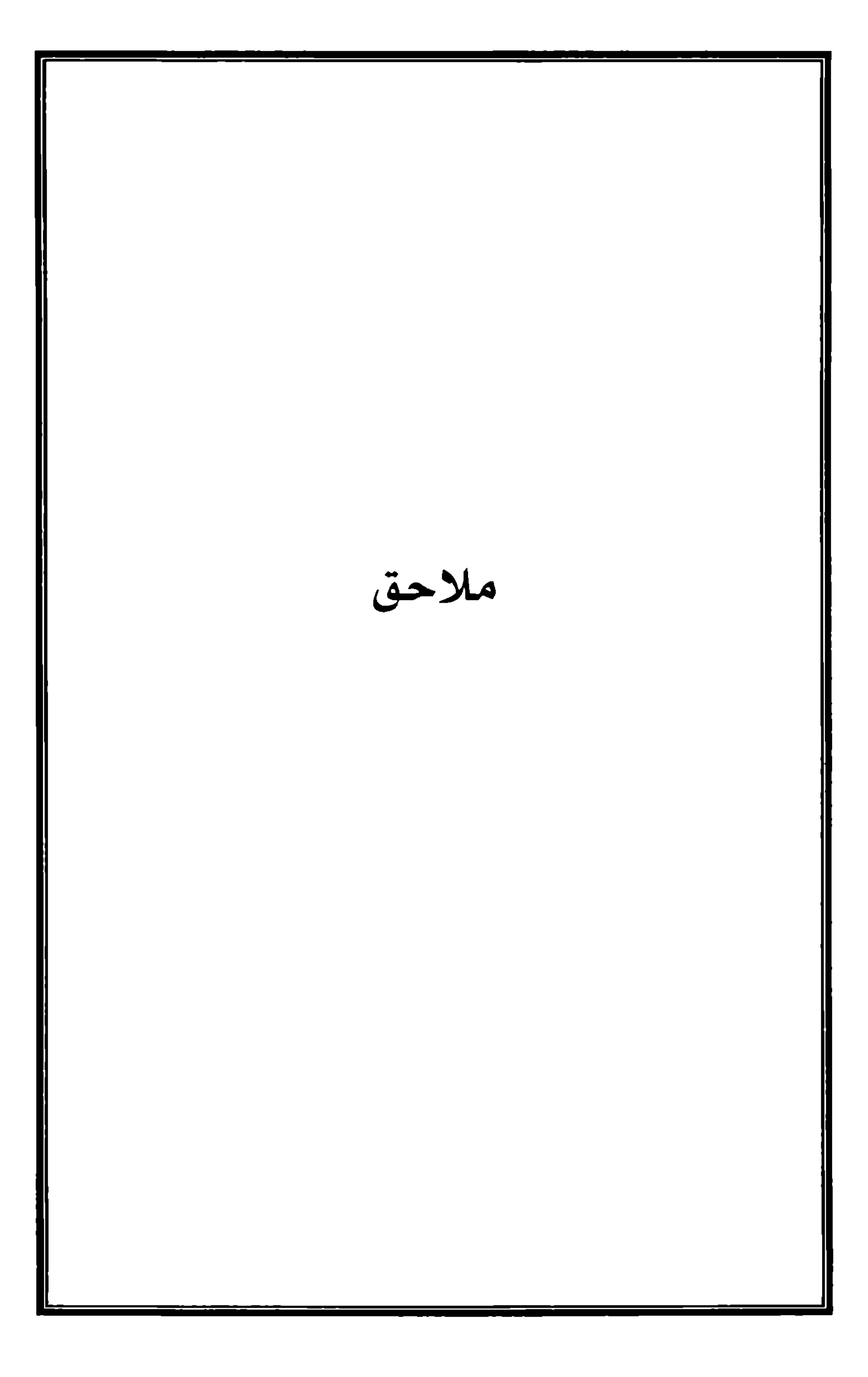
فانمازت الصورة التشبيهية بالوضوح والابانة في تصوير العوالم الحسية وقد تتزاوج الصورة الحسية مع الصورة المعنوية فتمنح الصورة الكلية ثراء ايحائيا.

• وتتمتع الصورة الكنائية برقة الفكرة المطروقة، وسمو العبارة المنظومة المتأتية من ترابط نسيجها في سياق النص.

• وتمنح الصورة الاستعارية عطاء فنيا غنيا بالايحاء والخيال ولا سيما الصورة العقلية، فتتوسع مداليلها في التعبير الموجز.

نسأل الحق تبارك وتعالى قبول صالح اعمالنا إنه غنيٌّ عن العباد حميدٌ مجيدٌ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على الحبيب المصطفى وعلى آله المنتجبين وأصحابه الميامين.





ملاحق

ملحق رقم (١)

١ ـ إرشاد الهارب من صحة إيمان الأقارب، (إيمان آباء الرسول ﷺ وعمه أبي طالب) ـ الصنعاني (هاشم بن يحيى بن احمد الحسيني الشامي ت١١٥٨هـ)، تحقيق: عباس حميد كريم الزيدي، الغدير، ايران ـ قم، ٢٠٠٣م، (ص: ٢٥ ـ ٣٠).

٢ ـ أمالي الصدوق ـ (ابو جعفر الصدوق محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي ت٣٨١هـ)، الحيدرية، النجف، ١٣٨٩هـ ـ ١٩٧٠م، (ص: ٥٥٠ ـ ٥٥١).

٣ ـ أوائل المقالات ـ الشيخ المفيد (أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري ت٤١٣هـ)، دار المفيد، سلسلة مؤلفات الشيخ المفيد (٤)،ط٢، بيروت ـ لبنان، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م، (ص: ٤٥ـ٤٦).

٤ ـ إيمان أبي طالب عليه السلام من مصادر علماء السنة ـ عبد الحليم حاتم مرزة، محاضرة القيت في مجلس آل مرزة الأدبي في النجف الأشرف بتاريخ: ٢٥ رمضان لسنة ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م مطبوعة.

٥ ـ بحار الأنوار ـ المجلسي (محمد باقر ت١١١١هـ) تعليق: جواد العلوي ومحمد الأخوندي، دار الكتب الإسلامية، طهران، (د.ت)، (ج: ٣٥، ص: ٧٢ ـ ١٨٢).

٦ ـ بلوغ المآرب في نجاة آبائه صلى الله عليه وآله وعمه أبي طالب ـ سلمان الأزهري الشافعي (ت١٢٠٤ هـ) تحقيق: سامي الغريري، زهراء اكادمي، مطبعة سيد الشهداء ـ ايران، ١٤٢١هـ.

٧ ـ تذكرة الخواص ـ ابن الجوزي (أبو المظفر يوسف شمس الدين ت٦٥٤هـ) ط٢، العلمية، النجف، ١٣٦٩هـ ،(ص:١٠ ـ ١١).

٨ ـ الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة ـ الحسيني (صدرالدين علي خان المدني ت١١٢٠هـ)، الحيدرية، النجف، ١٣٨٢هـ ـ ١٩٦٢م ،(ص: ٤١ ـ ٦٩).

٩ ـ سيد البطحاء أبو طالب ـ المجمع العلمي لأهل البيت، مكتبة الامام الشيرازي العالمية، بيروت ـ لبنان، (د.ت).

١٠ ـ سيد البطحاء أبو طالب كافل رسوله الله صلى الله عليه وآله وناصره ـ عبد الرحيم الموسوي، المجمع العلمي لاهل البيت، قم، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.

١١ ـ شرح نهج البلاغة ـ ابن أبي الحديد (ت٦٥٦هـ) تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، ١٩٦٢م، (ج:١٤، ص:٥٢ ـ ٨٤).

١٢ ـ شيخ الأبطح أبو طالب ـ محمد علي شرف الدين الموسوي، دار السلام، بغداد، ١٣٤٩هـ.

١٣ ـ أبو طالب الرجل المفترى عليه ـ عقيل الخطيب، التعارف، بيروت ـ لبنان، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م.

١٤ ـ أبو طالب سيد المؤمنين ـ عبد الحليم مرزة، الفياض، النجف، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م.

١٥ ـ أبو طالب شيخ البطحاء ـ حسين الشاكري، المؤسسة الإسلامية للتبليغ والارشاد، سرور، ايران ـ قم، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.

١٦ ـ أبو طالب بن عبد المطلب عليه السلام ـ حسين جواد الكديمي، اسعد، بغداد، (د.ت).

١٧ ـ أبو طالب في إيمانه واخلاصه للرسالة (بحث) ـ عماد سرور، مجلة الثقافة الإسلامية، دمشق، العدد: ٩٢ ، السنة التاسعة عشر، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م (ص: ١٢٣ ـ ١٣٣).
١٨ ـ أبو طالب مؤمن قريش ـ الشيخ حيدر محمود الكنعاني، (د.ت).
١٩ ـ أبو طالب مؤمن قريش (بحث) ـ المعهد الثقافي للتخصص والدراسات القرآنية في مجلة المعارج، المجلد الخامس، السنة السابعة، الاعداد:٢٤ ـ ٢٧ ، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م (ص: ٣٢٣ ـ ٣٣٥).
٢٠ ـ أبو طالب مع الرسول ـ أ.م، مغنية، دار الكتاب اللبناني، الحوادث، بيروت، (د.ت).
٢١ ـ علي بين أمه وأبيه ـ مجيد الصايغ، الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م (ص:٢٢٧ ـ ٣٨٢).
٢٢ ـ علي بن أبي طالب من المهد إلى اللحد ـ محمد كاظم القزويني، الاداب، النجف، ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م ،(ص:٣٥ ـ ٣٩).
٢٣ ـ العمدة ـ ابن البطريق (يحيى بن الحسن الحلي ت٦٠٠هـ)، طبعة حجرية، ايران، ١٣٠٩هـ، (ص:٢١٤ ـ ٢١٦).
٢٤ ـ الغدير في الكتاب والسنة والأدب ـ الأميني، (عبد الحسين بن أحمد ت١٣٩٠هـ)، الزهراء، النجف، ١٣٦٩هـ (ج:٧، ص: ٣٣٠ ـ ١٤٠، ج:٨، ص: ٣ ـ ٢٩).
٢٥ ـ الفصول المختارة من العيون والمحاسن للشيخ المفيد ـ الشريف المرتضى (ت٤٣٦هـ)، تحقيق: علي مير شريفي، سلسلة مؤلفات الشيخ المفيد (٢)،ط٢، بيروت ـ لبنان، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م (ص:٢٨٢ ـ ٢٨٨).
٢٦ ـ قبسات من حياة عبد مناف أبي طالب ـ جواد كاظم القزاز الموسوي، مكتبة الحسن، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.
٢٧ ـ ليالي بيشاور ـ محمد سلطان العلماء الشيرازي (ت١٣٩١هـ)، تعريب وتحقيق: حسين الموسوي، بيروت ـ لبنان، ١٤٢١هـ، (ص:٩٠١ ـ ٩١٥).

٢٨ ـ مظلومية أبي طالب ـ علاء المالكي، الضياء، النجف، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.

٢٩ ـ معاني الاخبار ـ الصدوق ، الحيدرية ، النجف ، ١٣٩١هـ ـ ١٩٧١م ، (ص: ٢٧١ ـ ٢٧٢).

٣٠ ـ المواجهة مع رسول الله صلى الله عليه وآله ـ أحمد حسين يعقوب ، فروردين، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م، (ص:١٥ ـ ٥٣).

٣١ ـ نيل المطالب في مظلومية أبي طالب ـ علي عفراوي الطرفي، ط١، دار المحجة البيضاء، بيروت ـ لبنان، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.



ملحق رقم (٢)

المستدرك على الديوان

* «التاء» *

(١)

التخريج: مناقب آل أبي طالب: ٢/ ٩١، دار السلام فيما يتعلق بالرؤيا والمنام: ١/ ١٣٢، مواهب الواهب في فضائل والد أمير المؤمنين أبي طالب: ٧٨.

انشد أبو طالب في مولد ابنه علي عليه السلام:

{من الرجز}

١ - اطــوف للإلــه حــول البيــتِ

٢ - ادعــوك بالرغبــة محــيٍّ الميــتِ

٣ - بــأن تريــني الــسّبط قبــل المــوتِ

٤ - اغــرٌّ نــوراً يــاعظيم الــصّوتِ

٥ - منــصلتاً[1] بقتــل أهــل الجُبــتِ

---

(١) منصلت من الرجال: الشجاع الماضي في الحوائج.

٦ ـ وكل من دانَ بيومِ السّبتِ[1]

* «الراء» *

(٢)

التخريج: مناقب آل أبي طالب: ٢/ ٩١ ـ ٩٢ دار السلام فيما يتعلق بالرؤيا والمنام: ١/ ١٣٢ ـ ١٣٣، مواهب الواهب في فضائل والد أمير المؤمنين أبي طالب: ٧٩

انشد أبو طالب عن صدق رؤياه بالبشارة بمولد ابنه علي عليه السلام:

{من الرجز}

١ ـ قد صدقت رؤياكَ بالتّعبيرِ

٢ ـ ولست بالمرتابِ في الأُمورِ

٣ ـ أدعوكَ ربَّ البيتِ والنّذورِ

٤ ـ دعاء عبدٍ مخلصٍ فقيرِ

٥ ـ فأعطني ياخالقي سروري

٦ ـ بالولد الحلاحل المذكورِ[2]

٧ ـ يكون للمبعوث كالوزيرِ

٨ ـ يا لهما يا لهما من نورِ

(١) الأبيات من (١ ـ ٦) في مناقب آل أبي طالب: ٢/ ٩١، دار السلام فيما يتعلق بالرؤيا والمنام: ١/ ١٣٢، ومواهب الواهب في فضائل والد أمير المؤمنين أبي طالب: ٧٨.

(٢) مواهب الواهب: ٧٩، باختلاف الرواية: «بالوالد الحلاحل الذكور».

٩ ـ قــد طلعــا مــن هاشــم البــدورِ

١٠ ـ في فلــكٍ عــالٍ عــلى البحــورِ

١١ ـ فــيطحنَ الأرضَ عــلى الكــرورِ

١٢ ـ طحــنَ الرّحــى للحــبِّ بالتــدويرِ

١٣ ـ ان قريــشا بــاتَ بــالتكبيرِ

١٤ ـ منهوكَــة[1] بــالغي والثبــورِ

١٥ ـ ومــا لهــا مــن موئــلٍ[2] مجــيرِ

١٦ ـ مــن بــسيفهِ المنــتقمِ المبــيرِ[3]

١٧ ـ وصــفوة النــاموس في الــسفيرِ

١٨ ـ حــسامه الخــاطف للكفــورِ[4] [5]

* «السين» *

(٣)

التخريج: البدء والتاريخ : ٤/ ١٣٤.

قال أبو طالب في علامات النبوة التي رأها الراهب بحيرا وتلميذة عُداس في

---

(١) نهكه: غلبه.

(٢) الموئل: الملجأ، المبير: الهلك.

(٣) المبير: الهلك.

(٤) مواهب الواهب: ٧٩، باختلاف الروية: «مصامه الخاطف للكفور».

(٥) الأبيات من (١ ـ ١٨) في مناقب آل أبي طالب: ٢/ ٩١، دار السلام فيما يتعلق بالرؤيا والمنام: ١/ ١٣٢، ومواهب الواهب في فضائل والد أمير المؤمنين أبي طالب: ٧٩.

ابن أخيه وهو صغير عندما كان بصحبته في رحلته إلى الشام:

{من البسيط}

١ ـ ألم يكـن لقـريش آيـةٌ عجـبٌ   فـيما يقـولُ بحـيراءُ وعُـداس[1]

*** «الفاء» ***

(٤)

التخريج: مناقب آل أبي طالب: ٢/ ٩١ ، دار السلام فيما يتعلق بالرؤيا والمنام: ١/ ١٣٢ ، مواهب الواهب في فضائل والد أميرالمؤمنين أبي طالب: ٧٩

قال أبو طالب في مولد ابنه أميرالمؤمنين علي عليه السلام :

{من الرجز}

١ ـ أدعـوك رَبّ البيـتِ والطـوافِ

٢ ـ والوالـد المحبّـو[2] بالعفـافِ

٣ ـ تعيننـي بـالمنن اللّطـافِ

٤ ـ دعـاء عبـدٍ بالـذنوبِ وافي

٥ ـ وسـيّد الـساداتِ والأشرافِ[3]

---

(١) البدء والتاريخ: ٤/ ١٣٤.

(٢) حباه بكذا: اعطاه اياه بلا جزاء.

(٣) الأبيات (١ – ٥) في مناقب آل أبي طالب: ٢/ ٩١، دار السلام فيما يتعلق بالرؤيا والمنام: ١/ ١٣٢، مواهب الواهب في فضائل والد أميرالمؤمنين أبي طالب: ٧٩.

* «القاف» *

(٥)

التخريج: مناقب آل أبي طالب: ١/ ٥٠ ـ ٥١، بحار الانوار: ٣٥/ ٩١، بلوغ المآرب في نجاة آبائه ﷺ وعمه أبي طالب: ١٧٦ ـ ١٧٨.

وصى أبو طالب ابنه طالباً باتباع النبي ﷺ، فقال:

{من الكامل}

١ ـ أبُنيّ طالب إن شيخَكَ ناصحٌ	فيما يقولُ مسدّدُ لك راتقُ[1]
٢ ـ إن ابن عمّك بالنبوةِ والهدى	والرشد والإيمانِ جاءكَ صادقُ
٣ ـ صبحُ الربيعةِ لا يرامُ جنابهُ	من وجههِ ينزحُ ليلٌ غاسقُ
٤ ـ نسقي السحابَ بوجههِ في محلنا	وبهِ جرى وبلٌ علينا دافقُ
٥ ـ كهفُ اليتيمِ وللأرامل كافلُ	حلفُ الرشادِ وللغواةِ مفارقُ
٦ ـ ملجا الضعيفِ وركنُ كلِّ مؤمل	ورجا الغريبُ وبالاباعدِ رافقُ[2]

---

(١) مناقب آل أبي طالب: ٥٠، بحار الانوار: ٣٥/ ٩١، بلوغ المآرب: ١٨٦، والابيات بعد هذا البيت:

فاضربْ بسيفكَ مَنْ أرادَ مساءةً	حتى تكون لدى المنيةِ ذائقُ
هذا رجائي فيك بعد منيتي	لا زلتُ فيك بكلِّ رشدٍ واثقُ
فاغضذ قواه يابُنيَّ وكُنْ له	إني بجدِّكَ لا محالة لاحقُ
آهاً أُردِّد حسرةً لفراقِه	إذْ لم أراه قد تطاولَ باسقُ
أترى أراهُ واللواء أمامه	وعليٌّ ابني للّواء معانِقُ
أتراهُ يشفعُ لي ويرحمُ عبرتي	هيهات إنّي لا محالة راهِقُ

ديوان أبي طالب: ٣٤٠، مناقب آل أبي طالب: ١/ ٥٠ - ٥١، بحار الانوار: ٣٥/ ٩١، بلوغ المآرب في نجاة آبائه ﷺ وعمه أبي طالب: ١٨٦، ويلحظ ان ضمَّ بعض القوافي مخالف لقواعد النحو، للضرورة الشعرية.

(٢) الأبيات (٢ - ٦) بلوغ المآرب في نجاة آبائه ﷺ وعمه أبي طالب: ١٧٦.

٧ ـ فاعضد قواهُ يا بني وكُنْ لهُ ... أني بجدِّكَ لا محالةَ لاحقُ[1]

٨ ـ وافلق بسيفِكَ من يبدي لهُ ... غُشاً فسيفكَ للجماجمِ فالقُ

٩ ـ وأذقهُ هيجا الموتِ في كاسِ الوغى ... وإلى السعيرِ مصيرُ ذاك الذائقُ

١٠ ـ لو كنتُ أبلغُ عصرَهُ لنصرتهُ ... فانصرهُ، فهو بكلِّ خيرٍ ناطقُ

١١ ـ حتى يبلِّغَ ما يقولُ إلى الورى ... فسيسرُ غرباً دينهُ ومشارقُ

١٢ ـ أترى اعاينُ شخصَ أحمدَ بعدما ... يغشى لجسمي بالمنيةِ ساحقُ

١٣ ـ نعقَ الغرابُ بأنني مستهلِكٌ ... وكذا الغرابُ على الخلائقِ ناعقُ

١٤ ـ هيهياتَ لم اتبعهُ حينَ أوانهِ ... أسفاً، وإني في القيامةِ رامقُ

١٥ ـ فعساهُ أن يشفعَ لي أمامَ مليكه ... يوماً يشفعهُ الآلهُ الخالقُ

١٦ ـ أترى أراهُ فوقَ منبرِهِ علا ... يوماً ومنهُ يكونُ ذاك الناطقُ

١٧ ـ وأرى علياً في المعاد وراءهُ ... في كفه اليمنى لواءٌ خافقُ

١٨ ـ وقريش يومئذٍ تؤملُ أمنهُ ... عند العذاب اذا اعتراها راهقُ

١٩ ـ يدعون أحمدَ لا يُجيبُ نداهم ... أنّى، وكيفَ اذا دعاهُ منافقُ

٢٠ ـ ويفوز بالجناتِ من يبغي الهدى ... ولهُ قصورٌ في الجنانِ شواهقُ

٢١ ـ ومنابرٌ ونمارقٌ مصفوفةٌ ... ولباسهم فيها الحريرُ اللائقُ

٢٢ ـ وفواكه ومآكل ومشارب ... وسعادة، والعيشُ فيها رائقُ

٢٣ ـ لكنني اخشى مقالةَ قائلٍ ... إني جزعتُ، كما يقولُ الفاسقُ

٢٤ ـ واللهِ ما اخشى سوى عار ولو ... كان الجحيم وحرها لي سائقُ

٢٥ ـ قد عاقني ريب الزمان وطالما ... قد كنتُ ارقى للعلا واسابقُ

---

(١) ديوان أبي طالب: ٣٤٠، مناقب آل أبي طالب: ١/ ٥٠، بحار الانوار: ٣٥/ ٩١، بلوغ المآرب في نجاة آبائه صلى الله عليه وآله وعمه أبي طالب: ١٨٦.

(٢) البيت (٢٧) بلوغ المآرب: ١٨٧..

٢٦ ـ لكن أحمد في المعادِ وسيلتي وبجاهِهِ عند المُهيمنِ واثقُ

٢٧ ـ مني السلام على الحبيبِ محمدٍ والموتُ للانسانِ حقّاً طارقُ[2]

* «اللام» *

(٦)

التخريج: بحار الانوار : ١٥/ ٣٨٣ ، مواهب الواهب في فضائل والد أمير المؤمنين أبي طالب عليه السلام : ١٥٢ .

وقال أبو طالب في مدح ابن أخيه النبي محمد صلى الله عليه وآله :

{من الخفيف}

١ ـ نورُ وجهكِ الذي[1] فاقَ في الحُسـ ـنِ على نورِ شمسنا والهلالِ

٢ ـ أنت والله يا مناي وسؤلي الـذي فاقَ نورَهُ المتعالي

٣ ـ أنت نورُ الانامِ من هاشم الغرّ فقتَ كلَّ العُلا وكلَّ الكمالِ[2]

٤ ـ وعلو الفِخارِ والمجدِ أيضا ولقدَ فقتَ أهلَ كلِّ المعالي[3]



(١) في مواهب الواهب: ١٥٢، اختلاف الرواية: «بسنا وجهك الذي... ».

(٢) في مواهب الواهب: ١٥٢، اختلاف الرواية:

«أنت خير الأنام من هاشم الغرّ بكل العلى وكلّ الكمال»

(٣) الأبيات (١-٤) في بحار الانوار: ١٥/ ٣٨٣، مواهب الواهب في فضائل والد أمير المؤمنن أبي طالب عليه السلام : ١٥٢.



المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

(الالف)

١- أبحاث في الشعر العربي ـ د. يونس السامرائي، دار الكتب، جامعة الموصل، ١٩٨٩م.

٢- الإتقان في علوم القرآن ـ السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن الشافعي ت٩١١هـ)، وبهامشه اعجاز القرآن للباقلاني (أبو بكر محمد عمر بن الطيّب ت٤٠٣هـ)، المكتبة الثقافية، بيروت ـ لبنان، ١٩٧٣م.

٣- أثر التشيع في الأدب العربي ـ محمد سيد كيلاني، مكتبة مصر، الفجالة، دار الكتاب العربي، مصر، ١٩٤٧م.

٤- أدباء العصر في العصر الجاهلي وصدر الإسلام ـ بطرس البستاني، دار مارون عبود، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٩م.

٥- الأدب وفنونه ـ د. محمد مندور ـ مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٩٦١ ـ ١٩٦٣م.

٦- إرشاد الساري في شرح صحيح البخاري ـ القسطلاني (أحمد بن محمد ت٩٩٣هـ)،

ط٦، الميرية، بولاق، مصر، ١٣٠٤هـ.
٧- إرشاد الهارب من صحة ايمان الاقارب (ايمان آباء الرسول ﷺ وعمه أبي طالب ـ الصنّعاني (هاشم بن يحيى بن أحمد الحسيني الشامي (ت١١٥٨هـ)، تحقق: عباس حميد كريم الزيدي، الغدير، ايران، قم، ٢٠٠٣م.
٨- أساس البلاغة ـ الزمخشري (أبو القاسم جار الله بن محمود بن عمر ت٥٣٨هـ)، دار الفكر، بيروت ـ لبنان، ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م.
٩- الاستيعاب في معرفة الاصحاب ـ ابن عبد البّر (أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي المالكي ت٤٦٣هـ)، بهامش الاصابة في تمييز الصحابة (للعسقلاني ت٨٥٢هـ)، مكتبة المثنى، مطبعة السعادة، مصر، ١٣٢٨هـ.
١٠- أُسد الغابة في معرفة الصحابة ـ ابن الجزري (عز الدين بن الاثير أبو الحسن علي بن محمد ت٦٣٠هـ)، تحقيق: علي محمد معوض، وعادل أحمد عبد الموجود، ط٢، دار الكتب العالمية، بيروت ـ لبنان، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.
١١- أسرار البلاغة في علم البيان ـ الجرجاني (أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن ت٤٧١هـ)، تعليق: محمد عبده، ومحمد رشيد رضا، ط١، دار الكتب العالمية، بيروت ـ لبنان، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م.
١٢- أسرار التكرار في لغة القرآن ـ د. محمود السيد شيخون، ط١، مكتبة الكليات الازهرية، القاهرة، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.
١٣- الأسس الجمالية في النقد العربي (عرض وتفسير ومقارنة) ـ د. عز الدين اسماعيل، ط٢، دار الفكر العربي، دار النصر، القاهرة، ١٩٦٨م.
١٤- الأسس الفنية للنقد الأدبي ـ د. عبد الحميد يونس، ط١، دار المعرفة، دار الحمامي، القاهرة، ١٩٨٥م.
١٥- الأسلوب (دراسة بلاغية لأصول الاساليب الأدبية) ـ أحمد الشايب، ط٦، مكتبة

النهضة المصرية، السعادة، مصر، ١٩٩٦م.
١٦- أُسنى المطالب في نجاة أبي طالب ـ ابن دحلان (أحمد بن زيني الشافعي ت١٣٠٤هـ) تقديم: صالح الورداني، الهدف، سجل العرب، القاهرة، ١٩٩٩م.
١٧- الاشتقاق ـ ابن دريد (أبو بكر محمد بن الحسن ت ٣٢١هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، المثنى ببغداد، الخانجي في مصر، مطبعة السُّنة المحمدية، مصر، ١٣٧٨هـ ـ ١٩٥٨م.
١٨- الإصابة في تمييز الصحابة ـ العسقلاني (أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر ت٨٥٢هـ)، وبهامشه الاستيعاب لابن عبد البر، المثنى، السعادة، مصر، ١٣٢٨هـ.
١٩- الأصمعيات ـ اختيار الاصمعي ـ (أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك ت٢١٦هـ)، تحقيق: أحمد محمود شاكر، وعبد السلام محمد هارون، ط٢، دار المعارف، مصر، ١٩٦٤م.
٢٠- الأصوات اللغوية ـ د. إبراهيم أنيس، ط٥، مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٧٥م.
٢١- أصول النقد الأدبي ـ أحمد الشايب، ط٧، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٤م.
٢٢- إعجاز القرآن ـ الباقلاني (أبو بكر محمد بن الطيّب ت٤٠٣هـ)، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف بمصر.
٢٣- إعلام الورى بأعلام الهدى ـ الطبرسي (أبو علي الفضل بن الحسن ت٥٤٨هـ)، قدم له: محمد مهدي السيد حسن الخرسان، ط٣، الحيدرية، النجف الاشرف، ١٣٩٠هـ ـ ١٩٧٠م.
٢٤- الأغاني ـ الاصفهاني (أبو الفرج ت٣٥٦هـ)، دار الفكر، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٥٥م.
٢٥- اكمال الدين واتمام النعمة في اثبات الرجعة ـ الصدوق (ابو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي ت٣٨١هـ)، قدم له: محمد مهدي السيد حسن الخرسان،

الحيدرية، النجف الاشرف، ١٣٨٩هـ ـ ١٩٧٠م.

٢٦- الأمالي الشجرية ـ ابن الشجري (أبو السعادات ضياء الدين هبة الله بن علي بن حمزة العلوي الحسني ت٥٤٢هـ)، ط١، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن، الهند، ١٢٤٩هـ.

٢٧- أمالي الصدوق ـ الصدوق، الحيدرية، النجف الاشرف، ١٣٨٩هـ ـ ١٩٧٠م.

٢٨- الأمالي في الأدب الإسلامي ـ د. ابتسام مرهون الصفار، وزراة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد، (د.ت).

٢٩- امتاع الاسماع بما للنبي ﷺ من الأحوال والأموال والحفدة، والمتاع ـ المقريزي (تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد ت٨٤٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الحميد النميسي، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

٣٠- إنباه الرواة على أنباء النحاة ـ القفطي (أبوالحسن جمال الدين علي بن يوسف القفطي ت٦٤٦هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتب المصرية، ١٣٧٤هـ ـ ١٩٥٥م.

٣١- أنساب الأشراف ـ البلاذري (أحمد بن يحيى بن جابر ت٢٧٩هـ)، تحقيق الجزء الاول: د. محمد حميد الله ضمن سلسلة ذخائر العرب (٢٧)، دار المعارف، مصر، ١٩٥٩م، تحقيق الجزء الثاني: الشيخ محمد باقر المحمودي، مؤسسة الاعلمي، بيروت ـ لبنان، ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م.

٣٢- الانوار المحمدية من المواهب اللدنية (الشيخ يوسف بن اسماعيل النبهاني ت١٣٥٠)، الميمنية، مصطفى البابي الحلبي، مصر، (د.ت).

٣٣- أهل البيت عليهم السلام في الكتاب المقدس ـ أحمد الواسطي، ط١، الصدر، ١٩٩٧م.

٣٤- أوائل المقالات ـ الشيخ المفيد (أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري ت٤١٣هـ)، ط٤، سلسلة مؤلفات الشيخ المفيد (٤)، دار المفيد، بيروت ـ لبنان، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.

٣٥- الإيضاح ـ النيسابوري (الفضل بن شاذان الأزدي ت٢٦٠هـ)، تحقيق: السيد جلال الدين الحسيني، د.ت.

٣٦- الإيضاح في شرح المفصل ـ ابن الحاجب النحوي (أبو عمرو عثمان بن عمر ت٦٤٦هـ)، تحقيق: موسى بناي علوان العليلي، العاني، بغداد، ١٩٨٢م.

٣٧- الايضاح في علوم البلاغة ـ القزويني (جلال الدين محمد بن عبد الرحمن ت٧٣٩هـ)، شرح وتعليق: د. محمد عبد المنعم خفاجي، ط٥، دار الكتب اللبناني، بيروت ـ لبنان، ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.

(الباء)

٣٨- بحار الانوار ـ المجلسي (محمد باقر ت١١١١هـ)، تعليق: السيد جواد العلوي، والشيخ محمد الاخوندي، دار الكتب الإسلامية، طهران، (د.ت).

٣٩- البدء والتاريخ ـ المقدسي (المطهر بن طاهر ت ٣٥٥هـ)، المنسوب تأليفه لأبي زيد أحمد بن سهل البلخي، ١٩٠٣م.

٤٠- البداية والنهاية في التاريخ ـ ابن كثير (أبو الفداء عماد الدين اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي ت٧٧٤هـ)، السعادة، مصر، ١٣٥١هـ ـ ١٩٣٢م.

٤١- البرصان والعرجان والعميان والحولان ـ الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر ت٢٥٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، سلسة كتب التراث، (١١٤)، دار الرشيد، دار الطليعة، بيروت، ١٩٨٢م.

٤٢- البشارات والمقارنات بين القرآن والعهدين ـ محمد الصادقي الطهراني، ط١، الغري الحديثة، النجف الاشرف، ١٣٨٩هـ ـ ١٩٦٩م.

٤٣- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ـ السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، عيسى البابي الحلبي، مصر، ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٥م.

٤٤- بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ـ الآلوسي (محمود شكري البغدادي ت١٣٤٢هـ)، شرح وتصحيح: محمد بهجة الأثري، ط٣، دار الكتاب العربي، مصر، ١٣٠٤هـ.

٤٥- بلوغ المآرب في نجاة آبائه ﷺ وعمه أبي طالب ـ الازهري (سليمان بن عمر بن منصور العجلي اللاذقي المصري الشافعي ت١٢٠٤هـ)، تحقيق: سامي الغريري، وزهراء اكاديمي، سيد الشهداء، طهران، ١٤٢١هـ.

٤٦- البيان والتبيين ـ الجاحظ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط٥، مكتبة الخاني، بالقاهرة، المدني بمصر، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

(التاء)

٤٧- تاج العروس من جواهر القاموس ـ الزبيدي (السيد محمد مرتضى الحسيني ت١٢٠٥هـ)، تحقيق الجزء الثاني: علي هلالي، مراجعة: عبد الله العلايلي، وعبد الستار أحمد فراج، ط٢، الكويت، ١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٦م، وتحقيق الجزء التاسع والعشرين: عبد الفتاح الحلو، الكويت، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

٤٨- تاريخ الأدب العربي ـ ر. بلاشير، ترجمة: د. إبراهيم الكيلاني، وزراة الثقافة، دمشق، ١٩٧٣م.

٤٩- تاريخ الأدب العربي ـ كارل بروكلمان ـ ترجمة: د. عبد الحليم النجار، دار المعارف بمصر، القاهرة، ١٩٧٦م.

٥٠- تاريخ الأدب العربي في العصر الإسلامي ـ السباعي بيومي، ط٢، الانجلو المصرية، الرسالة، مصر، ١٩٥٨م.

٥١- تاريخ الإسلام الثقافي والسياسي، مسار الإسلام بعد الرسول ونشأة المذاهب ـ صائب عبدالحميد، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، فروردين، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م.

٥٢- تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والاعلام - الذهبي (شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان ت٧٤٨هـ)، عن نسخة دار الكتب المصرية ونسخة كمبريدج، القدس، ١٣٦٧هـ.

٥٣- تاريخ التمدن الإسلامي - جرجي زيدان، دار مكتبة الحياة، بيروت - لبنان، (د.ت).

٥٤- تاريخ ابن خلدون المسمى بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر - ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد الحضرمي المغربي ت٨٠٨هـ)، مؤسسة جمال، بيروت - لبنان، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٥٥- تاريخ الخميس في احوال انفس نفيس - الديار البكري (حسين بن محمد بن الحسن ت٩٦٦هـ)، مؤسسة شعبان، دار صادر، بيروت، (د.ت).

٥٦- تاريخ الرسل والملوك - تاريخ الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير ت٣١٠هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٥، دار المعارف، مصر، ١٩٨٦م.

٥٧- تاريخ العرب قبل الإسلام - د. جواد علي، المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٦م.

٥٨- التاريخ الكبير - ابن عساكر (أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين الشافعي ت ٥٧١هـ)، ترتيب وتصحيح: الشيخ عبد القادر بدران، روضة الشام، دمشق، ١٣٢٩هـ.

٥٩- تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري - طه أحمد إبراهيم، ط١، دار القلم، بيروت - لبنان، ١٤١٨هـ - ١٩٨٨م.

٦٠- تاريخ اليعقوبي - اليعقوبي (أحمد بن اسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح البغدادي ت بعد ٢٩٢هـ)، تعليق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

٦١- التبيين في أنساب القرشيين ـ المقدسي (عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة بن مقدام بن نصر الدمشقي ت٦٢٠هـ)، تحقيق: محمد نايف الدليمي، ط١، المجمع العلمي العراقي ـ بغداد، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.
٦٢- تحصيل عين الذهب من معدن جوهر الأدب في علم المجازات العرب ـ الشنتمري (أبو الحجاج يوسف بن سليمان ت٤٧٦هـ)، تحقيق: د. زهير عبد المحسن سلطان، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٢م.
٦٣- تذكرة الخواص ـ ابن الجوزي (أبو المظفر يوسف شمس الدين ت٦٥٤هـ)، ط٢، العلمية، النجف، ١٣٦٩هـ.
٦٤- التصوير البياني ـ د. خفي محمد شرف، ط٢، العثمانية، القاهرة، ١٩٧٣م.
٦٥- التعازي ـ المدائني (أبو الحسن علي بن محمد ت٢٢٨هـ)، تحقيق: ابتسام مرهون الصفار، وبدري محمد فهد، النعمان، النجف، ١٩٧١م.
٦٦- التعازي والمراثي ـ المبرد (أبو العباس محمد بن يزيد ت٢٨٦هـ)، تحقيق: محمد الديباجي، مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٣٩٦هـ ـ ١٩٧٦م.
٦٧- تفسير ابن كثير ـ ابن كثير (أبو الفداء اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ت٧٧٤هـ)، اشراف لجنة من العلماء، دار الاندلس، بيروت ـ لبنان، ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٦م.
٦٨- التفسير النفسي للادب ـ د. عز الدين اسماعيل، ط٤، دار العودة، بيروت، ١٩٨٨م.
٦٩- التنبيه على حدوث التصحيف ـ الاصفهاني (أبو عبدالله حمزة بن الحسن ت٣٦٠هـ)، تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين، المعارف، بغداد، ١٩٦٧م.
٧٠- تهذيب اللغة ـ الأزهري (أبو منصور محمد بن أحمد ت٣٧٠هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، المؤسسة المصرية العامة، الدار القومية العربية، مصر، ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤م.
٧١- التيارات المعاصرة في النقد الأدبي ـ د. بدوي طبانة، ط١، لجنة البيان العربي، مصر، ١٣٨٢هـ ـ ١٩٦٣م.

(الثاء)

٧٢- ثمرات الأوراق في المحاضرات ـ الحموي (ابو بكر علي بن محمد بن حجة الحموي القادري الحنفي)، بهامش كتاب المستطرف في كل فن مستظرف للاشبيهي (شهاب الدين محمد بن أحمد ت ٨٥٠هـ)، المكتبة التجارية الكبرى، (د.ت).

(الجيم)

٧٣- الجامع لاحكام القرآن ـ القرطبي (أبوعبدالله محمد بن أحمد الانصاري ت٦٧١هـ)، مصوَّرة عن طبعة دار الكتب، دار الكاتب، القاهرة، ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م.

٧٤- جِرس الألفاظ ودلالاتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب ـ د. ماهر مهدي هلال، دار الرشيد، دار الحرية، بغداد، ١٩٨٠م.

٧٥- جمهرة الأمثال ـ العسكري (أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، وعبد المجيد فطامش، ط٢، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٨م.

٧٦- جمهرة أنساب العرب ـ ابن حزم (أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الاندلسي ت ٤٥٦هـ)، الضبط: لجنة من العلماء باشراف الناشر: محمد علي بيضوي، ط٣، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.

(الحاء)

٧٧- الحجة على الذاهب إلى تكفير أبي طالب ـ ابن فخار الموسوي (أبو علي شمس الدين بن فخار بن معد ت ٦٣٠هـ)، تحقيق: السيد محمد صادق بحر العلوم، النهضة بغداد، الآداب، النجف، ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٥م.

٧٨- حلية المحاضرة في صناعة الشعر ـ الحاتمي (أبو علي محمد بن الحسن بن المظفر ت٣٨٨هـ)، تحقيق: د. جعفر الكتاني، دار الرشد، بغداد، ١٩٧٩م.
٧٩- الحماسة البصرية ـ البصري (صدر الدين علي بن أبي الفرج بن الحسين ت٦٥٩هـ)، عالم الكتب، بيروت، ١٣٨٣هـ ـ ١٩٦٣م.
٨٠- الحيوان ـ الجاحظ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط٣، المجمع العلمي العربي الإسلامي، بيروت ـ لبنان، ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٩م.

(الخاء)

٨١- خزانة الأدب ولبّ لُباب لسان العرب ـ البغدادي (عبد القادر بن عمر ت١٠٩٣هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، الخانجي، المدني، القاهرة، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.
٨٢- الخصائص ـ ابن جني (أبو الفتح عثمان ت٣٩٢هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٥٢م.
٨٣- الخصائص الكبرى (كفاية الطالب اللبيب في معرفة خصائص الحبيب) ـ السيوطي، ط٢، المنير، العراق ـ نينوى، ١٩٨٤م.

(الدال)

٨٤- دار السلام فيما يتعلق بالرؤيا والمنام ـ الطبرسي (ميرزا حسين النوري ت١٣٢٠هـ)، تعليق السيد هاشم الرسولي المحلاتي، شركة المعارف الإسلامية العلمية قم (د.ت).
٨٥- دراسات في الأدب الإسلامي ـ سامي مكي العاني، المعارف، بغداد، ١٩٦٨م.
٨٦- دراسات في التاريخ الإسلامي ـ محمد باقر الناصري، دار الصادق، بيروت، ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م.
٨٧- دراسات الصوت اللغوي ـ د. أحمد مختار عمر، ط١، عالم الكتب، سجل العرب،

القاهرة، ١٣٩٦هـ ـ ١٩٧٦م.

٨٨- الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة ـ الحسيني (صدر الدين السيد علي خان المدني الشيرازي ت١١٢٠هـ)، قدم له: السيد محمد صادق بحر العلوم، ط١، الحيدرية، النجف، ١٣٨٢هـ ـ ١٩٦٢م.

٨٩- دلائل الاعجاز ـ الجرجاني، تحقيق: محمد محمود شاكر، الخانجي، المدني، القاهرة، ١٩٨٤م.

٩٠- دلائل النبوة ـ أبو نعيم (أحمد بن عبد الله الأصبهاني ت٤٣٠هـ)، النهضة، مطبعة بابل، بغداد، ١٩٧٧م.

٩١- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة ـ البيهقي (أبو بكر أحمد بن الحسين ت ٤٥٨هـ)، تحقيق: الدكتور عبد المعطي قلعجي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

٩٢- دير الملاك ـ دراسة نقدية للظواهر الفنية في الشعر العراقي المعاصر ـ د. محسن أطيمش، ط٢، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٦م.

٩٣- ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس ـ شرح وتعليق: د محمد محمد حسين، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٢م.

٩٤- ديوان امرؤ القيس ـ تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٤، دار المعارف بمصر، القاهرة، ١٩٨٤م.

٩٥- ديوان أوس بن حجر ـ تحقيق: د. محمد يوسف نجم، دار بيوت، بيروت، ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.

٩٦- ديوان بشر بي أبي خازم الأسدي ـ تحقيق: د. عزة حسن، ط٢، سلسلة احياء التراث القديم (٣١)، دمشق، ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م.

٩٧- ديوان الحارث بن حلزة ـ تحقيق: هاشم الطعان، الارشاد، بغداد، ١٩٦٩م.

٩٨- ديوان شعر الحادرة ـ تحقيق: د.ناصر الدين الأسدي، دار صادر، بيروت، ١٩٧٣م.

٩٩- ديوان شيخ الأباطح أبي طالب ـ صنعة أبي هفان (عبد الله بن أحمد المهزمي ت ٢٥٧هـ)، تصحيح وتعليق: السيد محمد صادق آل بحر العلوم، المرتضوية، الحيدرية، النجف، ١٣٥٦هـ ـ ١٩٣٦م.

١٠٠- ديوان أبي طالب بن عبد المطلب ـ صنعة التميمي (علي بن حمزة البصري ت ٣٧٥هـ)، تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين، (د.ت).

١٠١- ديوان أبي طالب بن عبد المطلب ـ صنعة أبي هفان، تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين، بغداد، ١٤١٣هـ.

١٠٢- ديوان أبي طالب بن عبد المطلب ـ صنعة أبي هفان، وعلي بن حمزة، تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين، دار الهلال، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

١٠٣- ديوان أبي طالب عم النبي ﷺ جمع :مجموعة من المؤلفين ضمن الموسوعة الشعرية، بيروت، ٢٠٠٤م قرص.

١٠٤- ديوان أبي طالب عم النبي ﷺ جمع وشرح: د. محمد التونجي، ط٣، دار الكتاب العربي، بيروت ـ لبنان، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩١م.

١٠٥- ديوان عدي بن زيد العبادي ـ تحقيق وجمع: محمد جبار المعيبد، دار الجمهورية، بغداد، ١٩٦٥م.

١٠٦- ديوان قيس بن الخطيم ـ تحقيق: د. ناصر الدين الأسدي، ط٢، دار صادر، بيروت، ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م.

١٠٧- ديوان المعاني ـ العسكري، عالم الكتب، بيروت ـ لبنان، (د.ت).

١٠٨- ديوان النابغة الذبياني ـ تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، دار المعارف، مصر، القاهرة، ١٩٨٥م.

(الراء)

١٠٩- الرثاء ـ د. شوقي ضيف، ط٢، دار المعارف بمصر، (د.ت).

١١٠- الرثاء في الشعر الجاهلي وصدر الإسلام ـ بشرى محمد علي الخطيب، الادارة المحلية، بغداد، ١٩٧٧م.
١١١- الرجال ـ النجاشي (ابو العباس أحمد بن علي بن أحمد البغدادي ت٤٥٠هـ)، مكتبة مصطفى، (د.ت).
١١٢- الرَّوض الأُنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام ـ السُّهيلي (أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن أبي الحسن الخثعمي ت ٥٨١هـ)، ومعه السيرة النبوية لابن هشام، تعليق: مجدي منصور سيد الشورى، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، (د.ت).

(الزاي)

١١٣- الزاهر في معاني كلمات الناس ـ الأنباري (أبو بكر محمد بن القاسم ت٣٢٨هـ)، تحقيق: حاتم صالح الضامن، دار الرشيد، الدار الوطنية، بغداد، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
١١٤- الزينة في الكلمات الإسلامية العربية ـ الرازي (أبو حاتم أحمد بن حمدان ت٣٢٢هـ)، تحقيق: حسين فيض الله الهمداني، ط٢، القاهرة، ١٩٥٧م.

(السين)

١١٥- سمط اللآلي ـ البكري (أبو عبيد الأوبني ت٤٨٧هـ)، تحقيق: عبد العزيز الميمني، لجنة التأليف والترجمة، ١٣٥٤هـ ـ ١٩٣٦م.
١١٦- سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي ـ العصامي (عبد الملك بن الحسين بن عبد الملك المكي ت ١١١١هـ)، السلفية، القاهرة، ١٣٧٩هـ.
١١٧- سُنن الترمذي ـ (أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة ت ٢٧٩هـ) تحقيق: صدقي محمدالعطار، وعبد القادر عرفان، دار الفكر، بيروت ـ لبنان، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م.

١١٨- سُنن أبي داود ـ (سليمان بن الاشعث السجستاني ت٢٧٥هـ)، تحقيق: صدقي محمد العطار ،ط٣، دار الفكر، بيروت ـ لبنان، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

١١٩- سُنن النسائي ـ السيوطي، دار الفكر، بيروت ـ لبنان، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

١٢٠- سيد البطحاء أبو طالب ـ المجمع العلمي لأهل البيت، مكتبة الشيرازي العالمية، بيروت ـ لبنان، (د.ت).

١٢١- سيد البطحاء أبو طالب كافل رسول الله صلى الله عليه وآله وناصره ـ عبد الرحيم الموسوي، المجمع العلمي لأهل البيت، قم، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.

١٢٢- السيرة النبوية ـ ابن كثير (أبو الفداء اسماعيل الشافعي ت ٧٧٤هـ)، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة، بيروت ـ لبنان، ١٣٩٦هـ ـ ١٩٧٦م.

١٢٣- السيرة النبوية ـ لابن هشام (أبو محمد عبد الملك بن هشام المعافري ت ٢١٣هـ)، تحقيق: مصطفى السّقا، وإبراهيم الابياري، وعبد الحفيظ شلبي، العلمية، دار الجيل، بيروت ـ لبنان، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

١٢٤- السيرة النبوية ـ انسان العيون في سيرة الأمين المأمون ـ الحلبي (علي بن برهان الدين ت ١٠٤٤هـ)، وبهامشه السيرة النبوية والاثار المحمدية لابن دحلان، المكتبة التجارية الكبرى، الاستقامة، مصر ـ القاهرة، ١٣٨٢هـ ـ ١٩٦٢م.

١٢٥- السيرة النبوية والاثار المحمدية ـ ابن دحلان (أحمد زيني ت ١٣٠٤هـ)، بهامش السيرة النبوية المعروفة بانسان العيون في سيرة الأمين المأمون للحلبي، المكتبة التجارية الكبرى، الاستقامة، مصر ـ القاهرة، ١٣٨٢هـ ـ ١٩٦٢م.

١٢٦- السّير والمغازي ـ ابن اسحاق (محمد بن اسحاق المطلبي ت ١٥١هـ)، تحقيق: د.سُهيل زكار، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م.

(الشين)

١٢٧- شذرات الذهب في اخبار من ذهب ـ الحنبلي (أبو الفلاح عبد الحي بن العماد ت

١٠٨٩هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، (د.ت).

١٢٨- شرح تحفة الخليل في العروض والقوافي ـ عبد الحميد الراضي، العاني، بغداد، ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م.

١٢٩- شرح جمل الزجاجي (الشرح الكبير) ـ ابن عصفور الأشبيلي (ت٦٦٩هـ)، تحقيق: صاحب ابو جناح، سلسلة احياء التراث الإسلامي (٤٢)، دار الكتب، العراق ـ الموصل، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.

١٣٠- شرح جمل الزجاجي ـ ابن هشام الانصاري (أبو محمد عبد الله بن جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ت ٧٦١هـ)، دراسة وتحقيق: د. علي محسن عيسى مال الله، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٥م.

١٣١- شرح ديوان حسان بن ثابت الانصاري، ضبط وشرح وتعليق: عبد الرحمن البرقوقي، دار الاندلس، بيروت، ١٩٨٠م.

١٣٢- شرح ديوان زهير بن أبي سلمى ـ صنعة ثعلب (أبو العباس أحمد بن يحيى بن زيد الشيباني ت ٢٩١هـ)، نسخة مصورة طبعة دار الكتب، الدار القومية، القاهرة، ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤م.

١٣٣- شرح شواهد المغني ـ السيوطي، تعليق: محمد محمود بن التلاميد التركزي الشنقيطي، لجنة التراث العربي، ١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٦م.

١٣٤- شرح ابن عقيل ـ ابن عقيل المصري (بهاء الدين عبد الله ت ٧٦٩هـ)، على أُلفية ابن مالك (ابو عبد الله جمال الدين بن مالك ت٦٧٢هـ)، ومعه كتاب منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل، لمحمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، السعادة بمصر، مطبوعات الاوفست، منير، بغداد، ١٩٨٦م.

١٣٥- شرح المعلَّقات العشر وأخبار شعرائها ـ الشنقيطي، دار الاندلسي للطباعة والنشر، بيروت، (د.ت).

١٣٦- شرح المواهب اللدنية ـ محمد بن عبد الباقي الزرقاني المالكي على المواهب اللدنية

للعلامة القسطلاني (ت ٩٢٣هـ)، وبهامشه زاد المعاد في هدى خير العباد ـ ابن القيم (شمس الدين عبد الله الدمشقي الحنبلي)،ط٢، دار المعرفة،طبع بالأوفست بيروت ـ لبنان، ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م.

١٣٧- شرح نهج البلاغة ـ لابن أبي الحديد (ت٦٥٦هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار احياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، ١٩٦٢م.

١٣٨- الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي ـ د. يوسف خليف، مؤسسة المطبوعات الحديثة، دار المعارف بمصر، القاهرة، ١٩٥٩م.

١٣٩- الشعر الجاهلي ـ د. محمد عبد المنعم خفاجي، المدرسة، دار الكتاب اللبناني، بيروت ـ لبنان، ١٩٨٦م.

١٤٠- الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه ـ د. يحيى الجبوري، دار التربية، بغداد، (د.ت).

١٤١- الشعر الجاهلي منهج في دراسته وتقويمه ـ د. محمد النويهي، الدار القومية، القاهرة، (د.ت).

١٤٢- شعر الحرب في العصر الجاهلي ـ د. علي الجندي، ط٣، مكتبة الجامعة العربية، بيروت، ١٩٦٦م.

١٤٣- شعر الرثاء في العصر الجاهلي (دراسة فنية) ـ د. مصطفى عبد الشافي الشورى، الدار الجامعية، ١٩٨٣م.

١٤٤- شعر أبي طالب وأخباره والمستدرك عليه ـ صنعة أبي هفان، تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة، دار الثقافة، قم، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٢م.

١٤٥- شعر العقيدة في عصر صدر الإسلام حتى سنة ٢٣ هجرية ـ أيهم عباس حمودي القيسي، ط١، النهضة العربية، عالم الكتب، بيروت ـ لبنان، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

١٤٦- الشعر في حرب داحس والغبراء ـ عادل جاسم البياتي، الآداب، النجف الأشرف، (د.ت).

١٤٧- الشعر والشعراء ـ ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم ت ٢٧٦هـ)، تحقيق

وشرح: أحمد محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٢م.
١٤٨- شيخ الآبطح أبو طالب ـ محمد علي شرف الدين الموسوي، دار السلام، بغداد، ١٣٤٩هـ.

(الصاد)

١٤٩- صبح الأعشى في صناعة الإنشا ـ القلقشندي (أحمد بن علي ت٨٢١هـ)، تعليق وشرح: محمد حسين شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.
١٥٠- صحيح البخاري ـ البخاري (أبو عبد الله محمد بن اسماعيل بن إبراهيم بن بردزبة ت ٢٥٦هـ)، دار الفكر، بيروت ـ لبنان، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م.
١٥١- صحيح مسلم ـ مسلم النيسابوري (ابو الحسن بن الحجاج القشيري ت ٢٦١هـ)، ط١، دار الفكر، بيروت ـ لبنان، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.
١٥٢- صفة الصفوة ـ ابن الجوزي (ابو الفرج جمال الدين ت ٥٩٧هـ)، الضبط: إبراهيم رمضان، وسعد اللحّام، دار الكتب، بيروت ـ لبنان، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م.
١٥٣- الصورة والبناء الشعري ـ محمد حسن عبد الله، الدراسات الأدبية، دار المعارف، مصر، ١٩٨١م.

(الضاد)

١٥٤- ضرائر الشعر ـ ابن عصفور (أبو الحسن علي بن مُؤمن بن محمد الحضرميّ الاشبيلي ت٦٦٣هـ)، تعليق: خليل عمران المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.
١٥٥- الضرورة الشعرية (دراسة اسلوبية) ـ السيد إبراهيم محمد، ط١، دار الاندلس، بيروت، ١٩٧٩م.

(الطاء)

١٥٦- أبو طالب حامي رسول الله ﷺ ـ وناصره ـ العسكري (الميرزا نجم الدين جعفر الطهراني ت١٣٩٥هـ)، النجف، ١٣٨٠هـ.

١٥٧- أبو طالب الرجل المُفتَرى عليه ـ عقيل الخطيب، التعارف، بيروت ـ لبنان، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م.

١٥٨- أبو طالب سيد المؤمنين ـ عبد الحليم مرزة، الفياض، النجف، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م.

١٥٩- أبو طالب شيخ البطحاء ـ حسين الشاكري، المؤسسة الإسلامية للتبليغ والارشاد، سرور، ايران ـ قم، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.

١٦٠- أبو طالب بن عبد المطلب عليه السلام حسين جواد الكديمي، اسعد، بغداد، (د.ت).

١٦١- أبو طالب مؤمن قريش ـ الشيخ حيدر محمود الكنعاني، (د.ت).

١٦٢- أبو طالب مؤمن قريش ـ عبد الله الخنيزي، ط٥، مؤسسة البلاغ، بيروت ـ لبنان، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

١٦٣- أبو طالب مع الرسول ـ أ.م. مغنية، دار الكتاب اللبناني، الحوادث، بيروت، (د.ت).

١٦٤- أبو طالب وبنوه ـ محمد علي آل السيد علي خان ت ١٣٩٠هـ، الآداب، النجف الأشرف، ١٩٩٦م.

١٦٥- طبقات الشعراء ـ ابن المعتز (عبد الله بن المعتز بن المتوكل بن المعتصم بن هارون الرشيد ت ٢٩٦هـ)، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨١م.

١٦٦- طبقات فحول الشعراء ـ الجمحي (محمد بن سلام ت ٢٣١هـ)، تحقيق: محمد محمود شاكر، المدني، مصر، ١٩٧٤م.

١٦٧- الطبقات الكبرى ـ ابن سعد (أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع البصري الزهري ت٣٢٠هـ)، دار صادر، بيروت، (د.ت).

١٦٨- طبقات النحويين واللغويين ـ الزبيدي (أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي ت ٣٧٩هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، الخانجي، مصر، ١٣٧٣هـ ـ ١٩٥٤م.

١٦٩- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الاعجاز ـ العلوي (يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم اليمني ت ٧٤٩هـ)، المقتضب، دار الخديوي، مصر، ١٣٣٢هـ ـ ١٩١٤م.

(العين)

١٧٠- العجاج عبد الله بن رؤبة حياته ورجزه ـ د. عبد الحفيظ السلطي، ط٢، التعاونية، دمشق، ١٩٨٣م.

١٧١- العجاج ودوره في تطوير الارجوزة في العصر الأموي ـ غانم جواد رضا، مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة، ١٩٨٦م.

١٧٢- العقد الفريد ـ ابن عبد ربه (أحمد بن محمد الاندلسي ت ٣٢٨هـ)، تحقيق: محمد سعيد العريان، دار الفكر، بيروت، (د.ت).

١٧٣- علي بين أمّه وأبيه ـ مجيد الصائغ، الكتاب العربي، بيروت ـ لبنان، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.

١٧٤- علي بن أبي طالب من المهد الى اللحد ـ محمد كاظم القزويني، الآداب، النجف الأشرف، ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م.

١٧٥- العمدة ـ ابن البطريق (يحيى بن الحسن الحلي ت ٦٠٠)، طبعة حجرية، ايران، ١٣٠٩هـ.

١٧٦- عمدة الطالب في انساب آل أبي طالب ـ ابن عنبة (جمال الدين أحمد بن علي الحسيني ت٨٣٨هـ)، الصدر، ايران ـ قم، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.

١٧٧- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ـ ابن رشيق القيرواني(أبو علي الحسن ت

٤٥٦هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت ـ لبنان، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.

١٧٨- عمدة القاري في شرح صحيح البخاري ـ العيني (أبو محمد بدر الدين محمود بن أحمد ت ٨٥٥هـ)، المنيرية، مصر، (د.ت).

١٧٩- العهد الجديد ـ ضمن الكتاب المقدس (العهد القديم)، ط٦، مصر الجديدة، القاهرة، ١٩٩٥م.

١٨٠- عيار الشعر ـ ابن طباطبا (محمد بن أحمد بن طباطبا العلوي ت ٣٢٢هـ)، تحقيق: د. طه الجابري، د. محمد زغلول سلام، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ١٩٥٦م.

١٨١- العين ـ الفراهيدي (الخليل بن أحمد ت ١٧٥هـ)، تحقيق: د. عبد الله درويش، العاني، بغداد، ١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٧م.

١٨٢- عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير ـ ابن سيد الناس (أبو الفتح محمد بن محمد اليعمري ت ٧٣٤هـ)، دار المعرفة، بيروت ـ لبنان، (د.ت).

(الغين)

١٨٣- غاية المطالب في شرح ديوان أبي طالب عم النبي ﷺ محمد خليل الخطيب، ١٣٧١هـ ـ ١٩٥١م.

١٨٤- الغدير في الكتاب والسُّنة والأدب ـ الأميني (عبد الحسين بن أحمد ت١٣٩٠هـ)، الزهراء، النجف، ١٣٦٩هـ.

(الفاء)

١٨٥- فتح الإله في اختصار السُّنن الكبرى ـ البيهقي، اختصار محمد بن أحمد الشنقيطي الموريتاني، تعليق:. رضوان السيد، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م.

١٨٦- فجر الإسلام ـ أحمد أمين، ط٧، النهضة المصرية، القاهرة، ١٣٧٤هـ ـ ١٩٥٥م.

١٨٧- الفروسية في الشعر الجاهلي ـ د. نوري حمودي القيسي، ط٢، النهضة، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.
١٨٨- فصل المقال في شرح كتاب الامثال ـ البكري، د. احسان عباس، عبد المجيد عابدين، ط٣، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٣م.
١٨٩- الفصول المختارة من العيون والمحاسن للشيخ المفيد ـ الشريف المرتضى ت(٤٣٦هـ)، تحقيق: السيد علي مير شريفي، ط٢، سلسلة مؤلفات الشيخ المفيد (٢)، دار المفيد، بيروت ـ لبنان، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.
١٩٠- فضاء البيت الشعري ـ عبدالجبار داود البصري دار الشؤون العامة،بغداد١٩٩٦م.
١٩١- فقه اللغة العربية ـ د. كاصد ياسر الزيدي، مديرية دار الكتب جامعة الموصل، ١٩٨٧م.
١٩٢- فقه اللغة وخصائص العربية ـ محمد المبارك، ط٢، دار الفكر الحديث، لبنان، ١٩٦٤م.
١٩٣- فقه اللغة وسنن العربية في كلامها ـ الصاحبي (أحمد بن فارس ت٣٩٥هـ)، السلفية، المؤيد، ١٩١٠م.
١٩٤- فن التقطيع الشعري والقافية ـ د. صفاء خلوصي، ط٤، المثنى، دار الكتب، بيروت، ١٩٧٤م.
١٩٥- الفهرست ـ ابن النديم (أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب اسحاق ت ٣٨٠هـ)، ضبط وشرح: د. يوسف علي الطويل، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م.
١٩٦- في اللهجات العربية ـ د. إبراهيم أيس، ط٢، لجنة البيان العربي، القاهرة، ١٩٥٢م.
١٩٧- في النقد الأدبي ـ د. شوقي ضيف، ط٥، الدراسات الأدبية، دار المعارف بمصر، القاهرة، ١٩٨٨م.

(القاف)

١٩٨- قبسات من حياة عبد مناف أبي طالب ـ جواد كاظم القزاز الموسوي، مكتبة الحسن، النجف، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

١٩٩- قصص الانبياء ـ ابن كثير، ط٢، النهضة، اوفسيت منير، بغداد، ١٩٨٦م.

٢٠٠- قضايا الشعر المعاصر ـ نازك الملائكة ـ ط ٥، دار العلم للملايين، ١٩٧٨م.

(الكاف)

٢٠١- الكافي ـ الكليني (محمد بن يعقوب البغدادي ت٣٢٨هـ) دار الكتب الإسلامية، ايران/ ١٣٨٨هـ .

٢٠٢- الكافي في العروض والقوافي ـ الخطيب التبريزي (ت ٥٠٢هـ)، تحقيق: حميد حسن الخالصي، شفيق، بغداد، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.

٢٠٣- الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير (أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني ت ٦٣٠هـ)، تعليق: نخبة من العلماء، دار الكتاب العربي، بيروت ـ لبنان، ١٣٨٧هـ ـ ١٩٨٧م.

٢٠٤- الكتاب (كتاب سيبويه) ـ (أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ت ١٨٠هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، ط٣، الخانجي، المدني، القاهرة، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

٢٠٥- كتاب الصناعتين الكتابة والشعر ـ العسكري، تحقيق: د. مفيد قميحة، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.

٢٠٦- كفاية الطالب في مناقب آل أبي طالب ـ الشافعي (أبو عبد الله محمد بن يوسف)، تحقيق: محمد هادي الأميني، ط٢، الحيدرية، النجف الاشرف، ١٣٩٠هـ.

٢٠٧- كنز العمال في سُنن الاقوال والافعال ـ البرهان (علاء الدين المتقي بن حسام الدين الهندي ت ٩٧٥هـ)، دار المعارف النظامية، حيدر آباد، ١٣١٣هـ.

٢٠٨- كنز الفوائد ـ الكراجكي (أبو الفتح محمد بن علي بن عثمان الطرابلسي ت ٤٤٨هـ)، تحقيق: الشيخ عبد الله نعمة، دار الأضواء، بيروت ـ لبنان، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

(اللام)

٢٠٩- لزوم ما لايلزم (اللزوميات) ـ المعري (أبو العلاء أحمد بن عبدالله ت٤٤٩هـ)، دار صادر، بيروت، (د.ت).

٢١٠- لسان العرب ـ ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين بن مكرم ت ٧١١هـ)، تصحيح: أمين محمد عبد الوهاب، ومحمد الصادق العبيدي، ط٣، دار احياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان، (د.ت).

٢١١- ليالي بيشاور ـ محمد سلطان العلماء الشيرازي (ت١٣٩١هـ)، تعريب وتحقيق: حسين الموسوي، بيروت ـ لبنان، ١٤٢١هـ.

(الميم)

٢١٢- ما يجوز للشاعر في الضرورة ـ لابن القزاز (أبو عبد الله محمد بن جعفر القيرواني المتوفى بحدود ٤١٢هـ)، تحقيق: المنجي الكعبي، الدار التونسية، تونس، ١٩٧١م.

٢١٣- المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر ـ ابن الاثير (ضياء الدين ت ٦٣٧هـ)، تحقيق: د. أحمد الحوفي، د. بدوي طبانة، ط١، النهضة، الفجالة، القاهرة، ١٣٧٩هـ.

٢١٤- مجمع الامثال ـ الميداني (ابو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري ت ٥١٨هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت، (د.ت).

٢١٥- مجمع البيان في تفسير القرآن ـ الطبرسي (أبو علي الفضل بن الحسن ت ٥٤٨هـ)، تحقيق: هاشم الرسولي المحلاتيّ، دار احياء التراث العربي، بيروت ـ لبنان،١٣٧٩هـ.

٢١٦- المُحبر ـ ابن حبيب (أبو جعفر محمد بن حبيب بن أُمية بن عمر الهاشمي البغدادي

ت ٢٤٥هـ)، تصحيح: د. إيلزّه ليختن شتيتر، دار الآفاق الجديدة، بيروت، (د.ت).

٢١٧- مختصر القوافي - ابن جني (أبو الفتح عثمان ت ٣٩٢هـ)، تحقيق: حسن شاذلي فرهود، ط١، دار التراث، الحضارة العربية، الفجالة، القاهرة، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.

٢١٨- المدائح النبوية - زكي مبارك، دار الكاتب العربي، القاهرة، ١٣٥٤هـ - ١٩٣٥م.

٢١٩- مروج الذهب ومعادن الجوهر - المسعودي (أبو الحسن علي بن الحسين بن علي بن المسعودي ت ٣٤٦هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ط٢، السعادة، مصر، ١٣٦٧هـ - ١٩٤٨م.

٢٢٠- المزهر في علوم اللغة العربية وانواعها - السيوطي، تحقيق: محمد أحمد جاد المولى، محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، دار احياء الكتب العربية، القاهرة، (د.ت).

٢٢١- المستقصى في امثال العرب - الزمخشري، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧م.

٢٢٢- مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التأريخية - د. ناصر الدين الأسد، ط٨، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٦م.

٢٢٣- المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية - العسقلاني، بيروت، د.ت.

٢٢٤- مظلومية أبي طالب - علاء المالكي، الضياء، النجف، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

٢٢٥- المعارف - ابن قتيبة، تحقيق: ثروت عكاشة، وزراة الثقافة والارشاد القومي، دار الكتب، بيروت، ١٣٧٩هـ - ١٩٦٠م.

٢٢٦- معاني الاخبار - الصدوق، الحيدرية، النجف، ١٣٩١هـ - ١٩٧١م.

٢٢٧- المعاني الكبير - ابن قتيبة، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م.

٢٢٨- معاني النحو - د. فاضل صالح السامرائي، دار الحكمة، بغداد، ١٩٩٠م.

٢٢٩- معجم الأدباء - الحموي (ابو عبد الله شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الرومي ت

٦٢٦هـ)، تحقيق: د. أحمد فريد الرفاعي، دار المأمون، مصر، (د.ت).

٢٣٠- معجم البلدان ـ الحموي، دار صادر، دار بيروت، بيروت، ١٣٧٤هـ ـ١٩٥٥م، ١٣٧٦هـ ـ ١٩٥٧م.

٢٣١- المعمرون والوصايا ـ السجستاني (ابو حاتم ت ٢٥٠هـ)، تحقيق: عبد المنعم عامر، دار احياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، ١٩٦١م.

٢٣٢- مُغني اللبيب عن كتب الأعاريب ـ ابن هشام، تحقيق: د. مازن المبارك، محمد علي حمد الله، مؤسسة الصادق، طهران، ١٣٧٨هـ.

٢٣٣- مقاتل الطالبيين ـ الأصفهاني، تحقيق: السيد أحمد صقر، ذوي القربى، ايران، قم، (د.ت).

٢٣٤- مقاييس اللغة ـ ابن فارس (أحمد بن فارس بن زكريا ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الاعلام الإسلامي، قم، ١٤٠٤هـ.

٢٣٥- المقتضب ـ المبرد (أبو العباس محمد بن يزيد ت ٢٨٥هـ)، تحقيق: عبد الخالق عظيمة، عالم الكتب، بيروت، ١٣٨٢هـ ـ ١٩٦٣م.

٢٣٦- مقدمة القصيدة العربية في الشعر الجاهلي ـ د. حسين عطوان، دار المعارف بمصر، القاهرة، ١٩٧٠م.

٢٣٧- مقدمة القصيدة العربية في صدر الإسلام ـ د. حسين عطوان، دار الجيل، بيروت ـ لبنان، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

٢٣٨- مقدمة القصيدة العربية في العصر الأموي ـ د. حسين عطوان، دار المعارف بمصر، القاهرة، ١٩٧٤م.

٢٣٩- مكانة القصيدة العربية بين نقاد والرواة العرب ـ د. عناد غزوان، النعمان، النجف، ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م.

٢٤٠- مناقب آل أبي طالب ـ ابن شهر آشوب (أبو عبد الله رشيد الدين محمد بن علي بن شهر اشوب بن أبي نصر المازندراني ت٥٨٨هـ)، تحقيق: لجنة من الاساتذة،

الحيدرية، النجف، ١٣٧٦هـ ـ ١٩٥٦م.

٢٤١- منهاج البلغاء وسراج الأدباء ـ القرطاجني (أبو الحسن حازم ت ٦٨٤هـ)، تحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة، دار الكتب الشرقية، تونس، ١٩٦٦م.

٢٤٢- المواجهة مع الرسول ﷺ أحمد حسين يعقوب، فروردين، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، ١٤١٧هـ.

٢٤٣- مواهب الواهب في فضائل والد أمير المؤمنين أبي طالب عليه السلام النقدي (جعفر بن محمد ت ١٣٧٠هـ)، تحقيق: د. محمد هادي الأميني، ط٢، شركة الكتبي، بيروت ـ لبنان، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

٢٤٤- موسيقى الشعر ـ د. إبراهيم أنيس، ط٤، مكتبة الانجلو المصرية، المطبعة الفنية الحديثة، ١٩٧٢م.

٢٤٥- موسيقى الشعر العربي ـ د. شكري محمد عيّاد، ط١، دار المعرفة، ١٩٦٨م.

٢٤٦- ميزان الذهب في صناعة شعر العرب ـ السيد أحمد الهاشمي، النقاء، منير، بغداد، ١٩٨٢م.

(النون)

٢٤٧- نزهة الالباء في طبقات الأُدباء (تاريخ الأدباء النُحاة) ـ الانباري (ابو البركات عبد الرحمن بن محمد بن سعيد ت ٥٧٥هـ)، قدم له: علي يوسف، جمعية احياء مآثر علماء العرب، مصر، (د.ت).

٢٤٨- نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة ـ التنوخي (القاضي أبو علي المُحسن بن علي ت ٣٨٤هـ) تحقيق: عبود الشالجي، دار صادر، بيروت ـ لبنان، ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م.

٢٤٩- النقد الأدبي ـ وليم فان اوكونور، ترجمة: صلاح أحمد إبراهيم، دار صادر، دار بيروت، ١٩٦٠م.

٢٥٠- النقد الأدبي الحديث ـ د. محمد غنيمي هلال، دار الثقافة، دار العودة، بيروت ـ

لبنان، ١٩٧٣م.
٢٥١- نقد الشعر ـ قدامة (أبو الفرج قدامة بن جعفر ت ٣٣٧هـ)، تحقيق: د. محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، (د.ت).
٢٥٢- نقد الشعر في المنظور النفسي ـ د. ريكان إبراهيم، ط١، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٩م.
٢٥٣- النقد اللغوي عند العرب حتى نهاية القرن السابع ـ د. نعمة رحيم العزاوي، سلسلة دراسات (١٣٤)، دار الحرية، بغداد، ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م.
٢٥٤- النقد المنهجي عند العرب ـ د. محمد مندور، النهضة المصرية، الفجالة، القاهرة، (د.ت).
٢٥٥- النكت الاعتقادية ورسائل اخرى (ايمان أبي طالب) ـ الشيخ المفيد، مؤسسة البعثة، ط٢، دار المفيد، بيروت ـ لبنان، ١٤١٤هـ ـ ١٩٦٠م.
٢٥٦- نهاية الأرب في فنون الأدب ـ النويري (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ت ٧٣٣هـ)، دار الكتاب المصرية، القاهرة، ١٣٤٢هـ ـ ١٩٢٤م، ١٣٧٤هـ ـ ١٩٥٥م.
٢٥٧- نيل المطالب في مظلومية أبي طالب ـ علي عفراوي الطرفي، ط١، دار المحجة البيضاء، بيروت ـ لبنان، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

(الواو)

٢٥٨- وحدة الموضوع في القصيدة الجاهلية ـ د. نوري حمودي القيسي، مؤسسة دار الكتب، جامعة الموصل، العراق، ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م.
٢٥٩- الوساطة بين المتنبي وخصومه ـ الجرجاني (القاضي علي بن عبدالعزيز ت٣٦٦هـ) تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، علي محمد البجاوي، ط٣، دار احياء الكتب العربية، مطبعة عيسى الحلبي، (د.ت).
٢٦٠- وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان ـ لابن خلكان (أبو العباس شمس الدين أحمد

بن محمد بن أبي بكر ت ٦٨١هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، النهضة المصرية، السعادة، القاهرة، ١٣٦٧هـ ـ ١٩٤٨م.

(الياء)

٢٦١- يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ـ الثعالبي (ابو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل النيسابوري ت ٤٢٩هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد،ط٢، المكتبة التجارية الكبرى، السعادة، القاهرة، ١٣٧٥هـ ـ ١٩٥٦م.

الرسائل والأطاريح الجامعية

٢٦٢- البناء الفني للملحمات في جمهرة اشعار العرب (رسالة ماجستير) ــ حسين عبد حسين حمزة الوطيفي، جامعة الكوفة ـ كلية الاداب، قسم اللغة العربية، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.

٢٦٣- شعر قريش في الجاهلية وصدر الإسلام (دراسة موضوعية فنية) ، ومعها مجموع شعر قريش في الجاهلية وصدر الإسلام (اطروحة دكتوراه) ــ محمد عبد الرشيد ساري، جامعة الكوفة ـ كلية الاداب، قسم اللغة العربية، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٤م.

٢٦٤- لغة شعر ديوان الحماسة لابي تمام (رسالة ماجستير) ــ عبد القادر علي محمد باعيس، جامعة الكوفة ـ كلية الاداب، قسم اللغة العربية، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.

الدوريات والمجلات

٢٦٥- ادارة مكة قبل الإسلام (بحث) ـ د. خالد صالح العسلي، مجلة المؤرخ العربي

العدد: ٤٤، السنة السادسة عشرة، الامانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب، بغداد، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م.

٢٦٦- اقتباس الآي القرآني في الشعر العربي (بحث) ــ علي حسن مطر، مجلة رسالة القرآن، العدد الثاني عشر، دار القرآن الكريم، ايران، قم، ١٤١٣هـ.

٢٦٧- ايمان أبي طالب عليه السلام من مصادر علماء السُّنة ـ عبد الحليم حاتم مرزة، محاضرة أُلقيت في مجلس آل مرزة الأدبي في النجف الاشرف بتاريخ ٢٥ رمضان لسنة ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م.

٢٦٨- بناء القصيدة عند الشريف الرضي (بحث) ــ د. عناد غزوان، ضمن كتاب الشريف الرضي دراسات في ذاكرة الألفية، سلسلة كتب شهرية تصدر عن دار آفاق عربية(٧)، العراق، بغداد، ١٩٨٥م.

٢٦٩- تدوين السيرة النبوية ودراستها (بحث) ـ السيد محمود الهاشمي، مجلة المنهاج الصادرة، مركز الغدير للدراسات الإسلامية، السنة الاولى، بيروت، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.

٢٧٠- زيد بن عمرو بن نُفيل ـ حياته وما تبقى من شعره (بحث) ــ د. أيهم عباس القيسي، مجلة المورد، دار الشؤون الثقافية العامة، المجلد التاسع والعشرون، العدد الرابع، بغداد، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.

٢٧١- أبو طالب ايمانه وأخلاصه للرسالة (بحث) ـ عماد سرور، مجلة الثقافية الإسلامية العدد:٩٢، السنة التاسعة عشر، دمشق، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.

٢٧٢- أبو طالب مؤمن قريش (بحث) ـ المعهد الثقافي للتخصص والدراسات القرآنية، مجلة المعارج، المجلد الخامس، الأعداد: ٢٤ ـ ٢٧، السنة السابعة، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.

٢٧٣- قراءة معاصرة في مقدمة القصيدة الجاهلية (بحث) ـ د. محمود عبد الله الجادر، مجلة الاقلام، دار الجاحظ، العدد الثاني عشر، بغداد، ١٩٧٩م.

٢٧٤- لغة الشاعر (بحث) ـ عزيز أباظة، مجلة مجمع اللغة العربية، الجزء الخامس والعشرون، الهيأة العامة لشؤون المطابع الأميريا، دمشق، ١٣٨٩هـ ـ ١٩٦٩م.

٢٧٥- ورقة بن نوفل ـ حياته وشعره ـ د. أيهم عباس حمودي القيسي، مجلة المورد، دار الشؤون الثقافية العامة، المجلد السابع عشر، العدد الثاني، بغداد، ١٩٨٨م.



الفهرس

الفصل الأول

مصادر شعره وتوثيقه

الدراسة

الفصل الثاني

الرثاء والفخر والمديح

الفصل الثالث

العقيدة

الفصل الرابع

العتاب والتحذير والتهديد والهجاء

ثانياً

في الفن ٢٦١

الفصل الخامس

البناء الفني في شعره

الفصل السادس

لغة شعره

الفصل السابع
الإيقاع في شعره

الفصل الثامن

الصورة الفنية في شعره

الملاحق



considered as a literary phenomena to originate a poetic art, whether on the level of subject or the level of art, in composing the complex introductions and subjects that are prepared to originate the Islamic poem structure.



Islamic call as a defender of the new religion and the Prophet, so most of his poetry were invested to defend his nephew.

- The large quality of Abu Talib, his multi-purposes, the good quality of his work and the rich imagery were of distinguished characteristics of his poetry that attract the admiration of Ibn Salam and the men who were interested in literature such as Ibn Katheer, Al-Qastalany and others.

- The new Islamic phenomena of poetry had been rooted in the poetry of Abu Talib before the other poets of the great Prophet such as Hassan bin Thabet, Ka'eb bin Malik and Abdullah bin Rawaha, due to be a contemporary of him during the mission time before the poetic battles between the Islamic poets in Madina and the polytheists in Mecca.

- The Islamic poems of Abu Talib represented the spirit and events of Islam due to his continuous interaction with the new Islamic status and the psychological, social, religious and political data that affected it, so his different emotion had formed his loyalty to the monotheism message and religious doctrine, and the poems he had wrote described the Qyrayshy opposition of Islam and how to face it, so it formed documents for the historical events and a call for the new religion.

- Abu Talib's poetry was exposed to changes and developments, it includes many Islamic meanings and structures which carried the Arabic poem to a new phase that it can be

represents a transitional period from the Pre_ Islamic period's claws to the lights of Islam, and it is known that the literary phenomena did not develop directly through the transitional period, and there are few poets had competed in a real poetic battle, they looked at call as it could be extinguished, so that this era did not witness any clear literary movement, but it had the roots of the new Islamic literary phenomena, especially in the poetry of Abu Talib whose poetry represent the foundation of the literary phenomena in the Islamic literature, and an important stage of that period, that the research limits reach close time of the Prophet's Hegira to AL Madina. Studying the poetry of Abu Talib includes documentary and studying it on two levels : subject and art.

The most important results of the research can be summarized in :

- The poet Abu Talib is one of the poets who lived through paganism and Islam, and his poems in the Pre-Islamic period were few and were not compared with poems in the Islamic period due to stabilized life he lived. People of Mecca are just and did not of wars, and he did not have poetic motives that motivate his emotions, but the lights of Islam enlightened Mecca with a spiritual coup opened the way for Abu Talib to emerge within the new condition of the Islamic call which Quraysh had faced, so it provided him with a poetic ability to diffuse the

Abu Talib's Poetry
- A Literary Study-

Hanaa' Abbas E'laywy Kashkool

Summary

One of the reasons of studying Abu Talib's poetry is that the literary writers did no pay his poetry the attention and the literary study it deserved, that we did not find a specific literary book to give an honest image for the art of this poet, and the books did not give a real image for the Islamic poetry in the mission era that accompanied the public declaring of the Islamic call in Quraysh and notifying the tribe of the Prophet (prayer and peace be upon him and his pure and honorable household), the era that lasted for ten years through which Abu Talib accompanied his nephew as a supporter, protector, sponsor and defender against the harm of Quraysh's polytheist where this was considered one of the most sacred era for the Moslems because it represents the time of revelation and diffusing the Islamic call, and it seems that literature did not pay attention to studying the literary phenomena in the mission era because it